الدكتور فيرخو Dr Virchow

العالم الالماني الشهير

ولد سنة ١٨٢١ وتوفي سنة ١٩٠٢

ألالمان من أقدر الامم على الابحاث الطويلة التي تحتاج الى نظر متواصل واستنتاج دقيق . وهم الآن في الدرجة الاولى بين المشتغلين في الابحاث الطبية المبنية على التجارب العملية واطباؤهم اشهر من سائر اطباء العالم في هذا الشأن . وشيخ أطباء الالمان في هذا العصر وأقدمهم في خدمة الطب العالم الباثولوجي والكاتب النحرير الدكتور رودلف فيرخو الذي توفي بالامس و قد أربى على ثمانين عاماً قضى معظمها في خدمة الطب والاطباء

والعلم اما طبيعيٌ واما أدبي . ومرجع العلم الطبيعي الى بسط النواميس الطبيعية في المخلوقات المحسوسة كالطبيعيات والفلك والتاريخ الطبيعي وغيرها . والعلم الادبي يرجع الى ترقية العقول وتهذيب الاخلاق وتنظيم الهيأة الاجتماعية ومن فروعه التاريخ والشعر والادب على اجماله والفلسفة الادبية والتاريخية والعقلية ونحو ذلك . والناس في اختلاف العصور والاجيال لم يستغنوا عن هذين العلمين ولكنهم كانوا في الازمنة القديمة اكثر عناية في الادبيات والعقليات لسهولة النظر فيها على كل انسان ولانها لا تفتقر الى مقدمات عملية وتجارب حسية كالعلم الطبيعي . على ان العلم الطبيعي لم ينضج الا في الازمنة الاخيرة وخصوصاً في القرن الماضي لعدول الناس عن النظر الى العمل واعتمادهم على الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار . فاستخدموا البخار والكهربائية في توليد القوى الميكانيكية واليها مرجع الاختراعات المشهورة

ومن اهم العلوم الطبيعية « الطب » وقد نال حظاً وافراً من عناية رجال العلم فاكتشفوا فيه حقائق ذات بال خففت ويلات البشر ودفعت عنهم الامراض الوبيلة . واذا قسنا فضل العلماء بما تنتجه ابحاثهم من الخير لبني الانسان كان

للاطباء القدح المعلى في ذلك . لان خدمتهم تتعلق بحياة الانسان رأساً وهي اساس كل عمل من اعماله ادبياً كان او طبيعياً

والطب يقسم الى علوم أهمها التشريح والفيسيولوجيا والترابيوتيا والباثولوجيا فالتشريح يصف الاعضاء المؤلف منها الجسم والفيسيولوجيا تبين وظائف تلك الاعضاء بحال الصحة والترابيوتيا تبين تأثير العقاقير الدوائية في تلك الوظائف بحال الصحة والباثولوجيا تشخص الامراض التي تطرأ على الاعضاء وتبحث في معالجتها . ولكل من هذه العلوم تاريخ طويل يدل على تدرجه في الارتقاء حتى بلغ الى ما هو عليه الآن . ولا يهمنا من هذا العلوم في هذا المقام الا الباثولوجيا لعلاقتها بصاحب الترجمة باعتبار ما اكتشفه فيها مما قد غير نظر الاطباء في اسباب الامراض وتشخيصها

﴿ ترجمة حاله ﴾ ولد صاحب الترجمة في شيفلبين من اعمال بوميرانيا في شمالي بروسيا في ١٣ اكتوبر سنة ١٨٢١ وتلقى العلم في مدرسة برلين الجامعة ومن اساتذتها يومئذ يوحنا مولر العالم الفيسيولوجي الشهير . فاكتسب منه فيرخو الميل الى البحث في علل الاشياء . لان الاستاذ مولر المذكور بحث بنوع خاص في وظائف الاعضاء بحثاً فلسفياً والف كتاباً في الفيسيولوجيا خالف فيه كل من الف في هذا الفن قبله وكان تأليفه المشار اليه مثالاً لما الفه علماء الفيسيولوجيا بعده . وكان مولر من الذين لا يملون من البحث والتنقيب مثل معظم علماء الالمان . وفي اعتقادنا ان التلميذ يستفيد من استاذه بالقدوة اكثر مما يستفيده بالدرس والمطالعة فاذا كان فيه استعداد لعمل عظيم كانت تلك القدوة مفتاح مستقبله والانسان انما يقلد اباه واستاذه . وكان فيرخو يساعد استاذه في ابحاثه الدقيقة في وظائف الاعصاب وخصائص اللمفا والكيلوس والدم وغيرها فتعود النظر في الامور نظر الناقد . ورأى استاذه ينشئ مجلة طبية في الفيسيولوجيا والتشريح فمال الى الاقتداء به . فلما نال رتبة الدكتورية وخرج من المدرسة سنة ١٨٤٣ ظل في خاطره انشاء مجلة طبية ولم يتح له ذلك الا سنة ١٨٤٧ فانشأ مجلة في التشريح الباثولوجي والفيسيولوجيا سماها Archiv für pathologische Anatomie und Physiologie für klinische Medicin واشترك في

تأليفها معه الدكتور راينهارت احد معاصريه . ثم استقل هو في انشائها من المجلد الحادي والعشرين . وفي تلك السنة أيضاً انشأ مجلة طبية عمومية بمساعدة لوبوشر سماها الاصلاح الطبي Medical Reform وفي اسمها ما يدل على غرض فيرخو وهو في ابان شبيبته

وهنا موقف اعتبار بالنظر الى مدارسنا وخصوصاً الاميرية فان الذين يعهد اليهم اختيار اساتذتها انما يلتفتون الى اقتدارهم في العلم الذي سيلقونه على التلامذة فيدققون في امتحانهم فيه وقلما ينتبهون الى اخلاق الاساتذة وآدابهم الشخصية وهي في اعتبارنا لا تقل اهمية عن تلك . لان اداب ذلك الاستاذ واخلاقه ستكون مثالاً لابدّ للتلميذ من اقتباسه وهو لا يشعر . فاذا كان الاستاذ خاملاً كسولاً شب التلامذة على الخمول . واذا كان من اهل الهمة والاقدام والبحث نشأ التلامذة على مثاله . وقس على ذلك سائر الاخلاق والاداب

وقد كانت تلك المجلة مما ساعد الدكتور فيرخو على اذاعة شهرته في العالم الالماني . فانتدبته الحكومة البروسيانية سنة ١٨٤٨ للبحث في طبيعة الحمى التيفويدية التي كانت متفشية عامئذ في سيليسيا في شرقي بروسيا وجنوبها . فرفع اليها تقريراً نال منزلة رفيعة عند رجال الصحة . ولم تقتصر شهرة فيرخو على ثقة الناس في علمه ولكنهم وثقوا ايضاً في آرائه . فلما ثار البروسيانيون في تلك السنة على فريدريك وليم الرابع ونهضوا للمطالبة بحقوقهم انابوا عنهم جماعة يثقون بدرايتهم وقوة عارضتهم والدكتور فيرخو في جملتهم . ولكنه لم يستلم ذلك المنصب لصغر سنه وهو لم يتم الثامنة والعشرين من عمره

وفي سنة ١٨٤٩ تعين استاذاً للتشريح الباثولوجي في مدرسة وورزبورج الجامعة وعكف هناك على العمل في هذا الفن وهو عبارة عن البحث الميكروسكوبي في الانسجة المريضة . فاشتهر من ذلك الحين بخطبه الرنانة التي كان يلقيها في التشريح الخلوي اي تشريح الخلايا المريضة . فازداد شهرة وازدادت ثقة الحكومات في علمه فانتدبته حكومة بافاريا سنة ١٨٥٢ للبحث في القحط الذي اصاب بعض بلادها

وفي سنة ١٨٥٩ طلبت اليه حكومة اسوج ونروج البحث في اسباب البرص. وكانت مدرسة برلين الجامعة التي تلقى العلوم فيها قد كلفته سنة ١٨٥٦ تدريس التشريح الباثولوجي وادارة المجمع الباثولوجي ثم تسابقت البلاد الى الانتفاع من علمه وعمله. فانتخب عضواً في مجلس بلدية برلين فاصلح الصحة وصار منذ سنة ١٨٦٢ عضواً في مجلس النواب البروسياني وكان مقاوماً لسياسة بسمارك الاستبدادية ونصيراً لكل مشروع حر مفيد. وفي سنة ١٨٧٠ سنة الحرب المشهورة بين فرنسا وبروسيا تعين فيرخو رئيساً للمستشفيات. وكان مساعداً عظيماً في انشاء عدة مشروعات علمية كجمعية الآثار وتعين رئيساً لجمعية الانتروبولوجيا وانتخب سنة ١٨٧٣ عضواً في الاكاذيمية الفرنساوية وفي غيرها من الجمعيات الفرنساوية. وكان لذلك الانتخاب وقع سيء عند الالمان على اثر الضغائن التي حدثت بينهم وبين الفرنساويين بعد حرب السبعين فطلبت اليه احدى جمعيات المانيا ان ينسحب من الاكاذيمية الفرنساوية وسائر الجمعيات العلمية الفرنساوية فابى واجاب « ان تكدير العلائق العلمية بين هاتين المملكتين يخالف مصالح التمدن والعلم والانسانية »

ومن ادلة منزلة الدكتور فيرخو من ثقة الشعب الالماني وحكومته انه كان مرجع الاطباء في تشخيص مرض الامبراطور فريدريك الثالث سنة ١٨٨٨ وكان مرعي الجانب لدى سائر امبراطوري المانيا الذين عاصروه الا ما كان يصيبه احياناً بسبب آرائه السياسية فقد قضت عليه تلك الاراء سنة ١٨٨٧ ان يخسر منصبه في مدرسة برلين ولكنه اعيد اليه سنة ١٨٩٢ واحتفلوا بتذكار ولادته للعام الثمانين في السنة الماضية احتفالاً شائقاً اشتركت فيه الامة الالمانية باسرها وشاركها رجال العلم من سائر الامم وخصوصاً الاطباء. وكتب اليه امبراطور المانيا كتاباً يهنئه فيه بذلك العيد وهذه ترجمته :

« ابسط لك تهانيَّ الحارة واتمنى لك حياة سعيدة لان علم الطب مديون لاتعابك الكثيرة في اثناء حياتك الطويلة التي قضيتها في ابحاث ذات اهمية اساسية وقد فتحت باباً جديداً للنظر والبحث وبهذه الابحاث قد نقش اسمك باحرف كبيرة على صحيفة تاريخ الطب الى الابد وامتد فضلك الى ما وراء حدود الوطن الالماني.

وفوق كل ذلك فقد بذات حذاقتك الطبية واختبارك الطويل في خدمة بني الانسان في حالي السلم والحرب بهمة لا تعرف الملل ... »

﴿ ابحاثه ومؤلفاته ﴾ رأيت في ما تقدم ان ابحاث صاحب الترجمة كان معظمها محصوراً في التشريح الباثولوجي او المرضي اي البحث في أسباب الامراض بتشريح الاعضاء المريضة تشريحاً مكروسكوبياً لاستطلاع علة المرض الحقيقية — ومتى صح تشخيص المرض هان علاجه . والانسان ميال طبعاً الى البحث عن علل الحوادث وخصوصاً الحوادث المتعلقة به رأساً . فكان الناس في أزمنة الجهالة ينسبون العوارض التي تطرأ عليهم الى قوى غير منظورة يعبرون عنها بالارواح او الجان او العفاريت . ولا تزال امثال هذه الاعتقادات شائعة بين عامتنا الى اليوم . فهم ينسبون كثيراً من الامراض الى احتلال العفاريت في ابدان المرضى وخصوصاً في الامراض العصبية ويعالجونهم باخراج العفاريت بالتعزيم والتبخير والضرب بالطبول ونحو ذلك مما يسمونه الزار . ومثل هذه الخرافات شائع أيضاً في عامة الممالك المتمدنة . اما اهل العلم فكانوا على ما كان عليه الاقدمون من تعليل الامراض بالظنون المبنية على الاستقراء الناقص وما زالوا على ذلك حتى قال فيرخو سنة ١٨٤٧ ان الوسيلة الوحيدة للتوصل الى العلم الصحيح انما هي « التجارب » ولو طال أمرها . ومن اقواله « لا قيمة في الطب لغير الملاحظة والتجربة فانها اساس الطب العلمي . وقوام هذا الطب التشريح الباثولوجي والابحاث العملية »

البروتوبلازم : هي الكرية الخلوية او الحويصلة الحيوية التي تتألف منها الاجسام الحية . وكان لاكتشافها تأثير كبير في عالم الطب لانه مهد السبيل لاكتشاف الميكروب . وأول من اكتشف الخلية وذكر علاقتها بحياة الجسم الاستاذ شلايدن العالم النباتي المشهور فقد قال سنة ١٨٣٨ ان نسيج النبات يتألف من حويصلات لكل منها حياة مستقلة . ثم اثبت الاستاذ شوان ان الانسجة الحيوانية تتألف من امثال هذه الحويصلات أيضاً

وكان الاطباء من اول عهد الطب ميالين الى تعليل الامراض بتغيير يصيب

الاعضاء المريضة . وما زال هذا الرأي يرتقي ويبعد عن الابهام والاشكال حتى اكتشفوا الحويصلات الحيوية المشار اليها فكان من حظ الدكتور فيرخو ان يختم تلك الآراء برأي اتصل اليه بالبحث والملاحظات والتجارب العديدة وهو « ان اسباب الامراض تغيير يحدث في الخليات التي تتألف منها الاعضاء » واثبت قوله بالادلة والشواهد . وكان لهذا الرأي تأثير عظيم في الابحاث الطبية وخصوصاً في علم الثرابيوتيا . وكل ما حدث من الارتقاء في علم الطب بعد هذا الرأي فالفضل فيه راجع الى الدكتور فيرخو رأساً او ضمناً . فضلاً عما كان له من التأثير في علم الحياة (البيولوجيا) . وقد عرف الاطباء بواسطة هذا الاكتشاف كثيراً من الامراض التي كانت تبدو متباعدة باعراضها فحققوا انها ناتجة عن سبب واحد أو اسباب متشابهة . فتوصلوا بذلك الى ترتيب الامراض وتبويبها وارجاعها الى تغييرات محدودة تحدث في تلك الخليات

ويؤخذ من مجمل تاريخ حياة فيرخو انه كان كبير العقل معتدل المزاج مع ميل الى الحرية الشخصية والحق الصريح . ولم يكن يرى نشر العلوم بين العامة الا بعد ثبوت مبادئها ثبوتاً صريحاً . من ذلك انه خالف هيكل وغيره من القائلين بنشر مذهب الانتخاب الطبيعي بين عامة الناس او تعليمه في المدارس لانه لا يزال رأياً يفتقر الى الاثبات ولان الاحداث اذا تلقنوا علماً اتخذوه قضية مسلمة فلا يجب تعليمهم غير القضايا العلمية الثابتة التي لا تحتمل النقض . ويدل ذلك على تعقله واعتداله

مؤلفاته : للدكتور فيرخو مؤلفات كثيرة أكثرها في الطب وخصوصاً في الباثولوجيا نذكرها باسمائها الالمانية الا ما ترجم منها الى الانكليزية فنذكره باسمه الانكليزي مع السنة التي ظهر الكتاب فيها

(1) Cellular Pathology (4th Ed.) (1871)
(2) Handbuch der speciellen Pathologie und Therapie 3 Vol. (1862)
(3) Pathology of tumors 3 Vol. (1867)

(4) Die Enwickelung der Schädel-grundes, Berlin (1857)
(5) Darstellung von der Lehre der Trichenen (1866)
(6) Treatises connected with State Medicine 2 Vol. (1879)

وله من الخطب المطبوعة شيء كثير اشهرها

(7) Goethe as a naturalist (1861)
(8) Aufgabe der Deutschen Turnerei (1864)
(9) National Development and the Importance of the Natural Sciences (1869)
(10) Die altnordischen Schädel zu Kopenhagen (1871)
(11) Uber die Chlorose etc. (1872)
(12) Technique of Dissection (1876)
(13) Liberty of Science in the Modern State (1877)
(14) Uber die Weddas von Ceylon (1881)

فضلاً عن المجلة التي ذكرنا انضامها فان مجلداتها زادت على ثمانين مجلداً



المجاملة

من آفات الهيئة الاجتماعية

في القاموس « جامله عامله بالجميل ولم يصفه الاخاء او احسن عشرته »
والمجاملة اما ان تكون في الحديث فتقتصر على المحادثات والمطارحات واما في المعاملة وتناول الاشغال في الاخذ والعطاء — فلتنظر في كل منها على حدة

(المجاملة في المحادثة) اذا سألت أوربيا أو اميركانياً عن رأيه في شأن من الشؤون لا يستنكف من التصريح بما يخطر له ولو كان في قوله ما يسوءك أو يغضبك. وهي حرية في القول لا مشاحة في أنها من الفضائل الناجمة عن التعليم الصحيح . وأما اذا وجهت ذلك السؤال الى شرقي فقد يدرك منه نحو ما أدركه ذاك ولكنه يستنكف من

التصريح لك برأيه فجأة فيجعل جوابه لطيفاً يتخلله ما يخفف غضبك من الاعذار وهو ما يعبر عنه بالمجاملة • ولا بأس من المجاملة اذا وقفت عند هذا الحد واقتصرت على لطف المعاملة بل هي تفضل على الحرية الجافية لان المجاملة قد تكون من قبيل الدهاء في السياسة فينال صاحبها بحسن الاسلوب ما لا يناله بدونه • اما اذا تجاوزت هذا الحد فانها تنقلب الى الرياء والخديعة وتصير وبالاً على اهلها وسبباً رئيسياً من اسباب انحطاطهم

والمجاملة من الاخلاق الراسخة في طباع الشرقيين ولا نحسبها فطرية فيهم بل نظنها من نتائج ما أصابهم من الذل والاستبداد في القرون الاخيرة بعد ان دالت دولة الشرق واضطر الشرقيون بحكم الطبيعة ان يستسلموا لاهل الغرب او يقتدوا بهم • يدلك على ذلك ما كان عليه العرب في جاهليتهم وفي صدر دولتهم بعد الاسلام من حرية القول والعمل فقد كان الرجل وهو من آحاد الناس لا يبالي ان يصرح برأيه ولو كان في تصريحه ما يسوء الامير او الخليفة أو السلطان وهو دليل الانفة وعزة النفس وصدق اللهجة — وهذه الخلال لا تعيش الاَّ في ظل العدل والحق والحرية

وفي الحديث المشهور عن الاعرابي مع عمر بن الخطاب وقد قال عمر « اذا رأيتم فيَّ اعوجاجاً فقوموه » فقال الاعرابي « لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا » دليل على ذلك اذ لم يجرئه على هذا القول الاَّ اعتقاده بعدل ذلك الخليفة

وأمثال هذه الشواهد كثيرة في كتب العرب مما يدلُّ على ان اخلاق الامم تختلف باختلاف الاعصر والاحوال • وان الظلم والاستبداد من اكبر البواعث على رسوخ الرياء في طباع المظلومين فيشيع ذلك فيهم ويسمونه المجاملة • لان المجاملة بمعناها الاصلي لا تقتضي الرياء وانما يراد بها الملاطفة وحسن الاسلوب وان لم تصفُ النية وهي نافعة • واما المجاملة على ما نراها شائعة بيننا فانها مجلبة للاضرار بل هي سوس ينخر في جسم العمران فتضلُّ الناس وتسيء التعامل فلا يثق الانسان بنصيحة ولا يركن الى رأي • وقد تقود الى الغرور وخصوصاً في حديثي العهد في مخالطة الناس فينخدعون بما يسمعونه من امتداح اعمالهم فيتمادون الى ما لا تحمد عقباه وهم معذورون لانهم لا يسمعون نصحاً صحيحاً بل لا يسمعون الا اطناباً واطراء

ويظهر ذلك الغرور خصوصاً في أرباب الاقلام لانهم اذا كتب احدهم مقالة او نظم قصيدة وعرضها على صديق له قبل نشرها او بعده فاول ما يتبادر الى ذهن ذلك الصديق اطراء صديقه الكاتب او الناظم فيبذل جهده في اختراع المعاني وتنميق العبارة المؤدية الى

مدحه · والكاتب كما لا يخفى معجب ببنات افكاره فيزيده الاطناب اعجاباً ويحسب نفسه قد فاق الاولين والآخرين علماً وفضلاً · واذا كان من اهل الغرور جرّه ذلك الى التطاول والادعاء فيسقط · ومن الضرر الفاحش ان لا يسمع الانسان الاّ المدح في اعماله واقواله واكثر الناس تعرضاً لهذا الامر اصحاب الجرائد والمجلات · اذ لا تصدر جريدة او مجلة الاّ ويتسابق الشعراء الى نظم التقاريظ في مدح خطتها وسمو مواضيعها ويتفننون في سبيل الاطناب في سعة علم صاحبها وغزارة فضله او صدق لهجته قبل ان يبدو شيء من ذلك على جريدته او مجلته

وأرباب الصحافة أنفسهم يقعون في نفس ذلك الخطأ فاذا ورد عليهم كتاب وان كان موضوعهُ تافهاً فانهم يشعرون بوجوب مدحه وخصوصاً اذا جاءهم صاحب الكتاب بنفسه وحرضهم على مدح كتابه التماساً لرواجه وقد يكتب اليهم في هذا الشأن يستحثهم ويستنهض هممهم لتقريظ الكتاب تنشيطاً للمؤلف · والغالب في الصحف ان تجيب الطلب حياء من المؤلف وتنشيطاً له وجرياً على عادة المجاملة في كل شيء · وقد عرف القراء ذلك فأصبحوا لا يعتمدون على اقوال الجرائد في تقريظ المطبوعات

وعذر ارباب الصحف في تلك المجاملة ان المؤلفين لم يتعودوا الصبر على سماع الانتقاد واكثر ما يظهر من المؤلفات قابل للنقد بالنظر لحداثة عهدنا في التأليف · فاذا أراد صاحب الجريدة انتقاد كل كتاب يرد عليه ضاق وقته وأثار عليه العداء حتى من اعز اصدقائه · وما من صاحب جريدة او مجلة الاّ وقد وقع في ذلك ونحن في الجملة · وكنا لما أنشأنا الهلال فتحنا باباً لتقريظ الكتب سميناه « باب التقريظ والانتقاد » ونحن اول من سماه بذلك اشارة الى اننا اذا وصفنا كتاباً نذكر حسناته وسيئاته · وشرحنا غرضنا من هذه التسمية غير مرة ومع ذلك وبالرغم عما كنا نتوخاه من لطف الاسلوب وانصاف المؤلفين اضطررنا بعد سنتين الى الاغضاء عن الانتقاد تجنباً لمعاداة الناس · ثم رأينا ملافاة لما قد يقع من سوء التفاهم ان نقسم باب التقريظ الى قسمين (١) باب «المطبوعات الجديدة» نذكر فيه ما يصدر من المطبوعات ذكراً بسيطاً بما يشبه الاعلان المختصر ولا رأي لنا في ذلك (٢) « باب التقريظ والانتقاد » ننتقد فيه الكتب المهمة التي يطلب الينا انتقادها ونرى من ذلك نفعاً للقراء او المؤلفين

ويظهر لنا مما نقرأه الآن من انتقاد الكتب في الجرائد والمجلات ان الناس قد أخذوا يتعودون سماع الانتقاد على ما يكتبونه ويصبرون على صداقة منتقديهم ولو قليلاً · وأملنا

وطيد ان ينتشر هذا الروح ويتمكن من ارباب الاقلام لانه اكبر دليل على ارتقاء الامة وسعة علم كتابها • على ان المؤلف المنصف لا يستنكف من الاقرار بخطائه والاعتراف بفضل المنتقد عليه • ويسرنا ان صدق اللهجة اخذ ينتشر بين الناس • وفي الناشئة المصرية جماعة لا يستنكفون من ابداء رايهم في شأن من الشؤون بالحرية التامة وذلك من نتائج التربية والتعليم والقدوة الحسنة

(المجاملة في المعاملة) مهما يكن من اضرار المجاملة في المحادثة فانها لا تظهر للعيان ظهور اضرار المجاملة في الاخذ والعطاء لان المعاملات التجارية ونحوها انما تقوم بصدق المعاملة وصراحتها • فالافرنجي مثلاً اذا سألته قضاء حاجة ولم يكن يستطيع قضاءها او لا يريد ان يقضيها قال لك حالاً اني لا استطيع ذلك اولا أُريده • وقد يكون ذلك الجواب عنيفاً لديك ولكنه خير من جواب الشرقي « حاضر » او « من عيني » او « على راسي » وهو يقول ذلك وينوي ان لا يفعل • وقد تخاطبه في هذا الشأن مثنى وثلاث ورباع وهو يختلق الاعذار ويجدد الوعد ولا يبالي بما تفقده في سبيل الانتظار من الوقت وغيره — أليس ذلك من الرياء والخداع ولكننا الفناه وعددناه من قبيل الملاطفة وما هو منها في شيء •

اذا كلفك صديقك امراً فاما ان تعده وتفي او ان تصرح له بعدم اقتدارك على القيام بطلبه فتترك له سبيلاً للبحث عن مصلحته • ويدخل في هذا الباب الاخلاف في المواعيد وخصوصاً مواعيد المقابلة فقد يعدك بعضهم بالمقابلة في الساعة الفلانية في المكان الفلاني وهو لا ينوي الوفاء او يترك ذلك للتقادير وانما كان وعده حياء منك • ومن الغريب ان لا يستحي من اخلافه • وما أثقل ذلك على حديث العهد في هذه المعاملة — على انه لا يلبث ان يألفها لكنه لن يستحسنها لما فيها من ضياع الوقت • ويسرُّنا ان نرى تحسيناً واضحاً في هذه العادة في الاعوام الاخيرة من فضل العلم وتوقع التخلص منها كلها تدريجاً •

ومن ضروب المجاملة في المعاملة التي لا نرجو للشرقي خلاصاً منها تحمل مشقة الزيارة في غير اوانها واكرام الزائر واستطالة زيارته • فالافرنجي اذا زرته في ساعة له فيها عمل يقضيه لا يستنكف ان يقول لك بصريح العبارة « اعذرني اني لا اقدر ان اقبل زيارتك الآن لاني مشغول » • اما الشرقي فلا نظنه يتصل الى هذه الحرية الا بعد اجيال طويلة ونظنها آخر ما يستتم اقتباسه من عادات الافرنج • على انا نرى اتخاذ هذه الحرية لازماً

في احوال اضطرارية والزائر اذا كان صديقاً لا يرضى بخسارة صديقه او مضايقته . ولكن لابد من لطف الاسلوب في ذلك الاعتذار



التوائم

وشذوذ الطبيعة فيها

للطبيعة نواميس ثابتة وقواعد معينة تسير عليها في اعمالها واحكامها في الممالك الثلاث الجماد والنبات والحيوان . ولكنها قد تشذ في بعض الاحوال فيتولد من شذوذها مخلوقات غير اعتيادية يسمونها خوارق الطبيعة او شذوذ الطبيعة ولا بد لهذا الشذوذ من اسباب ترجع الى تلك النواميس وان كنا لم نتصل الى معرفتها

ومن قبيل خوارق الطبيعة التوائم المتحدة او المختلطة وهي كثيرة في اجنة النبات تظهر في البذور والاثمار كل يوم . اما في الحيوان فانها نادرة وهي اندر ما تكون في الانسان . ولم يعنَ العلماء في تعليل هذه الخوارق والبحث عن اسبابها الا في القرن الثامن عشر فما بعده . وكانوا قبل ذلك اذا ذكروها انما يريدون بذكرها التحدث بها على سبيل الاستغراب . ولم يتصلوا الى تعليل تلك الخوارق الا بعد وضع علم الاجنة ودرس حياة الجنين وما يطرأ عليه من التغيير وهو في بطن أمه . فوجدوا بالبحث والمراقبة ان السبب الرئيسي يرجع الى حال البيضة وان التوأم المتحد يتولد من بيضة واحدة غالباً أي ان يكون نقطتان جرثوميتان في بيضة واحدة تنميان معاً

ويتحدان من بعض اجزائهما اتحاداً كلياً او جزئياً . وقد يكون التوأمان متساويين حجماً اومتفاوتين . فالتوائم المتحدة تقسم بهذا الاعتبار الى قسمين التوائم المتساوية والتوائم المتفاوتة

﴿ التوائم المتساوية ﴾ هي ان يولد التوأمان متساويين في الحجم . وتقسم التوائم المتساوية الى اقسام باعتبار الاعضاء التي يتحد التوأمان بواسطتها فاما ان يكون اتحادهما في الرأس او في الصدر أو في السرة أو في الحوض . ومن ابسط احوال التوائم المتحدة ان يولد التوأمان في جسم واحد لا ينفصلان الا في الرأس فيكون مزدوجاً فيعبر عنه الناس بانسان ذي رأسين . وقد يتحد الرأسان أيضاً فيصيران رأساً واحداً ذا وجهين . وفي احوال أخرى لا تظهر التوأمية الا في الذراعين فيكون الجسمان متحدين جيماً الا الاذرع فيكون في الصدر اربع اذرع وقد يبقى اثر التوأمية في العنق فيظهر المولود طفلاً ذا عنقين ورأس واحد . أو تكون في الصدر فيولد ذا صدرين و بطن واحد وفخذين فقط . وقس على ذلك ما قد يتفق تولده من ضروب الاتحاد باختلاف الاعضاء

ثم ان الاتحاد في الرأس او الصدر او البطن او الحوض قد يكون جزئياً بحيث لا يتجاوز الجلد فيكون كلٌ من التوأمين كاملاً بكل أعضائه مستقلاً في أعماله الحيوية مع استطراق بينهما في نقطة الاتصال . وقد يكون الاتحاد كلياً حتى يختلط العضوان المتحدان فيتكون منهما صدر واحد أو بطن واحد أو رأس واحد . فالرجلان صاحبا الرأس الواحد قد يكون في تجويف رأسيهما دماغ أو دماغان وكذلك في ذوي الصدرين فقد يكون لهما قلب أو قلبان ونحو ذلك مما لا يقع تحت حصر . ولا يعيش من التوائم المتحدة المتساوية الا ما كان الاتحاد بينهما جزئياً وسائر الاعضاء في الجسمين مستقلة

ومن هذا النوع التوأمان راديكا ودوديكا اللذان ذكرناهما في هلال السنة الماضية وأفاضت الجرائد في ذكر العملية الجراحية التي أجريت لفصلهما وهما انثيان

ومنه التوأمان الصينيان ليوتانغسن وليوسنغسن وهما ذكران وفي السابعة



التوأمان الصينيان متقابلين

عشرة من العمر . وقد اتحدا مثل اتحاد راديكا ودوديكا تقريباً الا ان نقطة الاتصال أطول قليلاً ومحيطها ٢٣ سنتيمترًا وعلوها ٩ سنتيمترات وثخانتها نحو ثلاثة سنتيمترات وطول كل من التوأمين مترٌ و ٤٤ سنتيمترًا وهما قويا البنية لا يظهر عليهما التعب من هذه المشاركة . واما واسطة الاتحاد فيهما ففي طرف القصاي العظم الصدري فانه يستطيل قليلاً ويخرج من الصدر حتى يلتقي برفيقه فيتحدان والمظنون انهما متحدان أيضاً بالحجاب الحاجز وبشيء من الكبد

ومن اشهر التوائم المتساوية التوأمان السياميان « شانغ » و« انغ » ابنا بونكر . ولدا في قرية قرب بانكوك بسيام سنة ١٨١٩ وهما متحدان بعظم القص في أسفل الصدر بزائدة لحمية ضخمة وبزائدة من البريتون . وقد حملا الى أوربا وهما طفلان ثم سافرا الى أميركا وعرضا نفسيهما للفرجة فجمعا مالاً طائلاً فاستقرا في كارولينا بالولايات المتحدة واشترى كل منهما عقارًا يستغله لنفسه واتفقا ان يقيما كل ثلاثة اعوام في بيت أحدهما على التناوب . فماشا في ذلك مدة والناس يحترمونهما . وكان طول شانغ خمسة اقدام وقيراطان ونصف وانغ اطول منه بقيراط واحد . ومن غريب سيرتهما انهما تزوجا اختين سنة ١٨٤٣ فولد لشانغ



التوأمان الصينيان متعانقين .

عشرة أولاد سليمي الحواس الا صبياً وصبية ولدا اصمين . وولد لاخيه انغ اثنا عشر ولداً كلهم صحيحو الابدان . ولما حدثت الحرب الاهلية في الولايات المتحدة خسرا كل ما كانا يملكانه من العقار فعادا الى التعيش بعرض أنفسهما في أوربا

وفي سنة ١٨٦٣ مال شانغ الى الافراط في المسكر ونحوه وظل أخوه معتدلاً في كل شيء — وفي هـذا التناقض في الاخلاق مع اتحادهما دماً ومزاجاً موضع نظر للباحثين في النفس وخصائصها . وفي سنة ١٨٧٢ اصيب شانغ بألم عصبي في العين اليمنى ثم أصابه انحلال في سائر البدن ولم يعد يستطيع الصعود على السلالم او نحوها . وفي يناير سنة ١٨٧٤ اصابته نزلة صدرية لم يسرع في معالجتها . ففي السابع عشر من ذلك الشهر أفاق انغ وظل شانغ نائماً فنادى انغ بعض أولاده ليوقظ عمهُ فنادى الغلام « عماه عماه » وحركهُ فاذا هو ميت فصاح « هو ميتٌ » فاضطرب انغ وقال بنغمة اليائس الحزين « فاذاً أنا مائت أيضاً » ثم انقطع بوله وعسر تنفسه ومات بعد أخيه بساعتين ولهما من السن ٦٣ سنة

وقد كتب الاستاذ هريسن الن فيهما تقريراً طويلاً نشره في جملة اعمال كلية الطب في فيلادلفيا يؤخذ منه ان واسطة الاتصال بين التوأمين كانت عبارة عن امتداد جلدي قصير محيطه تسعة قراريط سطحه العلوي اعرض من سطحه السفلي في داخله نقطة اتصال رأسي الغضروفين الخنجريين الممتدين من القصين . وفي تلك النقطة كيس زلالي واربطة بما يشبه المفصل ليساعد التوأمين على التحرك عند الاقتضاء . وهناك أيضاً زائدة بريتونية من كل جانب تمتد نحو الاخرى لكنهما لا تلتقيان . وتمتد من كبد كل من التوأمين زائدة تضيع في نقطة الاتصال وبين طرفي الزائدتين وعاء دموي هو واسطة الاستطراق بين الدورتين فيهما

وهناك توائم أخرى متحدة من هذا النوع لم تشتهر لانها لم تعش طويلاً او لاسباب أخرى

﴿ التوائم المتفاوتة ﴾ وهي ما كان فيها احد التوأمين نامياً والآخر ضامراً وقد ذكروا تباينات عديدة من هذا النوع منها ما يكون فيه التوأم الضامر متصلاً بجنب

الذمي كانه طفل يحمله شاب . ويغلب ان يكون في التوأم الضامر نقص في اعضائه ولا يكون له حياة مستقلة بل يبدو كانه بضعة من ذاك . من أمثلة ذلك توأم جينوي اسمه لازاروس كولوريد ولد سنة ١٧١٦ وصفه بعضهم وهو شاب قال ان التوأم الضامر عبارة عن طفل يتصل برفيقه في عظم الصدر فيبدو للناظر كما يبدو الطفل يحمله الرجل . وكان ذلك الطفل كامل الاعضاء لا ينقصه الا ساق واحدة وكان ينام ويأكل بنفسه . وقد يكون التوأم الضامر او الصغير مستقراً في جيب بجلد التوأم الآخر وقد لا يبقى من أحد التوأمين الا بعض أعضائه فتظهر زائدة في أعضاء رفيقه كان يكون التوأم عبارة عن رجل ذي ثلاث أذرع او ثلاث ارجل أو نحو ذلك

وأشهر توأم من هذا النوع الآن رجل هندي اسمه « لالو » ولد في لكنو الهند ومعه توأم آخر متصل به في بطنه . وكانا في أول الولادة متساويين حجماً فلما نما ظل احدهما صغيراً ولم ينم الا قليلاً فاصبح كانه طفل يحمله شاب . ونظراً لغرابة ذلك في الناس جعل يطوف المدن يعرض نفسه للفرجة في الاسواق . وهو الآن في الولايات المتحدة كما ترى رسمه في هذا الشكل

توأمان متفاوتان (لالو الهندي)

— كتب الينا بشأنه حضرة حبايب افندي فارس فرزلي . احد ادباء السوريين في وورسسترماس في جملة رسالة ذكر فيها جماعة يتجرون بعرض غرائب المخلوقات للفرجة فيطوفون المدن بغرائبهم فلا يمكثون في البلد الواحد الا يوماً او بضعة أيام تخفيفاً للنفقة قال المكاتب . « ويزيد عددهم على ٢٥٠ في جملة

غرائبهم امرأة بلحية يزيد طولها على شبر وشاربين مثل شاربي الرجال وزوجها معها. ومنها رجل روسي وجهه مغطى بالشعر يشبه وجه الاسد. وحصان طول ذنبه ٢١ قدماً ورجل صيني طوله ٢٨ قيراطاً وعمرهُ ٤٥ سنة. ورجل هولاندي طوله ثمانية اقدام ونصف قدم وهو اطول انسان ـ الى ان قال ورجل هندي اسمه لالو عمره خمس وعشرون سنة يلتصق ببطنه جثة طفل كاملة الا الرأس كما ترى في الرسم

تاريخ التمدن الاسلامي

وقراء العربية

يظهر لنا مما قرأناه في الصحف العربية والافرنجية بمصر وغيرها من التقاريظ والانتقادات على كتابنا تاريخ التمدن الاسلامي ومما كتبه الينا بعض علماء التاريخ في سوريا وأوربا والهند وغيرها بشأنه ان هذا الكتاب نال موقعاً مهماً لدى قراء العربية وهو ما كنا نتوقعه منذ باشرنا كتابته لعلمنا باهمية الموضوع ووعورة مسلكه. ولذلك اقترحنا في مقدمته على رجال الفضل ان يتفحوا بملاحظاتهم لعلنا نستفيد بها في الاجزاء التالية من ذلك الكتاب

ومما دلنا على وقوعه موقع الاهمية عناية الافاضل في تصفحه وانتقاده. وعناية أرباب الاقلام في انتقاد كتابٍ تدلُّ على اهتمامهم به لان الانتقاد يحتاج الى مشقة في تصفح الكتاب وتفهمه والتنقيب عن مواضع الخطأ ومراجعة الكتب للتثبت والاستيثاق. ولا يتكبد أحد ذلك الاَّ في الكتب التي تهمه — يروى عن بعض علماء أوربا انه الف كتاباً ونشرهُ فلم يقرأ في الجرائد الاَّ الاطراء فيه فقال لبعض اصدقائه «يظهر ان أصحاب الجرائد لم يهتموا بكتابي لانهم اكتفوا بتقريظه ولم ينتقدوهُ» فيجدر ان يصح ذلك فينا لان التقريظ مبتذل عندنا ولاننا احوج الى الانتقاد من سوانا

وقد نشر بعضهم انتقاده على كتابنا في المؤيد الاغر الصادر في ٣٠ أوغسطس الماضي بامضاء «مؤرخ» فتذكرنا انتقاداً بهذا التوقيع على «عذراء قريش» نشر في مجلة الموسوعات منذ بضع سنوات ورددنا عليه في حينه فترجح لدينا وحدة الكاتب في

الانتقادين . ونظراً لاحتجاب الهلال في أثناء الصيف رددنا عليه في جريدة المؤيد رداً أوضحنا فيه ما اشكل فهمه على حضرته او توهمه خطأ وانصفناه في ما كان مصيباً فيه . والرد طويل لو أردنا نشره في الهلال لشغل صفحات كثيرة فنكتفي باستحثاث القراء على مطالعته في المؤيدين الصادرين في ١٣ و ١٤ سبتمبر الماضي . وبعد ظهور ذلك الرد ببضعة أيام اطلعنا في المؤيد أيضاً على رسالة نشرت فيه تباعاً عنوانها « رأي في الرد » لحضرة الشيخ عبد الوهاب النجار قرأنا ما صدر منها في ثلاثة اعداد فاستدللنا بها على أدب حضرة الكاتب وفضله وتوسمنا فيها من الاعتدال وصدق اللهجة ما يصح ان يكون مثالاً يجري عليه المنتقدون . وخلاصة ما قرأناه من تلك الرسالة ملاحظات على الانتقاد والرد معاً بسط فيها حضرة الكاتب رايه في اقوالنا واقوال حضرة المنتقد . وقد توخى الانصاف في حكمه فصوب ردنا في أكثر مواضيعه وانتصر لحضرة المنتقد في بعضها وجال في الموضوع بما يدل على سعة اطلاعه ودقة بحثه . ثم انتقل الى ملاحظاته الخصوصية على الكتاب ولم نطلع على بقية اقواله لانها لم يتم نشرها بعد وسنطلع على ما سيصدر منها بما تستحقه من الامعان والتروي . وفي كل حال فان الاخذ والرد في تفاصيل الموضوع بحث لا نهاية له لتضارب اقوال المؤرخين خصوصاً في النقط التي دارت المناظرة عليها . ولذلك فقد اقتصرنا على اسداء الشكر الجزيل لحضرته ونترك الحكم في اقوالنا جميعاً لمن يهمهم الحكم الصحيح في هذا الموضوع من اهل الاطلاع

هذا وقد استفدنا من مطالعة التقاريظ والانتقادات وتصفح كتب الاصدقاء وغيرهم من اهل العلم في هذا الشأن ومن الاحاديث التي دارت بيننا وبين بعض الافاضل من سائر الملل — فائدة ايدت ما طالما صرحنا به على صفحات الهلال من العقبات التي تقف في سبيل الكاتب العربي في الشرق وتحول بينه وبين استثمار تعبه وترقية مواهبه — نعني بها اختلاف قراء العربية في الاذواق والمشارب والمذاهب وتباينهم في نوع التربية وتفاوتهم في درجات العلم والادب . وقد يتضح ذلك للقارىء جلياً اذا اطلع على آرائهم في مثل كتابنا المشار اليه . فمنهم من عدّ هذا الكتاب مثالاً يجب ان ينسج المؤلفون على منواله وانه وحيد في العربية واتم كتاب في هذا الموضوع في سائر لغات العالم وانه بدء نهضة جديدة في التأليف العربي ونحو ذلك من دلائل الاعجاب . ومنهم من عدّه هفوة ارتكبناها في تأليفه وودّ لو اننا استبدلناه بقصة غرامية . وقس على هذين الرأيين آراء سائر القراء واجعل بعض الاقوال وسطاً بين الاثنين مع بعض الاختلاف في كيفية التعبير

ولم نذكر هذا المثال الا لبيان الفوضى في العالم العربي من حيث المشارب والمذاهب والاراء • واما الكتاب فانا اولى الناس بمعرفة حقيقة مركزه فلا يغرّنا اطراء المطرين ولا يسوءنا انتقاد المنتقدين • على انا نستفيد من الانتقاد اكثر مما نستفيد من الاطراء بل نعدّ الانتقاد مفيداً في كل حال واما الاطراء فقد يكون مضرّاً للاسباب التي ذكرناها في ما كتبناه عن المجاملة في هذا الهلال

وبناءً على ذلك فانا نستقبل كل ما يقال في كتاباتنا من انتقادات المنصفين وملاحظات اهل الادب باذن صاغية وصدر رحيب ونثني على قائليها مثل ثنائنا على المادحين • لاننا لانكتب لانفسنا وانما نكتب للقراء واول واجب علينا ان نطلع على آراء حضراتهم في ما نكتبه فننظر فيها ونتدبرها ولا يخلو ذلك من فائدة لنا ولهم

ليالي مصر

اما وليالي البدر في الخمس والعشرِ * تميس بها الغادات خصراً الى خصرِ
وعفةِ بثن اذ تناجي جميلها * برائق لفظ دونه رقة الخمرِ
وليلٍ سرى العشاق في ظلماته * وقد نهلوا من عذب مبسمها الدري
وصولةِ نابوليون في حومة الوغى * وحكمةِ لقمان وايدي ذوي البرّ
ومثوى كرام اينعت في ظلالهم * ثمار الندى — ان الليالي في مصرِ
لأزهى من الزُّهر المنيرة انما * بما فوق تلك القبعات من الزهرِ
ازاهر تحكي وهي بين غصونها * خدودَ ظباء لحن في الحلل الخضرِ
اجلتُ بهنّ الطرف ليلاً تخلتني * واستغفر الرحمن في ليلة القدرِ
ليالٍ حوت من كل غادٍ لغادة * هي الشمس لولا هالة من دجى الشعرِ
اذا ما ارتنا السحر من لحظاتها * سقتنا حميا الحب من ذلك السحرِ
وان هي مالت فالقلوب لحسنها * تميل وان لامت فما لك من عذرِ
ومن كل حسناء انثنت لحبيبها * فكانت واياه كحرفين في سطرِ
وكانت وكان مالنا ولعذلها * فما هي الاَّ لعبة في يد الفقرِ
تناجي فتاها لا لميلٍ وانما * لمالٍ به تجو الفتاة من العسرِ

وتنظم من آي الغرام بقدر ما * ستنثر كفاه من البيض والصفرِ
وتبسم حتى لا ترى غير باسمٍ * وتبكي ولكن دمعها في الحشا يجري
لقد لامكِ الفتيان جهراً وحبذا * هو اللوم لولا ميلهم لكِ في السرِّ
فهم افسدوا بالمال قلبكِ اذ غدوا * وقد عوضوا منكِ الفؤاد ولم تدري
ولم يكتفوا حتى انثنوا وطلابهم * لعمر الهوى ما ليس يجمل بالحرّ
فكنتِ لهم طوع البنان ومن يذق * من الدهر كاس الفقر يخشَ ردى الدهرِ
على انهم لو انصفوا اجزلوا لكِ * م العطاء ولا دين عليك سوى الشكرِ
وسروا بأن زانوا ببيض اكفهم * بياض التقى لا سودوا جبهة الطهرِ
وكنتِ وكانوا في ائتلاف يزينهُ * عفافٌ كثغر زانه ما على الثغرِ
ورحتِ اذا مالحتِ يوماً لعاشق * صفا وده ناداك يا ربة الخدرِ
ولو ان لقيا القبر دون لقا ثرى * حبالكِ انثنى شوقاً الى ذلك القبرِ
فحسبك بل حسب المحبين انهم * اذا عشقوا ماتوا اسىً في الهوى العذري

مصر « ابراهيم زيدان »

باب السؤال والاقتراح

﴿ أقمار المشتري والارض ونجم القطب ﴾

(زنجان . ايران) الشيخ ابو المعالي الحسيني

قلتم في صحيفة ٥٢٧ من السنة الثامنة تحت عنوان دورانُ الارض وثبوتها « وللمشتري خمسة اقمار » مع ان المدون في كتب الهيئة اربعة اقمار فهل اكتشف الخامس جديداً ام وقع سهوٌ مطبعي . وفي كل حال فقد تذكرنا امرا مرّ في خاطرنا منذ زمان وحيث ان الهلال الاغر احسن واسطة لنشر ما يحسن ايراده أردنا ذكره بطريق الاستعلام من علماء الهيئة فنقول

تاريخ الشهر

تتويج الملك ادوارد



(ش ١) الملك ادوارد والملكة الكسندرة مطلاَّن من شرفة قصر بكنهام بعد الفراغ من التتويج لرد التهاني على الجماهير الواقفة هناك

كان ميعاد تتويج الملك ادوارد في ٢٣ يونيو ثم اصاب الملك انحراف في صحته فتأجل الى وقت غير معين حتى اذا تعافى احتفلوا بتتويجه في ١٣ أغسطس الماضي والهلال محتجب في اثناء الصيف وقد افاضت الجرائد في تفاصيل ذلك الاحتفال .

ولما كان تتويج هذا الملك من الحوادث التاريخية المهمة التي لا ينبغي للهلال ان يغفلها جئنا بخلاصة ما كان من الاحتفال بذلك

﴿ كنيسة وستمنستر ﴾ دير وستمنستر مشهور في تاريخ الانكليز وفيه يتوّج الملوك ويحتفل بزواج الامراء والكبراء وفيه مدفن مشاهير الامة الانكليزية . ويلي هذا الدير شارع عظيم اسمه شارع فيكتوريا ينتهي بقصر بكنهام الذي يقيم فيه ملك الانكليز بعض أيام السنة . وفي الدير كنيسة تقام فيها الصلاة في الاحوال الرسمية وخصوصاً في الاحتفالات العظمى كالتتويج والزواج ونحوهما

ففي يوم تتويج الملك ادوارد السابع اصبح الدير كأنه تحول الى مرسح بما نصبوه فيه من السرادقات والمقاعد في طرقه ومنحنياته وفنائه وفعلوا مثل ذلك في الكنيسة نفسها لقعود اعضاء العائلة الملوكية والاشراف رجالاً ونساء وأرباب المناصب العليا ولكل فئة منهم مكان خاص يشاهدون منه حفلة التتويج

لم تأزف الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم حتى غصت الكنيسة بالاشراف والشريفات وغيرهم بالملابس الرسمية (ش ٢) وفي تلك الساعة اقبل البرنس اوف ويلس وامرأته فجلس البرنس في مقدمة مقاعد الاشراف وجلست امرأته



(ش ٢) داخل كنيسة وستمنستر

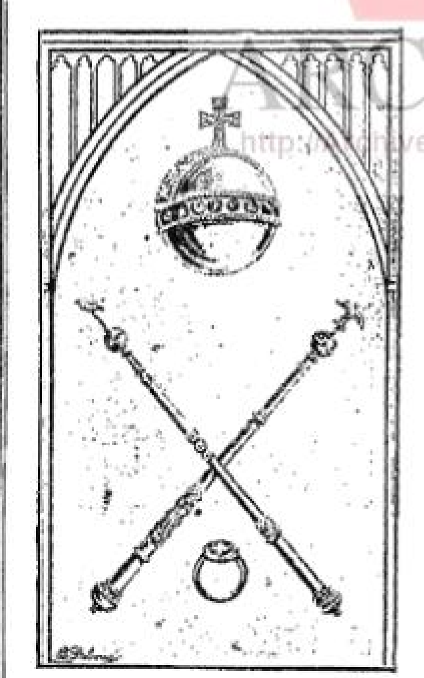
(١) عرش الملك وقت التتويج (٢) عرش الملكة (٣) كرسي الملك (٤) كرسي الملكة (٥) المذبح (٦) المنبر (٧) بساط (٨) فناء الكنيسة (٩) مقاعد نساء الاشراف ويقابله مقاعد الاشراف

على كرسي بجانب المنبر وفي الدقيقة الخامسة والعشرين من الساعة الثانية عشرة دخل الملك والملكة الى الدير ولكنهما لم يصلا الكنيسة الا في الدقيقة الخامسة والخمسين فأقبلت الملكة وذيل ردائها يحمله ٦ ويحف بها ١٢ من نساء الاشراف — سار موكبها على هذه الصورة في فناء الكنيسة والناس يهتفون من كل جانب باللاتينية (Vivat Regina Alexandra) اي لتحي الملكة الكسندرة . ثم اقبل موكب الملك ووراءهُ جماعة الاكليروس يحملون شارات الملك الآتي ذكرها والناس يهتفون باللاتينية أيضاً (Vivat Rex Eduardus) اي ليحي الملك ادوارد . وعند وصولهما الى الكنيسة تقدم رئيس اساقفة كنتربري واعلن اهل ذلك الاحتفال في أربع جهات الكنيسة بحق الملك ادوارد في الملك على جاري عادتهم بعبارة تلاها مرة في كل جهة . وهذا مفادها « أيها السادة اقدم لكم الملك ادوارد ملك هذه المملكة بلا شك وأنتم انما جئتم اليوم لتقديم واجبات الاحترام والطاعة له فهل تفعلون ذلك ؟ » فضج الجميع بصوت واحد (God save king Edward) يا الله احفظ الملك ادوارد ثم جلس الملك والملكة على كرسيهما واحتفلوا بالصلاة باختصار مراعاة لصحة الملك ثم البسوه التاج وسلموا اليه شارات الملك حسب التقاليد المحفوظة في المملكة البريطانية . ووافق وضع التاج على رأس الملك في الدقيقة الاربعين من الساعة الاولى بعد الظهر

واليك بعض التفاصيل في اجراء تلك التقاليد مما لايخلو ذكرهُ من فائدة

(ش٣) المهمازان والسيفان (ش٤) أبريق الزيت والملعقة

بعد الفراغ من الصلاة وتناول القربان المقدس تقدم الملك الى المذبح وأقسم اليمين المعتادة وتعهد ان يحكم البلاد بمقتضى الشرائع المقررة والعادات المألوفة وانْ يحافظ على الاعتراف بالديانة الانجيلية المقررة بحسب الشريعة . ثم تقدم رئيس الاساقفة ليمسح الملك بالزيت فقعد الملك على كرسيه امام المذبح (عدد ٣ ش ٢) وفوق رأسه شبه مظلة من الحرير مربعة الزوايا قائمة على أربعة أعمدة يحملها أربعة من الاشراف . ثم تقدم رئيس الاساقفة ومعه شماس الكنيسة يحمل ابريقاً من الذهب بشكل النسر وملعقة (ش ٤) فصب الزيت من الابريق في الملعقة ثم صبه على قمة رأس الملك برسم الصليب وهو يقول « فليمسح رأسك بالزيت المقدس كما يمسح الملوك والكهنة والانبياء » ثم دهن صدره على تلك الكيفية وهو يقول « ليمسح صدرك بالزيت المقدس » . ثم دهن كفيه وهو يقول « لتمسح يداك بالزيت المقدس وكما ان صادوق الكاهن وناثان النبي مسحا سليمان ملكاً كن أنت ملكاً ممسوحاً ومباركاً ومقدساً على هذا الشعب الذي ولاك اياه الرب الهك باسم الاب والابن والروح القدس . آمين »



(ش ٥) الكرة والصولجان والخاتم

ثم ألبسوه قميصاً ودراعة معدّين لذلك من قبل والدراعة من حرير أحمر وردي موشى بالذهب

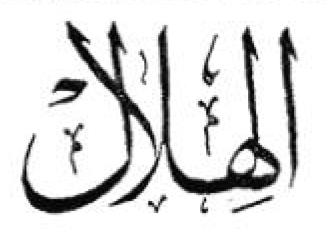
ثم أقبل متولي التتويج وبيده مهازان (ش ٣) مسَّ قدمي الملك بهما على جاري التقاليد القديمة . ثم قلده بسيف المملكة وهو ذو قبضة مزدوجة في غمد من المخمل القرمزي طوله ٣٢ قيراطاً وعرضه قيراطان (ش ٣) ثم البسهُ قلادة مرصعة تلبس بين الكتف والخصر المقابل بشكل ما يتقلدهُ القضاة ووضع على اكتافه بردة منسوجة بالذهب .

ثم أجلسوهُ وسلمه رئيس الاساقفة كرة فوقها صليب مرصع (ش ٥) وهو يقول « البسك الله لباس الحق وثياب الخلاص . وكلما نظرت الى هذه الكرة تحت هذا الصليب تذكر ان العالم بأسره سيخضع لقوة المسيح مخلصنا ومملكته » ثم البسوهُ الخاتم وعليه رسم الصليب أيضاً (ش ٥) وقدموا له الصولجان الذهب وطوله قدمان وتسعة قراريط رمزًا عن الملك والعدل . ثم قدموا له صولجانًا في رأسه حمامة بيضاء رمزًا عن المساواة والرأفة . وأخيرًا تقدم رئيس الاساقفة وبيده التاج ووضعه على رأس الملك فضج الناس بالدعاء وضربت الموسيقى وأطلقت المدافع . ثم تلوا بعض الادعية وتقدموا بالملك نحو عرشه في وسط الكنيسة (عدد ١ ش ٢) فاصعدهُ الاساقفة اليه على خمس درجات فقعد الملك على العرش وتقدم الناس لتهنئته . وأول من هنأه الاساقفة ثم ولي العهد فسائر اعضاء العائلة المالكة فالاشراف . وعلامة التهنئة ان يتقدم المهنئ فيلمس التاج ويقبل الملك في خده الايسر ويدعو له بطول البقاء

واحتفلوا بتتويج الملكة على نحو ذلك . ثم خرج الملك والملكة في مركبة خاصة الى قصر بكنهام والناس في الشوارع يصيحون ويتطاولون لمشاهدة ملكهم . وبعد دخولهما القصر أطلاَّ من الشرفة لرد التحية على الناس كما ترى في الشكل الاول

باب الأخبار العلمية

(تقلُّب اراء العلماء) قامت قيامة العلماء في أواخر القرن الماضي على المشد فسموه الآلة الجهنمية لأنه مبيد للصحة وعدو للبشرية . وقام احد علماء فرنسا الآن يدافع عن المشد لانه مفيد للصحة ضروري لها . ومن آراء العلماء المشهورة أن القراءة والقارئ مستلق في فراشه مضرة للعيون وقد برهن عالم رمديٌّ من اطباء جرمانيا اليوم ان القراءة في الفراش تريح النظر وتقويه . وكان من المعوَّل عليه عندهم ان شرب ماء



الجزء الثاني من السنة الحادية عشرة

١٥ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٢ و ١٢ رجب سنة ١٣٢٠

اشهر الحوادث واعظم الرجال



اميل زولا

اميل زولا

القصاص الفرنساوي الشهير

ولد سنة ١٨٤٠ وتوفي سنة ١٩٠٢

اشتهر أميل زولا في أواخر القرن الماضي شهرة طبقت الآفاق بالاسلوب الذي انتحله في رواياته • وليس بين قراء العربية من لم يسمع باسمه وان كانت كتبه لم يترجم منها شيء الى لسانهم لحداثة عهدها ولانه مثّل فيها الحوادث الجارية في الطبيعة وفي الهيئة الاجتماعية تمثيلاً حقيقياً كما رآها هو تماماً وكما يراها كل انسان ومن هذه الحوادث ما لا يزال الشرقي يستنكف من سماعه أو قراءته حياء وحشمة • واما سبب شهرته بين الذين لا يقرأون الافرنجية فتداخله في مسألة دريفوس الشهيرة

﴿ ترجمة حاله ﴾ هو ايطالي الاصل كما يستدل من اسمه (زولا) وكان والده مهندساً ايطاليا وامه باريسية • ولد في باريس سنة ١٨٤٠ وقبل ان يتجاوز السابعة من عمره توفي والده فاحتضنته والدته وجدته • وكان ذلك الاحتضان سبباً في ضياع حداثته لانهما اطلقتا له الحرية في كل ما كانت تطلبه الحداثة من اللهو بانواعه — وهذا شأن الامهات والجدات وخصوصاً في بلادنا فان الاولاد اذا تركوا لتربيتهن اضاعوا العمر سدى • وهنَّ معذورات لضعف الطبيعة وحنو القلب ولكنهن ملومات بالنظر الى أحكام العقل لما يترتب على ذلك الحنو من ضياع اتعابهن وخسارة المجتمع البشري — على أنا نعرف نساء أُصبن بالترمل والفقر معاً ولكنهن استخدمن العقل وأغضين عن العواطف فربين أولادهن على حب العمل والاعتماد على النفس فنبغ من بينهم رجال هم زينة نهضتنا الاخيرة •

فبلغ اميل الثانية عشرة من عمره ومعارفه لم تجاوز القراءة البسيطة فلم تجد امه بدّاً من تحمل مشقة فراقه فادخلته المدرسة وهو لم يتعود الصبر على الدرس فلم يظهر من مواهبه العقلية ما يرفعه عن أواسط التلامذة • ثم ما لبث ان تعود المطالعة فمال الى الانشاء والنظم — وهذا الميل يغلب في تلامذة المدارس بعد تمكنهم من قواعد اللغة وآدابها ولكنه لا يدلُّ حتماً على قريحة فيهم لهذين الفنين او لأحدهما • فنظم اميل بعض القصائد والف

بعض الروايات واوشك أن يستتمر علمه فانتاب عائلته مصيبة عرقلت مساعيه وهو في السابعة عشرة من عمره فقضى سنتين اخريين يوالي الدرس وهو في اشد الضنك . ثم غادر المدرسة للسعي في سبيل الرزق فضاقت السبل في وجهه وذاق مرارة الفقر حتى قالوا انه جاع وبرد وظلَّ ثمانية عشر شهراً يقضي نهارهُ وبعض ليله طائفاً في شوارع باريس وعليه ثياب رثة اذا وقف بباب احد باعة الكتب القديمة لينظر في كتاب أو يقلب صفحاته لا يصبر صاحب المكتبة على رؤيته ببابه فيطرده . وانه لم يكن يطالع الجرائد لعجزه عن ابتياع واحدة منها ولم يدخل قهوة ولا دخن سيكارة للسبب عينه . ومما يروونه من أحاديثه عن نفسه قوله « كنت بلا نقود ولا شغل ولا مركز اقضي معظم أوقاتي جائعاً عارياً » — فهل خطر بباله وهو في ذلك الضيق انه خلق تعيساً . ؟ وان السعي في الرزق كالكتابة على الماء كما يتبادر الى اذهان بعض ضعفاء العزيمة اذا كانوا في مثل حالهِ . . ؟ لا يظهر من سيرة حياته الاَّ انه ظلَّ ثابتاً في سعيه وكان اذا أصاب قرشاً ابتاع به شمعة يستنير بها في المطالعة والتأليف وهو صابر على نوائب الزمان حتى نال جزاء اجتهاده وصبره

وفيما هو في ذلك الضيق دعي للاشتغال في محل هاشيت الشهير بباريس براتب مقداره ثمانية جنيهات في الشهر . فارتاح من قبيل ضروريات الحياة وأصبح اذا عاد من شغله في المساء قضى معظم الليل وهو يشتغل في التأليف . ظل على ذلك بضع سنوات اصدر في أثنائها بضع روايات باع أولها لبعض أصحاب المطابع بثمن زهيد تساعد به على معاشه . ثم الف رواية أخرى باعها أيضاً . فرأى في نفسه الكفاءة للتعيش من عمله فاستقال من محل هاشيت فتسابق أصحاب الجرائد الى استخدامه فاشتغل في تحرير باب من ابواب جريدة ايفنمان بعشرين جنيهاً في الشهر فذاق لذة الربح وزاد رغبة في صناعة القلم فأخذ في انشاء الرسائل وكتابة المقالات فحرر في عدة جرائد . ولكن همه كان منصرفاً الى تأليف الروايات فعزم على اصدار روايات متسلسلة يمثل بها احوال الامبراطورية الفرنساوية بوصف تاريخ عائلة كل عضو من اعضائها يمثل عاملاً من عوامل الهيئة الاجتماعية وكان يظن هذا المشروع يستغرق ١٢ مجلداً فاستغرق عشرين مجلداً آخرها رواية بسكال

بدأ بتأليف الحلقة الاولى من هذه السلسلة سنة ١٨٦٩ ثم حدثت الحرب السبعينية فأخرت صدورها الى رجوع الجمهورية الثالثة فأصدر الحلقتين الاولى والثانية ولم يزد

ربحه منهما على عشرين جنيهاً في الشهر • وكان قد تعود النفقة فشق ذلك عليه وعاد الى الضيق • وفي سنة ١٨٧٥ طلب اليه احد أصحاب المطابع ان يبيعه اعادة طبع الروايتين الاولين بثمانماية فرنك فباعه وعقد معه عهداً ان يؤلف له كل سنة روايتين على ان ينقده ثمن كل رواية ١٢٠ جنيهاً • فألف الحلقة الثالثة وما بعدها ولما راجت كتاباته غير الشروط فجعل ربحه جزءا مما يباع من النسخ المطبوعة فبلغ على النسخة الواحدة ٧٥ سنتيماً (ثلاثة غروش مصرية) وظلت على نحو ذلك • ويقدرون ما ربحه من كتاباته بما بين ٥٠,٠٠٠ و ١٠٠,٠٠٠ جنيه

قضى زولا نيفاً وثلاثين سنة وهو يعمل في صناعة القلم فنال منها ثروة طائلة وشهرة واسعة وخدم بلاده خدماً مهمة جدًّا • وسنأتي على وصف مؤلفاته وطريقته في تأليف الروايات فى فرصة اخرى ونكتفي الآن بترجمة حاله ووصف اخلاقه وأطواره مما نستفيد منه او نعتبر به

ومما لايجوز تجاوزهُ من سيرة حياته تداخله في مسألة دريفوس • فبعد ان كانت الحكومة الفرنساوية قد حكمت على الرجل واعتبرت قضيته قد انتهت اخذ زولا بناصره وجرد قلمه ولسانه في الدفاع عنه حتى اضطرت الحكومة الى اعادة النظر في القضية وسارت فيها على خطة أخرى لم يستفد دريفوس منها الا قليلاً ولكنها دلت على تأثير أسنة الاقلام في العالم المتمدن

(مناقبه) توفي زولا ولم يخلف اولاداً • وكان صغير القامة رقيق البدن لا يدل منظره على عظم مواهبه • وكان عصبي المزاج متجعد الوجه بما يشبه وجوه النساك • وكانت معيشته اقرب الى عيش اهل القرى مما الى اهل العواصم وكان يذهب الى الفراش في الساعة العاشرة مساء — وهو مايعبر عنه الاميركان بوقت واشنطون لان واشنطون محرر بلادهم كان يذهب الى فراشه في تلك الساعة

وكان للعمل عند زولا وقت معين ينجز به عملاً معيناً • فكان يشتغل كل يوم ثلاث ساعات قبل الظهر يكتب فيها ١,٥٠٠ كلمة في أي موضوع كان وهذا الالتزام نادر في الكتاب وخصوصاً كتاب الروايات لان الكاتب لا يضمن اقتداره على الكتابة في كل يوم على درجة واحدة • ولكن ذلك يدل في صاحب الترجمة على قوة الارادة • وهذه القوة ظاهرة في كل اعماله واتضحت جليًّا في انتصاره لدريفوس فقد نصرهُ وفرنسا كلها ضده فلم يبال بشيء من ذلك في سبيل ما اراد بيانه مما يعتقده حقا

وكان دقيق الملاحظة حسن الفراسة جداً اذ عرضت عليه صورة رجل أو شجرة أو غير ذلك سمعت من ملاحظاته على اجزاء تلك الصورة ما لم يخطر ببالك • فلا تفوته نكتة ولا معنى من معاني الوجه الا وصفه — والفراسة لازمة لكتاب الروايات • على انه اذا لم يتعمد النظر في ما بين يديه انقلب الامر فيه الى الضد حتى كثيراً مايمر ببعض اصدقائه ولا يحييهم لانه لم ينتبه لهم ولم يعرفهم • ومن اقواله عن نفسه في هذا الشأن « قد يظن اصدقائي اني مستغرق في افكاري وربما قال بعضهم ان زولا يفكر في روايته والحقيقة اني لا افكر في شيء »

وكان قوي الذاكرة حتى شبهوا ذاكرته بزجاجة الفوتوغراف الحساسة اذ لا تكاد الصورة ترتسم في مخيلته حتى تنطبع في ذهنه بكل اجزائها • واذا شرع في تأليف رواية جمع كل موادها في ذاكرته ثم أخذ في تدوينها شيئاً فشيئاً لاينسى منها شكلاً ولا لوناً ولا معنى مهما كان ضعيفاً • على ان ذاكرته لاتكون في هذه القوة الامتى استحثها اي اذا اراد ان تكون كذلك . واما في سائر احواله فقلما يذكر امراً حتى كثيراً ماكان ينسى اسماء اصحابه • وكان في أثناء رئاسته على جمعية الادباء ينسى اسماء اعضائها وهم ٢٤ عضواً

وكان اذا شرع في عمل انقطع بكليته اليه واهمل كل عمل سواه • فاذا بدأ برواية عن مضاربات البورصة مثلاً قضى معظم اوقاته في البورصة ولم يطالع الا ما يتعلق بهذا الموضوع — واذا عرضت له فائدة زراعية او مالية او عسكرية مما قد يحتاج اليه في رواية اخرى لايلتفت اليها مطلقاً

وكان قوي التصور للغاية اذا اخذ في تأليف رواية تصوّر اشخاصها ومناظرها وحوادثها كانه يراها بام عينه ثم يأخذ في الكتابة • وهذامن اسباب اقتداره خصوصاً في وصف الطبيعة حتى يوهم القارىء انه يشاهد ما يقرأه شهادة عين

وكان يشتغل ثلاث ساعات صباحاً كل يوم كما تقدم لايتخلف يوماً واحداً فيكتب نحو ١٫٥٠٠ كلمة على عشر ورقات كبيرة بخط واضح نظيف ترسل الى المطبعة ولا يراجعها ثم لايصلح منها الاّ قليلاً • بخلاف طولستوي الفيلسوف الروسي فانه قد يبلغ من تنقيحه مسودته حتى لايبقى من الفاظها الاصلية الاّ القليل

وكان يخرج كل يوم بعد الظهر الى شوارع باريس يتعهد المعارض والمتاحف العمومية والخصوصية وكان له ولع خاص بالفنون الجميلة • وفي المساء يزور المراسح ونحوها من المحافل العمومية

وكان يقيم في الصيف في مزرعة جميلة (عزبة) بضواحي ميدان وكان منزله مجتمعاً لاهل الادب والشعراء وغيرهم ولايزال زاهياً زاهراً وجلساته تتخللها الابحاث الادبية والاغاني ومناشدة الاشعار او غير ذلك مما يروح النفس ويشرح الصدر . غيرانه اصبح بعد حادثة دريفوس غير ما كان عليه قبلها فانتابته الانقباضات وتوالت عليه السويداء وزاد جسمه نحافة

ومن اهمّ مبادئه الاساسية « العمل » وهي وصيته الوحيدة حيثما وجد وتراها ظاهرة في كل احواله . والعمل عنده اكبر تعزية عن شقاء هذه الحياة ومتاعبها . ومن اقواله « ابتدأت اعمالي بالتعب وذقت التعاسة واليأس ثم عشت عيش المجاهدين ولا أزال في في ذلك الجهاد وقد نالني منه الاهانة والتحقير والسخرية — ومع ذلك فان تعزيتي الوحيدة في كل هذه المتاعب « العمل » ولولاه لما ابقت عليّ المصائب .. »

وفي الحقيقة ان الانسان حيٌّ بعمله والا فوجوده عبث لان العمل فضلاً عن لزومه للحياة فانه يشغل الانسان عن السفاسف ويصرف ذهنه عن الاهتمام بالصغائر ويعزيه في المصائب

ومن اقواله في العمل ايضاً من خطاب القاه على جماعة من الشبان « اشتغلوا ايها الشبان اشتغلوا — اذكروا ان الناموس الحافظ نظام الطبيعة هو « العمل » — العمل يسير بهذه العوالم من حيث لا نعلم الى حيث لا نعلم . والرجل العامل لايكون الاّ صالحاً .. التفكير في الخلود والابدية جميل ولكن الانسان يكفيه ان ينصرف من هذه الحياة وقد أنجز العمل الذي انتدب له .. »

---

* (تتويج الملك ادوار) حصل ابدال في الارقام صفحة ٢٤ تجاه في السطر الخامس ٢٣ بدلاً من ٢٦ وفي السادس ١٣ بدل ٩

باب المقالات

الروايات

﴿ أصلها وتاريخها ﴾

نريد بالروايات القصص التي يعبر عنها الافرنج بالرومان · وقد يتبادر الى الاذهان انها من الفنون الحديثة التي نشأت مع التمدن الحديث فاقتبسناها نحن في جملة ما اقتبسناه من عوامل هذا التمدن · وربما صح هذا الزعم عند التخصيص وأما عند الاطلاق فالروايات قديمة جداً بل هي أقدم سائر فنون الادب لانها رافقت الانسان في عهد همجيته وارتقت بارتقائه وتنوعت بتنوع بيئاته — واليك البيان

الانسان ميال من فطرته الى قص مايشاهده او يسمعه من الحوادث وخصوصاً اذا كانت غريبة عن مألوفه · ولا يزال هذا دأبه الى اليوم — اذا سمعت قصة غريبة وأنت في السوق او في الديوان او في سفر خارج منزلك ألا تشعر بما يستعجلك الى ملاقاة بعض أهلك او اصدقائك لتقص تلك القصة عليهم ؟ · وأكثر مايشعر بذلك المتزوجون الذين يرتاحون لمحادثة نسائهم فانهم يختزنون ما يسمعونه في أثناء غيابهم عن منازلهم ليقصوه عليهن عند الرجوع · ويغلب ان يتوسعوا في سرد الحكاية من عند أنفسهم لا لغرض غير تقوية النقط الضعيفة فيها رغبة في اجتذاب ذهن السامع والتماساً لاستغرابه ودهشته · واذا درست اختلاف أحوال النقل باختلاف الناقلين رأيت كلاً يتوسع في سرد القصة خصوصاً في النقطة التي أثرت في نفسه واستدعت استغرابه او اعجابه · فاذا كان من محبي الشجاعة والحماسة بالغ في وصف ما سمعه في تلك القصة من الأقوال الحماسية او شاهده من دلائل البسالة · واذا كان من أهل التقى والورع بالغ في تقوى صاحب القصة · وهكذا لو كان من اهل الحب او ممن

يعتقد تأثير الارواح أو غير ذلك

فاذا كان هذا شأننا ونحن في عصر النور وعندنا من احوالنا اليومية مايشغلنا عن قص القصص وسرد الحوادث فكيف في أعصر الانسان الاولى اذ لا شاغل له غير أمثال هذه المسامرات بل كانت هي كل شواغله . فقد كان الانسان في عهد سذاجته اذا فرغ من صيده او حربه جلس لسرد الاقاصيص مما جرى له أو سمعه . وكانت تلك الاقاصيص تتناقل في الاعقاب وهي ترتقي وتتسع على مقتضيات الاحوال . فمنها ما يضعف حتى يندثر ومنها ما يبقى و ينمو عملاً بناموس الارتقاء العام . فلا يمضي على القبيلة قرن أو بضعة قرون حتى تنشأ فيها قصة او بضع قصص تدل على شجاعة بعض اسلافها او على تدينه او كرمه او نحو ذلك من الفضائل المرغوب فيها عندهم . ولذلك قالوا ان الاقاصيص تمثل آداب أهلها واخلاقهم

فالشعوب الراغبة في الحرب والشجاعة تكثر في مساماتها نوادر الحروب . والقبائل المائلة الى التدين تكثر عندها القصص الدينية . وأهل الكرم اكثر حوادثهم عن الكرم والضيافة . وقد تختلف ضروب القصص في الامة الواحدة باختلاف العصور لاختلاف ادوار تمدنها . وقد تجمع القصة الواحدة الحرب والكرم أو الحرب والتدين او كل ذلك مع الحب اوغير الحب مما لا يحصره وصف ولكنها في كل حال تمثل أدابهم واخلاقهم

فالالياذة تمثل اخلاق اليونان القدماء حوالي القرن العاشر قبل الميلاد وهي منسوبة الى هوميروس . ولاغرابة ان يكون هو ناظمها ومرتب حوادثها ولكن تلك الحوادث كانت شائعة على السنة الناس يتناقلها الخلف عن السلف قبل نظمها وكانت فطرة الانسان قد وسعتها تبعاً لاميال ذلك الشعب . ولا ريب ان لتلك القصة أساساً تاريخياً هو حصار ترواده . فزاد فيه اليونان ما اوحته اليهم عاداتهم وأدابهم من استخدام الالهة والمبالغة في الشجاعة وضروب الحماسة فنظم هوميروس ذلك وزاد فيه ورتبه على ما وصل الينا

وقس على ذلك ما كان في الشعوب الاخرى من أمثال هذه القصص كالنصر بين

والفينيقيين والاشوريين والرومان والفرس واليهود والعرب . أما المصريون القدماء فلعلهم أقدم من حفظ الروايات واكثر حوادث تاريخهم الأول من هذا القبيل أي انها ذات أساس تاريخي توسعوا فيه بالمبالغة على ما قدمنا . وكذلك أقاصيص سائر الامم القديمة . أما الرومان فأكثر ما كان عندهم من القصص مقتبس من اليونان او منسوج على منواله مثل اكثر آدابهم وعلومهم وشرائعهم وعاداتهم . والفرس لهم أقاصيصهم وهي تدل على آدابهم في تلك العصور

أما اليهود فأقاصيصهم معظمها وارد في التلمود والحماسة قليلة فيها . وأكثرها من قبيل التدين يخالطها الحزن والتشاكي ونحوهما من عواقب الذل والضعف

اما العرب فان أقاصيصهم شتى وفيها الحماسي والعشقي والديني وفيها ما يدل على الكرم والوفاء وعفة النفس . كأنها اختلفت باختلاف شعوبهم او باختلاف عصورهم او انها تكيفت بما تداولها من الامم الغريبة . ومن اقدم قصص العرب مصاب عاد وثمود وهما متشابهان . ولا ريب من وقوعها باعتبار اجمالها اما التفاصيل فقد ابتدعتها قرائح الرواة . وهنا موضع نظر لما في تينك الحكايتين من الشبه بأقاصيص اليهود الواردة في التوراة مثل سدوم وعمورة . فالظاهر انهما اصطبغتا بذلك بعد نزول اليهود بين ظهراني العرب

ويلي قصتي عاد وثمود قصة سيل العرم التي ذكروا انه كان سبباً في تشتت قبائل اليمن في انحاء جزيرة العرب بعد انفجار السد المشهور هناك . فالانفجار حقيقة تاريخية وأما ما بالغوا فيه من مساحة السد وكيفية انفجاره كحديث الكاهنة والفار ونحو ذلك فمن اضافات الناقلين وهي تدل على انتشار الكهانة في اصحاب تلك القصة

وقس على ذلك كثيراً من الاقاصيص التي كانت متداولة بين العرب في الجاهلية وأساسها حوادث عظيمة زادوا فيها في أثناء تناقلها مثلما زاد اليونان في حادثة حصار تروادة حتى صارت الى الالياذة . ولكن اليونان ادمجوا في قصتهم كثيراً من آدابهم وعاداتهم ومثلوا فيها معتقداتهم واخلاقهم كالشجاعة والحماسة وحفظ الوداد وغير ذلك . واما العرب فقلما تجد في ما أضافوه على تلك القصص ما يدل

على اخلاقهم وآدابهم المأثورة عنهم وفي ذلك ما يلقي شكاً في ان تكون تلك القصص من منشآت العرب . او لعلها من منشآت عرب اليمن وهم حضرٌ واخلاقهم تختلف عن اخلاق أهل البادية . على اننا نرجح ان يكون لليهود يدٌ في ذلك التغيير وهم كثار في اليمن قديماً

أما القصص التي تمثل اخلاق العرب أهل البادية في عصر الجاهلية وتدل على عاداتهم وآدابهم فانها أحدث من ذلك كثيرًا واكثرها لا يتجاوز أواسط القرن الخامس للميلاد وهي تمثل الكرم والشجاعة والوفاء وغيرها من الفضائل التي تتفاخر بها العرب فترغب الناس فيها وتبغضهم في البخل والجبن واللوءم وغيرها من الرذائل . وفي جملة تلك القصص نوادر غرامية تحبب في العفة وصدق المودة

ثم ان اساس هذه القصص يخالف اساس القصص التي تقدم ذكرها . اما تلك فأساسها حوادث عظيمة وقعت في الامة فحفظها الناس وتوسعوا فيها كما رأيت . وأما هذه فأساسها اشتهار احد الناس بخلة من الخلال المحمودة عندهم فنسبوا اليه كل ما يؤيد ذلك من النوادر التي قد تكون وقعت لغيره او انهم اختلقوها ترغيباً في تلك الفضيلة . — وهذا كثير في الناس في سائر العصور فهم اذا اشتهر احدهم بالكرم نسبوا اليه كل حوادث الكرم او اشتهر بالشجاعة فلا يسمعون حادثة من هذا القبيل الا نسبوها اليه وزادوا فيها ووسعوها . واذا اشتهر أحدهم بخفة الروح والمجون نسبوا اليه كل أحاديث المجون كما وقع لابي نواس فانهم ينسبون اليه اكثر ما هو شائع من النكات والملح ولا نرى في تاريخه الحقيقي الا شيئاً يسيرًا منها . وكذلك جحى وغيره . ومن امثلة ذلك اشتهار ابراهيم باشا في سوريا بالصرامة وأهل الشام لا يزالون ينسبون اليه كل ما يسمعونه من غرائب هذه الخلة

فالعرب ساروا في قصصهم الاخيرة على هذا النمط . فمثلوا الكرم في حاتم الطائي وكعب بن امامة الايادي وهرم بن سنان وبضعة آخرين . ومثلوا الوفاء في حنظلة بن عفراء صاحب القصة الشهيرة مع الملك النعمان او المنذر . ومثلوا الشجاعة في عنترة والحلم في معن بن زائدة وحفظ الذمام في السموأل . فهم يروون اكثر حوادث

الكرم عن حاتم واكثر حوادث الشجاعة عن عنترة وهكذا في سائر الخلال الحميدة ولا شك في ان كثيرًا من تلك الحوادث منسوب الى أولئك الرجال تساهلاً للسبب الذي قدمناه

ومن هذا القبيل تمثيلهم العفة في بني عذرة ترغيباً للناس فيها فانهم ينسبون لعشاق تلك القبيلة من ضروب العفة ما يكاد يكون مخالفاً لمجاري الطبيعة . فمجنون ليلى وجميل بثينة وغيرهما من عشاق العرب وجدوا حقيقة ولكن في تفصيل اخبارهم زيادات اقتضتها طبيعة الناس في الميل الى المبالغة . وقس على ذلك حوادث أيام العرب المشهورة وهي تمثل اخلاق اهل البادية وعاداتهم كالجوار والكرم والضيافة وحماية الذمام والوفاء والشجاعة وغير ذلك وكلها لا تخلو من أصل حقيقي ولكنها محشوة بالمبالغات . وقد تجد ذكرها في بعض الكتب تاريخياً وفي البعض الآخر روائياً

ومن هذا القبيل أيضاً ما فعله القصاصون بعد الاسلام فانهم توسموا في الامام علي الشجاعة والبسالة فرووا عنه وقائع لا حقيقة لها . وفي جملة ذلك قصة مطبوعة تتداولها الايدي اسمها « سير الامام علي بن ابي طالب الى الهضام بن الحجاف وقطعه الحصون السبعة حتى وصل اليه » وهي قصة موضوعة ولكنها تشغل كتاباً صفحاته تزيد على مئتي صفحة . ومن هذا النوع سيرة الملك الظاهر وسيرة الملك سيف والزير وعنترة وغيرها

وليس هذا الضرب من القصص خاصاً بالعرب بل هو يتناول اكثر امم الارض لان الناس متشابهون في فطرتهم . فقد كان في جملة رؤس قبائل القلت (السلت) من أهل بريطانيا في أواسط القرن الخامس للميلاد رئيس او أمير اسمه « ارثر » جاهد في محاربة قبيلة السكسون دفاعاً عن وطنه فتناقل الانكليز اخبار حروبه وبالغوا فيها ووسعوها وفرعوا منها اقاصيص كثيرة انتشرت في ويلس وفي سائر انكلترا . ثم انتقلت الى فرنسا وهي تتغير وتتنوع على مقتضيات الاحوال والعصور وتسمى «القصص الارثرية» ولما انتقلت الى فرنسا عرفت بروايات « المائدة المستديرة»

وما زال أرثر هذا بطل روايات الانكليز والفرنساويين وغيرهم قروناً عديدة في الاجيال الوسطي كما كان عنترة بطل روايات العرب — وقصة عنتر بالحقيقة مؤلفة من قصص عديدة يجوز ان يستقل كل منها بنفسه وبطلها جميعها عنترة . وللروايات الارثرية أهمية كبرى في تاريخ القصص في أوربا

ونشأ عند الفرنساويين ضرب من القصص بطلها الاكبر الامبراطور شارلمان الشهير في القرن الثامن للميلاد . فان شهرة هذا الملك وأعماله الكبيرة جعلته بطلاً لعدة روايات من هذا النوع تمثل أخلاقه وأخلاق بعض رجاله . واشتهرت هذه الروايات في القرون الوسطي وترجمت الى كل لغات أوربا واتخذت اسماء مختلفة واساليب متنوعة . ولكنها كانت أقرب الى شكل التاريخ من القصص الارثرية . ويشبهها عند العرب ما وضعوه من القصص في وصف اخلاق هرون الرشيد وتمثيل عصره وآداب الهيأة الاجتماعية في ايامه . واكثر هذه القصص داخل في قصة الف ليلة وليلة الشهيرة

ويلي ذلك قصص نشأت في اسبانيا على مثال ما تقدم بطل بعضها أماديس وبطل البعض الآخر بالميرين . واشهر ابطال روايات الاسبان « السيد » الشهير في محاربته المسلمين باسبانيا واسمه الاصلي « رودريكو دياز » . وقس على ذلك روايات الامم الاخرى

تلك حال القصص والروايات الى آخر العصور الوسطى وهي تمثل احوال تلك الاجيال وتدل على عادات اهلها واعتقاداتهم واخلاقهم واكثرها محشو بأخبار الجان والارواح الغريبة والمعجزات الفائقة الطبيعية وما زال ذلك شأنها الى اواخر القرن السادس عشر للميلاد . فلما دخل القرن السابع عشر واشرق نور التمدن الحديث من وراء تلك الغياهب المدلهمة والغيوم المتراكمة أخذ الناس يتوخون في وضع القصص ما يقربها من الواقع . وأول الناس اشتغالاً في ذلك الفرنساويون فلم ينقض القرن السابع عشر حتى خلت قصص الفرنساويين تقريباً من ذكر الجان والمردة ونحوهما من خوارق الطبيعة . وبعد ان كانت الحماسة في الحرب هي مدار القصص ومرجع حوادثها والحب تابع لها أصبحت في آخر ذلك القرن وقد صار الحب مدار القصص

وانما يأتون بالحركات الحربية أو الاخلاق الحماسية خدمة لعروس الرواية . ونحا الانكليز وغيرهم نحو الفرنساويين ونقلوا كثيرًا من رواياتهم الى ألسنتهم فضلاً عما ألفوه من عند أنفسهم مما يطول شرحه

هكذا تدرجت الروايات من التواريخ المحشوة بالمبالغات المزخرفة الى وضع القصص التي تمثل الحقائق كما هي . وأصبح كتاب الروايات يتفاخرون باقتدارهم على ضبط ذلك الوصف حتى يطابق الواقع . وبعد ان كانت الروايات تتلى لمجرد الاعجاب ببطل أو الاستغراب من حادثة صارت من اكبر وسائل التهذيب واصبح الغرض من تأليفها اما تمثيل الفضائل على كيفية تقرب من الحقيقة بقدر الامكان وتوقيعها على أسلوب يؤثر في ذهن القارئ وقلبه معاً . او بسط اخلاق بعض الامم في عصر من العصور او نشر حقائق تاريخية يثقل على الناس مطالعتها في قالب التاريخ ويسهل في قالب الرواية . او ايضاح بعض الحقائق العلمية على كيفية يقرب تناولها او غير ذلك . فاصبحت الروايات اليوم اصنافاً يختلف نسق تأليفها باختلاف الغرض المقصود منها وفيها التهذيبية والتاريخية والعلمية والادبية وغير ذلك

اضرار المنجمين حتى في القرن العشرين

لو أن أصحاب المندل ودعاة علم الغيب تقتصر أعمالهم على الايهام بالكلام لاغتفرنا لهم تعيشهم من هذه المهنة التي لا رواج لها الا عند الجهال ولا سبيل لنا الى نزع الوهم من أدمغة الناس دفعة واحدة . ولكننا رأينا أعمالهم تستطرق الى الاضرار في العائلات ضررًا يتحول الى النزاع والخصام والى ارتكاب الجرائم حتى القتل . وقد لا يكون ذلك الضرر مقصودًا من أقوالهم او أعمالهم ولكنهم يمهدون السبيل اليه بما يغرسونه في الاذهان من الاوهام الباطلة — ومما يؤيد ذلك كتاب جاءنا من أحد أدباء الاسكندرية يقول فيه :

« قرأت ما كتبتموه في الهلال غير مرة بشأن المشايخ والعجائز الذين يدعون

استطلاع الغيب وكشف المخبآت وأعجبني تفنيدكم دعواهم بالبرهان . وكنت ممن ينكرون هذه المزاعم كل الانكار فزادني قولكم انكارًا وصرت حيثما دار الحديث عن أعمال أولئك المشعوذين أجادل وأباحث — ولا أخفي عنكم اني كنت أقاسي المشقة في سبيل الدفاع اذ يغلب في الذين يعتقدون تلك الاوهام أن يقابلوا الدليل العلمي بقولهم انهم شاهدوا الشيخ الفلاني يعمل العمل الفلاني بين أيديهم . فكيف أنكر ذلك عليهم واذا فعلت فكأني اكذب أقوالهم مع اني اعتقد انهم كاذبون فيها . ولا يخفى ما يجرهُ اليه ذلك من التعب والبلاء فعوَّلت على ابطال هذه الابحاث واقتصرت عن تلك المجالس . فمضت سنتان وأنا أسمع بتمادي هؤلاء المشعوذين وأغضي عنهم حتى سمعت بالامس حكاية غريبة وقعت لاحد أصدقائي مع أحد أصحاب المندل وكانت عاقبتها خصاماً شديداً وقع بين عائلتين من الاهل وسبب الخصام جهل النساء واعتقادهن بالمندل

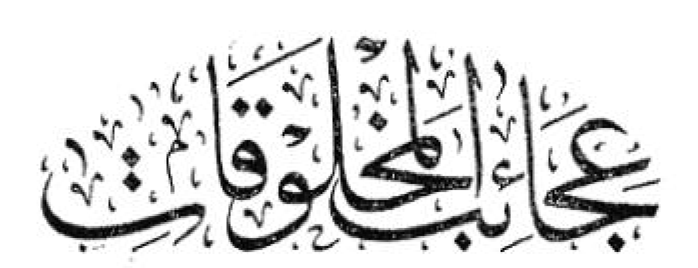
« وخلاصة الحديث ان امرأة صديقي هذا أصابها مرض عصبي يصيب اكثر النساء فتردد عليها الطبيب ووصف لها أدوية وأشار عليها بمشورة لم تعمل بها الا بالرغم عنها وقبل أن تتحسن حالها جاءتها عجوز من جيرانها تعودها وكان في جملة ما دار عليه الحديث ان فلانة كانت مصابة بمثل هذه الاعراض ولم ينفعها غير الشيخة فلانة فانها ضربت المندل وعلمت انه « مخطوط » لها فاستخرجت الخط فشفيت بعد أن أعيى الاطباء شفاؤها . وان الاطباء لا يفهمون بهذه الامراض الى غير ذلك فراق المريضة ان تستطبَّ الشيخة فلانة فكلفت العجوز ودفعت اليها منديلها لكي تضرب المندل عليه . فعادت العجوز بعد يومين وعلى وجهها امارات البشر وقالت « تقول الشيخة ان مرضك كتابة كتبها لك بعض الحساد على جلد كلب ودفنوها في بئر عميقة بباب سدرة وان استخراجها يحتاج الى بخور ونحوه ما يساوي جنيهين » فاستفهمت المريضة « هل اذا دفعتُ هذا المال يتحقق شفائي » فضحكت وقالت « لاشك انها تستخرج الكتابة من تحت سابع طبقة من طبقات الارض » فشق على المرأة دفع المال مرة واحدة فنقدتها جنيهاً وقالت لها « سادفع الباقي بعد الشفاء » فقبلت ومضت وفي اليوم

التالي عادت وقالت لها ان الشيخة عملت المندل و « ان قطعة الجلد تجدونها غداً داخل رغيف من أرغفة الخبز الذي تأكلونه فأحرقوها » وفي الواقع وجدوا تلك القطعة في رغيف كان عندهم وأظن العجوز وضعتها فيه خلسة . ولكن لا تسل عن فرح المريضة فقد أحست لشدة الوهم انها شفيت بغتة مع ان اكثر شفائها من تأثير الادوية

« ولا بأس من التدجيل اذا وقف عند هذا الحد لانه ينفع ولا يضر . ولكن شفاء المريضة واعتقادها بالشيخة حملها على استطلاع حقيقة السر منها فذهبت اليها بنفسها وسألتها عن الحساد الذين كتبوا لها فوصفت لها وصفاً مبهماً لانها بالحقيقة لا تعرف شيئاً فانطبق وصفها على حماة تلك المرأة . ولم تفهم هذا الفهم الا لما بينها وبين حماتها من الضغائن . فخرجت تلك المسكينة من عند الشيخة وهي ناقمة على حماتها والحماة تعتقد المندل مثلها . ولم تمض مدة حتى انتقل الكلام وبلغ الحماة ما في اعتقاد كنتها فزادت الضغائن . واتفق بعد مدة ان ابنة الحماة مرضت بمثل مرض كنتها فتبادر الى ذهنها ان الكنة استكتبت لها أحداً انتقاماً منها . وقبل أن تتحقق ذلك استشارت الشيخة فانطبق الوصف على ما في ذهنها وبالحقيقة أن الشيخة لم تصف شيئاً معلوماً

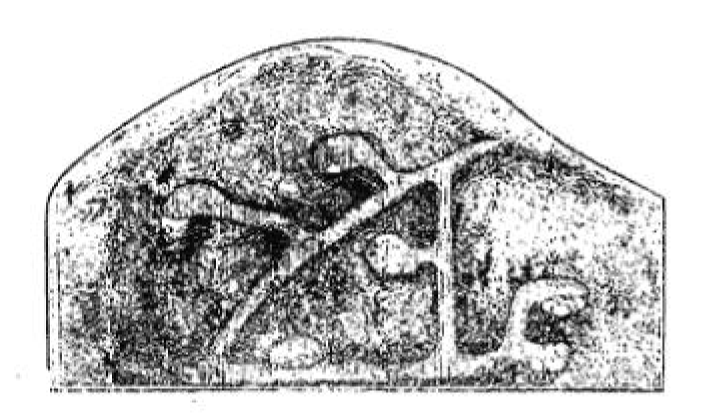
« فتحققت الحماة أن كنتها كتبت لابنتها واشتد المرض في بنتها فاشتد الحنق على كنتها ولم تتوقف الشيخة الى استخراج الخط لان المرض لم يعالج كما عولج ذلك . . . ؟ وأما الكنة فقد كانت تعتقد ببراءة ساحتها ونظراً لاشتداد المرض على بنت حميها أغضت عما في نفسها وذهبت لعيادتها ومعها زوجها . ولم تكد تدخل البيت حتى اعترضتها الحماة لزعمها انها انما جاءت لتتميم الكتابة . فعظم الامر على زوجها ولم يقدر على الاستفهام عن الحقيقة حتى احتدم الخصام بين الزوج وأخيه وأمه . وساقتني التقادير في تلك الساعة لزيارة تلك المريضة فتوسطت وأوقفت الخصام وسألت عن السبب فبسطوه لي على نحو ما قدمته فرأيت الذنب في هذا الامر لجهل الناس وليس لاصحاب المندل . لان ضارب المندل اذا سألته عن أمر يوهمك انه يعرف ويقول أقوالاً مبهمة لا يقصد بها شيئاً معيناً فاذا كان السائل يعتقد صدقه استنتج من تلك الالفاظ ما يطابق اعتقاده في ذلك الامر على ما ذكرتموه في هلالكم المنير غير مرة .

وخلاصة القول اني لم أتمالك عن كتابة هذا اليكم خدمة لحضرات القراء وتحذيراً لهم من امثال هذه الخزعبلات » انتهى



النمل الحلاب

النمل خلق عجيب يرى الباحث حكمة في كل عمل من أعماله . وقد عني اهل البحث في درس طبائعه وكتبوا فيها الكتب المطولة حتى الف الناس كثيراً من اعماله ولم تعد تعدُّ عندهم من غرائب المخلوقات فنقتصر في هذه المقالة على بيان خلاصة حكمة النمل وتدبيره وطبائعه بسرد اعمال نملة من اول النهار الى آخره ثم نتطرق الى ذكر صنف من النمل يشبه الماشية عند الآدميين يربيه النمل ويقتات من « لبنه »



(ش ١) بيت النمل مقطوع قطعاً عموديا

اذا رأيت النمل يسرع اسراباً واقتفيت أثرهُ رأيته ينتهي الى نقب في الارض يدخل

فيه هو باب منزله • فاذاقطعت ذلك البيت قطعاً عموديا من أعلاهُ الى اسفله رأيت علوهُ من أرضه الى سقفه يزيد على قدم وهومؤلف من طبقات يستطرق بعضها الى بعض بدهاليز أو طرقات تنتهي الى غرف كما ترى في الشكل الاول

وترتيب بيت النمل على هذه الصورة مقصود لحكمة في تدبير المنزل • ففي الطبقة السفلى من ذلك البيت غرفة كبيرة تقيم فيها ملكة النمل وهي الام الوالدة وحولها أسراب الخدم من النمل الصغير يخدمونها باحترام ولا يتجرأ احد منهم ان يوليها ظهره اذا خرج من عندها • وفي الطبقات الاخرى من ذلك البيت يختزن النمل مؤونته ويربي صغاره في ادوارها الثلاثة من الدودة فالشرنقة فالنملة • وهناك « زرائب » يربي فيها نوعاً من النمل الحلاب يسرحه في ضواحي المنزل يقتات من جذور بعض النبات واوراق البعض الآخر ويتعهده بالحراسة خوفاً عليه من الهوام المفترسة كما يحمي الراعي خرافهُ من الذئب • وفي بعض جوانب البيت طبقة من النمل دنيئة تطوف في اطراف الدهاليز وتقف بباب الغرف تتناول ما يقع من فضلات اهل الطبقة العليا كما تقف الكلاب والقطط حول موائدنا • واهل هذه الطبقة لا يكترثون بوقوفهم أو انصرافهم كانهم في شاغل عن هذه الامور التافهة بواجباتهم نحو حياتهم الاجتماعية وأهمها خدمة الوالدة وتربية الصغار وبناء المنازل ورعاية الماشية والدفاع عن انفسهم وحماية اموالهم — يفعلون كل ذلك بهمة ونشاط ونظام لا يختلفون في شيء ولا يختصمون على شيء ولا يخطئون في اقسام الاعمال

(حكاية نملة) استيقظت نملتنا نحو الساعة السادسة صباحاً من تلقاء نفسها بلا منبهٍ • فغسلت وجهها وأصلحت من شأنها بالفرشاة والمشط اللذين منحتهما الطبيعة لها في طرف قائمتيها المقدمتين • ثم نظفت تينك القائمتين بفمها وخرجت في سرب من اخواتها ماشيات في بعض دهاليز المنزل نحو غرفة الملكة فالتقت باسراب اخرى سائرة الى اشغال اخرى وفيما هن سائرات وقفت نملتنا لنزع قشة علقت ببدن احدى رفيقاتها في أثناء الطريق كما يلتقط الرجل خيطاً وقع على رداء صديقه • فلما فرغت من ذلك اسرعت للحاق بسائر الرفاق فاعترضتها في أثناء الطريق نتف من القش فنظفت الطريق منها وهي مع ذلك تغتنم الفرص للبحث عما قد تعثر عليه من اطراف الجذور او قطع الاوراق او غير ذلك لتدخرها لطعامها

واتفق وهي في ذلك انها عثرت بنحلة ميتة والنحلة فريسة كبرى عند النمل للشهد

الذي يكون باقياً فيها مما قد جنته بالامس قبل موتها والنمل يحب العسل كما يحبه الاولاد فهمّت النملة واستخرجت العسل من الاخلية واستأثرت به وحملت ما بقي من الفريسة الى اهل البيت • ولو رأيتها وهي تحمل تلك الجثة لاستغربت قوتها لانها كانت مثل كلب يحمل فرساً • وهي قوة غريبة في الحيوان الا النمل فانه قد يحمل ثلاثة آلاف ضعفه وزناً • وجاءت النملة بنحلتها الى باب المنزل فضاق الباب عن دخولها فخرجت فصيلة من النمل واقتسمت الغنيمة خارج الباب

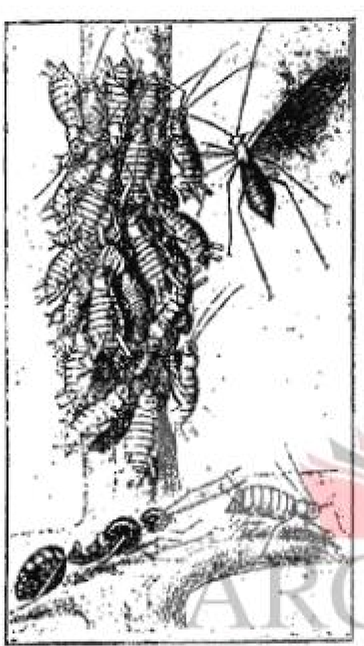
وكانت اسراب النمل قد بدأت في العمل فخرج بعضهم من ابواب المنزل وأخذوا يشتغلون بجمع المؤونة من الورق والقش واشتغل الآخرون باصلاح الابنية • والبعض الآخر ونملتنا في جملتهن اشتغلن بجمع ما يقعن عليه من جثث النحل او الفراش او الجنادب او غيرها من الهوام فيحملنها الى الاهراء لاختزانها • ولم تصبر نملتنا الى آخر العمل ولكنها اسرعت الى غرفة الملكة فلقيت عندها مئات من العملة قائمين بخدمة البيوض التي وضعتها — لان ملكة النمل تضع البيوض وهي ماشية والخدمة يقتفون أثرها فيلتقطون تلك البيوض ويعتنون بها • وقد يكون في الوكر الواحد ملكة او ملكتان او عدة ملكات واما في وكر نملتنا فلم يكن الا ملكة واحدة فانخرطت في جملة حملة البيوض الى غرف خاصة بها • وكانت تحمل ما فقص منها وهو بشكل ديدان لا قوائم لها فتسير بها حيث تتلقى اشعة الشمس ويغذيها الخدم والمراضع وفي جملتها نملتنا ثم ينتقون من بين النمل الاناث اللواتي سيكنّ ملكات ويدخلونهنّ الى الاخبية ولا يخرجونهنّ إلى الازواج الاَّ في اوان العرس • • •

والنمل عند اول تكونه لا تعرف انثاه من ذكره ثم تتميز الاجناس بالتدريج • والاجناس ثلاثة ذكر وانثى وجنس لا ذكر ولا انثى ويمتاز هذا الثالث بعدم الاجنحة • واما الاثنان الاولان فلهما اجنحة تختلف في الذكر عما في الانثى اختلافاً قليلاً وانثى النمل اكبر من ذكره واقوى • فاذا بلغ الذكر والانثى طارا في الهواء وتزاوجا ومتى قضى الذكر عمله مات • اما الانثى فلا تزال ملكة النمل حتى تضع بيضها فاذا فرغت من ذلك تساقطت اجنحتها • فالخدمة وطبقة العمال في دولة النمل هم الذين ليسوا ذكوراً ولا اناثاً وليس لهم اجنحة

ولنعد الى تاريخ نملتنا فانها ذهبت في اواسط النهار مع رفيقاتها الى الزرائب والمراعي لاستدرار « البقر » الذي سيأتي وصفه • فرأت « البقرة » التي استدرت لبنها

واقفة على ورقة بحيث يخشى عليها من بعض الهوام المفترسة • فاسرعت الى بعض الاتربة فحملتها وبنت بها حول بقرتها سوراً منيعاً يقيها غائلة المفترسين • وقضت نملتنا بقية يومها في الادخار والدفاع مما يطول شرحه

(النمل الحلاب) هو صنف من النمل عمله في دولة النمل مثل عمل الماشية في دولة الانسان • فان هذا النمل يقتات على ورق الاقحوان وغيره من الازهار الرطبة فيقضي بعض نهاره وخرطومه في الزهرة يمتص ما فيها من العصارة حتى يملأ بدنه به ثم يعود اسراباً الى الوكر كما تعود قطعان الغنم الى زرائبها فيأتي النمل الآخر ويحتلبه بخرطوميه من حلمتين بارزتين من اسفل راسه كما ترى في اسفل الشكل الثاني • فانك ترى النملة الحلابة ووراءها نملة من طبقة العمال وقد حاولت احتلابها فقبضت بخرطوميها على حلمتي تلك • وترى سرباً من النمل الحلاب يتسلق غصناً او هو حائم حول زهرة او ثمرة رطبة يمتص ماءها



(ش ٢) النمل الحلاب

(تراجم مشاهير الشرق)

شرعنا في طبع هذا الكتاب وفيه تراجم الذين توفوا في الشرق في أثناء القرن التاسع عشر من مشاهير أهل السياسة والادارة والعلم والشعر • وقد وقع لنا اسماء بعض المشاهير ممن لم تنشر تراجمهم في كتاب فكاتبنا بعض أهلهم أو معارفهم نلتمس تراجمهم ورسومهم فمنهم من أجاب ومنهم من اعتذر • ولما كان الكتاب قد أوشك طبعه أن يتم ولا نزال في حاجة الى استطلاع تراجم بعض رجال العلم رأينا ان نطلب تراجمهم على يد الهلال فاذا تأخر ورودها اكثر من بضعة أسابيع ذهبت الفرصة لنشرها في هذا الكتاب • والمشاهير المطلوبة تراجمهم هم الشيخ عبد اللطيف فتح الله اليافي والشيخ محمد الحوت والشيخ محيي الدين اليافي وجميعهم من بيروت

(تناسل الطيور)

(على النيل بين اسنا والاقصر) سلامون افندي افرنجي

جمعتني المقادير على الباخرة هاتاسو من بواخر شركة كوك بجماعة من الادباء وكلهم من مشتركي الهلال فدار البحث بيننا على دجاجة باضت امامنا هل هي تبيض بلا تلقيح من ذكر . فاختلفنا في ذلك ولكننا اتفقنا في استفتاء الهلال فما قولكم

(الهلال) الدجاج وسائر الطيور قد تبيض بلا تلقيح ولكن ذلك البيض يكون عقيماً اي انه اذا احتضنته الدجاجة لا يولد الفراخ . ولا يصلح البيض لتوليد الفراخ الا اذا كان من دجاج بينها اديك وذلك هو شأن سائر الحيوانات الفقرية

وتمتاز البيضة الملقحة عن سواها بنقطة خصوصية تسمى الحويصلة الجرثومية — اذا فقصت بيضة الدجاج وتأملت في محها الاصفر رأيت فيه نقطة زلالية القوام هي النقطة الجرثومية التي يبدأ منها تكون الجنين



البيضة البشرية في حويصلة كراف

وترى في هذا الشكل صورة البيضة البشرية في حويصلة مملوءة بسائل زلالي يقال لها حويصلة كراف . والبيضة في أعلى الحويصلة وترى النقطة الجرثومية في النقطة البيضاء نمرة 8

(شجرة تفترس الناس)

(الزقازيق) محمد افندي زيد المحامي

سمعت بعضهم يتحدث عن شجرة من نوع الصبار بجزيرة مدغسكر لا يزال اهالي الجزيرة يعبدونها ويقدمون لها كل سنة عذراء من أجمل بناتهم ضحية . يضعون الضحية على قرص الشجرة وبعد بضع دقائق تتجه اغصانها نحو الضحية ويلتف بعضها

على بعض وتضغط على الفتاة ضغطاً لا يبقي منها الا العظام · فهل ذلك حقيقي وما سرّ هذه الشجرة وما رأي العلماء فيها

﴿ الهلال ﴾ انما يظهر من حركات تلك الشجرة كالقبض على الضحية ونحوها فتعليله ان الشجرة من النباتات المفترسة او الحساسة التي تنقبض عند اللمس واشهرها ما يسمونه مصيدة الذباب · وهو نبات اميركاني ذكره الدكتور بوسط وسماه مذنبة · أوراقه شراك خفية او هي مصايد حية تنتهي كل ورقة بكاس منبسطة ذات اهداب حادة يصل بينها مصراع طولي في وسط كل من هذه الكؤوس ثلاث اشواك حولها غدد تفرز عصارة سكرية · فاذا ساقت الاقدار ذبابة او نحوها من الهوام تلتمس تلك العصارة ووقفت على

مصيدة الذباب

الورقة هاجت الكاس واطبقت اهدابها عليها كما يطبق الكتاب ولسعتها بأشواكها واذا حاولت الذبابة الفرار زادتها الكاس ضغطاً حتى تخمد انفاسها كما ترى في الشكل واذا اردت فتح الكاس بيدك عنوة تمزقت ولم تنفتح لكنها تنفتح من تلقاء نفسها متى ماتت فريستها وقد فصلنا ذلك بمقالة نشرناها في الهلال الحادي عشر من السنة السابعة عنوانها « النبات يحس ويتحرك »

فالظاهر ان الشجرة التي ذكروها تنقبض مثل انقباض مصيدة الذباب لكنها اقوى منها كثيراً والله اعلم

﴿ ارضاع الحية طفلاً ﴾

(تراجانو دي موريش · البرازيل) هاني افندي ابو راشد

﴿ الهلال ﴾ ان القصة التي قصها صديقكم — من حيث امتصاص الحية حليب المرضع ثم ارضاع الطفل من ذنبها — من الاقاصيص الخرافية التي لا أصل لها فلا تصدقوها ولو قال لكم الراوي انه شاهدها بعينه · لان الغالب في المعجب بهذه الخزعبلات ان يتحمل تبعة القصة التي سمعها ويقول انه رآها بعينه ـ لا يقصد بذلك خداع السامع ولكنه يساق بشدة اعتقاده صحة تلك الواقعة الى تأييدها بشهادته الخصوصية · ولذلك قلنا في غير هذا المكان ان اكثر الاقاصيص الخرافية التي هي من هذا النوع يندر جدًا ان تسمعها ممن شاهدها حقيقة ويستحيل تقريبًا ان تتأتى لك مشاهدتها بنفسك



(عود الجناب العالي) وصل سمو الامير المعظم الى الاسكندرية في ١٤ اكتوبر الجاري عائداً من سياحته في أوربا والاستانة فاشرق القطر بقدومه وانتعش الناس بلقياه لازال موفقاً مؤيداً بمن الله وكرمه

(متصرف لبنان) انقضت مدة صاحب الدولة نعوم باشا متصرف جبل لبنان في هذا العام ووقع اختيار الدول على دولتلو مظفر باشا خلفاً له · وهو بولوني الاصل اسمه الاصلي لاديسلاس ووالده الكونت ايزيدور شايكوتسكي ومن اهل الوجاهة والنفوذ في قومه وله مواقع حربية وحركات ذات شأن في تاريخ بولونيا حتى اضطر الى الالتجاء للاستانة فقربه السلطان محمود منه واكرمه وشب ولده مظفر باشا في الاستانة وانتظم في خدمة الجند العثماني وتقلب في عدة مناصب حتى انتخب متصرفاً لجبل لبنان والناس يتوقعون منه خيراً · وهو في نحو الستين من عمره فعسى ان ينال اللبنانيون على يده ما يحقق امانيهم

بلغاريا وأميرها

ذكرت الجرائد السياسية مناوشات وقعت بين البلغار بين والجند العثماني. وكثر تحدث الناس بشأنها فرأينا ان نأتي على ذكر الامارة البلغار وأميرها مع بعض الايضاح على جاري عادتنا في امثال هذه الحال



الشعب البلغاري رجالاً ونساء

﴿ بلغاريا ﴾ هي من الامارات العثمانية الممتازة واقعة في بقعة من بلاد الروملي يحدها البحر الاسود من الشرق و بلاد الصرب من الغرب والفلاخ من الشمال ورومانيا من الجنوب وقد يتبادر الى الاذهان بالنظر الى اقامة البلغار بين بجوار بلاد اليونان انهم يونانيو الاصل و بالنظر الى لسانهم انهم سلافيون . والحقيقة انهم لا من هولاء ولا من هؤلاء وانما هم صنف من « الفين » واصلهم من المغول مثل سكان المجر (هونجاريا) وأهل لابلاند وفنلاندا . وكانوا قبل نزوحهم الى الروملي يقطنون في جهات كازان على ضفاف نهر فولكا في روسيا اوربا . ونهر فولكا المذكور يصب في بحر قزوين على شواطئ استراخان . واقام البلغاريون هناك قروناً متوالية ثم هاجروا جنوباً غربياً حتى نزلوا بلاد البلقان في القرن السابع للميلاد حوالي ظهور الاسلام .

وأقاموا هناك وتكاثروا واشتدوا . ولم يكد يدخل القرن العاشر حتى اصبحوا دولة شديدة البطش خافتها دولة الروم البيزنتية وسائر جيرانها حولها . وملك البلغار يومئذ سيمون وهو اعظم ملوكهم . وهم ويذكرون فضله خصوصاً في تأييد النصرانية وتعزيز شأنها وكانت قد دخلت بلغاريا في سنة ٨٦٢ م فأيدها ونشط العلم وأهله . وتوفي سنة ٩٢٧ وبموته اخذت دولة البلغار في التقهقر فافتتحها الروسيون واستولوا عليها ثم عادت فاستقلت في القرن الحادي عشر في غربي مكدونية . ثم دخلت في حوزة الروم وصارت جزءا من المملكة الرومانية الشرقية . ثم عادت فاستقلت ثالثة في أواخر القرن الثاني عشر واتسعت سلطتها حتى اذا كانت سنة ١٣٨٢ فتحها العثمانيون وما زالت في حوزتهم الى سنة ١٨٧٨ فصارت امارة ممتازة بمقتضى معاهدة برلين ولا تزال الى الآن — واليك خلاصة المواد التي جاءت في معاهدة برلين مما يتعلق باستقلال البلغار نقلاً عن مجموعة الجوائب

المادة ١ : صارت البلغار الآن امارة مستقلة في أمورها الداخلية (ادارة مختارة) تدفع خراجاً في كل سنة الى الباب العالي وتكون تحت تابعية الحضرة السلطانية ويكون لها حكومة مسيحية وعساكر وطنية

المادة ٣ : يكون انتخاب أمير البلغار من أهلها بحرية تامة واقرار الباب العالي برضى دول اوربا العظام ولا يصح انتخاب أمير عليها من بيوت الدول (الكبرى) فاذا توفي أميرها بلا ولد ينتخب أمير بعده على الشروط والاصول المقررة

المادة ٤ : بعد انتخاب الامير يجتمع أعيان البلغار بين في طرنوى لترتيب أحكام ونظامات تخص الامارة وفي الجهات التي يكون سكانها من الترك وأهل رومانيا والروم وغيرهم يجب مراعاة حقوقهم ومصالحهم فيما يتعلق بقضية الانتخاب وترتيب الاحكام الاساسية

المادة ٥ : المواد الآتية تكون أساساً للحقوق العمومية في البلغار وهي : ان الاختلاف في المذاهب والاعتقادات لايخرج أحداً من الاهلية ولا يمنعه من تمتعه بالحقوق المدنية والسياسية أو انتظامه في الوظائف الميرية أوالعمومية ونيل الشرف

او معاطاة الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فان الحرية ومباشرة جميع الاعمال الدينية ينبغي تأمينها لجميع سكان البلغار من أهلها ومن الاجانب أيضاً . ولا يسوغ اتخاذ ما يمنع ترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو علاقتهم برؤسائهم الروحانيين

المادة ٨ : جميع المعاهدات التجارية والسفرية والاتفاقات التي أبرمت بين الدول الاجنبية و بين الباب العالي والتي لم يزل عملها جارياً تبقى مرعية الاجراء مع امارة البلغار ولا يصح تبديل شيء منها مع احدى الدول المذكورة بدون رخصة منها ولا يسوغ وضع شيء من الضرائب على البضائع التي ترسل الى احدى الجهات في مرورها على البلغار وتكون معاملة جميع الاهالي ورعايا الدول وتجارتهم في الامارة على مساواة تامة . وتبقى امتيازات الاجانب المقررة في المعاهدات (التي امضيت بين الدول والباب العالي) مرعية الاجراء في الامارة ما لم يحصل تعديلها برضاء الدول

المادة ٩ : الويركو السنوي الذي يجب على امارة البلغار ان تدفعه في كل سنة الى متبوعها الحضرة السلطانية يكون دفعه الى البنك الذي يعينه الباب العالي ويكون تعيين المبلغ عند ختام السنة الاولى من جريان نظاماتها الجديدة باتفاق بين الدول الموقعة على هذه المعاهدة . وهذا الويركو يقدّر باعتبار ايراد الامارة وحيث انها ستحمل جانباً من ديون السلطنة العمومية يلزم للدول أيضاً ان يتذاكروا في مقدار الدين الذي يعين على الامارة في أثناء مذاكرتهم في أمر الويركو

المادة ١٢ : المسلمون وغيرهم الذين لهم أملاك في البلغار ويريدون السكنى خارجاً عنها يبقون متمتعين بأملاكهم ويمكنهم والحالة هذه ايجارها الى غيرهم واستخدام من ينتخبونه لادارتها وتشكل لجنة مؤلفة من الترك والبلغار بين لتسوية جميع المسائل المتعلقة بكيفية نقل وتشغيل أملاك الوقف لحساب الباب العالي والمسائل المتعلقة بالذين لهم مصالح فيها . وهذه التسوية تكون في مدة سنتين . ثم ان البلغار بين الذين يسافرون أو يقيمون في باقي أطراف الممالك العثمانية يكونون تحت الاحكام والقوانين العثمانية

المادة ١٣ : تشكل في جنوب البلقان ولاية تحت اسم (ولاية الروم

ايلي الشرقية) وتكون تابعة للحضرة السلطانية تابعية سياسية وعسكرية بشرط أن تكون مشمولة باستقلالية ادارتها ويكون واليها نصرانياً

المادة ١٥ : يكون للحضرة السلطانية حق في أن تباشر محافظة الحدود البرية والبحرية بأن تبني في تلك الحدود استحكامات وتقيم فيها عساكر . ولتأمين الراحة العمومية في ولاية (الروم ايلي الشرقية) يشكل فيها ضبطية أهلية وعساكر داخلية ومذاهب الاهالي الذين تؤلف منهم هذه العساكر والضبطية تكون مرعية ويكون تعيين ضباطهم بأمر الحضرة السلطانية . وقد تعهدت الحضرة السلطانية بأن لا توظف في حصون الحدود عساكر غير نظامية كالباشي بوزق والجراكسة وفي جميع الاحوال لا يسوغ للعساكر النظامية المذكورة أن تتعدى على الاهالي . وعند مرورهم في الولاية (لاستقرارهم في الاستحكامات) لا يسوغ لهم الاقامة فيها

المادة ١٦ : يكون للوالي حق في ان يستدعي العساكر العثمانية اذا حصل مايخل بالراحة الداخلية والخارجية فاذا وقع ما يوجب ذلك يخبر الباب العالي نواب الدول بالاستانة عن قراره وعن السبب الذي أحوجه اليه . انتهى

وبعد هذه المعاهدة بثماني سنين الحقت امارة الروملي الشرقي بامارة البلغار (سنة ١٨٨٥) على اثر ثورة انتشبت فيها فصار أمير البلغار يتولى شؤون الامارتين جميعاً

﴿ مساحتها وتعدادها ﴾ مساحة امارة البلغار والروملي الشرقي معاً ٣٨,٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها يقسم باعتبار الطوائف واللغات على ما يأتي

بلغار	٢,٥٠٤,٣٣٦	أرمن	٦,٤٤٥
اتراك	٥٦٩,٧٢٨	المان	٣,٦٢٠
رومان	٦٢,٦٢٨	البان	١,٢٣١
يونان	٥٨,٥١٨	روس	٩٢٨
نور	٥٢,١٣٢	صرب	٨١٨
يهود اسبانيون	٢٧,٥٣١	ايطاليان	٨٠٣
تتر	١٦,٢٩٠	من سائر اللغات	٣,٨٢٠

عاصمة البلغار مدينة صوفيا وديانة الحكومة الارثوذكسية

﴿ أمير البلغار ﴾ اول أمراء البلغار بعد معاهدة برلين البرنس اسكندر باتنبرج وكان شجاعاً حبب رعيته اليه بما أظهره من البسالة في حربهم مع السرب . ولكن روسيا لم تكن راضية به فاقلقت راحته بمساعيها ومعاكساتها حتى اضطر سنة ١٨٨٦ الى الاستقالة فعمل ستامبولوف وزير الامارة يومئذ على انتخاب من يقوم مقامه فقاسى في ذلك مشقات جسيمة لما اشترطته معاهدة برلين من عدم اختيار أحد من العائلات المالكة الكبرى . وأخيرًا اختاروا البرنس فرديناند أمير البلغار الحالي . وهو ابن البرنس أوغسطس سكسبورج وأمه من عائلة البربون يتصل نسبها بلويس فيليب الشهير . خدم فرديناند في جيش النمسا مدة وله أملاك واسعة في المجر وهو كثير الشبه بوالدته من حيث خلقته فانه بربوني القامة والطامة

على ان دول أوربا لم تقبل به رسمياً الا بعد تسع سنوات من تعيينه . تزوج سنة ١٨٩٣ بالبرنسس ماري لويزا ابنة دوق بارما فولدت له ثلاثة أولاد أولهم البرنس بوريس ولي عهد الامارة . وتوفيت امرأته سنة ١٨٩٩ على اثر الولادة الاخيرة

وكان دوق بارما قد اشترط على البرنس فرديناند لما طلب التزوج بابنته المشار اليها انه اذا رزق منها أولاداً يربيهم في كنف الكنيسة الكاثوليكية . ولكن الشرط في من يتولى امارة البلغار ان يكون ارثوذكسياً وعليه فلا يكون البرنس بوريس ولي عهد هذه الامارة الا اذا كان أرثوذكسياً . وطال الجدال في هذا الشأن وتعب ستامبولوف كثيرًا في التوفيق . وانتهى الخلاف أخيرًا بتثبيت الغلام في الكنيسة الارثوذكسية سنة ١٨٩٦ واحتفلوا بتثبيته احتفالاً باهرًا . وفي تلك السنة نال أبوه مصادقة الدول على امارته

ويقولون ان البرنس فرديناند يطمع برفع منصبه من الامارة الى الملك ليساوي زملاءه في بلاد البلقان (رومانيا وسربيا) ولعل هذا هو السبب الرئيسي في ما ظهر من الشغب في بلاده في هذه الاثناء . ولكن مساعيه لم تفلح هذه المرة لان الجنود العثمانية تغلبت على الثائرين واعادتهم الى السكينة في أكثر المواقع

باب المقالات

تاريخ الآداب الاجتماعية

في الممالك الاوربية

(تمهيد) نريد بالآداب الاجتماعية ما يعبر عنه أيضاً بالعادات والاخلاق . والانسان ميال من فطرته الى استطلاع عادات الناس واخلاقهم حتى قد يتجشم الاخطار الشديدة ويتكبد النفقات الطائلة في هذا السبيل مع ما يقتضيه ذلك من الاسفار براً وبحراً وخصوصاً قبل اختراع البخار فقد كان السفر يومئذ امراً شاقا لايستطيعه الا اهل الهمم العالية والثروة الواسعة . وكان الرجل اذا عاد من رحلته قص على اهله واهل بلده ما شاهده من غرائب العادات والاخلاق او دوّن ذلك في كتاب نشره بين ظهرانيهم كما فعل هيرودوتس الرحالة وغيره

واما الآن فقد هان السفر بما اخترعوه من وسائل الانتقال فكثر السياح واهل الاسفار وكتبوا الكتب في اخلاق الامم وعاداتهم وآدابهم وزينوها بالرسوم والاشكال. ولكن ذلك لايتجاوز في الغالب وصف ماشاهدوه باعينهم من الآداب الاجتماعية الجارية. وقلما تطرقوا فيه الى وصف ما كان عليه اسلاف تلك الامة وكيف توالت العادات فيها بتوالي العصور وفي ذلك من اللذة والفائدة ما لايخفى

هذا ما اردنا نشره لحضرات القراء وقد سميناه « تاريخ الآداب الاجتماعية » وسنقسم الكلام فيه باعتبار الممالك والقارات فنبدأ بقارة أوربا لانها ارقى القارات فنتكلم عن ممالكها مملكة مملكة وتاريخ آداب كل مملكة من اقدم عصورها الى اليوم بما يقتضيه المقام من الايجاز مع ايضاح ذلك بالرسوم اللازمة وسنتوخى الاعتماد على اوثق ما نشره علماء الافرنج في هذا الشأن وخصوصاً كتاب العالم بيتاني الانكليزي

ولا بد لنا قبل الدخول في الموضوع من الكلام في الانسان واصنافه وانواعه تمهيداً لما سيجيء

﴿ أصل البشر ﴾ أول ما يستلفت انتباهنا وحدة أصل الشعوب كافةً وهو زعمٌ قديم يؤيده الوحي ويثبته العلم وانما عرض لابناء آدم من العوارض ما ولد التباين بين القبائل والامم الى حد أصبح توحيد أصلها وردها الى أبوين فقط بعيدًا ولا يسعنا المقام ان نأتي على تعداد أقوال الفلاسفة والعلماء في هذا الشأن وجل ما يستطاع ايراده ان أصل الشعوب واحدٌ حتى يتأتى للعلماء والناظرين في الجنس البشري ان يوافونا بالادلة الساطعة على فساد هذا القول . وان تباين الامم والشعوب مرجعه الى أسباب حارت فيها الباب أولي البحث وانما نحن نتخذ هذا التباين دليلاً على قدم النوع البشري اذ لا يعقل ان يطرأ هذا الاختلاف على أبناء أب واحدٍ في مئات من السنين وهو من الشدة بحيث ان المحفوظ من تواريخ الامم ينبئنا بان أجناس البشر كانت كما هي عليه الآن منذ ثلاثة آلاف سنة او اكثر

ودارس فن التاريخ يعلم ان المعلوم من تاريخ كل أمة حدًّا يختلط قبله الصحيح بالفاسد اولا يعلم منه شيء . لكن المنتقد يستطيع شيئًا من أحوال تلك الامة في تلك العصور بدرس حاضرها وما عرف من ماضيها . وهو منزع المؤرخين وأصحاب الفلسفة في الزمان الحاضر . وجمهور الناظرين في تباين أصناف البشر يرون هذا التباين في اختلاف الالوان فيقسمون الاجناس الى أبيض واسود وأصفر ونحاسي لكن اللون لا يعد حدًّا فاصلاً بين أصناف البشر ولذا اعتمد العلماء في تقسيمهم هذه الاصناف ما وضعه العلامة هكسلي وهو :

الاستراليون : وهم سمر البشرة (بلون الشكولاته) سمر العيون او سودها مع اسوداد الشعر وتجعده وضيق الجمجمة وبروز الحاجبين والفك وكبر الاسنان وثخن الشفتين وعرض الانف . وهذا الصنف يمثل اهل أوستراليا وبعضًا من سكان جبال الهند ويظن ان المصر بين القدماء منه ايضًا

الزنوج : ويختلف لون بشرة هؤلاء بين السمرة والسواد الشديد وعيونهم سمراء او سوداء وشعورهم قصيرة معروفة وجماجمهم ضيقة وحواجبهم متقاعسة وشفاههم ثخينة وأنوفهم فطساء . وهذا الصنف يشمل أكثر سكان افريقيا الوسطى والبشمان في

جنوبيها والهوتنتوت وسكان جزائر اندمان وملقا وفيلبين و بابوار وكالدونيا الجديدة وتسمانيا . وهؤلاء اي الهوتنتوت الخ ضروب من الخلاسيين (من ابوين مختلفين) وليسوا من الزنوج تماماً



(ش ١)   تباينات أصناف البشر في اسيا

(١) الهندى (٢) الافغاني (٣) البورمي (٤) السيامي (٥) الصيني (٦) التيبتي (٧) الياباني (٨) الكورى (٩) الملقي (١٠) الفارسي (١١) العربي (١٢) الارمني

المغول : وهم أهل اسيا الوسطى والشرقية والشمالية · مميزاتهم قصر القامة ولهم بشرة صفراء تضرب الى السمرة وشعور سوداء مسترسلة وعيون سوداء منحرفة واناف

صغيرة منبسطة . وأهل الصين واليابان منهم وهم طوال الرؤوس وليس في أهل بولينسيا شيء من انحراف العيون او استرسال الشعر

البيض : قسم هكسلي هؤلاء الى قسمين الاول من اشتد بياضه والثاني من ضرب بياضه الى السمرة . اما الاول فيمتاز بطول القامة وببشرة لا يشوبها شيء من اللون عيونهم زرقاء اوضاربة الى الزرقة شعورهم خفيفة يختلف لونها بينه الاصفر والكستنائي جماجمهم طويلة او مستديرة وهم سكان أوروبا الشمالية وأوروبا الوسطى

أما الثاني فيختلف قليلاً عن الاول ويشتمل على الايرلنديين وأهل وايلس والبريطان الاصليين والاسبان والايطاليان واليونان والعرب والارمن والهنود الاريين . وقد اختلط هذا الصنف من البشر بالاوسترالي فكان ولدهما أشد سمرة من الهنود الاريين وهو يشمل عامة سكان الهند

ثم ان تحت كل صنف من هذه الاصناف تباينات تختلف باختلاف الاصقاع والمناطق والاقاليم بما لا يقع تحت الحصر. وترى في الشكل الاول بضعة عشر تباينا في أسيا وحدها بعضها من الصنف الابيض وبعضها من المغول والبعض الآخر من الاوسترالي او من الزنجي . ولعلماء الانسان تقاسيم أخرى غير هذا لا فائدة من ايرادها

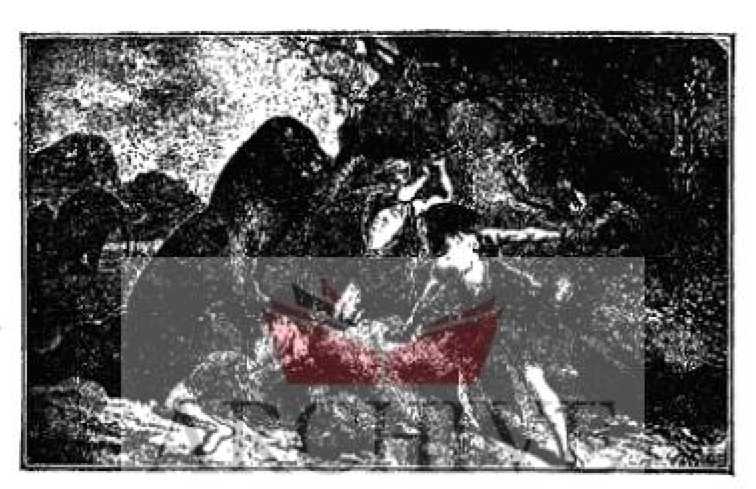
فترى مما تقدم ان هذا التقسيم يشمل جميع سكان الارض . وقد اعتمد هكسلي في وصفه على الاختلافات في الاعضاء لا في الالوان . ومن ينظر في تدقيقه يرى الفرق بين اقسامه لا يتجاوز الفروق الكائنة بين تباينات الحمام والكلاب والجميع يعترفون ان كلاً من هاتين الطائفتين مرجعه الى أب واحد وأم واحدة فلا يصعب اذاً التصديق ان اصل البشر واحد

١ — نظرة عامة في شعوب أوروبا

ولا بد لنا قبل الكلام في تاريخ آداب كل امة من أمم أوروبا على حدة أن نقدم الكلام في قارة أوروبا وما توالى عليها من العصور القديمة بوجه الاجمال فنقول

لكل أمة تاريخ لم يدون في الصحف ولم يكتب في بطون الاوراق . وقد كان من حظ المتأخرين التوصل الى ذريعة تمكن الباحث من الوقوف على بعض حقائق ذلك

التاريخ في العصور الاولى أى قبل اشتهار فن الكتابة بين الناس وحين كانت حياة الانسان حرباً عواناً بينه وبين الوحوش الضارية دفاعاً عن نفسه والتماساً للغذاء ونحن باسطون هذه الطريقة في عرض الكلام اذ لا مشاحة في أن معرفة احوال السلف من الامم من الامور الملذة التي يصبو اليها المطالعون لا سيما بعد ان يقفوا على كيفية توصل العلماء الى التنقيب عن هذه الاحوال .



(ش ٢) الانسان في أوائل أدوار حياته

يكتسي بجلود الحيوان ويدرأ عنه الوحوش بأدوات من الصوان

اتفق للجيولوجيين (علماء طبقات الارض) ان اكتشفوا في مغاثر بريطانيا العظمى وكهوف أوربا الغربية وغيرهما من البلدان بقايا عظام بشرية وعظام حيوانات مدفونة هناك وبينها أدوات وآلات صيدٍ مصنوعة من الصوان (الظران) فعلموا من ذلك ان سكان بريطانيا وسائر البلدان حيث وجدت هذه البقايا كانوا أشبه الناس بسكان اوستراليا الاصليين من حيث قصورهم في المعرفة وعجزهم عن الانتفاع بالمعادن وعدم تهذيب أسلحتهم وأدواتهم مما هو دليل ثابت على قصور تمدنهم . ويتضح من المقابلة ان جماجم هذا الجيل من الناس كانت طويلة ضيقة وعظام الفك كبيرة بارزة ويرجح ان لا مثيل لهم في الاجيال الحاضرة

ثم يتلو ذلك عصر آخر تبين من بقايا سكانه المحفوظة في جوف الارض انهم

أرقى ممن تقدمهم . فانهم كانوا يطبخون أطعمتهم كما يتضح من الفحم والادوات التي تحجرت فيما تحجر من البقايا . أما ادواتهم وأسلحتهم فأحسن مما كانت عليه في العصر السابق ولو كانت نظيرها مصنوعة من الحجر

والمتفق عليه بين علماء الآثار ان اهل هذا الجيل كانوا يطبخون اطعمتهم واكثرها من اللحوم على الحجارة المحمية ويوقدون النار بحك الاغصان اليابسة . وانهم كانوا يقطعون اللحم بشظايا الصوان وكانوا يشربون الماء في قرون الحيوان ويحفظونه في جلوده المدبوغة . وليس بين الآثار المكتشفة شيء من ادوات الخزف فالظاهر انهم لم يعرفوه . أما ملابسهم فكانت جلود الحيوانات التي يصطادونها يخيطون تلك الجلود بابر من العظام وخيوطهم اوتار الحيوانات . ويقول بعض الباحثين انهم كانوا يدهنون وجوههم بأوكسيد الحديد الاحمر لكثرته بين البقايا المحفوظة . والاغلب انهم كانوا يصطنعون العقود من الاصداف والاسنان المثقوبة فقد وجدت هذه بكثرة في مدافنهم . ومما يدلك على مبلغ تقدم هذا الجيل رسم محفور على عظم يمثل ثوراً يرعى ووراءه رجل يتلصص وبيده رمح يصوبه الى الثور ليقتله . فجميع ما تقدم من طبخ الاطعمة وتهذيب الاسلحة والتصوير ولو الى حد بسيط — كل ذلك يشير الى ترقي الجنس في ذلك العصر وهو قبل أيامنا هذه بألوف من السنين . ويظهر بالمقابلة ان جماجم هذا الجيل كانت طويلة والفك الاسفل بارزاً كبيراً . وقد لاحظ العالم دوكنس ان ما تقدم من عاداتهم يماثل عادات الاسكيمو في الزمن الحاضر ولا يبعد ان يكون الاسكيمو نسل الاجيال التي سكنت كهوف انكلترا وفرنسا في غابر الايام

وبعد انقضاء العصرين الذين وصفناهما جاء عصر آخر امتاز أهله عمن سبقهم بميلهم الى الحضارة ,والاهتمام بالاعمال الزراعية بدل الصيد ففاقوا اسلافهم في حسن تحضير أدواتهم الحجرية وصقلها واقتنائهم الحيوانات الداجنة وصنعوا الخزف لاول مرة في تلك الاصقاع ويرجح انهم لم يصلوا الى هذه الدرجة من الارتقاء الا ومصر واشور في معظم تمدنها وقمة مجدها

ويتضح من النظر في بقايا هذا الجيل انهم كانوا قصار القامة جماجمهم طويلة

او بيضوية الشكل مع بروز مؤخر الرأس وصغر عظام الفكين وعدم بروز الاسفل منها ووطوء الجبهة ويظن ان من بقاياهم قبائل الباسك في شمالي اسبانيا وهؤلاء قصار القامة سمر الالوان سود الشعور والعيون طوال الروس

وفي تلك الاثناء طلع على أوروبا شعب جديد وصل الى غربيها وهو الجنس الآري جاءها من اسيا الوسطى وكان هذا الجيل يمتازون عن سكان أوربا المذكورين آنفاً بطول قاماتهم ومعرفتهم عمل البرونز واستخدامهم اياه لصنع أسلحتهم فتسنى لهم ان يطردوا القبائل من بريطانيا وغيرها ويحلوا محلهم وهم أجداد السلتيين (القلت)

ومما هو خليق بالذكر ان اهل عصر البرونز هذا كانوا على جانب عظيم من التقدم يشهد بذلك حسن أدواتهم فانهم كانوا يصنعون البرونز من ١٢ جزءاً من القصدير و٨٨ جزءاً من النحاس وهي النسبة الحقيقية بين العنصرين لصنع هذا المزيج . وزد على ذلك انهم كانوا يعرفون صناعة الحياكة والارجح ان المحوك من الثياب كان لباس المثرين وأصحاب الوجاهة منهم . ومن ازيائهم في ذلك الحين حلق شعر الوجه وجدل شعر الرأس وضمه بدبابيس كدبابيس الشعر المعروفة الآن . وكانوا يتفاخرون بلبس الحلي المصنوعة من الحجارة والعظام والبرونز حتى توصلوا الى استعمال الذهب والكهرباء في الزينة

ومن عاداتهم أيضاً احراق الموتى وحفظ رماد الاجساد في قوارير وكانوا يحرقون مع الميت بعض الادوات والطعام كي يستعملها في عالم الارواح وكانوا يقيمون رجمة على قبر الميت يوالونها بالزيارات والاعياد — تلك كانت حال أوربا في غربيها على الخصوص ثم كان لكل مملكة شأن خاص سنتكلم عنهُ على حدة

باب السؤال والاقتراح

﴿ التلغراف الطبيعي ﴾

(فوه) محمد افندي الصعيدي ماهر

عودنا الهلال أن لا يأتينا بغير المألوف الذي لا ينافي النواميس الطبيعية وكثيراً ما رأيناه انزل صواعق حججه على الدعاوي المخالفة للمعقول التي لم يكن بين الظواهر الكونية ما يؤيدها فجعلها دكاً . ومن الغريب ما رأيناه في الهلال الثاني من هذه السنة جواباً على سؤال لحضرة أسعد افندي سليم فقد أثبت فيه ان للكون تلغرافاً طبيعياً هو « البرق » وانه يمكن استخدامه في نقل الكلام الى جهات بعيدة . وأورد حكايات استدل بها على ذلك ولا انكر على الهلال ما تحدث به الناس على أثر مطالعتهم ذلك الجواب من ان هذا قول خرافة لم يزد السؤال الا غرابة اذ كيف يعقل ان يسمع الانسان قول البعيد عنه بأذنه ويعمل به كأنه يقرأ رسالة بخطه وتوقيعه والواسطة هو البرق وما هو التعليل الذي ينطبق على العقل . نعم ان شرارة البرق كهربائية فهل يمكن استخدامها في مثل ما ذكر بغير ادخال اصلاحات علمية تجعلها صالحة لهذه الغاية . واذا قال احدنا لرفيقه انتظرني اكلمك ليلة كذا بواسطة البرق وكلمه فهل يسمع كلامه . هذه أقوال بعيدة عن التصديق ما لم تكن مؤيدة بالادلة الواضحة والتعليلات المعقولة فنرجو من الهلال ان يزيدنا ايضاحاً وبياناً لتظهر الحقيقة التي هي ضالته المنشودة

﴿ الهلال ﴾ لا يخفى على حضرتكم اننا لم نذكر ما ذكرناه من رواية صديقنا في ذلك الا ونحن نعدّه غريباً عن المألوف كما يظهر من مراجعة جوابنا . ولولا ما نعتقده من تقصير العلم الحاضر عن فهم كثير من الحقائق العلمية ولولا وثوقنا بصدق

الراوي وهو من رجال العلم وقد درس الطب وتخرج في مدرسة من ارقى مدارس العلم والحكمة ثم عاشر البدو وسمع اخبارهم وأكد لنا تواتر هذه الاقوال — لولا ذلك ما استشهدنا بقوله وعددناه من الممكنات

أما امكان المخابرة بالبرق على هذه الكيفية فيؤيده ما استطاعه مركوني من المخابرة بالكهربائية بلا سلك على مسافة مئات من الاميال . وقد كنا اول ما طرق ذلك أذننا نعدهُ بعيداً جداً وربما عدهُ بعضهم مستحيلاً . وأغرب منه المخابرة بالتلفون بلا سلك والواسطة في الحالين الكهربائية — والبرق كما تعلمون شرارة كهربائية . فكيف اذا قيل لنا ان أهل أوربا يتخابرون بالتلفون بلا سلك ولا برق صدقناهم واذا قيل ان غيرهم يتخابرون بالبرق انكرنا ذلك وعددناه من الخرافات والمبدأ واحد في الحالين . على ان امكان وقوع ذلك في البادية لا يستدعي حدوثه في المدن أو في جوارها لاسباب عديدة منها ان البادية اهدأ جوًّا من المدن وأهل البادية اصفي ذهناً وأدق سمعاً من أهل المدن كما هو مشهور . وزد على ذلك ان حضرة الراوي اشترط في تلك المخابرة ان تكون في الليل وان يكون ذلك الليل هادئاً

أما تقصير اهل العلم الحديث عن تعليل امثال هذه الغرائب فلا غرابة فيه وهم يعترفون بتقصيرهم عن تعليل كثير من حوادث التمدن القديم . وفي اطلال الفراعنة بأعالي الصعيد من غرائب الصناعة ما لا يستطيعون تعليله الا اذا اقروا المصريين القدماء باكتشافات في العلم والصناعة لم يتصلوا هم اليها — ترى في مدافن سقارة وبيبان الملوك وفي كثير من بقايا الهياكل المصرية دهاليز وأروقة منحوتة في الصخر الى مسافة مئات من الامتار يميناً وشمالاً . وفي جدران بعضها نقوش دقيقة منحوتة في الصخر . وعلى بعض الاضرحة الصوانية هناك كتابات منقوشة بقلم دقيق واكثرها رسوم دقيقة الحفر . تدخل الى تلك المدافن اليوم من باب منقور في الصخر الى دهاليز من ذلك الصخر تستطرق الى غرف من الصخر ولا تستطيع مشاهدة شيء مالم تضيء الشموع أو المشاعيل وتدنيها من الجدران وتتفرس بملء بصرك — فكيف اشتغل المصريون القدماء في نحتها ونقش ما عليها من الرسوم وبأي نور استضاؤا . هل

كانوا يعرفون النور الكهربائي أو نوراً يشبهه لم نعرفه . ام كانوا يستضيئون بنور المغنيسيوم وأهل العلم لم يعلموا شدة نوره الا من امد قريب . . ؟

بين الاحجار الكريمة القديمة أحجار لا تذوب في النار ولا يؤثر فيها الفولاذ وترى عليها نقوشاً من الدقة بحيث يعجز صناع هذه الايام عن مثلها الا باستخدام احدث الآلات — فكيف نحتها اولئك وبأي الادوات استطاعوا ذلك . لا نعلم

ناهيك بما لا يزال غامضاً من أسباب رفع الاثقال وتحنيط الموتى وتحضير الاصباغ الزاهية التي تصبر على المؤثرات الجوية قروناً متطاولة ولا يطرأ عليها تغيير وقس على ذلك كثيراً من فنون التمدن القديم التي ضاعت بضياعه

وأهل السياحة متفقون على ان في الامم المتوحشة كثيراً من أمثال هذه الغرائب يروون حوادثها ولا يعلمون تعليلها — حدثنا صديق آخر رافق الجنود المصرية التي سارت لمحاربة الدراويش فى دنقلا ان البرابرة في اصوان كانوا يطلعون على ما يجري في المواقع الحربية من حوادث القتل وغيرها قبل ان تعرفها الحكومة مع انها تتخابر بالتلغراف ولم يستطيعوا تعليل ذلك بعد . ومن هذا القبيل ما رواه مكاتب السبكتاتور عن أهل الترانسفال وروى غيره امثال ذلك عن أهل الهند والصين وغيرهما

وخلاصة القول ان غرابة المخابرة بالبرق لا تدل على استحالتها . فهي من الممكنات قياساً على استطاعة أهل العلم المخابرة بالكهربائية بلا اسلاك . فعسى ان يوافينا اهل الاطلاع الذين خالطوا الامم البعيدة عن العالم المتمدن بما بلغ اليهم من أمثلة هذه الحوادث

﴿ وسائل النجاح — واولها الصدق ﴾

(مصر) اسكندر افندي موسى سليمان

ما هي الطريقة لنجاح الصانع اذا كان متقناً صناعته بكل فروعها وهو لا يرى منها الا التأخير . وهل لاعمال الانسان علاقة بالبخت أو عدمه

﴿ الهلال ﴾ اذا أتقن أحد صناعة او فناً أو أي مهنة من المهن فقد أسس

لنفسه مستقبلاً ثابتاً . وأما النجاح فيختلف مقداره باختلاف اخلاق ذلك الصانع اكثر مما يتفاوت درجة عقله . وأول أسباب النجاح « الصدق » ثم « الثبات » . والصدق مقدم على سائر الاسباب لانه ينبوع سائر الفضائل كما ذكرنا في غير هذا المكان . و يسوءنا ما يعتقده قليلو الاختبار من قلة تأثير الصدق في النجاح حتى سمعنا بعضهم يقول « لا ينجح في الدنيا غير المنافق » واذا قيل لهم ان فلاناً لم ينجح في تجارته او صناعته قالوا « لم ينجح لانه لا يعرف الكذب والتلاعب » فهذه الاقوال وأمثالها أوهام نشأت عن الاستقراء الناقص وقلة الاختبار . على ان الصانع الصادق قد يفشل ويضيع أمواله ولكن ضياعها لا يكون ناتجاً عن صدقه بل من قلة ثباته او من جهله دقائق صناعته او غير ذلك من الاسباب او الطوارئ . وأما الصدق فاننا نجله عن ان يكون سبباً لسيئة من السيئات او لضرر من الاضرار وهو أبو الفضائل وأساس الحسنات

علم ابنك الصدق والصدق يعلمه كل فضيلة — هذه هي قاعدة التربية الصحيحة عندنا وهذا هو اساس المعاملات على اختلاف مصادرها ووجهاتها . ولا يكون نجاح ثابت الا بالصدق وهو ما يعبرون عنه بالاستقامة والامانة . ولا عبرة بما قد يعتور الصادق من بطء النجاح فانه اذا صبر لا بد من نجاحه . ولذلك قرناً الصدق بالثبات فاذا توخاها صانع متقن لصناعته فالنجاح مكفول له دائماً — الا ما قد يشذ عن هذه القاعدة لاسباب خصوصية والشاذ لا يقاس عليه . ولا يغرنك نجاح اساسه الكذب فانه كالبيت المؤسس على أحجار الملح لا تلبث اذا أمطرت السماء ان تذوب و يسقط ذلك البيت ويكون سقوطه عظيماً

اما البخت أو الحظ او التوفيق او ما يعبرون عنه بأمثال هذه الالفاظ ومرجعه كله الى الطوارئ الخارجية التي لا يملك الانسان جذبها أو دفعها فلا ننكر تأثيرها في نجاح الانسان او فشله ولكننا لا نعتقد انها اساس لهما . على اننا اذا توسعنا في المراد بتلك الطوارئ رأينا مواهب الانسان من جملة نتائجها فلا يبقى ثم مجال للبحث . على ان المراد عادة في أمثال هذه الابحاث تجريد مواهب

الانسان من تلك الطوارئ وعليه فيكون الاصل في نجاح الانسان راجعاً الى صدقه وثباته ومهارته في فنه اكثر مما الى الطوارئ التي تطرأ عليه . والرجل الحازم يتلافى تلك الطوارئ بدرايته وحكمته وقد يستخدم مايعده غيره ضارًا و ينتفع به بين ان الخامل الاحمق يسيء استخدام الطوارئ النافعة فلا يجني منها الا الضرر

﴿ الوقتان الافرنجي والعربي ﴾

(السباعية) صادق افندي عبد الملك ناظر المحطة

اذا أخذنا ساعة ذات ميناوين ضبطنا احدهما على الوقت الافرنجي والآخر على الوقت العربي واخترنا لذلك يوماً يكون فيه الغروب موافقاً للساعة السادسة افرنجية فجعلنا الساعة العربية ١٢ والافرنجية ٦ ولم نغفل عن تدوير الساعة في كل يوم بدون ان نعترض سير العقارب بتقديم أو تأخير . فهل تبقى النسبة بين الميناوين واحدة ام تختلف باختلاف الفصول من التقديم والتأخير بحيث توافق ساعة الغروب الساعة الخامسة افرنجية او السابعة او ما بينهما والا فما هو سبب حصول هذا الفرق في الساعة

﴿ الهلال ﴾ اذا كانت الساعة مضبوطة ضبطاً تاماً فالميناوان يظلان على الضبط الاول ولا يصيبهما تغيير البتة اي يظل الفرق بينهما ست ساعات دائماً . وأما ما يقع من الاختلاف بينهما عادة فهو ان الانسان يقدم العقارب أو يؤخرها تبعاً للفصل . وهذا التغيير انما تحتاج اليه الساعة المضبوطة على الوقت العربي لانها تابعة في ضبطها لوقت شروق الشمس وغروبها وهما يختلفان باختلاف الفصول تبعاً لطول النهار او قصره فلا بد من التقديم او التأخير في كل مساء او صباح . بخلاف الساعة المضبوطة على الوقت الافرنجي فان قاعدة ضبطها بلوغ الشمس خط الهاجرة (الظهر) وهو واحد على مدار السنة أي ان الشمس تدرك ذلك الخط كل يوم كما ادركته في الامس وكما تدركه في الغد فلا تحتاج الساعة الى تقديم أو تأخير

المبادئ التجارية (٢) المدارس التجارية (٣) المدارس التجارية العليا (٤) المدارس التجارية العلمية (٥) كليات التجارة

مطبوعات جديدة

﴿ الاخلاق مجموع عادات ﴾ هو خطاب طويل لحضرة عيسى افندي اسكندر معلوف مدرس البيان العربي والعلوم التعليمية في المدرسة الشرقية للروم الكاثوليك في زحلة القاه فيها و بين الادلة على اتصال الاخلاق بالعادات وهو بحث فلسفي أدبي جليل

﴿ الروايات اليعقوبية ﴾ هي سلسلة روايات لحضرة يعقوب افندي متى منصور المنياوي بادارة السكة الحديدية المصرية صدر منها الرواية الاولى معربة بقلم حضرته عن الانكليزية اسمها شرك الهوى وهي أدبية غرامية انتقادية ولكنه لم يذكر اسم المؤلف الاصلي فعسى ان يلاحظ ذلك في الروايات التالية

﴿ الدروس الابتدائية في مبادئ الجغرافية ﴾ هو كتاب يدل اسمه على موضوعه الفه حضرة سيد افندي محمد مدير المدرسة التحضيرية ورئيس جمعية الاتحاد الاسلامية على مايطابق مقرر السنة الاولى الابتدائية حسب بروجرام نظارة المعارف العمومية الاخير ثمن النسخة خمسة قروش وتطلب من حضرة المؤلف

﴿ الساحر العليم ﴾ هو كتاب حسابي فكاهي يعوّد العقل على حل المشكلات الرياضية ويروض القوى العقلية . تأليف حضرة محمود افندي سلامة قال في مقدمته ان بعض أصدقائه شكا اليه جفاء ابنه لعلم الحساب وتأخره لذلك ثلاث سنوات مدرسية وتقدم اليه ان يرغبه في الرياضيات فاحتال في تشويقه الى ذلك بالعاب حسابية تحتاج الى أعمال الفكرة و يلتذ بها العقل ففاز بما أراد وحمد عاقبة ذلك المسعى . فرأى ان يجمع تلك الالعاب وأمثالها و ينشرها للناس فجمعها في كتاب سماه الساحر العليم لاحتوائه على مسائل ظاهرها سحر و باطنها علم للسر . وهو كتاب جمع بين الفكاهة والفائدة وثمنه قرشان و يطلب من مكتبة الترقي ومكتبة الشعب بمصر

﴿ علم الاخلاق ﴾ للامام الشيرازي رسالة في الاخلاق جزيلة النفع عني بطبعها ونشرها حضرة عبد الحليم افندي صالح المحامي وصدرها بمقدمة في فلسفة الاخلاق وجعل ثمن النسخة من الكتاب ثلاثة قروش وهو يطلب من حضرته

﴿ التحفة العامية ﴾ هي كتاب بلغة عامة لبنان بشكل رحلة منسوبة الى رجل ذكر فيها رحلته الى سوريا فلبنان بعد غيابه عنهما مدة في اميركا . فبسط عادات اللبنانيين وأخلاقهم وآدابهم الاجتماعية بطريق الحديث بين « فنيانوس » و« أبو الاجران » بعبارة جدية في قالب الهزل المضحك . وفي ذيل الكتاب فصلٌ في تاريخ الصحافة العربية بالبرازيل مع رسوم اربابها وكتابها . والكتاب رقيق المبنى يشتاق المطالع لاستتمام مطالعته وهو يطلب من ادارة المنارة في سان باولو وادارة الصواب في ريوجنايرو ومن عموم المكاتب في العاصمتين

﴿ التهذيب ﴾ هي جريدة تهذيبية ادبية علمية تاريخية دينية لطائفة الاسرائيليين القرايين بمصر تصدر مرة في الاسبوع لمنشئها ومحررها مراد افندي فرج المحامي . وهي أول جريدة عربية صدرت بمصر لهذه الطائفة . بدل اشتراكها عشرة قروش في السنة ويدل ذلك على ان الغرض منها خدمة الطائفة الاسرائيلية لان هذه القيمة لا تكاد تقوم بثمن الورق . وقد دخلت « التهذيب » في سنتها الثانية فنهنئها بذلك ونرجو لها الثبات

﴿ سفينة النجاة في قواعد النحاة ﴾ اهدانا حضرة الاخ بيلاج مفتش اللغة العربية في مدارس الفرير الجزء الثالث من سفينة النجاة في قواعد النحاة وهو يشتمل على قواعد النحو بعبارة واضحة مضبوطة بالشكل الكامل وفي ذيل كل باب أو فصل تمرين على القواعد التي مرت على اسلوب يصلح للتدريس في المدارس . والكتاب مطبوع طبعاً نظيفاً متقناً وفي ذيله فصل فيه مجموع مواضيع انشائية . فنشكر لحضرة الاخ المشار اليه على هذه الهدية الثمينة ونحث المدارس على التعليم به

﴿ رحلة حديثة الى صحراء افريقية الكبرى ﴾ صدرت الارادة السنية الى صاحب السعادة صادق باشا المؤيد احد حجاب الحضرة السلطانية بالسفر الى كفرة

في وسط صحراء افريقيا جنوبي بنغازي فسافر اليها وتوغل في الصحراء حتى بلغ الى آخرها . فوصف ماشاهده هناك من القبائل والممالك والعادات والاخلاق ومن جملتها ممالك السودان الغربي مثل وداي وبورنو وغيرهما مما تشتاق النفس للاطلاع عليه من قلم رحالة شرقي من أهل الوجاهة والعلم . فنحث محبي الاطلاع على اقتناء هذا الكتاب وهو يطلب من مطبعة معلومات في الاستانة العلية وثمنه خمسة قروش

﴿ ترجمان في اربع لغات ﴾ اهدانا حضرة ميرزا حسين خان طبيب زاده رئيس مدرسة وجزيدة كمال الفارسية في تبريز نسخة من كتاب يحتوي على مخاطبات في اللغات الاربع العربية والفارسية والتركية والروسية تأليف حضرة ميرزا يحيى بك حقو بردي جعل الصفحة أربعة حقول لكل لغة حقل . وهو أول كتاب جمع هذه اللغات معاً وله فائدة كبرى للذين يتوخون السياحة في بلاد فارس وتركستان وروسيا من ابناء بلادنا وغيرهم من المشارقة . والغرض الحقيقي من نشره التأليف بين المسلمين على اختلاف الاصقاع اللغات

﴿ غادة العرب ﴾ هي مقامة أدبية في قالب التمثيل تأليف حضرة عبدالله افندي حسين خوجه بمدرسة الآداب في الزقازيق وهي تطلب من حضرته

﴿ حديث ليلة ﴾ . هي رواية أدبية فكاهية غرامية تأليف اسكندر دياس الكبير نقلها الى العربية المرحوم الشيخ نجيب الحداد وفي شهرة المؤلف والمعرب مايغنينا عن الاطناب . وقد طبعت بنفقة مطبعة المعارف وتطلب من مكتبتها وثمن النسخة قرشان ونصف .

﴿ المصري ﴾ جريدة علمية مدرسية تصدر في الاسكندرية مرة في الاسبوع لجمعية التلامذة الاسلامية ويحررها مدير الجمعية المذكورة التلميذ علي افندي عبد الكريم المصري . غرضها تنشيط التلامذة وتحريضهم على الدرس والمحافظة على الوقت والتمسك بالاسلام . بدل اشتراك الجريدة عشرون قرشاً وهي تدرج كل ما يختص بالمدارس مجاناً فنتمنى لها النجاح في ذلك الغرض الشريف

﴿ الحقائق ﴾ هي جريدة سياسية تجارية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها

قاسم افندي محمد بدل اشتراكها ثلاثون قرشاً في السنة فنتمنى لها الثبات والاقبال

﴿ اسرار القصور ﴾ هي رواية من أعمال « جمعية القصاص السري » تبحث في « ماهية الروح ومحالها من الجسد » وعن التنويم المغنطيسي الشائع في أوربا وعن الزار والمندل بالاقطار الشرقية تأليف محمد افندي حسين محرر جريدة البوسطة وهي تطلب من حضرته

﴿ الحال بين العامة ﴾ هي رسالة دينية أدبية تهذيبية تأليف عبد العزيز افندي فتحي الجورجستاني بمحلة نصره بحيره قال في الغرض من تأليفها « لما رأيت أحوال الامة في ارتباك ولاحظت الركون الى الخرافات المبتدعة أشد فقد اطلت الفكر في تلك البدع التي تجري بين ظهرانينا ... فوضعت هذه الرسالة أبين فيها فساد تلك البدع » والكتاب يطلب من صاحبه وثمنه خمسة قروش

﴿ الروايات الشهرية ﴾ صدرت الرواية الثامنة من مجلة الروايات الشهرية واسمها « ياقلبي مالك والهوى » تأليف نسيب افندي المشعلاني وثمن النسخة من هذه الرواية ثلاثة غروش والمخابرة بذلك وبالاشتراك في المجلة مع يعقوب افندي الجمال في عزبة الزيتون بمصر

﴿ مراقي الترجمة ﴾ صدر الجزء الثالث من كتاب مراقي الترجمة بين الانكليزية والعربية لتلامذة السنة الثالثة من المدارس الابتدائية المصرية تأليف حضرات الافندية ابو زيد فايد وعبد الحميد الشربيني ومحمد عثمان عطاالله من مدرسي مدرسة الناصرية ومتخرجي مدرسة المعلمين الخديوية وثمن النسخة قرشان ويطلب من حضراتهم

﴿ مجموع قواعد طبية أدبية ﴾ اصدرت الجمعية الطبية الاميركانية كتاباً بهذا الاسم في الانكليزية تذكر الاطباء بواجباتهم نحو مرضاهم وفيما بينهم وتحرضهم على التعاضد لرفع شأن الطب وتبين واجبات المرضى نحو الاطباء وغير ذلك . وقد عني بنقل هذا الكتاب الى العربية الدكتور سليم افندي طانيوس غصن ملازم أول في الجيش المصري وطبع في المطبعة اللبنانية في بعبدا (لبنان) ويطلب منها

﴿ الاتجار بالنساء ﴾ هي الرواية العاشرة من روايات مسامرات الشعب تعريب

حسن افندي توفيق الدجوي ضابط بوليس وهي كسائر روايات هذه المجموعة جامعة للفكاهة والفائدة

(مجموعة الاسبوع) جريدة الاسبوع كانت تصدر في القاهرة عام ١٩٠٠ ثم توقفت وقد بقي منها مجموعات من الجزء الاول الى الجزء الخامس عشر في مجلد واحد وفي المجموعة نحو أربعين رسماً متقناً لمشاهير الرجال وتطلب من مكتبة الهلال وثمن المجموعة خمسة قروش وأجرة البوسطة قرش

(معرض الفكاهة) صدر الجزء الاول من هذا الكتاب في قطع صغير يحمل في الجيب وهو من مطبوعات مطبعة المكتبة الجديدة بشارع كلوت بك بمصر وفيه نكت وفكاهات منثورة ويباع في المكتبة المذكورة

(منظومة) هي منظومة اهل السلسلة النقشبندية الخالدية طبعت بنفقة حضرة محمود افندي قاسم بمصر وتوزع مجاناً لاهل السادات النقشبندية الخالدية

(قائمة المكتبة الجامعة)

ان هذه المكتبة الشهيرة لصاحبها خليل افندي الخوري . أنشأها سنة ١٨٧٧ والنهضة العربية لا تزال في أوائلها والمطبوعات تعد على الاصابع . وقد عرفناه يومئذ وكنا أول من بشره بمستقبل مجيد بالنظر لما عايناهُ من ثباته ونشاطه واستقامته. فتحقق قولنا والحمد لله فاتسعت المكتبة واشتهرت وعظم شأنها بالنمو التدريجي حتى جاءتنا قائمتها للسنة الخامسة والعشرين من انشائها وهي بين ايدينا وفي صدرها مقدمة في تاريخ المكتبة وما لاقاه صاحبها من المشقة في تأسيسها. ثم فصل في شروط المكتبة تليه بيانات وايضاحات ثم مطبوعات مكتبة الجامعة وهي نحو ثلاثين كتاباً . ويلي ذلك شرح عما يباع فيها من الكتب وهي تعد بالمئات على اختلاف المواضيع وفيها الكتب اللغوية والتاريخية والعلمية والمدرسية وغيرها . فنهنئ صديقنا المشار اليه بما توفق اليه من النجاح بسعيه وجده ونتمنى له ولمكتبته دوام الارتقاء

١ — بلوچستان وأميرها

﴿ بلوچستان ﴾ هي مملكة شرقية واقعة في أقصى بلاد فارس بينها وبين الهند وافغانستان. فالهند في الشرق وفارس في الغرب وافغانستان في الشمال. وأما من الجنوب فيحدها البحر العربي. مساحتها نحو ١٣٠,٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٥٠٠,٠٠٠ نفس. وهي تقسم الى أجزاء بعضها مستقل بنفسه و بعضها تابع للهند والبعض الآخر تحكمه انكلترا باسم أمير بلوچستان كما سترى

وكانت بلوچستان (او بلوشستان) قديماً معرضة لمثل ما تعرضت له بلاد فارس من الفتوح ونحوها. وأقدم ما ذكروه من تاريخها ان الاسكندر مرَّ بها في أثناء مسيره الى الهند وكانوا يسمونها يومئذ بلاد الاوريتي والكدروسي. ثم كان نصيبها مثل نصيب بلاد فارس حتى فتحها العرب نحو القرن الثامن . وكان اسمها عندهم مكران او هي جزء من مكران وكانت عاصمتها قصدار . وأما اسمها الحديث فمنسوب الى قبيلة البلوچ او البلوش والمؤرخون مختلفون في أصلهم . ويظن البعض انهم جاؤها من بلاد العرب أو صحاري سوريا ودليلهم على ذلك ان عندهم صنفاً من الخيول كالجياد العربية تماماً — ولا غرابة في حدوث ذلك بعد الفتح الاسلامي . ولا يبعد حدوثه قبله لقرب سواحل عمان من سواحل بلوچستان ولكن لو صح ذلك لظهر أثره في لغة القوم وفي آدابهم الاجتماعية وفي ملامحهم

وفي هذه المملكة شعب آخر أقوى من البلوچ يقال له البرهوية هم أشراف المملكة ومنهم ينتخب الامراء والقواد . وهناك أيضاً شعوب أخرى وفيها الفرس والافغان والهنود وغيرهم . وأما السلطة فهي في أيدي البرهوية ومنهم أمراؤها ويسمى أميرهم « خان » كما يسمى أمير الهند « راجا » وأمير مصر « خديوي »

وظلت بلوچستان غنيمة للغالب من أمراء الهند وأمراء افغانستان وفارس حتى تولاها البرهوية . واول من تولاها منهم رجل اسمه كمبر في أواخر القرن السابع عشر . وذلك انها كانت في حوزة أمير السند وسطا عليها بعض قبائل افغانستان فاستنجد الامير بعض سكان الجبال من البرهوية فأنجدوه وزعيمهم كمبر وأخرجوا

الافغانيين منها فرأى كمبر القوة العسكرية في يده وليس من يقوى على دفاعه فاستخرج الملك لنفسه وتوالى الحكم في أعقابه الى اليوم

على ان تاريخ الامراء الاولين من هذه العائلة مظلم وأول من ذكر منهم عبدالله خان رابع أعقاب كمبر . فقد كان من رجال المطامع ففتح بعض البلاد التي كانت تابعة لمملكة السند بجواره . وفي اثناء هذه الحروب ظهر نادر شاه الفاتح الفارسي الشهير الذي يسميه المؤرخون نابوليون الشرق (راجع ترجمته في الهلال ٢٢ من السنة السابعة) . وفي اثناء خروجه على الهند بعث بعض رجاله ففتح له بلوچستان وأيد سلطته فيها . فظل عبد الله خان أميرًا عليها باسم نادرشاه ولكنه ما لبث ان قُتل في بعض حروبه مع ملك السند فخلفه ابنه الاكبر حاجي محمد خان وكان شديدًا طماعًا فأكثر الضرائب والعشور فكرهه الناس . وكان له أخ اسمه نصير خان رافق نادر شاه اثناء حربه في دهلي فأحبه الشاه ووثق به . فلما عاد الى بلوچستان ثار الاهلون على أخيه وطلبوا الى نصير ان يتولى مكانه فلم يستطع ذلك الا بقتل أخيه ففعل وتولى « المسند » مكانه . ورفع بذلك تقريرًا الى نادرشاه وكان في قندهار فسر بالخبر وكتب الى نصير خان فرمانًا يثبته فيه على بلوچستان مع لقب بكلربكي سنة ١٧٣٩

وكان نصير خان ذكيًا حازمًا فبذل قصارى جهده في ارجاع الامن والطمأنينة . ولما توفي نادرشاه أصبحت بلوچستان تابعة لافغانستان تحت سلطة احمد شاه فهان على نصير خان الاستقلال . وفي سنة ١٧٥٨ صرح باستقلاله فبعث احمد شاه جندًا لاخضاعه فحاربه نصير خان وردَّه خاسرًا فجرد احمد شاه كل جنده وجاء هو بنفسه وحاصر كلات عاصمة بلوچستان حصارًا شديدًا ولم يفتحها . فانتهت الحرب بمعاهدة صلح تقضي على نصير خان ان يعطي ابنة عمه زوجة لملك الافغان . وان لا يدفع جزية الا اذا احتاج الشاه للتجنيد فيدفع نصف رواتب الجند . وتوفي نصير خان سنة ١٧٩٥ وهو شيخ كبير وترك ثلاثة أولاد فخلفه ابنه محمود خان وكان ضعيفًا فلم يستطع جمع كلمة عماله فاستقل اكثرهم بما كان في يده وانحصرت مملكة بلوچستان وضاقت مساحتها . ثم خلفه أخوه محراب خان سنة ١٨١٩

واتفق في اثناء امارة محراب ان جندًا انكليزيًا كان سائرًا الى افغانستان فمر بمضيق بولان في حدود بلوچستان بين الهند وافغانستان . وبلغ قائد ذلك الجند ان محرابًا عامل على اعتراض سبيله وعرقلة مساعيه فخاف على جنده منه فأرسل الف مقاتل لفتح كلات ففتحوها وقتلوا نحو اربعمئة من أهلها وفيهم محراب خان نفسه وأسروا الفين. ثم تبينوا بعد البحث ان الخيانة لم تكن من محراب خان بل من وزيره محمد حسين طمعاً منه بالاستيلاء على الحكومة بعد مقتل محراب لان ولي عهده كان لا يزال طفلا . فكانت نتيجة سعيه تمهيد السبيل لحكومة الانكليز

وفي سنة ١٨٥٤ عقدت بين حاكم الهند وخان كلات معاهدة تقضي على انكلترا بدفع ٥٠,٠٠٠ روبية كل سنة على ان يكون الخان ورجاله انصارًا لها اذا تعدى أحد على أملاكها بجوار الهند هناك وان يمنعوا قطاع الطرق على الحدود وشروط أخرى وكان على مسند بلوچستان عامئذٍ نصير خان (الثاني) فتوفي سنة ١٨٥٧ فخلفه أخوه خداداد خان (عطية الله) فتجددت المعاهدة معه سنة ١٨٧٦ ومن شروطها ان يكون المال الذي تدفعه انكلترا ١٠٠,٠٠٠ روبية في السنة بدل ٥٠,٠٠٠ وفي مقابل ذلك اصبحت ولاية كويتة يحكمها ضباط انكليز

وفي سنة ١٨٩٣ استقال خداداد وسبب استقالته انه قتل وزيرهُ فأوعزت اليه انكلترا ان يستعفي حفظاً لكرامته ففعل فولوا مكانه ابنه مير محمود خان الامير الحالي

وتقسم بلوچستان الآن الى خمسة أقسام (١) بلوچستان المستقلة وهي التي يحكمها الخان ورجال حكومته وعاصمتها مدينة كلات (٢) كويتة وبولان في الشمال يتولى حكومتها الانكليزية باسم الخان (٣) بلوچستان الانكليز وهي عبارة عن بلاد كانت تابعة لافغانستان (٤) بعض قبائل البلوج على حدود الهند (٥) بعض قبائل البلوج المعروفين بالمرية والبگتية

عاصمة بلوچستان الكبرى اليوم كلات المذكورة وفيها يقيم الامير وجنده وهي واقعة في أعالي المملكة على جبل علوه ٧٠٠٠ قدم عن سطح البحر . مساحتها ثمانية أميال في ثلاثة وفيها كثير من البساتين والمغارس . يحيط بها من ثلاث

جهات سورٌ علوه عشرون قدماً وقد قطع الجبل من الجهة الرابعة قطعاً عمودياً بحيث لا يمكن الصعود عليه . وقصر الخان مبني على قة ذلك الجبل وحولهُ سور منيع . ويقدّرون بيوت هذه العاصمة بنحو ٢,٥٠٠ بيت ما خلا الضواحي . واكثر الابنية من الطوب المشوي شيأً قليلاً . يستقي أهلها من ماء جارٍ من عين في سفح جبل تجاه المدينة

﴿ مير محمود خان ﴾ قد علمت مما تقدم ان خان بلوچستان الحالي ابن خداداد من عائلة البرهوية . تولى الحكم سنة ١٨٩٣ ويسمى أيضاً خان كلات نسبة الى عاصمة امارته . وقد نال من حكومة الانكليز لقب سير . فهو السير مير محمود خان . واذا سلموا عليه رسمياً أطلقوا ١٩ مدفعاً — وأمراء الهند تتميز رتبهم بعدد ما يطلق لهم من المدافع . ولامارته الخاصة دخل مقدارهُ نحو ٥٠٠,٠٠٠ روبية

لباسه العمامة وعليها وسامات مرصعة . وهو يتقلد السيف ويكتسي برداء عليه أشباهُ الاغصان من الرسوم الملونة . اذا جلس تشاغل بملبة النشوق بين يديه ولباسهُ على اجمالهِ لا يزال على الزي الفارسي القديم كما ترى صورته في صدر هذا الهلال وهو جالس على كرسي وقد اسند السيف الى فخذه

ليس لامير بلوچستان جند الا ١٢٠٠ رجل أقامهم لنفسه . على انه اذا أراد التجنيد اجتمع اليه نحو ١٠,٠٠٠ من رجال القبائل على غير نظام . دخلهُ السنوي عبارة عن ١٠٠,٠٠٠ روبية تدفعها اليه حكومة الهند الانكليزية يضاف اليها ٢٥,٠٠٠ روبية مقابل تخليه عن حكومة كويتة . وجزءٌ من ٥٠٠,٠٠٠ روبية صافي دخل البلاد المتقدم ذكرهُ قل انه الربع فيكون مجموع دخل الخان ٢٧٥,٠٠٠ روبية أي نحو ٦٠٠,٠٠٠ فرنك



باب المقالات

فيكتور هوكو

وعلم الادب عند الافرنج والعرب

جاءنا من كاتب فاضل عرف قراء الهلال علمهُ وفضله مما قرأوه له عن فيكتور هوكو وبرتلو في السنة الماضية ولو لم يعرفوا اسمه — رسالة طويلة في فيكتور هوكو وعلم الادب عند الافرنج والعرب درس فيها طريقة هوكو الادبية التي أوجدها في الفرنساوية ونسبت اليه وبين علاقة ذلك بالادب عند العرب . والرسالة طويلة وفيها خلاصة تاريخ الادب عند العرب ثم عند الى الافرنج والعلاقة بينهما . ننشرها تباعاً حرصاً على فوائدها قال :

١

أدب كل لسان ما حصل فيه الاجادة من الكلام المنظوم والمنثور . ويشتمل على فنون الشعر والاغاني والروايات والقصص وضروب الامثال والحكم والنوادر والحكايات والمقامات والتاريخ والسياسة والرحلة وغير ذلك . وقد جمع نخبة من كلام العرب المتقدمين كتاب مجاني الادب المطبوع في بيروت . والاصل في الكلام للمعاني لا للالفاظ . لان اللفظ قالب أو ظرف للمعنى يتخذهُ المتكلم أو الكاتب اسبك ما يصوّره في نفسه ويشكله في قلبه من المعاني فينقل بذلك مقصوده للسامع أو القارىء حتى يعلمه كأنه يشاهده . قال الشاعر :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالاقتدار على الابانة عن المعاني الكامنة في النفوس يسمى « الفصاحة » و « البيان » لان المتكلم يفصح عما في ضميره ويبينه بكلمات عذبة سلسة وبعبارات جلية خفيفة على القلب واللسان . فالمتكلم على هذا النسق « فصيح » وكلامه ملفوظاً كان أو مكتوباً « كلام فصيح » . وحيث كان المعنى سابقاً للفظ وجب أن تكون

الالفاظ تابعة للمعاني وخادمة لها . وليس المعنى تابعاً للفظ كما حكي عن بعض الامراء انه ولى أحدهم قضاء « قُم » وهي من مدن العراق العجمي بين طهران وكاشان ثم كتب اليه بلا سبب موجب « أيها القاضي بقم قد عزلناك بقم » يعني بلفظ « قم ». فقال القاضي والله ما عزلني الاّ محبة الامير في التزام السجع . ولا يكمل علم الادب للمتبحر فيه الاّ بعد أن ينظر في أدب الامم المتمدنة ولو نظرةً عامةً يطلع بها على مجمل تاريخ أدبهم وعلى بعض ما ترجم من مؤلفات المشاهير من كتبهم . فيقف على ما عندهم من سعة الفكر وسمو الادراك وبلاغة المعاني ويعرف أساليبهم في النظم والنثر وتصرفهم في الكلام ويميز بين طرق المتقدمين والمتأخرين منهم

فاذا احاط علمه بذلك فهم الغرض الذي يتطلبه أئمة البلاغة من أي لسانٍ وملةٍ ورأى الهدف الذي يروم كل منهم اصابته فيصوّب نحوهُ القلم عسى أن يكون له مع الخواطئ سهم صائب . لأن البلاغة لا تختص باللسان العربي وحده . وكلما ارتقت الامة في سلم الحضارة كان لسانها أبلغ وأدبها أوسع وأكمل لتهافت أدبائها على تنسيق الكلام وتهذيب مناحيه وفنونه فيدركون بالتدريج حقائق المعاني التي ربما استعملها آباؤهم وأجدادهم في غير مواضعها بسبب الجهل الناشئ من ضيق العمران وقلة العلوم ويفرغون ما أوجدوه وما أصلحوه من المعاني في قوالب تناسبها من الالفاظ والتراكيب . « فالبلاغة » هي مطابقة اللفظ للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في افادة المعنى المقصود الذي يقتضيه الحال والمقام . وفي المثل لكل مقام مقال . سواء كان المقال أي اللفظ عربياً فصيحاً باعراب أو حضرياً بلا اعراب أو اعجمياً بأن كان عثمانياً [1] أو انكليزياً أو فرنساوياً أو فارسياً . أو غير ذلك . فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى التركيب المفيد لمقصوده على أساليب العرب وانحاء مخاطباتهم . وينظم الكلام على ذلك الوجه

(١) اللسان العثماني هو المسمى باصطلاح الناس « اللسان التركي » ويتألف من ثلاث لغات احداها لسان جغتاي وهو أصل اللسان التركي . وثانيها اللسان العربي وثالثها الفارسي . وأول من وضع قواعد اللسان العثماني في عصر الاصلاح هو جودت باشا المؤرخ الشهير

قدر ما يتيسر له . فاذا لازم قراءة الطبقة العالية من كلام العرب الاقدمين حصلت له ملكة فيه وسهل عليه التركيب على أسلوبهم حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب . وان سمع تركيباً غير جار على ذلك المنحى نبا عنه سمعه . واذا أكثر اشتغاله بالترجمة والكتب المترجمة كانت أساليبه أعجمية مع بقاء الالفاظ في كلامه عربية . كما يتضح لمن أمعن النظر في رسائل ابن رشد المطبوعة في أوربا ومنها ما طبع في مصر . وفي رسائل غيره من فلاسفة الاسلام وأهل المنطق . فانه يرى فيها الاساليب الاعجمية واللهجة التي لم يلهجها أدباء الجاهلية

وامتاز لسان العرب وخصوصاً لغة مضر بخاصتين : الاولى تشمل حركات الاعراب في اواخر الكلم وكيفية تركيب الالفاظ . فالحركات هيَ التي تدل في لغة مضر على تعيين الفاعل او المفعول . وأما في غيرها من لغة الحضر وبقية اللغات فيدل على ذلك التقديم والتأخير أو القرائن المبنية لخصوصيات المقاصد . وخواص التركيب هي التي تدل في لغة مضر على ما تقتضيه الاحوال من التأكيد والتعريف والتنكير مثل تقديم لفظ أو تأخيره لوصف المعنى وتكييفه ومثل زيادة حرف أو تنقيصه لزيادة شيء في المعنى الاصلي لان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى كقولنا زيد قائم وان زيداً قائم وان زيداً لقائم . وفي القرآن الكريم حكاية عن الرسل قولهم في المرة الاولى « إنا اليكم مرسلون » وفي المرة الثانية « ربنا يعلمُ إنا اليكم لمرسلون » فالالفاظ بأعيانها تدل على المعاني بأعيانها في كل لسان . وخواص التركيب في لغة مضر من تقديم وتأخير وزيادة حرف تدل على الاحوال المكتنفة بذلك المعنى . وأما في لغة الحضر وفي الالسن الاعجمية فأكثر ما يدل على هذه الاحوال بألفاظ وكلمات مخصوصة . ولذا كان الكلام العربي أوجز وأقل الفاظاً وعبارة من غيره . ولهذا أشار نبينا محمد عليه السلام بقوله « أوتيت جوامع الكلم واختصر ليَ الكلام اختصارا » على ان بقية الالسن لم تخل بالكلية من هذه الخاصة الاولى للسان مضر وحركات الاعراب موجود منها في اللسان العثماني تقول « زيد كلدى » بسكون آخر زيد ومعناه جاء زيد . و « زيدي جلب ايتدم » بكسر آخر زيد ومعناه جلبت

زيداً . وان لم يكسر آخر زيد لا يستقيم المعنى . وأما في لغات أوربا فالاعراب من خصائص اللغتين اليونانية واللاتينية واللغة الالمانية . غير ان هذه الخاصة ربما كانت في لسان مضر اكثر وأعرف وأثبت . واذا لم يراع الانسان هذه الخاصة في اللسان الذي يتكلمه وقع له ما وقع للوليد مع الاعرابي . وذلك ان الوليد بن عبد الملك بن مروان كان لحاناً وكان أبوه عبد الملك فصيحاً فعرف بلحن ابنه وقال له انك يا بنيّ لا تصلح للولاية على العرب وأنت تلحن وجعله في بيت وجعل معه من يعلمه الإعراب فمكث كذلك مدة ثم خرج وهو أجهل مما دخل فلما بويع الوليد وجلس على كرسي الخلافة دخل عليه أعرابي يشكو صهراً له

فقال الوليد : — ما شأنَك (بفتح النون)

فقال الاعرابي : — أعوذ بالله من الشين

فقال له سليمان بن عبد الملك : — أمير المؤمنين يقول لك ما شأنُك (بضم النون)

فقال الاعرابي : — ختني ظلمني

فقال الوليد : — من ختنَك (بفتح النون)

فقال الاعرابي : — انما ختني الحجام ولست أريد هذا

فقال سليمان بن عبد الملك : — أمير المؤمنين يقول من ختنُك (بالضم)

فقال : — هذا . وأشار الى خصمه

والخاصة الثانية هي ما في لسان مضر من الاستعارات والتشبيهات والمجازات وأنواع البديع من الكلام وورد أحسنه في القرآن الكريم مثل « اشتعل الرأس شيباً » ومنه في الشعر كقول ابن المعتز « والشمس كالمرآة في كف الاشل » فجميع ذلك أتم وأكمل في لسان العرب . ويعدون من الكلام البديع لفيكتور هوكو تشبيهه موج البحر بقطيع الغنم وقوله غنم البحر . وقول كمال بك امام الادب في اللسان العثماني « برق الحقيقة يلمع من تصادم الافكار » . فهذه البلاغة والبيان ديدن العرب . وفي كلامهم كثير من البديع أتوا به بغير تكلف ولا تعمل . وبعضهم تصنع له وتكلف ظناً بأنه أساس البلاغة والمقصود منها بالذات فغلوا بالبديع والاستعارات

النظم والنثر وصرفوا الذهن وأجهدوا العقل حتى قالوا

مودتهُ تدوم لكل هولٍ وهل كل مودته تدومُ

وتغافلوا عن ايضاح معنى المودة وهو من المعاني الكلية الجليلة التي أوضحها أدباء اليونان والرومان والافرنج فيما ألفوه من الروايات المضحكة أو الفاجعة وعرضوه في المراسح على انظار الجمهور فقدره الخواص حق قدره واستفاد منه العوام

على ان تلك الحسنات البديعة والخصائص اللسانية وان كان لها تأثير عظيم على النفس فهي لم تزل في نظر العقلاء كالحلي والمصوغ للعروس . فالعاقل يجتهد بأن تكون عروسه من ربات الجمال والدلال والادب والكمال فان وُجد معها شيء من الحلي فنعم . والا فالمقصود منها هو نفسها وذاتها . فهي الضالة التي ننشدها ونأتي بها ولو من جبال القوقاس فنعلمها لساننا ونلبسها ما عندنا من اللباس ونتمتع بها فهذا أولى من الباس الجارية السوداء الحلي والحلل وصرف النقد والوقت في تزيينها . وللناس فيما يعشقون مذاهب

فالتكلف في زماننا لتقليد الانشاء العالي ونظم قصيدة ثامنة للمعلقات السبع او سجع مقامات ثالثة لمقامات الحريري والهمذاني ليس فيه كبير فائدة مادام الاصل في الكلام للمعاني والمقصود من المعاني اظهار اسرار هذا الكون الذي نصبح فيه ونمسي ونحن غافلون عن كثير من حقائقه ولاندري بأي عبارة نترجم عنها ولا كيف نوضح شعورنا واحساسنا بهذا الوسط الذي نحن فيه وهو سجن لنا . والدنيا سجن المؤمن . فهذه المعاني البليغة العالية ينبغي لادباء العصر سبكها في السهل الممتنع من الكلام الفصيح بغير تهافت منهم على الكلمات اللغوية والمحسنات اللفظية من جناس وطباق وقراءة الكلام طردًا وعكسًا . وأمثال ذلك مما يعده العقلاء من الملاعب الصبيانية اذ ليس هذا غاية الادب والغرض منه . وخير اللفظ ماجاء بالطبع والبداهة بلا تكلف ولا تحر في القواميس والمنشآت . فخطبة ناظر المعارف الفرنساوية المترجمة في الهلال بمناسبة يوبيل الكيماوي برتلو هي نموذج في بلاغة المعاني لمطابقتها لمقتضى الحال وايجاب المصلحة وهي من أحسن مايقال في مثل تلك الجلسة وفي مناسبة

ذاك الاجتماع . غير ان ذوقنا ربما يمجها لركاكة الترجمة . فان الالفاظ وان كانت عربية فتركيب هذه الالفاظ بعضها مع بعض لم يجر على اسلوب قس بن ساعدة او سحبان وائل ولا على طريقة الجاحظ امام الادب ولا يشبه رسائل عبد الحميد أو ابن العميد اللذين قال فيهما الثعالبي : « فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد » بل جرى تركيب الفاظ تلك الخطبة على أسلوب الفرنساوي المترجمة عنه . فأكثر الالفاظ في موضوعاتها التي وضعها فيه العرب الاولون . والركاكة بالنظر الى التراكيب . وربما كانت بالنظر الى بعض المفردات أيضاً لان مفردات الفاظها لم تنتخب من القاموس المحيط بلاغة هذا اللسان كالذي الفه الزمخشري وسماه أساس البلاغة وطبع بمصر

ثم هناك أسباب أخرى أيضاً تحول بيننا وبين ادراك بلاغة تلك الخطبة وهي عدم وقوفنا على دقائق تاريخ القوم وعلى مزايا لغتهم وتعبيراتهم وفقداننا الملكة في هذا الاسلوب من الخطابة . ولذا ينبو سمعنا عما لم يأت على أساليب بلغاء العرب وعما لم يحرر على وفق مذاهبهم في فنون الادب . حيث لكل قوم منهج معروف ومسلك مألوف . بل كل امام في الادب من اي امة كان يذهب فيه مذهباً جديداً ويستخلص لنفسه طريقة مخصوصة يخالف فيها طرق المتقدمين ومذاهبهم . ولذا فاهل الذوق في الكلام اذا عرض عليهم شيء منه قالوا هو على طريقة فلان وأسلوب فلان وهو من انشاء فلان دون فلان كما لو عرضت خمر من خمور بوردو على أهل الذوق المشهورين باسم « ديكوستاتور » لقبض الواحد منهم بكفه على الزجاجة حتى اذا سخنت بحرارة اليد وفاح منها الشذا المعروف عندهم باسم (بوكه) هزّها ونظر فيها فاذا الخمر في الزجاجة ياقوتة سيالة ثم جرع منها جرعة ذاقها بطرف لسانه وقال لك هي من كرم « شاتولافيت » او « شاتولاتور » او « شاتومارغو » وفي هذه الثلاثة انحصرت الطبقة العليا من طبقات الخمر المعصور بارض « ميدوق » واتفق أهل الذوق والطب على انها من أطيب البقاع وابركها لانبات هذا الشراب الذي فيه منافع للناس واثمه اكبر من نفعه . لانه من جهة ترياق نافع ومن أخرى سم ضار (ستأتي البقية)

المتحف المصري

ومؤسسه ماريت باشا

تحتفل الحكومة المصرية يوم صدور هذا الهلال بافتتاح المتحف المصري الجديد رسمياً قرب قصر النيل. فيليق بنا أن نذكر شيئاً من تاريخ تأسيس هذا المتحف اقراراً بالفضل لمؤسسه رحمه الله

﴿ الآثار المصرية ﴾ ما برحت مصر منذ أجيال متطاولة مطمحاً لانظار الرواد والمستطلعين من سائر الامم والشعوب على اختلاف الزمان والمكان ينظرون في آثارها ويعجبون لما تركه الفراعنة من الهياكل والاهرام والمدافن والاصنام مما يستوقف الطرف ويبهر العقل ولم يكد يقوم مؤرخ عمومي قبل المسيح أو بعده الا ذكر آثار المصريين واعجب بضخامتها وبعد عهدها . وأشهر هؤلاء المؤرخين هيرودوتس واسترابون وغيرهما من مؤرخي اليونان والرومان . أما العرب فقد ذكرها كثيرون منهم كالمسعودي وابن الاثير وابن خلدون وعبد اللطيف البغدادي ولكن هذا الاخير جاء الديار المصرية بنفسه في القرن السادس للهجرة فتفقد تلك الآثار وأفاض في وصفها وأكثر من الاعجاب بضخامتها ودقة صنعها مما تراه مفصلاً في كتابه « الافادة والاعتبار » ناهيك بمن كان يتقاطر اليها من جالية الافرنج في القرون الاخيرة وخصوصاً بعد أن وطئها نابوليون بونابرت

ويرى الناظر في ما كتبه هؤلاء ان الآثار المصرية كانت في أقدم الازمنة اكثر عدداً واكبر حجماً مما هي عليه الآن. وان الدول التي توالت على مصر بعد الفراعنة كانت تستخدم كثيراً من أحجارها في ما بنته من القصور والكنائس والجوامع حتى كثيراً ما تعمدوا هدمها لغير نفع يرجونه من انقاضها كما فعل الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين . فانه أمر بهدم الاهرام العظمى فبدأ بالصغير منها فأخرج اليه النقابين والحجارين فقضوا ثمانية أشهر يعملون بكرة وأصيلاً فلم يهدموا الا جزءاً صغيراً وكفوا عن العمل . ومن هذا القبيل ما فعله بهاء الدين قراقوش وزير السلطان صلاح

الدين فانهُ نقل كثيراً من انقاض الاهرام وغيرها فبني بها سوراً يحيط بالفسطاط والقاهرة

وبالجملة فقد كانت تلك الآثار عرضةً للهدم والنقب أجيالاً متوالية فضلاً عما كان يأتيه عامة المصريين وغيرهم من الحفر عن الكنوز والمطالب فيفتحون القبور يستخرجون منها الذهب والفضة والآنية من النحاس وغيره وكثيراً ما كانوا يبيعون قطع المومياء والمحنطات الاخرى بيعاً بخساً . وقد ذكر البغدادي ما يؤيد ذلك بقوله « وأما ما يوجد في أجوافهم وأدمغتهم مما يسمونه مومياء فكثير جداً يجلبه أهل الريف الى المدينة ويباع بالشيء النزر ولقد اشتريت ثلاثة أروس مملوءة منهُ بنصف درهم مصري وأراني بائع جواليق مملوءاً من ذلك وكان فيه الصدر والبطن وحشوهُ الخ »

ناهيك بما كان يتعمده بعضهم من السرقة والنهب واكثر ما سرق منها في القرن الماضي على اثر انتباه الافرنج لحفظ الآثار فكانت فرنسا أو انكلترا أو غيرها تبعث بالنقابين على نفقاتها يستخرجون ما في جوف الهياكل من التماثيل أو المومياء او المصاغ او غيره فيحملونه الى متاحفهم أو معارضهم . وأول من نبه الاذهان الى ذلك اللجنة العلمية التي رافقت حملة نابوليون بونابرت . ولم يكن يهمّ الافرنج قبل ذلك من الآثار الا ما يتعلق منها بصناعة البناء كالاهرام وأبي الهول ونحوها لجهلهم الكتابة الهيروغليفية لانهم كانوا يظنونها رسوماً لا معنى لها حتى أتيح لشامبليون حل رموزها فعرف الناس قدر تلك الآثار فتسابقت دول اوربا الى احرازها لا يدخرون وسعاً في ذلك ولو استطاعوا حمل الاهرام والهياكل لنقلوها . واذا زرت متاحف لندرا او باريس او غيرها الآن لرأيت فيها من الآثار المصرية شيئاً كثيراً وفيه مالو بيع لجاء بالملايين من الجنيهات . وما زالت الحال على ما تقدم حتى تولى المغفور لهُ محمد علي باشا فانتبه في أواخر حكمه الى ما يترتب على ذلك من الخسائر الفادحة فأصدر أمراً يمنع الافرنج من حمل هذه الآثار الى بلادهم على انهم ظلوا يحملونها خلسةً فقيض الله لها المرحوم ماريت باشا لجمع ما بقي من شتاتها في بناء سماه المتحف المصري كما سيجيء



ماريت باشا مؤسس المتحف المصري
ولد سنة ١٨٢١ وتوفي سنة ١٨٨٠

﴿ ماريت باشا ﴾ هو فرنساويٌ الاصل نشأ في فرنسا وفيه ميلٌ الى البحث في الآثار فتعلم اللغة الهيروغليفية واشتهر بين الفرنساويين باقتداره على حل رموزها . واتفق في أواسط القرن الماضي ان الفرنساويين اهتموا بالبحث عن بعض المخطوطات القبطية في دير بوادي النطرون للاستعانة بها على درس تاريخ اليونان . فعينت الحكومة ماريت لهذا الغرض . ولكنه ما لبث ان وصل مصر حتى تحوَّل ذهنهُ الى الآثار فاكتشف كثيرًا منها وخصوصًا في سقارة وهي مدافن بديعة الصنع منقورة في الصخر وجد فيها من التحف شيئًا كثيرًا بعث ببعضها الى فرنسا فاستزادته ونسيت المخطوطات القبطية . فاطلع عباس باشا الاول والي مصر يومئذٍ على ذلك فمنعهُ عن الحفر فتداخل قنصل فرنسا في الامر ودارت المداولة والعملة يشتغلون في تلك

الصحراء خلسة . وأرادت فرنسا نقل تلك التحف سرًّا الى بلادها فعلمت الحكومة بغرضها وعادوا الى الجدال حتى اتفقوا على شروط من جملتها أن تحمل فرنسا كل ما اكتشفته من التحف الى ذلك الحين . وعاد ماريت الى فرنسا

وفي أيام سعيد باشا شاع عزم برنس نابوليون على زيارة مصر فأشار بعضهم عليه ان يجيء من يصلح لمرافقته الى الصعيد لتفقد الآثار القديمة فوقع الاختيار على ماريت فاستقدموه وعينوه من ذلك الحين عاملاً في الآثار المصرية. فتحوَّل غرضه من ارسال تلك التحف لفرنسا الى اختزانها للبلاد التي أصبح من عمالها . وأخذ في التنقيب عن الآثار في سقارة والكرنك ومدينة ابو وايدوس ودندره وغيرها من مدن الصعيد ومدن الوجه البحري والحكومة تواصله بالنعم والرتب وهو يزداد رغبةً في العمل

وفي سنة ١٨٦٣ توفي سعيد باشا وخلفه اسماعيل فثبت ماريت في منصبه وامره ببناء متحف مصري في ساحة الازبكية يكون وسطاً يسهل تردد الناس اليه فيذخر فيه الآثار اليونانية والعربية الاسلامية فضلاً عن المصرية . فسرَّ ماريت بذلك ولكنه لم يكد يشرع فيه حتى ورد على اسماعيل باشا من الاستانة ان ساكن الجنان السلطان عبد العزيز عازم على زيارة وادي النيل قريباً . فاشتغل عن بناء المتحف باعداد معدَّات الاستقبال وأمر أن تجعل الآثار المصرية في بناء يليق بها ليشاهدها جلالة السلطان ريثما يتيسر بناء المتحف في فرصة أخرى. فوضعوها في بناء رحب على ضفة النيل في بولاق . وفي تلك السنة زار الديار المصرية البرنس نابوليون فرافقهُ ماريت الى جزيرة اصوان ولما عاد برنس نابوليون عاد ماريت الى متحفه وعمل على ترتيبه وعوَّل على الاقامة في مصر فاستقدم أهله واولاده . وفي سنة ١٨٦٧ انشأت فرنسا معرضاً عاماً للآثار القديمة جعلت فيه نصيباً لمصر فنالت قصب السبق بتدبير ماريت وانعمت عليه فرنسا برتبة كومندور

وفي سنة ١٨٦٩ احتفل الخديوي اسماعيل بفتح قنال السويس احتفالاً شهدة ملوك اوربا او من ينوب عنهم . وكان في جملة ما اعده لهم من دواعي الاحتفاء متحف الآثار فاهتمَّ ماريت بذلك كثيرًا وكتب كتاباً يساعد المشاهدين على فهم

الآثار . فسرَّ الخديوي منه فأنعم على ابنتيه بمئة الف فرنك تقتسمانها بينهما واهدته الحكومة الفرنساوية ٣٠,٠٠٠ فرنك مكافأة على مؤلفاته وكان قد الف بعضاً منها فازداد نشاطاً فألف كتباً أخرى . وكان يتردد كل عام تقريباً الى فرنسا لتبديل الهواء أو طبع الكتب . وفي سنة ١٨٧٩ استقال اسماعيل باشا وخلفه توفيق باشا فأنعم على ماريت برتبة لواء مع لقب باشا وما زال عاملاً مجتهداً حتى توفاه الله في أواخر عام ١٨٨٠ ودفن في متحف بولاق وما زال المتحف المصري في بولاق حتى نقلته الحكومة المصرية منذ بضع عشرة سنة الى سراي الجيزة ثم اهتمت الحكومة بارجاعه الى القاهرة تسهيلاً للوصول اليه فقررت سنة ١٨٩٣ بناء متحف جديد بجوار قصر النيل وشرعت في بنائه سنة ١٨٩٧ وتمَّ في هذا العام ونقلوا اليه التحف وافتتحوهُ رسمياً في ١٥ الجاري



صحة العائلة

النوم

ذهب احد أطباء الانكليز أخيرًا (ولا تستغرب) واسمه منلي هلتي الى ان الانسان ينبغي ان ينام مخفوض الرأس مرفوع الرجلين وقال ان لهذا الوضع مزيتين احداهما سهولة توارد الدم الى الدماغ بناموس الثقل لتغذيته وترميمه والثانية التخفيف عن القلب . والا فالنوم على ضد ذلك كما يفعل الناس يعرض الدماغ للانيميا اي نقصان الدم والقلب لزيادة التعب . ولا ريب ان الدماغ يكثر توارد الدم اليه اذا خفض الرأس عن مساواة سطح البدن ولهذا ينفع ذلك جدًا في كل الاحوال التي يخشى فيها على الحياة من انيميا الدماغ كما في النزف الشديد وفي الاسفكسيا العارضة عن الكلوروفوم . الا انه لا يسلم بانه في الصحة ولا يعرض الدماغ للاحتقان وان ادعى ان الغدة الدرقية تدرأ ذلك لان وظيفتها تعديل دورة الدم فيه . فلا يسلم بان زيادة توارد الدم الى الدماغ في النوم ضرورية له مع التسليم بانه يعرض للدماغ في النوم شيء من الانيميا بل ربما كانت هذه الانيميا أنفع لان الدماغ محتاج في النوم الى ان يتبرد ويرتاح لا الى ان يتسخن ويتعب ولهذا كان الانسان ينام دائمًا ورأسه اعلى قليلاً من رجليه . وعليه فلا نظن ان الناس يحملهم رأيه على ترك هذه العادة القديمة الجارين عليها من عهد ابينا آدم الى اليوم بدون ضرر خوفًا من ان يبيتوا في المستقبل بلا رؤوس كما يزعم صاحبنا . والانسان لا ينام على كيفية واحدة حتى يوصف له كيفية للنوم فبعضهم ينام وتحت رأسه ركام من المخدات وغيره ينام مسطوحًا وليس تحت رأسه سوى وسادة رقيقة والسمان لا يرتاحون حتى يناموا على ظهورهم و بطونهم الى فوق وأشداقهم مفتوحة للهواء تعويضًا لنقص عمل الحجاب الحاجز وهو نوم لا يحب منظره كثيرًا . ألا ترى ان المصور اذا أراد ان يتغزل بصورة النوم فلا يرسم النائم مفتوح الفم أبدًا . وعلم التشريح كعلم الجمال يدلنا على

ان التنفس ينبغي ان يكون من الانف لا من الفم . وان خاف ذلك صاحب مقالة التثاؤب الصناعي الذي يريد ان الانسان يتنفس وهو مفتوح الشدقين . لان الانف وحده معدٌّ لقبول الهواء من الخارج ولاصلاحه قبل ايصاله الى الشعب . والحيوان لا يفتح فمه للتنفس والنوم . وفتح الفم من امتيازات الانسان التي تجعله يسمعك وهو نائم صوتاً مريعاً يسمى بالغطيط . والغطيط يجعل أظرف الناس في اليقظة اقبحهم في النوم . وربات الحجال ومليكات الجمال

من القاصرات الطرف لو دبّ محول من الذرّ فوق الأتب منها لأثرا

لسن منزهات عن هذا العيب فمنهن كما قال احد ظرفاء الافرنج من هي بارعة في الغطيط كما هي بارعة في الضرب على البيانو . فمن رغب مجانبة الغطيط وان يستيقظ من نومه حلو اللمى (وهذا نوصي به السيدات خاصة)

كأن المدام وقطر الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
يعلّ به برد انيابها اذا غرد الطائر المستحر

فعليه بان لا ينام مفتوح الفم فينام نوماً هادياً ويدفع عنه بذلك غضب الجار وهي تكسب رضى الحبيب وكم كدر الغطيط عيشة الزوجين . ولذلك يلزم اغلاق الفم في أول ساعات النوم الى ان تصطك الاسنان وجرُّ النفس من الانف طويلاً عوضاً عن فتح الفم لاقتضاء نفوذ مقدار عظيم من الهواء لتمديد جدران الصدر المضغوطة بالاستلقاء في الفراش فيبقى الفم مغلقاً في النوم . وله أيضاً فائدة أخرى وهي ان يقي المسالك التنفسية من أمراض كثيرة

وكثير من الناس من ينام مرفوع الذراع فوق الرأس لتمديد جدران الصدر وهو نوم ظريف ونافع ويحسن أن يعوّده الاطفال عوضاً من ان يربطوا في أسرتهم كالمجرمين فقد يقيهم من السل الرئوي ومن النزلات والاحتقانات اذ يسهل دخول الهواء الى الرئتين وجريان الدم فيهما وينمي صدورهم نمواً كاملاً

واللبس على الرأس في النوم عادة سيئة وبعضهم يعصبونه (كمطموم النجاص) خوفاً على أفكارهم ان تتصعد ولا يخافون عليها ان تتسخن وهي محتاجة طبعاً لأن

تتبرد فيجلبون لانفسهم عادة توقعهم في نفس ما يتقونه بذلك كمن يلفون رقابهم عند خروجهم الى الشوارع حذر البرد فيصيرون اقبل الناس لتأثيره ولو عودوا أنفسهم ضد ذلك لأمنوا النزلات وأنواع النفرالجيا الخ . ولقد وصف برون سكوار المتعودين عصب رؤوسهم ولف أعناقهم للتخلص من هذه العادة ومن تأثير التعرض معها للبرد والرطوبة ان يتعودوا ضدها وذلك بان ينفخوا يومياً على جلد اعناقهم وفروة رؤوسهم بمنفاخ هواء حارًا في أول الامر ثم باردًا ثم رطباً مرارًا في اليوم مدة ثمانية او عشرة أيام فينجوا من شرّ هذه العادة السيئة ولا يعود الهواء البارد والرطب يؤثر فيهم

وأما النوم في الفراش واحدًا أو اكثر . . . فالجواب من الوجه الصحي انه انفع للانسان ان ينام في الفراش وحده ما استطاع . ونوصي بذلك الوالدين الذين ينومون أولادهم معهم في فراش واحد وهم يظنون انهم يفعلون ذلك حباً بهم وشفقة . وكثيرًا ماينام الامهات مع بناتهن وقد صرن فتيات . ولا شيء أضر من ذلك علي الاولاد فانه يربط حركاتهم ويقلل هواءهم ويجعل نومهم قليل النفع فتراهم صفر الالوان معلولين بخلاف مالو ناموا وحدهم في فراش يطلق لحركاتهم العنان فانهم يكونون غالباً أصحاء الابدان نامين . فذكر علها تنفع الذكرى

وأما مدة النوم وهل ينبغي للانسان ان ينام كثيرًا أو قليلاً فهنا المدارس لا ترحم هؤلاء الاطفال المساكين ولا تشفق عليهم فلا تنفك تنادي بهم ان لا تناموا كثيرًا وباكروا في القيام من النوم فالنوم مفسد للقوى حتى يتوهم من يسمعهم يقول ذلك ان النوم خطية مميتة فيقرعون لهم الاجراس ويدقون الطبول لكي يقلقوهم من نومهم ويقيموهم من فرشهم وكل شيء في الطبيعة نائم . ولماذا هذه القساوة فما هي الا فضيلة اصطلاحية والا فهناك صلاح كثيرون ينامون كثيرًا واشرار كثيرون ينامون قليلاً . ولقد أخطأت مدرسة سلارنة حيث قالت ان نوم ست ساعات كاف لكل الاسنان وأصاب الاميريكيون حيث قالوا ان الانسان ينبغي له أن يشتغل ثماني ساعات وان يتنزه ثماني ساعات وان ينام ثماني ساعات وهذا أحسن ماتتمناه لقرائنا الكرام

(الشفاء للشميل)

باب المقالات

فيكتور هوكو

وعلم الادب عند الافرنج والعرب

لكاتب فاضل



والشعر كالنثر لا يختص بلسان العرب فقط بل يوجد في كل لسان من السن الامم المتمدنة والهمجية فان لأهالي افريقية أشعاراً يمدحون بها على آلات طربهم ويرقصون على أنغامها . وكان في الامم السالفة شعراء مجيدون مثل فياسه صاحب ديوان ماهابهاراته ومثل فالميكي صاحب ديوان رامايانه وهما من شعراء الهند وكهنتها نظما الديوانين المذكورين باللسان السانسكريتي قبل الميلاد بقرون كثيرة وترجمها العلماء في زماننا الى اكثر اللغات الاوروبية فوجدوا أشعارهما حماسية دينية . وفي الديوان الاول نحو مئتي الف بيت أو قطعة . وهما عند الهنود بمثابة ما عند اليونان من الايلياذه والاوذيسة نظم هوميروس الشاعر الشهير . ولعل البستاني يتحفنا بنشر ما جناه من أدبه[١] فان هوميروس شيخ الشعراء بأجمعهم . ومثل شعراء الروم الذين كانوا في القسطنطينية وما حولها من أرض الروم قبل ان يفتحها الفاتح . وشعراء الرومان اللاتينيين وشعراء الفرس وامامهم الحسن بن اسحاق الفردوسي ناظم الشهنامه في القرن الرابع للهجرة وهو عند العجم كهوميروس عند اليونان وفرجيل عند الرومان ودانتي عند الطليان وميلتون

(١) « الهلال » ان الايلياذة نظم سليمان افندي البستاني تحت الطبع الآن في مطبعة الهلال

عند الانكليز. وتشتمل الشهنامه على تاريخ أكاسرة الفرس وأخبارهم وقد طبعت مرارًا في الفارسية وترجمت للانكليزية والفرنساوية . وترجمها نثرًا للعربية الفتح بن علي البنداري الاصبهاني وقدمها لخزانة أحد الملوك الايوبية

ذكر الجاحظ في كتاب البيان والتبيين « ان الفارسي سئل فقيل له ما البلاغة فقال معرفة الفصل من الوصل(١) وسئل اليوناني عنها فقال تصحيح الاقسام واختيار الكلام وسئل الرومي عنها فقال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة . وسئل الهندي عنها فقال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال مرة التماس حسن الموقع والمعرفة بساحات القول »

وفي الامم الأوروبية والاميركية اليوم شعراء أعلى طبقة وابلغ كلاماً ممن تقدمهم من شعراء الامم السالفة . وموازين الشعر في جميع اللغات على نسبة واحدة في اعداد المتحركات والسواكن . والشعر الفرنساوي تبنى اعاريضه على عدد الهجاء فالبحر الاسكندري (الكساندرين) على اثني عشر هجاء في الاصل . والروي أي القافية — وهو الحرف الاخير من كل بيت — موجود في لسان العرب وفي السن غيرهم . ولكن الفرنساويين قبل اختلاطهم بعرب الاندلس لم يكن لاشعارهم روي ولا قواف فأخذوا عن جيرانهم الاندلسيين علم القوافي كما سيجيء تفصيله فقبل الشروع في بيان الطريقة التي سلكها فكتور هوكو في علم الادب وشرح أساليبه في النظم والنثر وفي تصوير القصص والروايات نذكر شيئاً من أخبار العرب ليتبين لنا التأثير الذي أثره أدبهم على أشعار الافرنج وقوافيهم بوجه العموم وعلى فيكتور هوكو بوجه الخصوص . لان هذا الشاعر الحكيم نُفح بنفحة من النفس الاندلسي واغتذى بلبان من ارتضع قديماً ثدي الادب العربي . وبيان ذلك ان مدينة بيزانسون التي ولد فيها فيكتور هوكو دخلت في حوزة الاسلام حينما قطع أهله جبال البيرينه وأغاروا على مملكة اكيتانيا وليون وفتحوا ما في شمالها من المدن مثل ماقون وديجون . ثم دخلت

(١) الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه

بيزانسون في طاعة شارلكان صاحب الوقائع الشهيرة مع فرانسوا الاول ملك الفرنساويين ومع معاهده وحاميه السلطان سليمان القانوني وذلك في القرن السادس عشر للميلاد . فنقل الامبراطور شارلكن عائلات كثيرة من الاسبان وانزلهم بيزانسون فاستمروا زمناً طويلاً وامتزجوا بأهلها ولم يزل لاهل بيزانسون شبه بالاسبان في ملامح الوجوه وفي اللهجة وفي كثير من الكلمات والتعبيرات مع ان مدينتهم لا تبعد عن باريس اكثر من اربعمئة كيلومتر . وقد أشار فيكتور هوكو الى ذلك في القصيدة الأولى من ديوان اوراق الخريف ووصف بيزانسون بالمدينة القديمة الاسبانية فذهبت مثلاً وصار الكتاب لا يفترون عن وصفها بهذا الوصف . وعلاقة الاسبان بالعرب وباللسان العربي معلومة لا تحتاج الى ايضاح

٣

أما العرب فلو نظرنا الى تاريخ أدبهم لوجدنا في مقدمته أشعار الحماسة كما نجد ذلك عند بقية الامم كالفرنساويين مثلاً بان النظم في لسان أدبهم دوّن قبل النثر . لان النظم يحصل التأنق في تأليفه والعناية في جمعه فيضم أطراف الكلام وحواشيه ويكون في بادىء الامر أبلغ مما عاصره من النثر فيحفظ في الصدور ويتداول على الالسنة . ثم تزيد العناية به فيدون بالنقش أو الكتابة ويعلق على الجدران . وهذا معنى قولهم النظم في تاريخ الادب سابق للنثر . والاّ فأول ما يبدأ من الكلام بالنثر لقرب تناوله وسهولة استعماله . ذكر الباقلاني في اعجاز القرآن المطبوع في مصر ان العرب بدأوا بالنثر وتوصلوا منه الى الشعر وكان عثورهم عليه في الاصل بالاتفاق غير مقصود اليه . فلما استحسنوه واستطابوه ورأوا الاسماع تألفه والنفوس تقبله تتبعوه وتعلموه وتكلفوا له . فنبغ فيهم الشعراء وأقبل الناس رجالاً ونساء على حفظ أشعارهم ورواية أخبارهم والتفاخر بانشاد القصائد الكثيرة في المواضيع المختلفة والاستشهاد بكل بيت من أبياتها عند الحاجة . فجعلوا الشعر من بين الكلام ديوان علومهم وأخبارهم وحكمهم وشاهد صوابهم وخطائهم وانزلوا الشاعر البليغ منزلة الامام العلم الذي يهتدى بنبراس قريحته ويفزع لرأيه في مشاكل الاقضية ومعضلات الامور . فكانت كلمة

الشاعر هي الكلمة العليا وقوله أمضى من السيف واحدُّ من السنان وحكمه نافذ كحكم الشرع في القضاء . وربما رفع الشاعر بالبيت الواحد عز القبيلة او هدمه . كما وقع لشاعر قبيلة انف الناقة بعد ان كان اسمها مجلبة للعار بين القبائل . وكان السجع من الكلام يجري على السنة الكهان والحكماء والعرافين واهل الزجر [1] والفال وأنواع الحكم والطب مثل شق وسطيح وحنظلة بن صفوان كاهن حمير وخالد بن سنان العبسي الذي قالت ابنته حينما سمعت قراءة « قل هو الله أحد » كان أبي يقرأ مثل هــذا . وأميه بن أبي الصلت الثقفي وكان افتتاح كلامه « باسمك اللهم » وقس بن ساعدة ورباح بن عجلة عراف اليمامة والابلق الاسدي عراف نجد وغيرهم

غير ان تاريخ أدب العرب قبل الاسلام لم يزل في حيز الخفاء لعدم تمكن العلماء من درس اللغات او اللهجات العربية السابقة على لغة مضر كلغة حمير مثلاً فانه لم يشتهر عندنا من قواعدها أكثر من حديث « امن امبر امصيام في امسفر » حيث استعمل فيه (ام) عوضاً عن (ال) التعريف . ولا يكشف الغطاء عن هذا القسم من تاريخ الادب الا بعد استخراج ما في أرض اليمن من الالواح التي تدعى بالمسند الحميري وما في خرائب مدائن صالح وأرض الحيرة وسائر جزيرة العرب من الآثار القديمة العادية التي كان لاصحابها نصيب من الحضارة وكان لاديهم تأثير على أدب مضر . وقد تفرغ نخبة من مستشرقي الافرنج للبحث عن تلك المستندات والآثار القديمة العربية . ولعل التشبث باتمام السكة الحديدية الحجازية يسهل لهم هذا البحث . فمن عرفتُ من أولئك المستشرقين ايدوارد غلازر من الالمانيين وكان اطلعني ونحن في الاستانة على ما اكتشفه من المسند الحميري وجاء به من أرض اليمن . والمسند لوح من الحجر عليه كتابة بأحرف مقطعة قائمة الزوايا وبعضها مدور كالدائرة . وحدثني هذا المستشرق الفاضل عن رحلته في جزيرة العرب وهو يتكلم العربية بلهجة يمانية

---

(١) وهم صنف من المتكلمين بالغيب يزجرون أنفسهم في مسموع او مرئي كسنوح طائر او حيوان ويفكرون فيه بعد مغيبه

بدوية . وفي سنة ١٨٩٥ نشر في مونيخ كتاباً بالالمانية عن مأرب وحمير والحبشة ثم نشر كتاباً آخر في برلين وقدمه لمؤتمر المستشرقين الحادي عشر المنعقد في باريس سنة ١٨٩٧ . ولما اتيت هذه المدينة حضرت الاستاذ هارتويغ ديرنبورغ في الصوربون وهو يلقي دروسه في اللغة الحميرية ويفسر المسندات ويترجمها للفرنساوية وله رسالة ترجم فيها مافي متحف اللوفر من آثار حمير وسبأ . ومن المشتغلين باللسان الحميري هاليفي الفرنساوي مدرس اللغة الحبشية في الصوربون . وله مقالات في المجلة السامية بحث فيها عن اتفاق الحبشة مع اهل سبأ على اهل حمير النازلين في شرقي حضرموت

وللعلماء اشتغال بهذه اللغة في انكلترة وايطاليا ايضاً لاهتمام الاولى بجمع ما يتعلق بالعالم الاسلامي والعربي ولمناسبة بين الثانية وبين الحبشة واختلاط تاريخ الحبشة بتاريخ حمير . الا ان هذا العلم لم يزل في النشأة الاولى محتاجاً للتدقيق والتمحيص حتى يتيسر للعلماء ان يوضحوا لنا كيف كان اللسان الحميري مع اللسان المضري . فان ابن خلدون يقول في مقدمته « ولقد كان اللسان المضري مع اللسان الحميري بمثابة ما هو اليوم اللسان المضري مع لغة العرب لهذا العهد — وهي التي بدون اعراب فقد منها دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول وعوض عنها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد — وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصاريف كلماته . تشهد بذلك الانقال الموجودة لدينا خلافاً لمن يحمله القصور على انها لغة واحدة ويلتمس اجراء اللغة الحميرية على مقاييس اللغة المضرية وقوانينها كما يزعم بعضهم في اشتقاق القيل في اللسان الحميري انه من القول وكثير من اشباه هذا وليس ذلك بصحيح . ولغة حمير لغة اخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من اوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها كما هي لغة العرب لعهدنا مع لغة مضر . الا ان العناية بلسان مضر من اجل الشريعة اي القرآن والسنة حمل ذلك على الاستنباط والاستقراء . ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرينا احكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية في دلالتها بأمور اخرى موجودة فيه فتكون لها قوانين تخصها ولعلها تكون في اواخره على غير المنهاج الاول

في لغة مضر » اه

فأخذ ذلك المستشرقون من الافرنج واعتنى بعضهم بتدوين اللسان العامي واستقراء احكامه كما فعل موسيو هوداس الفرنساوي في لغة الجزائر العربية ونشر فيها كتباً ولم يزل يدرسها في مدرسة الالسن الشرقية في باريس كما تدرس ايضاً في مدرسة المستعمرات وفي المدارس العسكرية بباريس وغيرها . ولهم في ذلك مآرب سياسية لا نخوض فيها . الا ان تدوين اللغات العامية ـ بالنظر الى انتشار العلم وتوسع الحضارة ـ له محاذير كثيرة وموجب للتفرقة ونصب الحواجز بين امم هذا العالم العظيم الممتد من المحيط الغربي الى بلاد العجم والهند . والعلماء في عصرنا يجتهدون في ازالة الموانع التي استلزمها تباين اللغات بين الامم ويسعون في ايجاد لغة عامة لعموم بني البشر وفي جمع افراد الانسان على لسان واحد . فكيف يجوز حينئذٍ تفريق لسان امة كبيرة الى ألسنة همجية عامية ووضع لسان مخصوص لكل من الجزائر وتونس ومصر وسوريا وبغداد والموصل والزنجبار والمنزوان ثم لمراكش وغيرها من المتكلمين بلسان جزيرة العرب وتدوين كل واحد من هذه الالسن التي يراد وضعها كما تدون الالسن الجديدة الهمجية مثل لسان حوصه وغيره من لغات افريقية

وانا نجد اللغة الفرنساوية على ما فيها من التباين بين ما يتكلمه سكان المدن وما يتكلمه أهل القرى وعدم فهم الباريزي السن الباتوا التي يتكلمها القاطنون في جبال البيرينه واوفيرنيه وفي الايالات الغربية والجنوبية من اراضي فرنسا لم يجوزوا فيها تدوين لغة لايالة بروفانس او بريطانيا مثلاً ولا سمحوا بانشاء جريدة فيها. وانتهى بهم التعصب الى محو ما كتب بلسان الباسك وهم سكان جبال البيرينه من جهة المحيط مع ان المتكلمين بها يفتخرون بقدمهم على سائر الامم الاوربية . فكيف يصوغ اذاً تدوين لغة الجزائر ؟ وأهلها لا يتعذر عليهم فهم (قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل) لاستعمالهم مواد هذه الكلمات الاصلية من وقوف وبكاء وذكر وحب ونزول واذا لم يفهموا ما بعد ذلك فالقصور ناشئ من الجهل بالجغرافية لا بأصل اللغة التي لم يزل لهم بأصولها وموادها ملكة راسخة . فان سقط اللوى ، والدخول ،

وحومل ، وتوضح ، والمقراة المذكورة في قول امرىء القيس :

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

هي اماكن معروفة عند أهل الحجاز كما ان مقرة ومقطع الحديد من الاماكن المعروفة عند أهل الجزائر لشهرتها باستخراج معدن الحديد . فبدلاً من تدوين لغة الجزائر العامية كما دونت لغة حوصه ومن نشر المؤلفات والمطبوعات فيها والاجبار على تعليمها في المدارس للاطفال ـ لو سعى اهل العلم وأرباب القلم في التقرب من لغة مضر المدونة وازالوا منها (العامية) كما ازيلت (الباتوا) من اللغة الفرنساوية وهذبوها من الجناسات والتشابيه الغامضة واختاروا فيها السهل من الالفاظ والتراكيب واصلحوا املاءها وكتابة أسماء الاعلام فيها لكان فعلهم على ما نظن اسهل وأنجح من تدوين لسان عامي بل ألسن همجية واقامة الحواجز بين المتكلمين بها . مع ان ازدياد وسائط النقل والمخابرة يستدعي كثرة اختلاط بعضهم ببعض . وعما قريب سيتم مد الخطوط الحديدية ويصبح السفر من مراكش الى بغداد والهند أو الى الحجاز أسهل مما كان قديماً بين مصر القاهرة والاسكندرية فلا يحتاج المسافر الى استصحاب كتاب (جامع اللغات) ليعلم منه ألسن الجزائر وتونس وطرابلس ومصر وفلسطين وسوريا و بغداد والحجاز . أما انتشار المطبوعات العربية فهو آخذ بالترقي ونجد لمطبوعات مصر رواجاً في تونس والجزائر ولا بد ان تمتد يوماً على عموم سكان القارة الافريقية

أما لغة مضر فبدون ان نقف على حقيقة الادوار التي دارت عليها ولا على الاطوار التي تقلبت فيها نجدها في العصر السابق للاسلام على جانب من الفصاحة والبلاغة مشتملة على أنواع التشبيه والاستعارة والبديع وا كثرها حماسية وفيها من التصورات البديعية والتخيلات الشعرية واللطف والرقة والادب مايدلنا على ان اللغة لم تكن اذ ذاك في عهد الطفولية . فان الفرق بين أشعار المعلقات و بين اشعار (الترو بادور) الفرنساوية عظيم . لما في الاخيرة من الخشونة وعدم الرقة . واذا غازل شاعر الجاهلية

فتاة الحي حسبته أديباً من أدباء باريس ...

ونجد للعرب قبل الاسلام انواعاً كثيرة من فنون الادب والشعر منها القصيد والرجز والاغاني ومنها ماينشد في الحرب على الدفوف . ومنها مايحدى به للعيس او يغنى به للرقص وتسكيت الاطفال ومنها السجع والترسل والخطب والرسائل وضروب الامثال والحكم. والحاصل كانت فنون أدبهم أتقن من ميعشتهم البدوية . وكان لهم موتمر واكادمية للتفاخر بالالسن والفصاحة . وكانوا يقيمون لذلك المواسم والاعياد فيجتمعون أولا في سوق عكاظ وهو واد بين مكة والطائف فيه ماء وظل وخضرة فيقيمون فيه شهرا ويذهبون منه الى سوق مجنة ثم الى سوق ذي المجاز وهما بناحية مكة. ثم يذهبون في ذي الحجة الى البيت الحرام موضع حجهم . فكان أدباؤهم وهم ذوو الرئاسة والمكانة فيهم يتنافسون بالآداب والحكم ويقفون بهذه الاسواق لانشاد الشعر والقاء الخطب. فاذا اجتمعوا بسوق عكاظ ضربت قبة لا كبر الشعراء في عصره كالنابغة الذبياني الذي سمي أشعر العرب فجلس في القبة وجاءته الشعراء كما جاءه حسان مثلاً وعرضوا عليه انفس أشعارهم . وقام الحارث بن حلزة يتبختر بين الجموع بتبختر الجاهلية ويقول:

آذنتنا ببينها أسماء　　رب ثاو يمل منه الثواء

بعد عهد لها ببرقة سمرا　　ء فأدنى ديارها الخلصاء

حتى يأتي على آخر همزيته فيحكم في مقاله أولو الذوق الصحيح والطبع السليم ويميزون فيه بين الغث والسمين ويقابلونه بغيره من كلام المعلقات . ثم وقف قس بن ساعدة على بعير له أحمر وقال « أيها الناس اجتمعوا واذا اجتمعتم فاسمعوا واذا سمعتم فعوا واذا وعيتم فقولوا . واذا قلتم فاصدقوا . من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت » فيكون الناس قد اجتمعوا حوله فيبدأ لهم في الخطبة بقوله « أما بعد ... الخ » كانه خطيب فرنساوي بل انكليزي يخطب في هايدبارك

وكان لكل شاعر مبلغ يبلغ عنه الجمهور وراوية يروي له الاشعار . فكانت الرواة في ايامهم كالجرائد في يومنا ولذا كانت الاشعار تنتشر وتشتهر في مدة قليلة بين جميع

القبائل في جزيرة العرب . وانتهوا في العصر السابق للهجرة الى المناغاة في كتابة قصائدهم بالذهب وتعليقها بأركان الكعبة كما فعل أصحاب المعلقات السبع وهم :

(١) أمرؤ القيس واسمه جندح بن حجر الكندي وكان أبوه يملك في جهة الحيرة على بني أسد ويضرب المثل في شهرة معلقته فيقال (أشهر من قفانبك) وله غيرها ديوان مشروح ومطبوع ومترجم الى اللغات الاوروبية ويقال ان أحسن ما في شعره وصفهُ الفرس (١) ولذا ضرب المثل بامرىء القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب . وقيل ان امرءُ القيس توفي سنة ٥٤٠ م وكان مغرماً باللهو والزهو والخمر والنساء وكلامه في المعلقة منادمة ومداعبة . ومدح في شعره تغلب على بكر

(٢) طرفه بن العبد وديوانه ترجم للفرنساوية في الصوربون وطبعه الموسيو سليغصون (Seligsohn) ومعلقته تبحث في النساء والخمر واللهو وطيب العيش

(٣) عمرو بن كلثوم و (٤) الحارث بن حلزة اليشكري من قبيلة بكر بن وائل وله ديوان وفي معلقته الهمزية وفي معلقة عمرو المذكور خبر حرب البسوس التي وقعت بين بكر وتغلب (٥) زهير بن أبي سلمى و (٦) عنترة بن شداد وفي معلقتيهما ذكر حرب داحس التي وقعت بين عبس وذبيان . وقصة عنتر الشهيرة المطبوعة في بيروت ومصر ترجمها سابقاً للالمانية المستشرق النمساوي همر (Hammer) صاحب تاريخ الدولة العثمانية وتاريخ الادب العثماني وتاريخ الادب العربي . ثم ترجم شيئاً من قصة عنتر للفرنساوية مارسل ديفيك (Devic) معلم العربية في كليه مون بيليه وهي من أقدم مدارس الافرنج . وكان اطباء العرب واليهود المستعربون يدرسون فيها الطب

(٧) لبيد بن ربيعة العامري القائل « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » وفي

---

(١) بقوله :

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكلِ
مكرٍّ مفرٍّ مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من علِ
لهُ أيطلا ظبي وساقا نعامةٍ وارخاء سرحان وتقريب تتفلِ

كلامه كثير من الحكم ووصف في أشعاره اخلاق عرب البادية وأطوارهم وعوائدهم وله غير المعلقة ديوان أشعار طبع منه الجزء الاول في فينا عاصمة النمسا الشيخ يوسف ضياء الدين باشا الخالدي المقدسي سنة ١٨٨٠ وجعل له مقدمة وشرحاً فنرجو منه اتمامه

وظهر من فطاحل الشعراء غير من ذكر النابغة الذبياني وطبع ديوانه الاستاذ هارتولغ دير بنورغ (H. Derenbourg) سنة ١٨٦٩ وفسره وحشاه . ومنهم حاتم طي الشهير بالسخاء وقدجمع أشعاره غضبان افندي وطبعها في لوندره وسماها ديوان حاتم طي . ومنهم دريد بن الصمة والشنفرى الازدي والاعشي الاكبر وتأبط شرا وكثير غيرهم . يحكى عن حماد الراوية انه انشد بحضرة الوليد من كلام الجاهلية مئة قصيدة لكل قافية من قوافي الحروف العربية لا تنقص القصيدة عن عشرين بيتاً وفيها مايربو على المئة بيت . فمهما بالغ الحاكي لاتنكر كثرة ما قرض من الشعر على عهد الجاهلية . ولهم غير الشعر والرجز خطب ورسائل وكثير من ضروب الامثال التي نقلت عنهم ودونت في المجاميع (البقية تأتي)

تاريخ الآداب الاجتماعية

في الممالك الاوربية

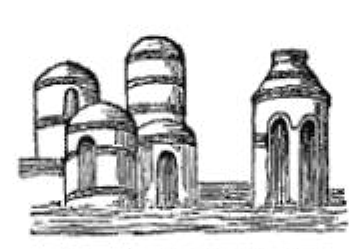
٣ — انكلترا

تلا عصر البرونز عصر الحديد في بريطانيا وقد ادخل اليها من آسيا عن طريق أوروبا . وقد كان البريطان يستجلبون مقادير وافرة من اوروبا حتى توفقوا الى اكتشاف مناجمه في بلادهم وعرفوا كيفية اذابته فكثر المستخرج منه واستعاضوا به عن البرونز حتى في مايفضل فيه البرونز الحديد

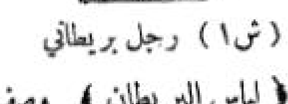
وقد كان من تأثير هذا الاكتشاف ضم القبائل بعضها الى بعض بما اكسبهم من القوة فتألفت منهم ممالك حقيرة . ومع ان حرق الموتى كان لم يزل شائعاً بينهم

فانهم اعتادوا دفن موتاهم وكثرت النقوش في أيامهم دون ان يكون بينها صور للحيوانات الا فيما ندر . وهم الذين صكوا نقود الذهب والفضة والبرونز — اقتبسوا هذه العادة عن اليونان كما يتضح من الشبه الضعيف الكائن بين نقودهم والنقود المصكوكة في أيام فيلبس ملك مكدونيا وليس في تلك النقود ما هو أقدم من القرن الثالث قبل المسيح . ومما يلذ ايراده ان البريطان تجاوزا حد ضرب النقود الى تزييفها بأن يصنعوها من الحديد او البرونز ويغشوها بالذهب او الفضة صفائح رقيقة . وهنا يبدأ تاريخ الامة حقيقة بما اتصل الينا عنهم من المنقول والمكتوب

وفي المحفوظ ان الفينيقيين قدموا على بريطانيا منذ خمسمائة سنة قبل المسيح يقودهم اليها الزعيم هيميلكو فاجتازوا خليج بسكايه (غربي فرنسا) ووصلوا الى جزر « استرمنيدس » فوصفوها بأنها غنية بمعادن القصدير والرصاص وان سكانها ذوو انفة وأصحاب كد اعتادوا الاتجار وخوض البحار في قوارب يصنعونها من الجلد . واقلع الفينيقيون منها الى الجزيرة المقدسة الخضراء (ايرلاندا) وسكانها اذ ذاك الهيبرناويون . وقد كان الفينيقيون واليونان يأتون بالقصدير من جزر استرمنيدس التي سماها اليونان كاسيتريدس الذي تفسيره جزر القصدير . وقد أدخل الفينيقيون بين البريطان كثيرًا من المصنوعات . ويقول اهل غربي انكلترا انهم هم الذين علموا اسلافهم في تلك الاصقاع استخراج القشدة والزبدة بدون ان يخضد اللبن



(ش ٢) منازل البريطان



(ش١) رجل بريطاني

(لباس البريطان) وصف مؤرخو الرومان القدماء سكان بريطانيا لعهدهم

وما كانوا يأتزرون به فقالوا فيهم انهم طوال القامة طوال الشعور يضرب لونهم الى البياض وكان لباسهم سراويل فوقها قميص قصير يتمنطقون فوقه ويغطي الجميع شيء كالجبة واحذيتهم مصنوعة من الخشب وكانوا يركبون الخيول في الحرب ويتقلدون الدروع والبيض الشرقية. وكان أشرافهم يركبون مركبات على جانبيها ما يشبه المناجل اما أهل الشمال منهم فكانوا يتسترون بالجلود الا بعضاً منهم مابرحوا عراة وانما استعاضوا من اللباس بما كانوا ينقشونه على أجسامهم من أنواع الوشم كما ترى في الشكل الاول

﴿ معادنهم ﴾ ومن معادنهم في ذلك الزمان الذهب والفضة والقصدير والحديد يصدرونها الى غاليا القديمة وهي فرنسا. وكانوا يتجرون بالحبوب والمواشي والعبيد وكلاب الصيد. وكانت لغة أهل الجنوب منهم أشبه شيء بلغة سكان غاليا على ما رواه استرابون. والذي يستفاد من تاريخ بريطانيا القديم ان هذه البلاد تلقت ما وصلت اليه من الارتقاء والتقدم عن القارة الاوربية وانها كانت في العصور الاولى متأخرة عما سواها من بلاد الغرب

﴿ غزوة الرومان ﴾ يضيق بنا المجال عن تتبع الحوادث التي تلت الفتح النورماندي فخير لمن أراد التوسع فيها ان يرجع الى المدون من ذلك في كتب التاريخ. وانما نلم هنا بالاجيال التي تعاقبت على حكومة البلاد وما خلفته من الاثر في الامة فان الرومان أتوا بريطانيا بكثير من الفوائد كتمهيد الطرق الكثيرة لتسهيل التجارة ومنع الحروب الاهلية التي كان يثيرها مابين القبائل من الاحقاد والضغائن مما آل الى ارتقاء العلوم والفنون فضلاً عن استنباط المناجم وما أدخله الرومان الى البلاد من الحيوانات الداجنة والطيور

واقام الرومان في بريطانيا المعاقل والحصون وبثوا الجيوش في نقط كثيرة كما يتضح من الاسماء الباقية الى اليوم التي تنتهي بلفظة (تشن) وكان لهم في بريطانيا الشان الاكبر فدخلت الديانة المسيحية البلاد في عهدهم لكن الرومان انجلوا عنها ولحق بهم جميع ماخلفوه من الاعمال والآثار الا أثراً ضئيلاً حتى ان الدين المسيحي لم

يثبت فيها بعد قدوم السكسون

قلنا ان الانجلوسكسون وافوا بريطانيا واحتلوها بعد انقضاء ملك الرومان فيها وكان هؤلاء الغزاة اشداء يحبون الحرية طوال القامات بيض الالوان شقر الشعور وكانت معيشتهم على غاية البساطة الا زعماءهم فكانت بيوتهم مبنية نصفها من الحجر والنصف الآخر من الخشب . وفي كل بيت من بيوتها الكبيرة قاعة لاستقبال الزائرين وكانوا يشدون الجدران بالانسجة المنقوشة ويغرسون فيها الاوتاد لتعليق الامتعة . وكانوا يوقدون النار على الارض ويجلسون على مقاعد من الخشب ويأكلون اطعمتهم على موائد منصوبة على أرجل لم تسمر بها . وكان طعامهم مقتصراً على الخبز والزبدة واللبن والجبن وانواع الخضر والسمك ومن اللحوم الجنبون أي لحم الخنزير ولم يكونوا يتفننون في الاطعمة فكانوا يأكلون اللحوم مسلوقة في الغالب

(ش٣) امرأة انجلوسكسونية

وكان من عاداتهم الاكثار من الشرب بعد الاكل . ومن كان منهم مثرياً قدم لضيوفه النبيذ في كؤوس الفضة والذهب ومن كان من العامة فالكؤوس مصنوعة من قرون الحيوانات . وكان شرابهم المذر والنبيذ وقل من استعمل الخمور فيهم لغلاء ثمنها وكانوا عند تعاطيهم الراح يشرب الواحد منهم نخب الآخر . ويتفاخرون ويتناشدون الاشعار ويقصون الوقائع — وانما غلب ان يقوم بهذه نفر من الشعراء كانوا يتغنون بالشعر واخبار أبطالهم وفرسانهم . وكانت نساؤهم خبيرات بالغزل والنسج والتطريز وكن شديدات الاعتناء بأطفالهن . ومن عاداتهم في ذلك الزمان ابتياع الزوجات والطلاق

ومما يرويه التاريخ عنهم جفاؤهم لخدمهم وعبيدهم واستعمالهم القسوة في معاملاتهم على انهم كانوا كثيري التصدق على الفقراء وذوي العاهات وكانوا على شغف بالصيد والقنص يربون البزاة والعقبان ويحسنون ركوب الخيول وقل من استعمل فيهم المركبات

وكانت الضيافة عامة فيهم لقلة الفنادق وعدم اهتمام أصحابها براحة المسافرين. ولم تكن السبل حينئذ آمنة فكان المسافر في خطرٍ دائم وانتشر الغش والخداع بينهم حتى سنت الحكومة شريعة تقضي بعدم عقد بيع دون حضور شهود عدل

اما النورمان فكانوا اميل الى رخاء العيش وبسطته فانهم شرعوا بعد موت وليم الظافر ينشئون القصور الفخيمة لاشرافهم فباتت تلك القصور مراسح للبذخ واللهو والفواحش وكان هؤلاء النورمان كاسلافهم من الانجلوسكسون في عاداتهم بما يختص بالاكل الا ان شرابهم كان من الخمر وفاقوا اولئك في التفنن بطبخ الاطعمة واستعمال كؤوس الزجاج بدلاً من القرون لكنهم حافظوا على البساطة في أثاث بيوتهم ورياشها الا الاسرة فانها صارت أحسن منها قبل وزادت اتقاناً وزخرفة. هذا كان حال الاشراف اما العامة فما فتئوا على حالهم من الفقر والمذلة عرضة لطمع الاغنياء وجشعهم. اما آدابهم فكانت على الغالب سيئة ولم يفضلوا من تقدمهم الا بما ادخل بينهم من آداب المعاشرة والرقة في المجالس والمحافل مما تلقوه في بيوت كبرائهم

(ش ٤) رجل نورمندي بقوسه وسهمه

وتعلم بعضهم لعب الشطرنج فما لبث ان شاع بينهم وعقب ذلك شيوع ورق اللعب ثم المقامرة وكانوا يميلون الى الغناء والشعر ويكرمون الشعراء وكان بين هؤلاء من اتقن الالعاب اليدوية الجامعة بين الخفة والرشاقة

وكان النورمنديون (او النورمان) على شغف بالالعاب الرياضية يمارسون الصراع والملاكمة وقذف الاثقال ورمي السهام ومصارعة الثيران وقتال الديوك وانتشر

ذلك فيهم حتى قالوا ان الملكة ماري والملكة اليصابات كانتا تشهدان هذه المشاهد

﴿ العصر الحاضر ﴾ من ينظر في تاريخ بريطانيا العظمى يدهش لتباين الاجيال التي اتخذتها موطناً . فقد كان فيها السلت والانجلوسكسون والرومان والبريطان والنورمان وأهل سكندنافيا وغيرهم على ان اختلاط هؤلاء الاقوام وامتزاجهم وارتباط اجزاء المملكة بعضها ببعض قلل الاختلاف في الاجناس فلا يمضي زمن طويل حتى يصير البريطان أمة واحدة فتختفي آثار الفرق بينهم ويصبحون كالرومان



(ش ٥) بعض سكان جبال سكوتلاندا يرقصون على نفخ المزمار

ولما كانت الامة الانكليزية مشهورة في العالم بأسره رأينا ان نوجز في وصف هيئة رجالها ونسائها ونكتفي بالالماع الى أخلاقها

امتاز الانكليز بميلهم الى الاستعمار ومقدرتهم في ادارة أمور الشعوب الخاضعة لهم ومهما قيل في جشعهم فلا ريب في انهم من أقدر أمم الارض على استلام أزمة الاحكام لا سيما في أملاكهم ومستعمراتهم . وهم أهل تجارة وصناعة فلا يقدمهم عن أعمالهم شيء حتى لقد ترى مصنوعاتهم منتشرة في الآفاق . ومما لهم من الخصال الممدوحة تولعهم بالحرية وجهادهم في سبيلها كما يرى من يتصفح تاريخهم . فانهم بذلوا النفس والنفيس في نيل الحرية وحافظوا على ارثهم وهو واحد الاسباب في نجاحهم وتقدم املاكهم

ومستعمراتهم لان الحرية أخت العدل والعدل أساس الملك . وهم شديدو التمسك بتقاليدهم وعاداتهم الا اذا كان منها ضرر عظيم وحكومتهم مرجعها صوت الامة . لان الوزراء مرجعهم مجلس النواب وعليهم التبعة تجاهه . وما أشرافهم اليوم سوى بقايا الاسر القديمة التي حفظت مجدها وكرامتها بحفظها غناها

والانكليز أصحاب كد ونشاط ترى ذلك ظاهراً في العابهم وقل ان يلعبوا لمجرد التسلية وقتل الوقت وانما لغاية ما مثل الرياضة البدنية او الخفة العضلية وما أشبه وهم كثيرو التفكر قبل الجزم في أمر فلا يعقدون النية على عمل مالم يتبصروا به وبعواقبه طويلاً حتى اذا ما جزموا به اندفعوا اليه بكليتهم وبذلوا الغالي والرخيص في اتمامه وهم أبعد الناس عن التخيلات والاوهام فلا يرضيهم الا الحقائق . ولذا لم يكونوا ليني العريكة كالفرنسيين وانما يغلب في اخلاقهم الترفع الى حد الغطرسة وهو سبب نفور الامم منهم وعدم تقربهم من سائر الشعوب . وأحسن ما فيهم محبة الصدق والثبات في الاعمال والحرية وقد قال فيهم أحد كتبتهم المشهورين « لو زاد قومنا على المستحب من أخلاقهم شيئاً من الرقة واللطف والمجاملة لاحسنوا . فلا يلام الاجانب اذا تجنبونا وأبوا مخالطتنا لما يرونه فينا من الترفع والشموخ والحسد والغيرة . فخير لنا ان نرى فينا وفي أولادنا تلك الصفات المعززة لشأن الاخوية بين البشر »

قال أبو الفضل السكري المروزي من مزدوجة ترجم فيها أمثال الفرس

من مثل الفرس ذوي الابصارِ ... الثوب رهنٌ في يد القصار

ان البعير يبغض الخشاشا ... لكنه في أنفه ما عاشا

نال الحمار من سقوط في الوحل ... ما كان يهوى ونجا من العمل

نحن على الشرط القديم المشترط ... لا الزق منشقٌ ولا العير سقط

العنز لا يسمن الا بالعلف ... لا يسمن العنز بقول ذي لطف

لا تك من نصحي في ارتياب ... ما بعتك الهرة في الجراب

من لم يكن في بيته طعام ... فما له في بيته مقام

الانسان

اما صادقٌ واما سافط

الصدق ان يقول الانسان ما يعتقده سواء طابق الواقع ام لم يطابقه فاذا اعتبرنا هذه القضية بكل ما ينطوي تحتها لا نكاد نجد أحداً اصادقاً. لان الناس تعودوا الخروج عن هذه القاعدة في بعض أحوال المجاملة او المساومة . وقد جرت على السنتهم الفاظ وعبارات يقولونها في عرض أحاديثهم مما لا يطابق ما يعتقدونه او هي تخالفه على خط مستقيم . ومع ذلك لا يعدون ذلك كذباً بل هو عندهم من قبيل المجاملة او المسايرة فلا نطمع بازالة هذه العادة وقد رسخت في الهيأة الاجتماعية وتمكنت من أخلاق الناس على اختلاف طبقاتهم وخصوصاً في الشرق

و يقال نحو ذلك في ما تعوده الباعة من المبالغة في امتداح سلعهم ترغيباً للشاري ولا بأس منها اذا لم تجر الى الغش او الخداع لانها تكون من قبيل المجاملة أيضاً وان كنا نفضل التخلص منها كما تخلص منها كثيرون من رجال الاستقامة والصدق . فان بين الباعة من لا يقول غير ما يعتقد وهم الرابحون ولكنهم قليلون وخصوصاً بيننا

وهناك نوع آخر من الكذب جوزه الناس ويسمونه الكذب السياسي وهو ما يدور بين رجال السياسة من المخابرات بما يتخللها من الايهام والمخاتلة والدهاء وهم يغتفرون ذلك لانفسهم بما يرجون به من النفع العائد على أمتهم اذا فازوا بسياستهم . فيندر بين رجال السياسة من يتوخى الصدق بمعناه الحقيقي الذي ذكرناه

على ان ذلك وأمثاله لا يغير المراد بالصادق — فهو الذي يقول ما يعتقده سواء طابق الواقع أم لم يطابقه ولا عبرة في ما قد يفرط منه مخالفاً لاعتقاده لاسباب طارئة لا تضرُّ في أحد أو ربما كان الكذب فيها نافعاً ومن أقوالهم « الصدق محمود من كل أحد الا من الساعي »

فاذا تبين المراد بالصدق فلا يستغرب القارىء قولنا « الانسان اما صادق واما

ساقط » أي ان من لم يكن صادقاً فهو ساقط . والدليل على ذلك ان الصدق يستلزم كل الفضائل وينفي كل الرذائل ومن أقوال القدماء « الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروأة لا تتم هذه الثلاثة الا به » فالصادق لا يكون غادراً ولا ناكثاً ولا يكون عاقاً ولا زانياً ولا خائناً ولا سارقاً ولا خبيثاً ولا مرائياً — الصادق لا يقدم على أمثال هذه الرذائل لانها تحتاج في اتيانها الى استخدام الكذب وتسخير الضمير وهما لا يتفقان مع الصدق — ومن الاحاديث المأثورة « الكذب يهدي الى الفجور »

ولا يكون الصدق مصدر الفضائل الا اذا شمل الفكر والقول والفعل . فصدق الفكر ان يفكر الانسان بحرية أي ان لا يجعل في سبيل تصوراته ما يشوشها أو يكدرها حتى لا تنجلي له الحقيقة تماماً وهو ما يعبر عنه بحرية الضمير او حرية الفكر . وصاحبه يرى الحقائق كما هي فلا يقف في سبيل فكره غرض او تقليد او عادة قديمة تشوش صورة الحق في ذهنه . وصدق القول يستلزم ان يقول الانسان ما يعتقده كما قدمناه . وصدق العمل ان لا يعمل الانسان غير ما يعتقد صوابه . فمن صدق ضميره وقوله وفعله كيف يمكن له ان يغدر بصديق أحسن اليه او يخون رجلاً أمنه على ماله أو عرضه . وكيف يجيز لنفسه السرقة وهو يعتقد انه عدوان يده الى ما ليس له وصدق العمل ينافي ذلك . ولنفس هذا السبب لا يكون الصادق عقوقاً ولا ناكثاً ولا غادراً ولا نماماً ولا واشياً ولا ساعياً . فانه اذا حدثته نفسه بارتكاب مثل هذه الدنايا كان له من ضميره رادع . على ان السعاية وان كانت في الظاهر تدل على صدق القول لكنها تنافي صدق الفكر وصدق العمل . لان الساعي وهو ينقل طعن أحد الناس في آخر انما يفعل ذلك بقصد الوقيعة ويتظاهر بغير ذلك وهو ما نعبر عنه بكذب الضمير . ومن لطيف ما روى من حوادث النميمة ان انساناً رفع الى الصاحب بن عباد رقعة يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان مالاً كثيراً فكتب اليه على ظهرها « النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعي لعنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله »

ثم اذا تحريت الفضائل التي هي أساس العمران رأيت معظمها يرجع الى الصدق

فهل يكون الانسان عادلاً ان لم يكن صادقاً والعدل يستلزم صدق الضمير وصدق العمل ولا يقدم الانسان على ظلم الانسان الا اذا خالف ضميره وناقض أحكام عقله. والعبادة لا تصلح الا بالصدق فمن أدى فروض الصلاة وهو لا يعتقد انه يفعل صواباً لا تنفع صلاته شيئاً. وكذلك المودة والوفاء وحفظ العهد والبر بالوالدين فانها تقتضي ان يقول الانسان او يفعل ما يعتقده وقس على ذلك سائر الفضائل الرئيسية — فهل نبالغ اذا قلنا « الانسان اما صادق واما ساقط »

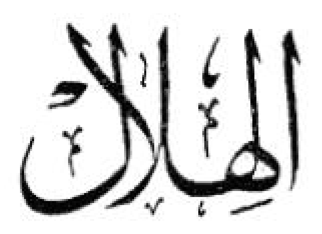
فالصدق أصل الفضائل علموه لابنائكم — علموهم الصدق (فقط) والصدق يعلمهم كل فضيلة — على انكم قد لا تحتاجون الى تعليمهم اياه بل يكفي ان لا تعلموهم الكذب لان الطفل يولد صادقاً لا يعرف التظاهر بغير ما في ضميره ثم يساق بضعف الطبيعة البشرية الى ما يقع عليه من المؤثرات. فاذا لم ينتبه الوالدون الى هذا المبدأ أفسدوا أولادهم وهم لا يعلمون فيهونون عليهم الكذب في سبيل المجون أو المازحة وقد يسرون لاول كذبة يكذبها ابنهم ويعدون ذلك ذكاء منه فينشطونه على السير في هذه الطريق وهم غافلون. ومن أكبر مفسدات التربية ممازحة الطفل بالكذب كأن تعده بشيء اذا أتي اليك مثلاً ثم اذا جاء لا تعطيه اياه. او ان تقول له جاء فلان وهو لم يجيء أو نحو ذلك مما لا يظهر لاول وهلة في شيء من الاهمية ولكنه يجر الى امتهان الصدق. فلا تعد ابنك بشيء الا وفيت له به. واذا كذب ابنك كذبة ولو كانت صغيرة فاوهمه انها كبيرة جداً — اتعب نفسك في تدريبه على الصدق منذ طفوليته فاذا فعلت ذلك فانك تكون قد بنيت له أساساً لسائر الفضائل

ولله در القائل

لا يكذب المرء الا من مهانته	او فعله السوء او من قلة الأدب
لبعض جيفة كلب خير رائحة	من كذبة المرء في جد وفي لعب

والقائل

عليك بالصدق ولو انه	احرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فاغبى الورى	من اسخط المولى وأرضى العبيد



الجزء السادس من السنة الحادية عشرة

١٥ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٢ و ١٥ رمضان سنة ١٣٢٠

ملوك الشرق وامراؤه



﴿ نظام حيدر اباد ﴾

النظام وحيدر اباد

﴿ الهند ﴾ تقسم بلاد الهند باعتبار حكوماتها الى ثلاثة اقسام (١) الهند الانكليزية (٢) الممالك الهندية المحالفة لانكلترا (٣) الهند المستقلة

فالهند الانكليزية منها (١)ولاية بمباي تمتد على طول الضلع الغربي الجنوبي بين الزاوية الغربية والزاوية الجنوبية ويدخل فيها السند (٢) ولاية مدارس وهي تمتد على معظم الخط الجنوبي الشرقي (٣) الولايات الشمالية الغربية في الشمال ومنها بلاد اود (٤) ولاية البنغال في الجنوب (٥) الولايات المركزية وهي اواسط الهند (٦) بنجاب في الضلع الشمالي الغربي (٧) برار في اواسط الهند (٨) اجمير — وذلك فضلاً عن بورما وجزيرة اندامان وغيرها وتبلغ مساحة املاك انكلترا في الهند ٩٦٤,٩٩٣ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٢٢١,١٧٢,٩٥٢ (احصاء سنة ١٨٩١)

اما الولايات او الممالك المحالفة لانكلترا او المستظلة بظلها فهي متبعثرة بين اجزاء الهند الانكليزية وقد يكون بعضها بعضاً من تلك الولايات وهاك اسماءها وعدد سكانها

حيدر اباد	١١,٥٣٧,٠٤٠	من ولاية مدراس	٣,٧٠٠,٦٢٢
بارودا	٢,٤١٥,٣٩٦	« الولايات المتوسطة	٢,١٦٠,٥١١
ميسور	٤,٩٤٣,٦٠٤	« ولاية البنغال	٣,٢٩٦,٣٧٩
كشمير	٢,٥٤٣,٩٥٢	« الولايات الشمالية الغربية	٧٩٢,٤٩١
رجبوتانا	١٢,٠١٦,١٠٢	البنجاب	٤,٢٦٣,٢٨٠
الهند المركزية	١٠,٣١٨,٨١٨	شان	٢,٩٩٢
من ولاية بمباي	٨,٠٥٩,٢٩٨	المجموع	٦٦,٠٥٠,٤٨٥

اما الممالك المستقلة تمام الاستقلال فاثنتان هما نيبال وبهوتان واقعتان في اقصى الشمال بين سلاسل جبال حمالايا المشهورة بارتفاعها ووعورتها . ولولا ذلك ما نجتا من مخالب الانكليز . مساحة نيبال ٥٤,٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها نحو

مليونين واما بهوتان فمساحتها ٨٠٠ و ١٦ ميل مربع وعدد سكانها نحو نصف مليون

(حيدر اباد) حيدر اباد بلدان احدها في اواسط الهند وجنوبيها وهي مملكة النظام التي نحن في صددها والثانية مقاطعة من مملكة السند غربي بلاد الهند مما يلي بلوچستان . والاولى اكبر وتمتاز عن تلك باضافة لفظ « دكأن او دكن » اليها فيقال حيدر اباد دكن او الدكن واصل هذه اللفظة دكشين ومعناها في لسانهم بلاد الجنوب وهي تطلق الآن على ممالك الهند الجنوبية وفي جملتها حيدر اباد ومدراس وميسور

وحيدر اباد دكن أغنى ممالك الهند وأكثرها سكاناً مساحتها ٨٢,٦٩٨ ميلاً وسكانها نحو ١٢ مليوناً كما رأيت أكثرهم من الهنود وفيهم ما ينيف على مليون من المسلمين . يحدها من الشمال والشمال الشرقي ولايات الهند الوسطى ومن الجنوب والجنوب الشرقي مملكة مدراس ومن الغرب ولاية بمباي . عاصمتها مدينة حيدر اباد وهي واقعة في اواسطها نحو الجنوب وعدد سكانها على مقتضى احصاء سنة ١٨٩١ نحو نصف مليون نفس . واشهر محصولات مملكة حيدراباد الرز والحنطة والذره والزيتون والاثمار والقطن والنيلة والسكر والتبغ والحرير وينشأ فيها صنف من الخيول مشهورة بخيول دكن تستخدم في الجندية

تأسست مدينة حيدراباد سنة ١٥٨٩ اسسها الشاه محمد كولي احد أعقاب السلطان كولي شاه مؤسس مدينة جولكنده سنة ١٥١٢ وهي عاصمة مملكة حيدراباد قبل هذه . فنقل محمد كولي هذا كرسيه منها لقلة مياهها وانشأ حيدر اباد على ضفاف نهر موسي على سبعة اميال من العاصمة الاولى . ويقال انه سماها اولاً « باغناكار » اي المدينة السعيدة او نسبة الى احدى محظياته (باغنا) فلما ماتت سموا المدينة « حيداباد » وما زالت على ذلك الى اليوم . وبذل محمد كولي جهده في عمار حيدر اباد حتى توفي سنة ١٦١١ فخلفه ابنه السلطان عبدالله شاه . وكان ملك المغول في الهند يومئذ شاه جهان الشهير مؤسس مدينة دهلي . فاتفق ان السلطان عبد الله غضب على وزيره مير جملا بسبب ابنه فلما يئس الوزير من رضاء السلطان استنجد عليه شاه جهان فانجده

و بعث الى عبدالله ان يعفو عن وزيره . فزاد عبدالله غضباً عليه ووضع يده على امواله وسجن ابنهُ . فبعث شاه جهان ابنه اورانزيب لتنفيذ امره بالقوة . وكان عبد الله مشغولاً باعداد مادبة لاستقبال اورانزيب وهو لا يعلم بعزمه . فبغته اورانزيب بالسلاح فتفرق رجاله وفر هو الى قلعه جولكنده ووقعت مدينة حيدراباد في ايدي المغول فنهبوها وسلبوها واحرقوا قسماً كبيرًا منها . فخابرهم عبد الله في الصلح فلم يقبلوا الاَّ بشروط ثقيلة قبلها رغم انفه

وتوفي عبد الله سنة ١٦٧٢ فخلفه صهره ابو حسين وكان له وزير اسمه ماذونا تسلط على عقله وتصرف في امور الدولة دونه . وعاد اورانزيب في اثناء ذلك لحرب حيدراباد ففتحها وفر ابو حسين الى قلعة جولكنده وقتل الوزير . ثم رضي ابو حسين بالشروط التي وضعوها له وفي جملتها ان يدفع الى ملك المغول ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه

وفي سنة ١٦٧٦ عاد اورانزيب فحارب اباحسين فدافعه دفاعاً حسناً لكنه قبض عليه بخيانة بعض رجاله وارسله اسيرًا الى دولة اباد وبقي هناك حتى مات

فخلا الجو لاورانزيب فوضع يده على تلك البلاد ولكن سلطانه عليها ما زال احتلالاً عسكرياً . وفي سنة ١٧٠٧ توفي اورانزيب واختلفوا على من يخلفه ففاز ابنه الامير معظم فتولى مملكة دهلي وسمى نفسه بهادر شاه . وظلت احوال حيدر اباد في ايامه هادئة . فلما توفي سنة ١٧١٢ اختلف اولاده فقتل احدهم عظيم الشان وتولى الملك اخوه جلاندار . وكان لعظيم الشان ولد اسمه فروخ سيار لم يذعن لسلطان عمه واستنجد بعض القواد والامراء فانجدوه فتغلب على عمه وقبض على ازمة الملك وخلع على انصاره خلعاً عظيمة ورقاهم في مصالح الدولة وفي جملتهم قائدٌ اسمه چنكليش خان فسماه « نظام الملك اصاف جاه » وولاه حيدراباد وهو مؤسس عائلة النظام الحالية

ولكن اصاف جاه مالبث ان استقل بملك حيدر اباد . فلما توفي سنة ١٧٤٨ اختلفوا على من يخلفه وكان اقوى طلبة العرش اثنان احدهما نوارجنك بن اصاف جاه والآخر مظفر جنك احد حفدته وكان نزاعهما سبباً لدخول المملكة في سلطة الغرباء . لان نوار استنجد الانكليز ومظفر استنجد الفرنساويين فغلب الاول وقبض على مظفر

لكنه ما لبث ان قتله احد اتباعه وخلا الجو لمظفر و تولى الملك . وهذا ايضاً قتل غيلة فاصبح العرش خالياً فعاد طلابه الى الخصام وعاد الانكليز والفرنساويون الى نصرة الاحزاب فتوالى على الملك بضعة آخرون لم تطل مدة حكمهم . وكانت انكلترا مع الاحزاب الغالبة فنالت بتوالي الحوادث امتيازات خصوصية كانت في باديء الرأي تجارية ثم صارت سياسية حتى اصبحت حيدر اباد في جملة ايالات الهند المحالفة لها . ومن شروط المحالفة ان يبقى حاكمها وطنياً وحكومته وطنية وان يكون معه مستشار انكليزي وان لا تزيد قوته العسكرية عن مقدار معين وليس للنظام ان يشهر حرباً او يعقد صلحاً ولا ان يرسل سفراء الى ممالك الهند الاخرى او لغيرها . ولانكلترا الحق في خلع امراء الممالك الهندية الممتازة اذا ساؤا الحكومة وظلموا الرعية

﴿ النظام الحالي ﴾ اصل هذا اللقب « نظام الملك » كما تقدم ثم صار « امير نظام » ثم اختصر فصار لفظ « النظام » علماً لملك حيدراباد كما هو لفظ خديوي علم لملك مصر . والنظام الحالي اكبر امراء الهند وهو يحيى و باطلاق عشر بن مدفعاً . ولد في ١٨ اغسطس سنة ١٨٦٦ وسمي عند ولادته « مير محبوب علي » وهو الآن في السادسة والثلاثين من عمره . تولى مسند حيدر اباد عند وفاة والده افضل الدولة في فبراير سنة ١٨٦٩ وهو طفل وكان يقوم بامور الحكومة نوابه حتى ارشد . وقد اصبحت القابه كثيرة فهو « اصاف الدولة مظفر الملك رستم الدوران ارسطو الزمان زمام الملك نظام الدولة نواب مير محبوب علي خان بهادر فتح جنك » وهو مقيم في مدينة حيدر اباد عاصمتها وجنده فيها نحو ٣٠٠٠٠ رجل و٣٥ مدفعاً

وينتسب نظام حيدر اباد الى ابي بكر الصديق ولذلك كانت منزلته رفيعة بين امراء الهند . ولانكلترا ثقة كبيرة به كما كانت في ابيه من قبله . لان اباه ساعد انكلترا في اخماد عدة ثورات اهلية حصلت في ميسور وغيرها فاهدته وسام « كوكب الهند » وعشرة آلاف جنيه وتخلت له عن ديون كانت على مملكته من قبل

فالنظام الحالي سار على خطوات والده في مصادقة الانكليز . فلما جردوا الى مصر ثم الى السودان كتب اليهم سنة ١٨٨٥ يعرض ارسال جند من رجاله لمساعدتهم

في مصر وكرر ذلك العرض خصوصاً لما سحفت جنود الروس على حدود افغانستان. ولما احتفل الانكليز بيوبيل الملكة المرحومة سنة ١٨٨٧ أظهر سمو النظام ما يؤيد تعلقه بصداقة انكلترا بكتاب بعث به الى اللورد دفرين حكمدار الهند عامئذ يكرر فيه رغبته في خدمة مصالح الانكليز بالمال والرجال وقد عرف الانكليز له ذلك وزادوا في اكرامه

وقرأنا من رسالة كتبها احد نزلاء حيدر اباد في العام الماضي يصف بها سمو النظام هذه خلاصتها :

« هو متوسط القامة عريض الوجه بسام اسمر اللون واسع العينين كبير الهامة حليق الذقن ويطلق اللحية من الخدين (كما ترى في الرسم بصدر هذا الهلال) ويلبس تارة الملابس الهندية المركبة من الاقمشة الحريرية المزركشة والسراويل الضيقة جداً ويتعمم بالعمائم الهندية المتوجة بتاجه الخصوصي . ويلبس احياناً الملابس الافرنجية الانكليزية والبرانيط في ايام الصيد والقنص . ولكنه لبس الطربوش العثماني الاحمر بعد الحرب اليونانية بدون زر . وله من الملابس ما لا يحصى وله خدم مخصوصة تهتم بملابسه

« وعنده من النساء اربعمائة جارية ولكل واحدة منهن خدم متعدده وله قصور كثيرة تقدر بمبالغ طائلة جلب رخامها من ايطالية واكبر قصوره المسمى (فلك نما) مبني على شاهق جبل أنفق على بنائه وفرشه اربعة ملايين ليرة انكليزية . وله مرتب قدره ستمئة الف ليرة سنوياً ينفقه على نفسه وعلى أهل بيته ويتبرع به على الفقراء والمساكين والمدارس والمساجد والكنائس والجمعيات . وللنظام عادات وأخلاق غريبة منها انه يقدر ان يقف على قدميه ٢٤ ساعة بدون ان يتحرك أقل حركة . ومنها انه يمكث ثلاثة أيام او اكثر بلا أكل ولا شرب . وله ولع بنظم الاشعار الرائقة وهو اشعر اهل بلاده . وله شاعر خاص يلقب بفصيح الملك بهادر وهو استاذه بنظم الاشعار ولا يجلس في مجلسه العادي احد غير هذا الشاعر . والنظام يحسن اللغات الانكليزية والاردو الهندية والفارسية وقليلاً من العربية

« وله ولد ذكر وهو ولي عهده وعمره ١٨ سنة واسمه « عثمان علي خان » و بنت

واحدة عمرها ١٦ سنة . وفي بلاده مدارس عديدة للعلوم والفنون وتحصيل اللغات وجمعيات كثيرة للادب والشعر والنثر بجميع اللغات . وعندهم خطباء عديدون . وللنظام ٤٠٠ من الفيلة متعلمة ومتعودة يقودها السياس وهي تسلم عليه في الايام الرسمية فترفع خراطيمها اجلالا لسموه. ومن طبيعة هذه الافيال انها تكره الاجانب والانكليز ويوجد في بلاده جرائد متعددة باللغة الهندية والانكليزية

« وله شغف باقتناء جياد الخيل وكلاب الصيد وقد ابتاع كلباً باربعة الاف ليرة انكليزية . ويخرج كل سنة مع الافيال لصيد الاسود والحيوانات المفترسة ويؤكدون انه قتل اكثر من اربعة عشر اسداً وهو يعلق رؤوسها في صالونه الخاص . وهو يدخن السكاير الانكليزية ويقدر ثمن كل سيكارة منها بخمسة فرنكات

« ويحب اهل الصنائع والحرف ويحسن الحدادة والغزل وعمل الاقفاص الخشبية وضرب العود الهندي والغناء ويحسن الرقص الافرنجي ولكنه لا يرقص ابداً . وفي بلاد النظام جمعية تألفت حديثاً لرفع الحجاب عن النساء لكن النظام لا يميل لهم وهو يقرأ الجرائد اليومية في كل مساء ويدعو اصحاب الجرائد في كل سنة مرة في يوم ميلاده ويقرأ عليهم الخطب ويعدد اعماله اليومية ويكرمهم بالدراهم

« ويعتقد بخلافة جلالة مولانا السلطان ويأمر الوعاظ والخطباء بقراءة خطبة الجمعة والاعياد باسم جلالته . وفي الحرب الروسية واليونانية بعث الاعانات للاستانة وقد تبرع بخمسين الف ليرة للسكة الحديدية الحجازية وحينما يذكر اسم السلطان لديه يقوم عن كرسيه احتراماً لاسمه » اه

قال عبد الحكم خطيب جامع مصر يستجلي زوجته :

سترت وجهها بكفٍّ عليه ... شبك النقش وهي تجلى عروسا

قلت لم يغنِ عنك سترك شيئاً ... ومتى غطت الشباك الشموسا

وله : ومأدبة بتنا بها في لذاذة ... يخيل لي إنّا على الماء نوّمُ

فمن فوقنا الافلاك والفلك تحتنا ... ففي تلك اقمارٌ وفي تيك انجمُ

باب المقالات

فيكتور هوكو

وعلم الادب عند الافرنج والعرب

لكاتب فاضل (تابع لما قبله)

وسمي كلام هذه الطبقة من الادباء «كلام الجاهلية» لجهلهم ما جاء به الاسلام والاَّ فهم أئمة في الادب يقتدى بهم . ولذا اتخذ من جاء بعدهم كلامهم منوالاً نسجوا عليه مثله وقالباً افرغوا فيه شبهه من الالفاظ والتراكيب . ولم يزل الادباء على ذلك الى يومنا هذا كما فعل أصحاب «عكاظ الادب» المطبوع في الاستانة عقب الحرب اليونانية الاخيرة . واذا تأملنا كلام الجاهلية نجدهم وصفوا الطبيعة أحسن وصف وصوروها أكمل تصوير بالنسبة لحالتهم البدوية ولصحاريهم الرملية فميزوا بين أنواع الرمل وسموا كل نوع باسم مخصوص مثل (الحقف) وهو الرمل المنفرج و (العقنقل) الرمل المنعقد الداخل بعضه في بعض و (البطن) من الارض و (الخبت) من الارض كل ذلك من أشكال الارض المختلفة كما قال امرؤ القيس في معلقته

فقمت بها أمشي تجر وراءنا	على أثرنا أذيال مرط مرجل
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى	بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

والمرط نوع من أثوابهم يقال له شبه الترجيل حسب (مودة) ذلك الزمان فوصفوا في هذا النمط جميع ما شاهدوه في الطبيعة ونطقوا بما شعروا به في قلوبهم ووجدوه في انفسهم من التأثر الحسي وان ذكروا بعيراً أو فرساً لم يتركوا شكلاً الا شرحوه شرحاً مفصلاً . فحيث كانت الفصاحة هي الاقتدار على الابانه عن المعاني الكامنة في

النفوس كانت غاية الاديب منهم اثبات اقتداره على ايراد صور مختلفة للشيء الواحد واظهار تعمقه في معرفة اللغة وحسن تصرفه في استعمال الكلمات المترادفة المتقاربة . وكان لهم نظر جيد في العوالم والكائنات كقول قس في بعض الروايات، « ليل داج وسماء ذات ابراج ونجوم تزهر و بحار تزخر وجبال مرساة وأرض مدحاة وانهار مجراة الخ » ولهم أساليب بديعة في ذكر البرق والسحاب والمطر وسائر التغيرات الجوية وكذا في ذكر الرسوم والطلل والمنازل والروض والاشجار ومنابت العشب الى غير ذلك مما هو مذكور في كتبهم ومعروف

ولغزارتهم وتمكنهم من اللغة لم يكونوا يتصنعون لتأليف المحاسن البديعة في الكلام انما كانت نوابغ الكلم تتفق لهم اتفاقاً وتطرد في كلامهم اطراداً بخلاف من أتى بعدهم فانهم صنفوا المحاسن البديعة تصنيفاً وتحروا عليها . ومع ذلك فالبليغ من الكلام لم يصدر من افواه الجاهلية الاَّ بعد التروي والتصنع والتنقيح والتهذيب وقد تعبوا وكدوا أنفسهم وجاهدوا خواطرهم وكان زهير يسمي كبير شعره الحوليات المنقحة

وقال عدي بن الرقاع

وقصيدة قد بت أجمع بينها   حتى أقوّم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته   حتى يقيم ثقافه منآدها

وقال سويد بن كراع :

أبيت بأبواب القوافي كأنما   أصادي بهاسرباً من الوحش نزعا

وسموا زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر لانهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين . قال الباقلاني « وكانت العرب تعلم أولادها قول الشعر بوضع غير معقول يوضع على بعض أوزان الشعر كانه على وزن (قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل) و يسمون ذلك الوضع الميتر واشتقاقه من المتر وهو الجذب أو القطع يقال مترت الحبل بمعنى قطعته أو جذبته » . والفرنساويون يسمون العروض ميتر وميتريك و يقولون انه مشتق من معنى القياس باليونانية وله دروس مخصوصة وأساتذة في الصوربون . والف في العروض العربي المستشرق استانسلاي كوبار معلم العربية في (كلية فرانسا) عدة

رسائل واستنبط فيه قواعد جديدة دل عليها الجائزة وثناء العموم · وعبر العرب عن قول الشعر ونظمه بالقرض وعن الشعر بالقريض · ومعنى القرض القطع لان الشعر مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف الاخير من كل قطعة · وكانت عنايتهم في الجاهلية مصروفة للكلام على المنظوم من شعر وسجع لان تأثيره في النفوس أشد لما يحدثه من النغمة التي تطرب لها الاذن وتلهو بها عن تمحيص الحق من الباطل في الكلام · وذلك ان الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم أي المسبوك تنقسم الى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه · ثم الى أنواع الكلام الموزون غير المقفى · ثم الى أصناف الكلام المعدل المسجع · ثم الى معدل موزون غير مسجع · ثم الى ما يرسل ارسالاً وتطلب فيه الاصابة والافادة وأفهام المعاني على وجه بديع وترتيب لطيف · وهذا القسم الاخير شبيه بالكلام الذي لا يتعمل ولا يتصنع له · بخلاف القصيد من الشعر فانه يلتزم فيه قافية واحدة الى آخر الكلام ويشترط ان يكون كل بيت كلاماً وحده مستقلاً عما قبله وما بعده واذا أفرد كان تاماً في بابه في مدح او غزل أو رثاء او هجاء او حماسة · والرجز ضرب من الشعر ولو لم يلتزم فيه ان يكون على قافية واحدة · والسجع يلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة ويذمون كل سجع خرج عن اعتدال الاجزاء · والمقفى قد انتصر له في زماننا عبد الحق حامد بك مستشار السفارة العثمانية في لوندره والف فيه رواية باللسان التركي على الطرز الجديد · وأما المرسل فهو الذي يرسل فيه الكلام ارسالاً بدون تقييد بقافية او سجع او وزن او شيء ما بل يطلق اطلاقاً · ويتأتى في هذا القسم من الفصاحة والبلاغة مالا يتأتى في السجع ولا في الشعر لان السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع او القافية · وكذلك الشعر يضيق نطاق الكلام ويمنع القول من انتهائه ويصده عن تصرفه على قواعده · ومن يلتزم في كلامه السجع او الوزن أو القافية فهو يلفق بها ما ينقصه من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال ويجبره بذلك القدر من التزيين بالاسجاع ورن الصوت بالوزن والنغمة كما يزينه ببقية الصنائع البديعية ويغفل عما سوى ذلك من بلاغة المعاني · فلما سلك الشعراء في الجاهلية حفظ الالفاظ وتصنيعها

دون ضبط المعاني وترتيبها عرض بهم القرآن الكريم فقال « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون » قال الباقلاني « فأخبر انهم يتبعون القول حيث توجه بهم واللفظ كيف أطاعهم والمعاني كيف تتبع ألفاظهم وذلك خلاف ما وضع عليه الابانة عن المقاصد بالخطاب » . ولما شرعت دية الجنين جاء بعض العرب الى النبي عليه السلام وكلموه في هذا الشأن ولفقوا كلامهم بالسجع ليجعلوا فيه قوة الحجة الدافعة والبرهان القاطع فقالوا :

— كيف ندي من لا أكل ولا شرب ولا صاح فاستهل أليس دمه قد بطل

فقال : — اسجاعة كسجاعة الجاهلية ؟ اسجعاً كسجع الكهان ؟

نعم ان الشعر اذا تهذب ووفي له بجميع الاسباب لم يقاربه من كلام الادميين كلام ولم يعارضه من خطابهم خطاب . ولكن قلما يفلح الشاعر المجيد الاّ في بعض الابيات سيما في الشعر العربي حيث ضيق فيه النطاق على الشعراء والزموا باتباع القواعد التي تخطاها شعراء الافرنج . على ان أكثر فحول الادب في البلاد المتمدنة صارفون عنايتهم في يومنا الى النثر المرسل دون النظم كما فعل فيكتور هوكو في آخر عمره وكما يفعل اليوم اميل زولا وغيره مثل تولستوي اديب الروس

ط

ثم ظهر الاسلام وجاء القرآن بافصح لفظ وأبلغ معنى على أسلوب جديد يخالف أساليب العرب في النظم والنثر فلا هو مرسل ولا مسجع بل تفصيل ايات ينتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الاخرى من غير التزام حرف يكون سجعا أوقافية وسميت آخر الايات فواصل لانها ليست اسجاعاً ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع ولاهي أيضاً قواف . ووقع اللفظ في القرآن تابعاً للمعنى ولذا فاق كلام الكهان وأهل الرجز والسجع والقصيد وغير ذلك من انواع بلاغتهم . لان الواحد منهم ان برع في فن من فنون النظم أو النثر قصر فيما دونه والقرآن أبدع في جميع ضروب الكلام وطرق الافادة واشتمل على قصص وأخبار وشرائع وأحكام ووعد ووعيد وترهيب وترغيب وتنزيه وتحميد وحجج على التوحيد وأمثال

سائرة ومواعظ زاجرة وأصول ادارية وسياسية وغير ذلك مما لم يحط بنصفه بل ولا بربعه اديب من الادباء ولا شاعر من الشعراء . وناضل عن الحرية وخفف أذى العبودية وندد بالظلمة وتوعدهم بما تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم فقال في الوعيد « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » وبين استبداد المستبدين من الملوك والسلاطين وكيفية ايقاعهم التفرقة بين رعاياهم ثم ايصال الجور والاذى اليهم فرقة بعد أخرى كما كانت سياسة فراعنة مصر ونماردة بابل وقياصرة الرومان والروم واكاسرة الفرس وقال في تصوير هذا الاستبداد :

« ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين . ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونوري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون »

قال الباقلاني [1] « ذكر العلو في الارض باستضعاف الخلق بذبح الولدان وسبي النساء واذا تحكم في هذين الامرين فما ظنك بما دونهما لان النفوس لا تطمئن على هذا الظلم والقلوب لا تقر على هذا الجور . ثم ذكر الفاصلة التي أوغلت في التأكيد وكفت في التظلم وردت آخر الكلام على أوله وعطفت عجزه على صدره . ثم ذكر وعده تخليصهم وجعلهم مستقلين بأمرهم وارثين لارضهم » ومما ورد في القرآن الكريم في السياسة والمناسبات الدولية التي كانت بين مملكة فلسطين وعاصمتها اذذاك أورشليم وبين مملكة سباء وعاصمتها مأرب وما كتب به سليمان بن داوود عليهما السلام الى بلقيس وما اشتغلت به من التدبير والمشورة واستطلاع عواقب الامور وارسال الهدية لفك عراقيل السياسة بالوسائط الديبلوماتية الى غير ذلك ما نصه : [2]

قال — اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون

---

(١) اعجاز القرآن (٢) سورة النمل . والذي قال هو سليمان عليه السلام وقالت هي بلقيس وقالوا هم رجال دولتها واعيان بلادها

قالت — يا أيها الملأ اني القي اليّ كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الاّ تعلوا عليّ وأتوني مسلمين

قالت — يا أيها الملأ افتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون

قالوا — نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين

قالت — ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون . واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون . فلما جاء سليمان

قال — اتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون . ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون — الى آخر القصة— وترى فيها مجيء أهل سباء مسلمين الى أورشليم والاحتفال باستقبالهم . واراءتهم عز الملك وارتقاء الصنائع وما أتى به الذي عنده علم من الكتاب من عرش لملكتهم حتى قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو . واصطناعهم لها صرحا يذكرنا قصر الزجاج الذي أنشىء في معرض باريس الاخير . وقيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير .... قال الباقلاني — وهو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الاشعري المعروف بابن الباقلاني وكان ملك الاسلام في بغداد عضد الدولة من آل بويه ارسله سنة ٣٧١ هـ سفيرًا الى قيصر الروم في القسطنطينية وهو قسطنطين التاسع من سلالة مكدونيا وكانت السفارة في جواب رسالة وردت عليه منه — قال : « متى تهيأ للآدمي ان يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسمية هذه الكلمة الشريفة العالية « الا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين » . والخلوص من ذلك الى ما صارت اليه بلقيس من التدبير واشتغلت به من المشورة ومن تعظيمها أمر المستشار ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها بتلك الالفاظ البديعة والكلمات العجيبة البليغة . ثم كلامها بعد ذلك لتعلم تمكن قولها « يا أيها الملأ افتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون » . وذكر قولهم « قالوا نحن اولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين» لا تجد في صفتهم انفسهم ابدع مما وصفهم به وقوله « الامر اليك » تعلم براعته بنفسه

وعجيب معناه وموضع اتفاقه في هذا الكلام وتمكن الفاصلة وملاءمته لما قبله وذلك قوله « فانظري ماذا تأمرين » ثم الى هذا الاقتصار والى البيان مع الايجاز فان الكلام قد يفسده الاختصار ويعميه التخفيف منه والايجاز وهذا مما يزيده الاختصار بسطاً لتمكنه ووقوعه موقعه ويتضمن الايجاز منه تصرفاً يتجاوز محله وموضعه . وكم جئت الى كلام مبسوط يضيق عن الافهام ووقعت على حديث طويل يقصر عما يراد به من التمام ثم لو وقع على الافهام .... فما يجب فيه من شروط الاحكام كله أو بمعاني القصة وما تقتضي من الاعظام . ثم لو ظفرت بذلك كله رأيته ناقصاً في وجه الحكمة . أو مدخلاً في باب السياسة . او مصفوفاً في طريق السيادة . اومشترك العبارات ان كان مستجود المعنى . أو جيد البلاغة مستجاب المعنى . او مستجلب البلاغة جيد المعنى او مستنكر اللفظ وحشي العبارة . او مستبهم الجانب مستكره الوضع . وأنت لا تجد في جميع ما تلونا عليك الا ما اذا بسط افاد واذا اختصر كمل في بابه وجاد واذا سرح الحكيم في جوانبه طرف خاطره وبعث العليم في أطرافه عيون مباحثه لم يقع الا على محاسن تتوالى وبدائع تترى . ثم فكر بعد ذلك في آية آية او كلمة كلمة في قوله « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » هذه الكلمات الثلاث كل واحدة منها كالنجم في علوه ونوره وكالياقوت يتلألأ بين شذوره . ثم تأمل تمكن الفاصله وهي الكلمة الثالثة وحسن موقعها وعجيب حكمها وبارع معناها وان شرحت لك ما في كل آية طال عليك الامر ولكن بينت بما فسرت وقررت بما فصلت الوجه الذي سلكت فيه والنحو الذي قصدت والغرض الذي اليه رميت والسمت الذي اليه دعوت ثم فكر بعد ذلك في شيء ادلك عليه وهو تعادل هذا النظم في الاعجاز في مواقع الايات القصيرة والطويلة والمتوسطة فاجل الرأي في سورة سورة وآية آية وفاصلة فاصلة وتدبر الخواتم والفواتح والبوادي والمقاطع ومواضع الفصل والوصل ومواضع التنقل والتحول ثم اقض ما انت قاض وان طال عليك تامل الجميع فاقتصر على سورة واحدة او على بعض سور . ما رأيك في قوله « ان فرعون علا في الارض . وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم

يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين » هذه تشتمل على ست كلمات سناؤها وضياؤها على ما ترى . وسلاستها وماؤها على ما تشاهد . ورونقها على ما تماين . وفصاحتها على ما تعرف . وهي تشتمل على جملة وتفصيل وتفسير ذكر العلو في الارض . . . . الخ » اه

ومن ذلك يعلم اقتدار هذا السفير الكبير في « الانتقاد الادبي » [1] الذي له المقام الاسمى بين علوم الادب . وللافرنج فيه عناية زائدة وجرائدهم تنشر فيه المقالات الضافية . ولجريدة الطان محرر ماهر في « الانتقاد الادبي » وهو « غاستون ديشان » واذا امعنا النظر في القرآن الكريم نجده مملوءاً بالمحاسن والبلاغة ولكننا نتلوه في الغالب تلاوة تعبد بدون نظر في حقائق معانيه وتاريخه . والا تأمل قوله « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » تجد في هاتين الكلمتين من البلاغة والفصاحة ما لم يأت بمثله غابريل هانوتو على ما هو عليه من الاقتدار في الادب والعلم والسياسة والحرية الفرنساوية . وما ادراك ما الحرية الفرنساوية — هي الحرية التي انقذت امماً كثيرة من الظلم الاستبداد . وجل ما اتى به في الخطبة التي خطبها اخيراً في الجزائر عن سياسة الاستعمار في افريقية وعما يجب على الدولة المتمدنة في جانب اهاليها المسلمين قوله « يجب لهم علينا الامن ، يجب لهم علينا العدل ، يجب لهم علينا كذلك التساهل » أي بالدين . وقد نشر ملخص هذه الخطبة في جريدة طرابلس الشام في نيسان هذه السنة . فقابل بين تينك الكلمتين وبين هذه الكلمات الثلاث وحكم ضميرك الحر ان كنت من الاحرار واحكم بعد ذلك بما شئت . لو قرأنا القرآن وفهمناه كما ينبغي لوجدنا فيه مقاومة شديدة للظلم والاستبداد وميلاً زائداً للعدل والحرية . ولقد رفع الاستبداد بسببه يوماً ولكن الامم الاسيوية والافريقية أبت الخروج من تحت نير العبودية . أو كما عبر أحد الافاضل بقوله « لما ساد عليهم الجهل ولم يستطيعوا ان يصعدوا الى القرآن بعقولهم أنزلوه من مكانه الرفيع ووضعوه مع جهلهم في مستو واحد »

(ستأتي البقية)

---

(1) Critiques littéraires

الصومال وبلادهم

بالنظر الى ماقام في بلاد الصومال في هذه الاثناء من الحرب بين جماعة منهم بقيادة الملا المفتون و بين الانكليز حتى اضطرت الحكومة الانكليزية للاهتمام بشأنها رأينا ان نأتي على شيء من أحوالها فنقول

الصومال واقعة في اقصى الشرق من قارة افريقيا شرقي بلاد الحبشة يحدها خليج عدن من الشمال والحبشة وافريقية الانكليزية الشرقية من الغرب والبحر الهندي من الشرق والجنوب . وهي كثيرة السهول المرتفعة التي تسرح فيها اصناف الحيوانات المفترسة واهلها لا يزال اكثرهم في حالة الهمجية مع توسط بلادهم وتعرضها للفتوح لوقوعها بين أقدم طرق التجارة وناهيك بخليج عدن فانه مابرح من قديم الزمان طريق تجارة الهند نحو الحبشة ومصر وسوريا . وقد استفاد جيرانهم العرب في اليمن وحضرموت من مرور تلك التجارة بهم فوائد جزيلة وتمدنوا وأنشأوا الدول في مارب وصنعاء وغيرها و بنوا القصور وأقاموا السدود والصومال مازالوا على حالهم لم يتغير شيء من فطرتهم الا مادخل في لسانهم من الالفاظ العربية والحبشية والهندية بما خالطهم من جالية تلك البلاد اليهم أو المارة بهم . يدلك على ذلك انهم من الشعوب التي لا تقبل التمدن . وهم يزعمون انهم عن أصل عربي وان جماعة من اشراف العرب جاؤا من سواحل اليمن واختلطوا بأهل البلاد الاصليين — ولا يبعد نزوح بعض العرب الى تلك البلاد في قديم الزمان وخصوصاً بعد سيل العرم الذي شتت قبائلهم . اولعل بعضهم نزح اليها عند ظهور الاسلام فرارًا من المسلمين أيام الغزو والفتح . ويؤيد هذا الرأي ان الصوماليين يحفظون أنسابهم وبعضهم يذكرون آباءهم في سلسلة قد تبلغ الجيل العشرين او الثاني والعشرين وتنتهي أخيرًا باسم عربي او قبيلة عربية . وفي جملة أقاصيصهم من هذا القبيل ان أميرًا عربيًا اسمه الشريف اسحق بن احمد قطع اليهم من حضرموت منذ نحو خمسمائة سنة ومعه ٤٠ رجلاً . على ان ذلك شأن اكثر القبائل التي اعتنقت الاسلام في افريقيا فانهم يدعون تسلسلهم من أصل عربي لاعتقادهم

بفضل العرب . وذكر الماجور سواين في كتاب وصف به أحوال الصومال انه عثر في بلادهم على آثار أبنية قديمة يظن انها حميرية أو اسلامية وهي قليلة وليس عليها كتابة

وأما الرأي المعول عليه في أصل قبائل الصومال فهو انهم من الجنس الحامي الذي منه معظم سكان الحبشة والغالا وغيرهم من أهل افريقيا مما يلي البحر الاحمر

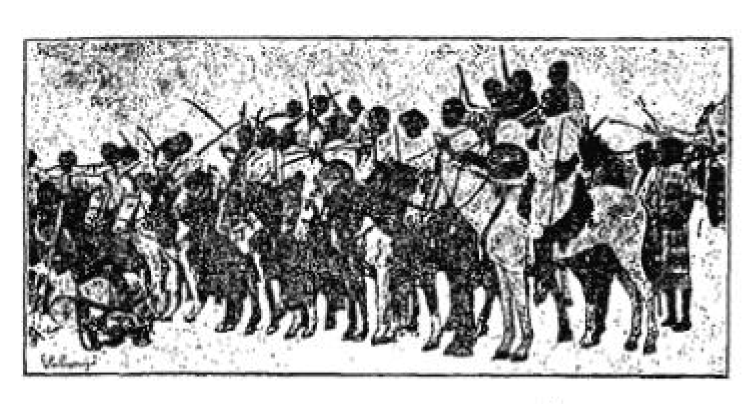
وللصومال تاريخ سقيم كله أوهام وظنون الا بعد ان ارتادها الافرنج في القرن الماضي . وأول من وطئها منهم الانكليز على أثر احتلالهم عدن سنة ١٨٣٩ ثم ارتادها جماعة من أهل الاسفار ولكنهم لم يهتموا بشؤونها الا بعد ان احتل المصريون بربرة سنة ١٨٧٤ على عهد المغفور له اسماعيل باشا الخديوي . وكان احتلال هذه البلاد وسيلة للبحث في داخلية البلاد والمواصلة مع أهل السواحل . فمدت الدول أيديهن اليها وكأنهم اقتسموها فنالت انكلترا القسم الشمالي منها فرضت حمايتها عليه سنة ١٨٨٤

ومساحة الصومال الانكليزية ٦٨,٠٠٠ ميل مربع ولا يعرف عدد سكانها لان اكثرهم قبائل رحل وأشهر بلادها بربرة وسكانها ٣٠,٠٠٠ وزيلع وسكانها ٦,٠٠٠ وبلهار وأهلها ٥,٠٠٠ — وأصاب ايطاليا أيضاً جانب كبير على شواطىء الصومال الشرقية بلغ سنة ١٨٩٦ من جوبا الى مسافة ١٨٠ ميلا على الشاطىء نحو الشمال ومساحتها ١٠٠,٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٤٠٠,٠٠٠ نفس . وأما فرنسا فنصيبها من هذه الفريسة قليل لانها لم تستول منها الا على قطعة صغيرة قرب بوغاز باب المندب مساحتها نحو ٨,٤٦٠ ميلاً وعدد سكانها ٣٠,٠٠٠ نفس ومن مدنها اوبوك

وأهل الصومال اكثرهم مسلمون ويقسمون الى قبائل ترجع الى اصلين كبيرين الايشاقة والبارودة . والايشاقة منهم الجرهاية والتجالة والاوالة وكلهم حوالي بربرة . وأما البارودة فمنهم الميجارتيون في الشرق والدولبوهنت على ضفاف توكال والورسنجال في الشمال وغيرهم في أماكن أخرى مما يطول شرحه

ومن أخلاقهم الراسخة فيهم انهم أهل بادية رحل لا يصبرون على الضيم ولا يحتملون الضغط ويصعب عليهم الرضوخ لاحكام الامراء الا اذا شاؤا . ولعل تلك الخلال من

جملة ماحركهم على الثورة الاخيرة . على انهم لاينفكون عن النزاع فيما بينهم التماساً للسلطة شأن سائر أهل البادية



أمثلة من رجال الصومال ونسائهم

﴿ لغتهم ﴾ لا يدل على أصل الام شيء أوضح مما تدل عليه لغاتها فانها آثار الانساب القديمة التي لم يحفظها لنا التاريخ . ويؤخذ من دراسة اللغة الصومالية ومقابلتها بغيرها من لغات افريقيا انها لغة حامية من اخوات لغات المصريين القدماء والليبيين والاثيوبيين (الاحباش القدماء) وقد درس اللغة الصومالية غير واحد من علماء اللغات الشرقية في أوربا والف بعضهم فيها كتب النحو والمعجمات ودونوا ذلك اللسان بالاحرف الافرنجية الرومانية المشهورة (راجع جوابنا في هذا الهلال عن لغات افريقيا)

وآخر من عني بتفقد آداب الصومال ولغتهم وأخلاقهم الاكاذيمية الالمانية الامبراطورية فنشرت في هذا العام كتاباً حوى الجزء الاول منه آداب القوم وأمثالهم وأقاصيصهم باللغة الصومالية مع ترجمتها بالالمانية . والجزء الثاني معجم من الصومالية الى الالمانية وبالعكس . وفي جملة ما قرأناه في الجزء الاول قصة يوسف الصديق وقصة موسى وتاريخ شمشون ونحوها من قصص التوراة . ثم أمثال الصوماليين وبعض آدابهم وأقاصيصهم الوطنية وفيها ما هو منقول عن العربية مثل قصص أبي نواس ونحوها وهي شيء كثير ننقل منها بعض أمثالهم — والامثال العامية من اكبر الادلة على الآداب الاجتماعية — وهاك ترجمة بعضها :

من لا يصلي لا تواكله لا تحيه ولا تجالسه
كل يحمل في عنقه تعويذة
الغش أوله حلو وآخره مر
حيثما تكون المرأة يكون الخصام
العبد ليس انساناً
العبد لا يشبع
العبد يفضل المديح على كل شيء
اللص معتوه
لا تثق بالسارق
خذ كل ما أعطيك
الفقر رقٌّ
الجهل قبيح

الكهنة جبناء
الرجل الذي لا يشرب لبن النياق ليس رجلاً
التمر سيد الاثمار
الكفار لا يعقلون ولو عقلوا لكانوا مسلمين
حيثما يطيب لي المقام فهناك وطني
لا يصلح المرء بلا صديق
الطماع قتيل الطمع
قليل المعرفة غلامٌ
من لا يستحيي فهو كالحمار
من لا يخبر الناس لا يعرف شيئاً
من لا ينتقم لنفسه فهو حقير
من لا يخلف شيئاً لا يساوي شيئاً

وهاك قطعة من قصة يوسف بلسانهم :

« يوسف سي ماسر با لا كيناي واحا إبسداي فوديفار بوقر — ترياهو فيراعون إبي واح والباو مادَحا أسليفيسونا وامصري . ووحوكا إبسداي رِرْ اسماعيل ياباغا هلكا كينن »

(ترجمتها) « وحمل يوسف الى مصر فاشتراه فوطيفار وزير فرعون ورئيس بيته وهو مصري الاصل وقد اشتراه من الاسماعيليين الذين جاؤا به الى هناك »

﴿ تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

تعليمه في المدارس

عزم بعض اساتذة المدارس المصرية على تعليم هذا الكتاب لصفوف التاريخ العليا ولكنه شكا غلاء ثمنه . فتسهيلاً لتعليمه رأينا أن نجعل للمدارس ثمناً خاصاً تخابر به ادارة الهلال

الخزانات

تاريخ نشأتها — وخزان اصوان

﴿ تاريخ الخزانات ﴾ المراد بالخزان سدٌ يبنى مستعرضاً في مجرى نهر او سيل لحبس مائه واختزانه لحين الحاجة . والماء حياة كل اعمال الارض وخصوصاً الزراعة والانسان انما احتاج الى الزراعة قبل كل صناعة ولكنه لم يكن في اوائل العمران يهتم باختزان الماء او نحوه من عوامل الاقتصاد بل كان اذا امحلت ارضه رحل الى سواها واذا جفَّ نهره التمس غيره . حتى اذا صار قبائل وأمماً اضطر الى الاستقرار وانشاء المدن فلم يكن له بد بعد ذلك من الاقتصاد في سبل المعائش والبحث عن مصادرها فكان في جملة أعماله حبس الماء واختزانه الى ابان الحاجة اليه

وأول ماء حبسه ماء السيول التي تجري في الشتاء وتجف في الصيف فابتنى في مجاريها جدراناً مستعرضة ينتهي طرفاها الى سفحي الجبلين اللذين يكتنفان ذلك الوادي فيحبس الماء وراءه اما للانتفاع به في فصل الصيف او لرفع الماء حتى يرتوي به السفحان او للغرضين معاً

وأقدم ماوصل الينا خبره من تلك السدود « سدمأرب » الذي بناه العرب منذ نيف والفي سنة في واد بين جبلين بأرض اليمن وجعلوا فيه شعباً وأقنية وساقوا اليه سبعين وادياً تصب مياهها فيه فكان يرتفع الماء فيسقي السفحين . ثم تصدع السد بتوالي الدهور وانفجر بعد بضعة قرون فطاف الماء طوفاناً يعرف بسيل العرم وتشتت سكان ذلك الوادي في انحاء جزيرة العرب كما هو مشهور . والظاهر ان بناء السدود كان كثيراً في بلاد العرب بالنظر لخلوها من الانهر او الجداول التي تجري مدار السنة . فهم انما سيقوا الى ذلك الاختراع بالحاجة والحاجة أم الاختراع

فالعرب أسبق الامم الى انشاء الخزانات على مانعلم . والظاهر انهم هم الذين نقلوه الى أوربا عن طريق اسبانيا لما انشأوه في الاندلس من السدود والحياض والقناطر على الانهر الجارية تسهيلاً للري واحياءً للزراعة . فلما عادت اسبانيا الى الافرنج في

القرن الخامس عشر كان ذلك في جملة ما اقتبسوه من تمدنهم . على ان الافرنج احتلوا أميركا الجنوبية منذ أربعة قرون وجدوا في بيرو أمثال هذه السدود بناها سكان تلك البلاد الاصليين في الوديان مثل ما كان يفعل العرب في جزيرتهم

أخذ الافرنج صناعة السدود عن العرب وتفننوا في انشائها على ما اقتضاه التمدن الحديث من ارتقاء الهندسة والعمارة فجعلوا بعضها بقناطر ذات ابواب ترفع وتنزل عند الحاجة ويراد بها رفع سطح الماء أما لري الارض العالية أو لتحويل مجاريها كما هو شأن القناطر الخيرية بمصر . وجعلوا البعض الآخر جدراناً كاملة بنوافذ تقفل قفلاً محكماً لحبس الماء واختزانه الى حين الحاجة اليه وهو مايعبرون عنه بالخزان . ومن هذه الخزانات كثير في ممالك أوربا — أشهر مابني منها في أواسط القرن الماضي خزان بولتن في انكلترا وخزان فيلر قرب مدريد باسبانيا وخزان فورين قرب سانت اتيان في فرانسا وخزان جيلبي في فلفير في بلجيكا وغيرها

على ان الدول الآن كثيراً ماتجتنب انشاء الخزانات لاسباب كثيرة أهمها النفقات الطائلة التي تحتاج اليها ثم الخطر الذي يخشى من انبثاقها بغتة فتطوف على ماحولها وتغرق المزارع وتهدم المنازل . وأشهر انفجار حدث من هذا القبيل انفجار خزان بونتس في اسبانيا فقد كان علوه ١٦٥ قدماً احتمل صدمات الماء احدى عشرة سنة ثم انفجر سنة ١٨٠٢ بغتة فطافت مياهه على ما جاوره ولم تغمر البيوت لكنها الحقت الضرر بثمانمئة منها وأضرت بالزراعة بما يقدر باكثر من مليون ريال . والسبب في انفجار هذا الخزان فساد هندسة بعض قوائمه

وتختلف قوة الخزانات على احتواء الماء باختلاف ارتفاعها وسعتها ومتانتها فارتفاع خزان بولتن ١٢٠ قدماً ويقدر هذا العلو من قاع النهر الى سطح الماء داخل السد . وخزان فيلر علوه ١٥٩ قدماً وخزان فورين ١٦٤ قدماً وهو أعلاها كلها . واذا اعتبرنا علو هذا السد نفسه من قاع النهر الى أعلى الجدار كان مقدار ذلك ١٨٣ قدماً وأما طوله فهو ٣٣٧ قدماً . مع ان خزان جيلبي طوله ٧٧١ قدماً وعلوه ١٥٤ ولكل من هذه الخزانات نسبة خصوصية بين كثافة الجدار وعلوه ونسبة اعلاه الى اسفله ومقدار ثخانته وغير ذلك

﴿ الري في مصر ﴾ كان النيل على عهد التمدن المصري القديم أسهل رياً في أيام هبوطه مما هو عليه الآن لارتفاع النيل عن سائر الارض. وأما في أيام فيضانه فقد كانوا يخافون طوفان مائه فاحتالوا عليه بانشاء ترع كبيرة تتفرع من أعاليه لا يزال باقياً منها حتى الآن بحر يوسف وكان يجري الى الاسكندرية . ويظن بعضهم انه فرع طبيعي لا دخل للانسان في احتفاره — وقد يكون كذلك ولكن الغالب ان يكون صناعياً — ويقال مثل ذلك في شعب النيل التي كانت في مصر السفلى على عهد الفراعنة وقد جفت الآن

﴿ القناطر الخيرية ﴾ وأما الآن فقد أصبح الريُّ عسراً لارتفاع الارض عن مجاري الماء بما يقذفه النيل اليها من الاتربة (الطمي) في كل عام وقد ظهر هذا الفرق خصوصاً في بلاد الصعيد وعلى الاخص في زمن الهبوط . وقد شعر حكام مصر بذلك منذ قرون ولم تكن لاحدهم همة على أمثال هذه المشروعات حتى تولاها محمد علي باشا فكان في جملة اصلاحاته انشاء قناطر عند رأس الدلتا تتساط على فرعي النيل معاً وهو ما يعبر عنه بالقناطر الخيرية فابتدأها وكان الغرض منها (١) رفع الماء حتى يسقي بلاد الصعيد (٢) تحويل مياه أحد فرعي النيل الى الآخر او الى بعض الترع عند الاقتضاء وخصوصاً تحويل مياه الفرع الغربي الى المجاري الاخرى لكثرة مائه وقلة ما يمر به من البلاد الزراعية . فعهد بذلك الى مهندسين فرنساويين رئيسهم لينان باشا فوضعوا الحجر الاول للقناطر الخيرية سنة ١٨٣٥ فلما تمَّ بناؤها لم تف بالغرض الثاني وهو ارتفاع المياه في الصعيد الاَّ الى مسافة قصيرة فاقتضى الامر انشاء قناطر أخرى . وزد على ذلك ان البناء نفسه لم يكن متيناً حتى خافوا وقوعه فكلفت الحكومة مهندسين من الانكليز دعموا البناء فسلم من الخطر لكنه ما زال غير واف بري الصعيد

وبناء على ذلك وضع المستر ولكوكس سنة ١٨٩٣ تقريره بعد درس المشروع وقدمه الى الحكومة المصرية يشير بانشاء قناطر عند أسيوط وخزان قرب اصوان . وليس هو أول من أشار بذلك فقد أشار به السير صموئيل باكر منذ أربعين سنة . فاهتمت الحكومة بدرس مشروع ولكوكس واستشارت لجنة دولية من المهندسين من

أشهر المال الافرنجية فقررت اللجنة ان ذلك الخزان اذا امتلأ في أيام الفيضان يحتوي ٣,٧٦٥,٠٠٠,٠٠٠ طن من الماء فاستعظموا الرأي فعدلوا في هندسته وجعلوا الجدران أقصر مما جعلها ولكوكس بحيث نزل ما يحتويه الخزان الى نحو نصف ذلك ثم عدلت الحكومة مرة أخرى بحيث لا يجتمع فيه الآ ١,٠٦٥,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعب فقط وعهدوا ببناء الخزان والقناطر الى شركة انكليزية اسمها شركة السيرجون ايرد وشركاه

﴿ قناطر أسيوط ﴾ هي على ٢٥٠ ميلاً جنوبي القاهرة بدأت الشركة ببنائها في شتاء عام ١٨٩٨ وانتهت منه في ربيع هذه السنة وهي كالقناطر الخيرية في شكل بنائها ولكنها تمتاز عنها بان الخيرية مبنية من القرميد وهذه من الحجر. طول قناطر أسيوط ٨٣٣ متراً وعددها ١١١ قنطرة عرض كل قنطرة خمسة امتار عليها أبواب من الحديد وعلو هذه القناطر من قاع النهر الى السطح ١٢ متراً ونصف متر وثخانتها عند القاعدة ٢٦ متراً ونصف متر وثخانتها عند السطح سبعة امتار وثمانون سنتيمتراً والغرض من هذه القناطر اصلاح الري مدار السنة في مصر الوسطى والفيوم لانها اذا أقفلت اعاقت جري



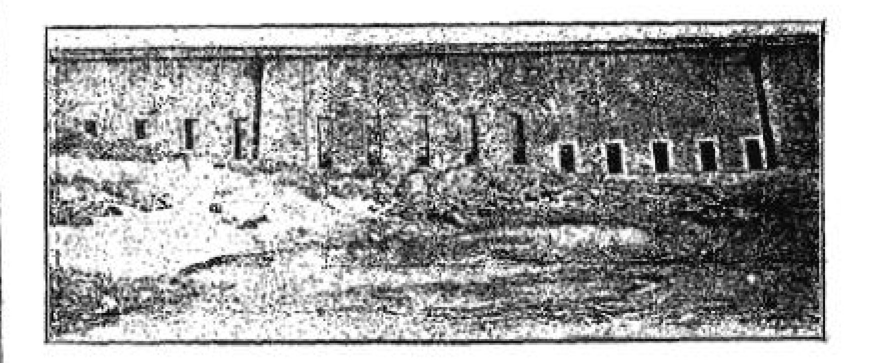
(ش١) تمثيل النيل وخزاناته من الجنوب الى الشمال

(١) القناطر الخيرية في راس الدلتا (ب) خزان اسيوط (ج) خزان اصوان (د) جزيرة فيلي وفيها خرائب انس الوجود (ﻫ) الهويس الذي تسير به السفن

الماء فيرتفع نحو ثلاثة امتار فوق ارتفاعه الاعتيادي فيزيد مساحة الاراضي الزراعية نحو ٣٠٠,٠٠٠ فدان تروى من ترعة الابراهيمية . ولقناطر اسيوط هويس لمرور السفن طوله ٨٠ مترًا وعرضه ١٦ مترًا . وقد وصف السير بنيامين باكر في « لندن ماغزين » ما قاساه بناة هذه القناطر من الجهد في العجلة خصوصاً في مايو ويونيو اذ يكون النيل في معظم انخفاضه فقد بلغ عدد المشتغلين في ذلك نحو ١٣,٠٠٠ رجل

﴿ خزان اصوان ﴾ هو على ٦٠٠ ميل جنوبي القاهرة وقد تقدم ما كان من تقرير ولكوكس بشأنه . وقد اشتدت المعارضة في انشائه محافظة على الآثار المصرية الباقية في جزيرة فيلي وتعرف بهيكل أنس الوجود . لانهم قدروا ان الماء في اثناء انحباسه يغرق تلك الابنية وأما بعد التعديل فأصبح الخوف عليها قليلاً جدًا

وضع الحجر الاول لاساس هذا الخزان في ١٢ فبراير سنة ١٨٩٩ وضعه سمو دوق كنوت وهو الذي جاء بالامس ليشهد وضع الحجر الاخير كما سيأتي . وقد بذلت الشركة العناية في اقامه ومواد بنائه من حجر الغرانيت والسمنت والحصى و بلغ وزن ما كانوا ينجزون عمله في اليوم الواحد ٣,٦٠٠ طن فجاء بناءه من أفخم الابنية فعسى ان يعود على مصر بالنفع المنتظر



(ش ٢) صورة جزء من خزان اصوان تظهر فيه النوافذ

طول هذا الخزان ٢,٠٠٠ متر ويمتد من الجبل الشرقي الى الجبل الغربي وعلوه يختلف من ٢٠ مترًا الى ٤٠ باختلاف عمق قاع النهر . وثخانته عند قاعدته ٢٥ مترًا

وثخانة أعلاه أو هو عرضه من فوق ٧ امتار . وفي جدار الخزان ١٨٠ فتحة هي نوافذ عليها الابواب من الحديد تختلف سعتها باختلاف مواضعها منها ١٤٠ نافذة مسطح الواحدة منها ١٤ مترًا وار بعون نافذة مسطح الواحدة منها سبعة امتار

واما كيفية استخدام الخزان للري فهي انه اذا أخذ النيل في الصعود تفتح هذه النوافذ فتمر المياه الحمراء ولا تلقي في الخزان شيئًا مما تحمله من الطمي الخصب . فاذا صفا الماء وقلت سرعته حتى لا تزيد على ٢٠٠٠ طن في الثانية تقفل الابواب تدريجًا بحيث لا يأتي مارس حتى يكون الخزان قد امتلأ . ولا يزال مقفلاً حتى يدخل مايو او ما بعده من اشهر التحاريق على ما تقتضيه حال النيل في كل عام . و يبلغ ارتفاع الماء في الخزان الى عشرين مترًا في مساحة ١٥٠ ميلاً ويبلغ مقدار ما يحويه من الماء ١,١٤٠,٠٠٠,٠٠٠ طن او نحو ١,٠٦٥,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعب من الماء

وفي الطرف الغربي من هذا الخزان هويس (رقم ه في الشكل الاول) مؤلف من اربعة اهوسة طول كل منها سبعون مترًا وعرضه تسعة امتار ونصف متر . وكل هويس اقل ارتفاعًا من سابقه لكي يكون انتقال السفن بالتدريج من الماء العالي وراء الخزان الى الماء المنخفض امامه فابواب الهويس خمسة منها بابان كبيران علو الواحد منهما عشرون مترًا وهي تفتح لمرور السفن في أوقات معينة

وأما النفقات التي دخلت في بناء هذا الخزان وقناطر اسيوط معًا فقد بلغت الى الآن ٣,٢٥٠,٠٠٠ جنيه ويظن انها ستبلغ اربعة ملايين جنيه

﴿ الاحتفال بفتح الخزان ﴾ واحتفلت الحكومة المصرية بافتتاح خزان اصوان في العاشر من دسمبر الجاري احتفالاً شهده الجناب العالي وسمو دوق كنوت وقرينته الدوقة وأمراء العائلة الخديوية واللورد كرومر ومختار باشا الغازي والنظار والقناصل والمستشارون وكبار رجال نظارة الاشغال وبعض الوجهاء . فلما انتظمت الحفلة رسميًا وقف الجناب العالي والدوقة الى يمينه والدوق الى يساره وسائر الحضور بين يديه فخطب ناظر الاشغال خطابًا وجهه الى الجناب العالي ذكر فيه فوائد الخزان وقناطر أسيوط الى ان قال « وهذا هو اليوم السعيد الذي يتم فيه افتتاح خزان اصوان بين

يدي جنابكم السامي و بحضرة اضيافكم الفخام وعلى مشهد هذا الجم الغفير من أكابر القوم وسيسطره تاريخ مصر الحديث بحروف من النور فخرًا لكم على ممر الدهور »

فلما فرغ الناظر من خطابه أجابه سمو الخديوي بما نصه

« ياسعادة الناظر

« أعد من سعدي ان أشرف على هذا الاحتفال الفخيم الذي تدعونني اليه وان يحضره معي ضيوفي الا كابر الكرام و جماعة الوجوه وذوو الحيثيات ممن حولي

« ان هذا العمل الكبير الذي نحن في موقف الاعجاب بعظمته اليوم — الا وهو خزان اصوان وما يتبعه من قناطر أسيوط هو لاشك من جلائل الاعمال النافعة التي تمت حتى الآن في مصلحة مصر وخيرها . واني لارجو وآمل أن سيعود عليها بصنوف الخيرات وان القرن العشرين سيتحلى به في جملة مفاخره

« على ان هذا الامل يبعث في نفسي السرور و يدعوني الى ان اقدم لكم ياسعادة الناظر عظيم شكري وأن اثني كذلك على أعوانكم الذين امتدحتم كفاءتهم بالحق ونوهتم بجليل مساعدتهم لكم على اتمام هذا العمل الخالد الذكر حتى قبل الميعاد المقرر له . وانه ليسرني كثيرًا ان أرى حكومتي تتبع أعزرغائبي وأخص اماني فتبذل كل الجهد في جلب الخير والسعادة للبلاد

« والآن أذكر بارتياح لصاحب السمو الملكي الدوق دي كنوت انه تفضل من قبل فوضع الحجر الاول من أساس الخزان وأتقدم اليوم الى صاحبة السمو الملكي الدوقة قرينته راجيًا ان تتكرم بوضع الحجر الاخير من بنيانه » اه

ثم خطب الدوق خطبة شائقة شكر بها الجناب الخديوي لدعوته اياه الى هذه الحفلة . ثم تقدمت الدوقة فوضعت الحجر الاخير مكانه بمساعدة العملة . فنادى المستر أيرد « تعيش الدوقة » ثلاثًا وتبعه الحاضرون . ثم تقدم الجناب العالي الى مفتاح الخزان فأداره ففتح خمسة أبواب تدفقت المياه منها بقوة . ثم فتح الهويس فمرت سفينتان . وأنعم سموه بالنياشين على كبار الانكليز الذين كانت لهم يد في هندسة هذا الخزان و بنائه وانقضت الحفلة

باب السؤال والاقتراح

﴿ لغات أفريقيا ﴾

(مصر) حسن افندي علي بالسكة الحديدية

قرأت في كتابكم الفلسفة اللغوية ان من اللغات غير المرتقية ما يتفاهم به أهل جنوبي افريقيا فهل لغات افريقيا كثيرة وكيف عرفوا خصائصها

﴿ الهلال ﴾ لغات افريقيا تعد بالمئات وقد عني بعض المستشرقين في درسها ووضعوا لبعضها الكتب والمعجمات . وأكثرهم اشتغالاً في ذلك المرسلون الدينيون من كل الطوائف . وكتب آخرون في نسبة هذه اللغات بعضها الى بعض وعلاقتها بلغات القارات الاخرى استدلالاً على أنساب تلك القبائل . وأكثرهم تفصيلاً في ذلك المستر روبرت نيدهام كوست فانه ألف كتاباً بالانكليزية سماه لغات افريقيا الحديثة طبع سنة ١٨٨٣ في مجلدين وعنه أخذنا أكثر ما ترونه في هذا الجواب

يقسمون اللغات التي يتكلمها سكان قارة افريقيا الآن الى خمسة مجاميع وهي (١) اللغات السامية (٢) اللغات الحامية (٣) النوبية والفولحية (٤) الزنجية (٥) البانتوية (٦) الهوتنتية

فاللغات السامية اشهرها العربية وفروعها والاثيوبية وفروعها . ومن الفروع العربية اللهجات المصرية والمغربية والزنجبارية والسودانية والصحارية والشوية (في بورنو) والشايقية (في النوبة) . ومن فروع اللغة الاثيوبية الغزية والامحرية والتغرية وكلها شائعة في بلاد الحبشة واللهجة الهررية في هرر والارغوبية في بلاد الغالا . فاللهجات السامية منتشرة في مصر والسودان والحبشة وبلاد المغرب وفي صحرائها

واللغات الحامية ثلاثة فروع كبيرة : (١) الفرع المصري ومنه اللغة

الهيروغليفية وخليفتها القبطية (٢) الفرع اللبيي ومنها لغات البربر في شمالي افريقيا وهي ٦م لغات و ١٥ لهجة والمتكلمون بها قبائل بدوية متفرقة في صحاري المغرب وجباله وفي سينكمبيا وجزائر كناريا وفي واحة سيوى وغيرها (٣) الفرع الاثيوبي وهو ثماني عشرة لغة اولها الصومالي ويتكلمه سكان بلاد الصومال شرقي الحبشة . ثم لغة الغالا في شمالي شوا وقرب الصومال . ولغة البشارين وتتكلمها القبائل القاطنة في شرقي وادي النيل من قنا الى قرب حدود الحبشة وفيهم الهدندوة والشكرية والعبابدة وبني عامر ولغة الدنكالي على سواحل الحبشة . واللغات الباقية شائعة في جهات الحبشة وفي بلاد الغالا

واللغات النوبية الفولحية قسمان (١) النوبية وهي ١٦ لغة منها لغات المحس والكنوز ودنقلا ومتكلموها يسكنون في أواسط النيل وهم المعروفون في مصر بالبرابرة . ومنها أيضاً لغات كردوفان ودافور وشرقي خط الاستواء وغربي الحبشة على النيل الازرق وما جاوره . ومن القبائل التي تتكلم هذه اللغات الكوداجي والتومال والكوافي والكماميل والفونج والهمج وغيرهم (٢) اللغات الفولحية او الفولية ويتكلمها سكان غربي افريقيا واواسطها شمالي خط الاستواء وفي جملتهم اهل سوكوتو والنجر وبورنو وفوتاجولو وغيرهم

وأما اللغات الزنجية فعددها ينيف على ١٩٥ لغة و ٤٩ لهجة وهي منتشرة بين قبائل الزنج في أواسط افريقيا وغربيها في السودان الفرنساوي وغينيا وعلى معظم النيجر وفي بعض الصحراء الغربية وفي بلاد الاشانتي والداهومي

وأما اللغات البانتوية فهي ألسنة قبائل البانتو وفيها ١٦٨ لغة و ٥٥ لهجة يتفاهم بها سكان جنوبي افريقيا من خط الاستواء الى رأس الرجاء الصالح — الا بعض أهالي السواحل الشرقية وجزءاً من جنوبيها بعضه من ولاية رأس الرجاء والبعض الآخر من أملاك المانيا في افريقيا الجنوبية الغربية . وأما مابقي من جنوبي افريقيا فأهله يتكلمون اللغات البانتوية وفي جملتهم أهل الزولوس وناتال والترانسفال والكفرة وأهل زمبيزي وسكان افريقيا الشرقية الالمانية والبرتوغالية والغربية البورتغالية وافريقيا الوسطى الانجليزية وغيرها

وأخيرًا اللغات الهوتنتية و يتكلمها مابقي من سكان افريقيا في الغرب الجنوبي من هذه القارة بعضهم في رأس الرجاء والبعض الآخر في املاك المانيا هناك كما تقدم واللغات الهوتينتية ١٩ لغة وست لهجات يتكلمها الهوتنتوت والبشمان ومن جاورهم

ليلةٌ في المرسح

الى قاعة التمثيل جاذبني قلبي ... دجىً وقناع الليل أستر للصب

فسرت كاني راكبٌ في سفينة ... من الشوق يجريها بخارُ لظى القلب

فآنس طرفي مذ دخلت أوانساً ... تحجبن الا عن عيون ذوي اللبّ

نظرنَ الى الفتيان فتيان عصرنا ... وقد اسكرتهم في الهوى خمرة الحبّ

فنابوا عن الجوق الممثل انما ... رواياتهم ما سُطرت قط في كتبِ

على انها قد سطرت في صحيفة ... من الجهل يغشاها مدادٌ من العتبِ

واوحي بها للقلب لحظ اخي النهى ... ولم يمحها الا بدمعه الصبّ

مدامعُ يجريها الاسى وخضابها ... هو الورد لكن من له بندى السحب

وقد صوبوا المنظار كالعسكر الذي ... يحاول تصويب البنادق في الحرب

وارسل كلٌّ سهم لحظه رائداً ... رياض خدود الآنسات من الحجب

أوانسُ الا انهنّ نوافر ... اذا ما التقى يوم اللقا الهدب بالهدب

نواعسُ حتى يصبح الطرف للكرى ... قرىً ويناغي الطير في الغصن الرطبِ

فكانوا وما من سامع لممثلٍ ... ولا ناظرٍ ما كان في مرسح اللعبِ

اذا ما شدا شادٍ فراق نشيدهُ ... سمعتَ صدى مص الشفاه من العجبِ

وان راقهم منه التفنن قاطعوا ... بتصفيقهم ذاك التفننَ والضربِ

وان هوَ أوما بالبنان لغادة ... وكانت واياه تمثل ما يصبي

رنوا وانثنوا لا لارتياح وانما ... لراحٍ تحاكي ريق مبسمها العذبِ

واعجب منه ضحكهم ساعة البكا ... ويقبح ضحك المرء في مشهد الندبِ

ولو رمتُ تعداد البواقي لما بقي ... مداد بأطراف اليراع فما ذنبي

على انني استوقفت آخر قطرةٍ ... كتبتُ بها ذا البيت مستغفراً ربي

مصر ... ابراهيم زيدان

تاريخ الطب

﴿ تمهيد ﴾ خلق الانسان ضعيفاً بالنظر الى ما يحيط به من الفواعل الطبيعية فاضطرَّ الى الاحتيال في حفظ صحته فاتقى البرد بالكساء والمطر بالبناء وطبخ الاطعمة ليسهل قضمها ويسرع هضمها . على ان ذلك جعله أقرب استعداداً للمؤثرات وخصوصاً في أثناء انتقاله من بيئة الى أخرى فعمد الى الاستشفاء بما تبلغ اليه معرفته من معالجة البرد بالحر والحر بالبرد ونحو ذلك . ثم تدرَّج الى استخدام العقاقير والحشائش وجمع من تلك المعالجات بتوالي الاجيال فناً قائماً بنفسه هو الطب . وقد جره البحث في الطب الى سائر الابحاث الطبيعية — الا الفلك فانه أقدم ما استلفت انتباهه من ظواهر الطبيعة لما شاهده من تعاقب الليل والنهار وما للشمس من التأثير عليه وعلى ما حوله فتصوَّر فيها الالوهية فعبدها ثم عبد الاجرام وراقب حركاتها ومواقعها واقتراناتها وتوهم لها علاقة بأعماله وأحواله — وهو التنجامة

اما الطب فاشهر من سعى في تأسيسه البابليون . والظاهر انهم أول من بحث عن علاج الامراض فكانوا يضعون مرضاهم في الازقة ومعابر الطرق حتى اذا مرَّ بهم أحد ممن أصيب بذلك الداء فيعلمهم بسبب شفائه وكيفية توصله اليه . وكانوا يكتبون أسماء العقاقير أو الوسائل التي يحصل الشفاء بها على ألواح يعلقونها في هيكل شيدوه على اسم اله الطب عندهم . فكانت تلك الالواح أوَّل كتاب كتب في علم الطب . وعن البابليين أخذ سائر الامم المعاصرة لهم . أما المصريون فربما أخذوا عنهم شيئاً الا ان الطب كان قديماً جداً عندهم وقد أتقنوه وألفوا به الكتب وهو أول علم ألفوا به على ما يظن . ويقال انه كان عندهم لكل مرض طبيب خاص لا يتعاطى معالجة غيره وهم الذين استعملوا الفصد واستخدموا المقيئآت والضمادات

﴿ الطب اليوناني ﴾ ويقال بالاجمال ان الطب لم تستغن عنه أمة من الامم التي تمدَّنت قديماً . ولكن اليونانيين هم الذين حازوا الشهرة فيه وقد أخذوا بعضه من

مصر في جملة ما أخذوه من العلوم والفنون والآداب على عهد مدرسة عين شمس (المطرية) . على انهم كانوا يعرفون كثيرًا من العلاجات وخصوصاً الجراحية قبل الميلاد بعشرة قرون — يشهد بذلك ما جاء في ايلياذة هوميروس شيخ الشعراء من ذكر الاطباء ومعالجة الجروح والرضوض بالعقاقير والضمادات . ولكن الطب لم يصر علماً مستقلاً الا في القرن الخامس قبل الميلاد . وأول من بوّبه ورتب فصوله «ابقراط» أبو الطب ثم نسج على منواله كل من جاء بعده من أطباء اليونان

ولما نهض الاسكندر المكدوني في القرن الرابع قبل الميلاد واكتسح مملكة الفرس تفرق اليونان وانتشرت علومهم في العالم المتمدن يومئذ . ثم أنشئت المدارس للعلم والفلسفة والطب وفي جملتها مدرسة الاسكندرية . ثم غلبت شهرة هذه المدرسة وخصوصاً في تدريس طب ابقراط . فارتقى فيها التشريح ارتقاءه حسناً بالنظر لما تعوده المصريون يومئذ من تفريغ الاجوفة للتحنيط . وأشهر من نبغ من أطباء مدرسة الاسكندرية هيروفيلوس وايراسستراتوس فاتخذ كل منهما رأياً انحاز اليه جانب من أهل العلم فانقسم الاسكندرانيون الى فئتين تنتسبان اليهما

ولو أردنا ايراد تاريخ مدرسة الاسكندرية لطال بنا الكلام ولكننا نقول بالاختصار انها خدمت الطب خدمة حسنة في التشريح والفيسيولوجيا والجراحة والكيمياء . ونبغ من تلك المدرسة أطباء اشتهروا في رومية وغيرها أشهرهم جالينوس وهو يلي ابقراط عندهم نبغ في القرن الثاني للميلاد والف نحو ثلاثمئة كتاب احترق معظمها في هيكل السلام برومية

ونشأ في أثناء ذلك أيضاً مدرسة للطب في القسطنطينية اتبعت تعاليم جالينوس ونبغ منها أطباء كثيرون أشهرهم وأقربهم عهدًا من الاسلام بولس أوجينوس ظهر حوالي ظهور الاسلام واشتغل خصوصاً في علم الولادة والجراحة . وكان كتابه في الجراحة أساس جراحة أبي القاسم الاندلسي الآتي ذكره

﴿ طب العرب قبل الاسلام ﴾ لم يكن العرب في جاهليتهم يعرفون شيئاً من الطب الا ما اكتسبوه ممن كان يفد عليهم أو يقوم بينهم من أهل الشام وفارس

ومصر وما كان تجارهم يقتبسونه في أسفارهم الى البلاد المتمدنة فأصبح عندهم بتوالي الازمان علاجات وعقاقير خاصة بهم لا يزال بعضها جاريًا بين البدو الى اليوم مثل الكي والحجامة وما جرى مجراهما . وقد امتاز بعضهم في معاطاة هذه المهنة من قديم أزمانهم فعرفوا بالاطباء وما برحوا يتحدثون بهم ويتمثلون بأقوالهم . وأقدم من اشتهر في الجاهلية من الاطباء لقمان وهو حكيمهم وفيلسوفهم وفي أصله وزمن وجوده اختلاف . ويليه رجل من تيم الرباب يقال له ابن حذيم ويضربون المثل بحذاقته في الطب فيقولون لمن أرادوا وصفه بذلك انه اطبُّ من ابن حذيم . وهو أشهر أطباء العرب عندهم وفيه يقول اوس ابن حجر

فهل لكم فيهـا اليَّ فانني بصيرٌ بما اعيي النطاسي حذيما

ومن أحدث أطباء الجاهلية الحرث بن كلدة توفي سنة ١٣ للهجرة وهو من بني ثقيف من أهل الطائف رحل الى أرض فارس وأخذ الطب عن أهل جنديسابور وغيرها وتعاطى صناعة الطب هناك واكتسب مالاً ثم عاد الى بلاده وأقام في الطائف ونال شهرة عظمى وقد أدرك الاسلام وكان النبي يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه . وكان الحرث يقول « من سره البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء وليقلل من غشيان النساء » يريد بخفة الرداء أن لا يكون عليه دين . وقيل مات الحرث في اول الاسلام ولم يصح اسلامه . ومنهم ابن أبي رومية التميمي وكان معاصرًا للحرث . ونضر بن الحرث بن علقمة وقد شهد يوم بدر وأخذ فيه أسيرًا

ومن أقوالهم في العلاج « كل داء حسم بالكي آخر الامر وآخر الطب الكي » وهو قول لقمان . وكانوا يعالجون الحوَل بادامة النظر الى حجر الرحى في دورانه يزعمون ان العين تستقيم به ويعالجون الخدر بأن يدعو صاحبه أحب الناس اليه ومنه قول الشاعر

أراني الله يا سلمى حياتي وفي يوم الحساب كما أراكِ
الى كم تهجرين فتى معنى اذا خدرت له رجلٌ دعاكِ

ومن الاحاديث النبوية الواردة في الطب ومتعلقاته قوله :

ما أنزل الله داء الاَّ أنزل له شفاء

الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانهي أمتي عن الكي

ان هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء الا من السام[1]

ان التلبينة[2] تجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن

احتجم واعط الحجام أجره واستعط

عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة أشفية يستعط به من العذرة ويلد به من ذات الجنب

ان أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري · وقال لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة وعليكم بالقسط

لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفرّ من المجذوم كما تفر من الاسد

الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين

الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء

اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها

خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وفي بعض الروايات والعلق

اذا بلغ الرجل من أمتي خمسين سنة فليكثر الحجامة

خير كحلكم الاثمد يجلو البصر و ينبت الشعر

﴿ الطب العربي بعد الاسلام ﴾ ظهر الاسلام والطب على ما وصفناه في مدرسة الاسكندرية والقسطنطينية وغيرها · فانتشر المسلمون في الشام والعراق ومصر ومضى القرن الاول للهجرة وهم مشتغلون عن الطب وغيره من العلوم الطبيعية بالحروب والفتوح وتفسير القرآن وجمع الحديث واستخراج الشرائع · وكانوا يستخدمون الاطباء من النصارى واليهود وقد قدموا جماعة كبيرة منهم في مصالحهم · حتى اذا نشأت الدولة العباسية في أواسط القرن الثاني للهجرة ونقلوا عاصمة الاسلام الى بغداد وسعوا على العلماء

---

(١) السام الموت (٢) التلبينة مزيج من النخالة واللبن والعسل

من أهل العراق والشام . وكان الاصل في تلك التوسعة ان المنصور أصيب بمرض عجز عن معالجته اطباء بغداد فذكر امامه جاورجيوس بن بختيشوع من كلدان العراق وكان رئيساً لمستشفى جند يسابور فاستقدمه الى بغداد ومعه تلميذه عيسى بن شهلاثا . فلما مثل بين يدي الخليفة دعا له بالفارسية والعربية . فعجب المنصور من حسن منطقه ومنظره وأمره بالجلوس ثم سأله عن أشياء أجابه عنها بسكون وهدو ورزانة فأخبره بمرضه . فقال « اني أديرك بمشيئة الله وعونه » . فأمر له للوقت بخلعة جليلة وأنزله في أجمل موضع من دوره واكرمه كما يكرم أخص الاهل وأقرب أرباب الدولة . وما زال جاورجيوس يطبب المنصور حتى شفي من مرضه ففرح به فرحاً عظيماً ووسع له بالدخول عليه واكرم وفادته . وقال له يوماً من يخدمك هنا قال تلميذي . فقال سمعت ان ليس لك امرأة فقال لي زوجة طاعنة في السن ضعيفة لا تقوى على النهوض ولا الانتقال . ثم خرج من حضرة الخليفة وأراد الكنيسة . فأمر الخليفة خادمه سالماً ان يحمل اليه ثلاثاً من السراري الروميات الحسان مع ثلاثة آلاف دينار . فحملها الى بيته ولم يكن هو هناك فاستلمها تلميذه . فلما جاء جاورجيوس أخبره تلميذه بما كان من انعام الخليفة عليه وأراه الجواري . فأنكر أمرهن وغضب على تلميذه لانه قبلهن وقال له « لماذا أدخلت هؤلاء الى منزلي أأردت ان تنجسني . . امض وردهن على أصحابهن » فمضى الى دار الخليفة وردهن على الخادم . فلما اتصل الخبر الى الخليفة استقدم ابن بختيشوع وقال له « لم رددت الجواري » قال « لا يجوز لنا معشر النصارى ان نتزوج بغير امرأة واحدة ومادامت المرأة حية لا نأخذ غيرها » فحسن موقع هذا عند الخليفة وزاد موضعه عنده . وتواصلت خدمة آل بختيشوع في بلاط بني العباس وكانوا أهل جد وعلم فأتقنوا اللسان العربي واشتغلوا في التأليف والتعليم واشتغل معهم أطباء آخرون من فارس العراق مثل يوحنا بن ماسويه وحنين بن أسحق وغيرهما وتدرجوا من البحث في الطب الى البحث في سائر علوم اليونان والفرس والهند — شأن الانسان في ما يفعله انقياداً لحاجاته . فتألف من ذلك نهضة علمية عرفت بالنهضة العباسية وقد بلغت أتمها في أيام المأمون . وتقاطر أهل العلم الى بغداد

من العراق والشام وفارس والهند وفيهم النصارى واليهود والمجوس والصابئة والبراهمة. وكان الخلفاء يكرمون وفادتهم ويوسعون عليهم لا يفرقون بين نحلهم ودياناتهم. ثم نبغ الاطباء من المسلمين وأشهرهم أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (توفي سنة ٣٢٠ هـ) والشيخ الرئيس ابن سينا (سنة ٤٢٨ هـ) وأبو القاسم الزهراوي من اهل القرن الخامس وابن جزلة (سنة ٤٩٣ هـ) وابن رشد (سنة ٥٩٥ هـ) وغيرهم وانشاء المسلمون المارستانات (المستشفيات) والمدارس في بغداد ومصر والشام والاندلس والقيروان وغيرها. والفوا الكتب في فروع الطب وأصوله واكثر اعتمادهم على كتب ابقراط وجالينوس وديوسقوريدس

ولما أفاق الافرنج من غفلتهم على أثر الاجيال المظلمة كانت مؤلفات العرب أساس العلم والفلسفة والطب في تمدنهم الحديث — ولذلك تفاصيل ذات شأن سنأتي عليها في « تاريخ التمدن الاسلامي » ان شاء الله

﴿ هل زاد المسلمون شيئاً على الطب اليوناني ﴾ قلنا ان العرب اقتبسوا الطب من اليونان بين ترجمة وتأليف. ومن علماء الافرنج الآن من يزعم ان العرب لم يزيدوا عليه شيئاً بل أعادوه الى أهل القرون الاخيرة كما استلموه من اليونان وان فضلهم ينحصر في حفظ تلك العلوم بلسانهم الى أهل هذه الاجيال. والحقيقة انهم زادوا فيه اموراً كثيرة لو اردنا تفصيلها لضاق بنا المقام ولكننا نقول بالاختصار ان الطب الذي نقله الافرنج من اللسان العربي الى السنتهم في نهضتهم الاخيرة ليس الطب اليوناني وحده واليك البيان :—

(١) ان العرب نقلوا الى لسانهم كتباً طبية لغير أطباء اليونان. فقد ذكروا عدة من أطباء الهند استفاد العرب من كتبهم وترجموا بعضها الى لسانهم. وفي جملتهم كنكه الهندي وكان من العلماء الكبار وله كتب في التاريخ الطبيعي والرياضيات وكتاب في الطب العام يشبه الحاوي ويسمونه الكناش. ومنهم صنجهل الهندي وكان عالماً في الطب والنجوم وله أيضاً كتاب كبير في التاريخ الطبيعي وتصانيف كثيرة في صناعة الطب. ومنهم شاناق وله كتاب السموم نقله منكه الهندي

الآتي ذكره من الهندية الى الفارسية ونقله بالحرف الفارسي رجل يعرف بأبي حاتم البلخي وفسره ليحيى بن خالد البرمكي ثم نقل الى العربية على عهد المأمون — نقله العباس بن سعيد الجوهري وكان يقرأه على المأمون . ولشاناق أيضاً كتاب في البيطرة وآخر في علم النجوم وغيره

ومنهم منكه الهندي وكان معاصراً للرشيد وله معرفة في اللسانين الفارسي والعربي فضلاً عن الهندي فترجم كتاب السموم المتقدم ذكره وانتقل الى العراق وتقرب من الرشيد وداواه . ويقال ان الرشيد اعتل علة صعبة فعالجه الاطباء فلم يجد من علته افاقة فقال له أبو عمر الاعجمي « بالهند طبيب اسمه منكه وهو أحد عبادهم وفلاسفتهم فلو بعث اليه أمير المؤمنين فلعل الله يهب له الشفاء على يده » فوجه الرشيد من حمله اليه فقدم وعالجه فبرئ من علته فأجرى عليه رزقاً واسعاً وأموالاً كافية — قالوا : فبينما كان منكه ماراً في الخلد اذا هو برجل من المائنين قد بسط كساءه والقى عليه عقاقير كثيرة وقام يصف دواء عنده معجوناً فقال في صفته « هذا دواء للحمى الدائمة وحمى الغب وحمى الربع ولوجع الظهر والركبتين والخام والبواسير والرياح ووجع المفاصل ووجع العينين ولوجع البطن والصداع والشقيقة وتقطير البول والفالج والارتعاش » ولم يدع علة في البدن الا ذكر ان ذلك الدواء شفاؤها . فقال منكه لترجمانه « ما يقول هذا » فترجم له ما سمع فتبسم منكه وقال « على كل حال ملك العرب جاهل وذلك انه ان كان الامر على ما قال هذا فلم حملني من بلدي وقطعني عن أهلي وتكلف الغليظ من مؤونتي وهو يجد هذا نصب عينيه وبازائه وان كان الامر ليس كما يقول هذا فلم لا يقتله فان الشريعة قد أباحت دم هذا ومن أشبهه لانه ان قتل ما هي الا نفس تحيا بفنائها أنفس خلق كثير وان ترك وهذا الجهل قتل في كل يوم نفساً وبالحري ان يقتل اثنين وثلاثة وأربعة في كل يوم وهذا فساد في الدين ووهن في المملكة »

ومن أطباء الهند أيضاً بهلة الهندي وكان بصيراً بمعالجات الهند وكان معاصراً للرشيد أيضاً وله معه حكاية ذكرها صاحب طبقات الاطباء تدل على تغلب طب الهند على طب اليونان . وذكروا أيضاً من أطباء الهند جماعة منهم باكهر وحكة وداهر وزنكل

وانكر وجبهر وجاري وغيرهم . ولكل منهم تصانيف في الطب والنجوم كان يعتمد عليها أهل الهند وقد نقل منها شيء كثير الى العربية بطريق اللغة الفارسية وفي جملتها كتاب علامات الادواء ومعرفة علاجها وأدويتها — أمر يحيى بن خالد بتفسيره . وكتاب في علامات ٤٠٤ أدواء ومعرفتها بدون علاج . وكتاب في ما اختلف الروم والهند في الحار والبارد وقوى الادوية وتفصيل السنة . وكتاب تفسير اسماء العقار باسماء عشرة وكتاب علاجات الحبالى وكتاب في العقاقير وغيره في علاج النساء وآخر في أجناس الحيات وسمومها وغير ذلك

فكل هذه الكتب وأمثالها — وفيها غير ما يعلمه اليونان — قد درسها العرب واستفادوا منها فلا بد من تأثيرها على ما نقلوه عن اليونان

(٢) قد رأيت ان العرب كان عندهم علاجات وعقاقير خاصة بهم كانوا يتعاطونها في زمن جاهليتهم فهذه لا بدّ من دخولها في كتبهم ووصفها لمرضاهم

(٣) ان أهل العراق كانوا قبل عصر اليونان والفرس والعرب يتداوون بطب قديم العهد عندهم تسلسل اليهم من أسلافهم الكلدان والبابليين لانهم أقدم من بحث في العلاجات كما تقدم وما زال العراقيون يتوارثون العلم بتلك العلاجات الى النهضة العباسية فلا بدّ من تأثيرها على طب المسلمين

(٤) من الامور المشهورة التي اجمع الافرنج على الاعتراف بها ان العرب هم واضعو أساس الكيمياء الحديثة كما بينا ذلك في ترجمة جابر بن حيان في السنة الماضية . ولا يخفى ان الكيمياء أساس المادة الطبية والاقرباذين ولذلك أجاد العرب خصوصاً في فن الصيدلة . وهم أول من وضع الاقرباذين وأنشأ الصيدليات . ولا تزال اسماء كثير من العقاقير الطبية عند الافرنج باسمائها العربية الى الآن كالسنا والتمر هندي والكاسيا وجوز الطيب وكبش القرنفل والكافور . وقد ابدلوا العسل في طب اليونان بالسكر وغير ذلك مما لا يزال باقياً في كتب الافرنج الى اليوم

(٥) مما لا مشاحة فيه ان العرب اشتغلوا في الجراحة وزادوا فيها وأشهر جراحيهم أبو القاسم الزهراوي الاندلسي والافرنج يسمونه Abulcasis فقد ألف

كتاباً في الجراحة سماه التصريف ترجم الى اللاتينية في القرن الثاني عشر للميلاد وما زال عمدة علم الجراحة في أوربا بضعة قرون

فكيف بعد ذلك ينكر فضل المسلمين على الطب ناهيك بما يعترف لهم به الافرنج من المبتكرات الطبية المهمة — فهم اول من وصف الحصبة والجدري وصفاً دقيقاً — وصفها الرازي . وهم اول من استخدم الكاويات في الجراحة على نحو استخدامها اليوم . وهم أول من وجه الفكر الى شكل الاظافر في المسلولين . وقد وصفوا علاج اليرقان والهواء الاصفر واستعملوا الافيون بمقادير كبيرة لمعالجة الجنون ووصفوا صب الماء البارد لقطع نزف الدم وعالجوا خلع الكتف بالطريقة المعروفة في الجراحة برد المقاومة الفجائي ووصفوا ابرة الماء الازرق في العين وأشاروا الى عملية تفتيت الحصاة وطريقة الشق تحت الجلد واستعملوا التبنيج وهو تخدير المريض لاجراء العمليات الجراحية فيه وكانوا يستعملون لذلك الشيلم وهو الزوان الذي يخالط الحنطة أحياناً . وقالوا ان مركز التصور في مقدم الدماغ والذكر في مؤخره والفكر في البطين الايسر

وجملة القول ان الطب تداوله العرب في القرون الاولى للهجرة في مصر والشام والعراق والاندلس والمغرب فنبغ منهم في أثناء ذلك مئات من مهرة الاطباء ملأوا المكاتب بمؤلفاتهم . وقد ترجم مئات منها الى اللغة اللاتينية وغيرها من لغات الافرنج في القرون الاخيرة وعلموها في مدارس أوربا اجيالاً متوالية وكانت أساس الطب الحديث . وأنشأوا المدارس الطبية والمستشفيات وغيرها مما سنأتي على تفصيله في « تاريخ التمدن الاسلامي » في حينه

فلما دالت دولة المسلمين وانقضى تمدنهم وأفاق الغربيون من غفلتهم بعد الحروب الصليبية كان في جملة ما فقده العرب علم الطب فوقف سيره ثم تقلص ظله حتى قيض له الله العائلة المحمدية العلوية فأحيت معالمه في وادي النيل — بدأ بذلك مؤسسها محمد علي باشا رحمه الله فأنشأ مدرسة الطب على يد المرحوم الدكتور كلوت بك فترجمت كتب الطب الحديث الى العربية . ثم أنشأ المرسلون الامركان مدرسة الطب في بيروت ونبغ الاطباء في مصر والشام فألفوا كتباً نفيسة معظمها مترجم أو ملخص من الافرنجية

على ما هو مشهور

وآخر مآثر العائلة الخديوية في هذا الشأن المؤتمر الطبي المصري الاول الذي عقد في أثناء الشهر الماضي في القاهرة على ما سنذكره





المستر أيرد
صاحب شركة بناء الخزان



المستر ولكوكس
القائل بانشاء الخزان

تاريخ الآداب الاجتماعية

في الممالك الاوروبية

٣ – الفرنساويون

وجد علماء الماديات والاثريون في فرنسا ما وجدوه في انكلترا من بقايا أدوات جيل من البشر سكنوا وديان هذه البلاد وكهوفها . فا كتشفوا في كهوف المادلين ابراً من العظام وحراباً من الصوان وصوراً منقوشة على القرون والعظام والعاج . ومن هذه النقوش صورة ثور يرعى ووراءه رجل عار من اللباس يتلصص لكي يطعنه برمحه . وصورة بهيموث جال الشعر عنقه ومن بقايا الحيوانات المدفونة معهم عظام الظبي أو الرنة . وقد جمع بعض علماء تشريح المقابلة عظام البشر من أهل ذلك الجيل فاذا بهم طوال الرؤوس عظام أفخاذهم كثيرة النتوء وأفكاكهم بارزة ثخينة وأحقاقهم مفلطحة ويرجح ان الجيل الظراني عاش في فرنسا أيام بلغت أشور ومصر أوج مجدهما وغاية سوددهما

وتبع هذه الاجيال الجنس الآري صانع البرونز فاحتل فرنسا قادماً اليها من اعالي الهند في آسيا وكان معظمهم من السلتيين (القلت) وقد وصفهم يوليوس قيصر فقال انهم زرق العيون طوال القامة شقر الشعور

ونحو القرن الثاني قبل المسيح اجتاح فرنسا قبائل الجرمان دخلوها من الشمال وحل مهاجرو اليونان في جنوبها فاختطوا مدينة مرسيليا واسمها بلسانهم مسيلا وتبعهم الرومان بقيادة زعيمهم كايوس سكتوس فاستعمروا مدينة اكس في بروفنس وانتشر النفوذ الروماني في فرنسا (وهي غاليا عندهم) وأصبح بعضها تحت حكمهم . ولما جاء يوليوس قيصر الفى السكان في حالة الهمجية لا يعرفون شيئاً عن تحصين القرى والمدن وتعزيزها فكانوا يلجأون الى الغابات والآجام اذا فاجأهم مفاجئ أو طرأ عليهم طارئ . وكان لكل قبيلة منهم زعيم يتولى حكومتهم وأشرافهم هم الفرسان . فلم يلبث هذا الفاتح ان أعمل فيهم السيف حتى غلبهم على ملكهم فطرد الجرمان واحتل بريطانيا

العظمى فرسخت أقدام الرومان في غاليا وباتت من جملة أملاكهم. وكان لفوز قيصر عليهم نفع عظيم لهم فانهم انتظموا في جيوشه فتعلموا التدريب والجلاد من الرومان وقوي الانضمام بينهم وأحسن الرومان معاملتهم فالغوا الاسترقاق وابطلوا الجور وضربوا على أيدي الطغاة من الحكام واتخذوا مدينة ليون قاعدة لملكهم فيها وأنشأوا منها أربع طرق كبيرة الى انحاء البلاد فانتشر التمدن بواسطتها . ثم دخلتها النصرانية نحو القرن الثاني بعد الميلاد ولم تلبث ان عمتها في منتصف القرن الرابع

وقد وصف أحد مؤرخي الرومان الغاليين في القرن الرابع قال هم طوال القامة بيض الالوان تضرب شعورهم الى الحمرة تتقد الشجاعة في عيونهم. وهم ميالون الى الخصام والنزاع ذوو كبرياء وأنفة ونساؤهم مثل رجالهم من حيث الميل الى المنازعات وأصواتهم جميعاً جشة خشنة وهم مغرمون بشرب الخمر ولهم براعة في استقطارها

على ان الغزاة لم ينفكوا يغيرون على فرنسا فهاجمها السكسون من الشمال وحل القوط والفندال في أواسطها وجنوبها لكن هؤلاء لم يلبثوا ان هاجمهم الفرنج في القرن الخامس قادمين من جرمانيا فاصلوا الجميع حرباً عواناً اجلت عن فوزهم وامتلاكهم البلاد حتى دعيت باسمهم (فرنسا) ثم تنصر هؤلاء الغزاة وفي مقدمتهم ملكهم كلوفيس — فيرى مما تقدم ان سكان فرنسا اليوم انما هم من اصل جرماني . وظل جنوبي فرنسا معرضاً لغزوات المسلمين من الاندلس وهم يوالون الغزوة بالغزوة حتى اقتحمهم شارل مارتل ملك فرنسا في اوائل القرن الثامن للميلاد وتغلب عليهم في موقعة شهيرة وكان ذلك آخر عهد المسلمين بفرنسا

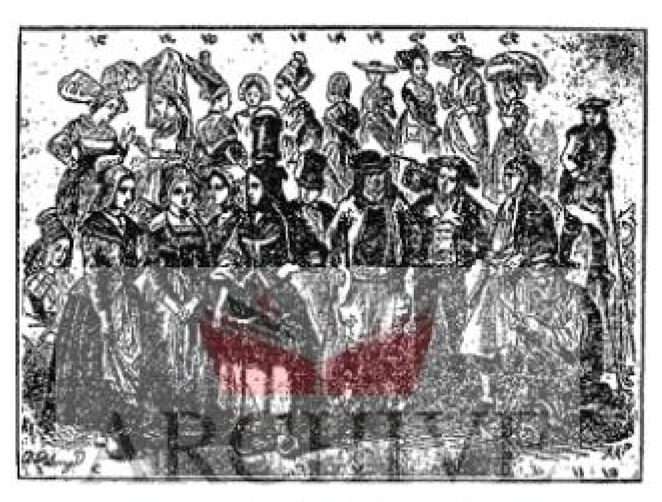
ولا نستطيع تعداد الطوارىء الكثيرة التي نزلت بفرنسا في تلك الاعصر فانها انقسمت بعد ايام شارلمان الى اقاليم وولايات كثيرة تولاها الامراء والاشراف ونبغ الاساقفة ورجال الدين فشاركوهم في الحكومة وحل الذل في الامة فطأطأت رأسها امام حكامها الظالمين . وكان نحو تسعة اعشار سكانها ارقاء فتبدلت احوال البلاد وفشا فيها الاستبداد واشتد الفقر ما عدا الجزء الجنوبي منها فان ملوكه من ولد شارلمان حافظوا على النظامات والتقاليد الرومانية في حكومتهم

وفي القرن التاسع نزل بفرنسا النورمانديون اي اهل الشمال سكان سكاندنافيا فاحتلوا اخصب اراضيها وتعلموا الصناعات والفنون من جيرانهم واعتنقوا النصرانية ولما اطمأنوا الى السكن في البلاد اطرحوا لغتهم الاصلية واستبدلوها بالافرنسية وكان هؤلاء النورمان ايات في الفروسية والشجاعة فكان الفارس منهم يلقى مئات الرجال لا يلوي على شيء . استولى احدهم على مملكة صقلية واوقع بأمبراطوري الشرق والغرب على قلة اتباعه وجنوده . ومن يقف على حكاية اعمال فرسانهم في الحروب الصليبية ير ما كانوا عليه من شدة البأس وفرط الشجاعة . ولا نلم هنا بحكم الامراء والاشراف لضيق المقام وانما يقال بالاجمال ان الحروب الصليبية المشار اليها هذبت كثيرين من الفرنساويين فاكتسبوا منها أخباراً ودربة ومعارف عادت بالنفع عليهم وعلى بلادهم و بدلت في آداب المعاشرة والمخالطة بينهم . ثم تولد فيهم روح الميل الى العلوم فأنشأت جامعة فرنسا في ذلك العهد . على ان الفراغ من الحروب الصليبية لم يرو غليل الذين أثاروها فصبوا غيظهم على أبناء بلادهم ممن خالفهم في عقائدهم كالبروتستانت والالبيجنس وابى الروح الفرنساوي الاخلاد الى السكينة والطمانينة فأثاروا الحروب على جيرانهم من الالمان والايطاليان والاسبان والانكليز قروناً طويلة وظل النصر مرافقاً اعلامهم حتى كان ما كان من سقوط نابوليون الاول والثالث . على ان انتصارات فرنسا لم تخفف وطأة المظالم عن عامة الشعب فظل الاستبداد ضارباً اطنابه في البلاد واشتد حنق الشعب لما اصابهم من الذل والفقر والاستعباد فاستعرت نار الثورة المشهورة فجاءت ضربة قاضية على الملك والاشراف وما برح الفرنساويون يجاهدون في سبيل الحرية حتى تحققت امالهم واقاموا حكومة جمهورية هي حكومتهم الآن

﴿ الفرنساويون اليوم ﴾ لاختلاط الطوائف في فرنسا قديماً ولقدم انتشار المعارف والفنون فيها يدٌ في حفظ قوة تلك البلاد وسطوتها وانا ملمون هنا ببعض اخلاق الفرنساويين وعاداتهم على اختلاف طوائفهم وتباين طبقاتهم

فمن تلك الطوائف البريطان سكان بريطانيا (في الشمال الغربي من فرنسا) من بقايا السلتيين وهم سمر الالوان سود الشعور شديدو التمسك بالمذهب الكاثوليكي

وليسوا كسائر الفرنساويين في خفة الطباع وذكاء الفؤاد لكنهم شديدو التدين يميلون الى الملكية وينزعون الى الخطة السياسية القديمة وهم يؤمنون باخبار الجن والرقى والطلاسم ويعتنون بتربية المواشي وصنع الجبن والزبدة ويربون النحل لاشتيار العسل وقد اشتهروا بتعلقهم باوطانهم وعائلاتهم وحبهم للضيافة حتى لقد قيل ان بينهم من يموت في الغربة شوقاً الى بلاده ومسقط رأسه



امثلة من الشعوب الفرنساوية : (١) سكان ضواحي باريس (٢و٩و١٠و١٣و١٤ و١٦ و١٧) اهالي نورمنديا (٣و٧) اهالي بريطانيا (٤و٥و٧) اهالي جبال البيرينة (٦) اهالي جبال الألب (١١ و١٢) فلاحو شمبانيا (١٥و١٧) اهالي اورليان (١٩) بروفانس (٢٠) لنكودوك (٢١) ضواحي ليون (٢٢) التخوم الشرقية

ولا يغلب في الفرنساويين طول القامة الا ان يكون في الشمال حيث العيون الزرقاء والشعور الشقراء والرؤوس البيضوية . أما أهل الجنوب فأقصر من هؤلاء وشعورهم وعيونهم سوداء ورؤوسهم أميل الى الاستدارة من أولئك . ومن الامور الشائعة بين الاجانب مايصفون به الفرنساويين من الجمال والحقيقة ان ليس كل فرنساوي حسن الصورة وليس كل فرنساوية جميلة الخلق وانما هو الذوق والتفنن في الملبس والمشي والنظافة والظرف مما أطلق الالسنة بالاعجاب برجالهم والنساء . ولعل

رجالهم أجمل من نسائهم وهم أصحاب اقتصاد حتى يندر ان يرى بينهم معدماً . وهم اكثر تفنناً من الانكليز في المآكل الا ان طعام الفلاحين منهم غير شهيّ وفطورهم على الغالب خفيف فكاس من قهوة البن أو الخمر وقطعة من الخبز لكنهم يعتنون بطعام الغداء ولا يكثرون من الالوان كما هو شائع في فنادقهم . وهم يكثرون من الخضر والفواكه ويأتون باللحوم مقطعة خلافاً للانكليز وشرابهم الخمر ممزوجة بالماء وقل من يستعمل الشاي منهم على انهم مغرمون بقهوة البن

وطعام الفلاحين بسيط جداً وذلك لاشتغال نسائهم في الاعمال الزراعية كالرجال ولان الاقتصاد قاعدتهم العامة . والنساء منهم على جانب عظيم من التقوى يحافظن على صيامات الكنيسة بذمة واحترام ومهما قيل في بساطة معيشتهم فهم من أسعد أهل الارض وأحسنهم آداباً

ومن دواعي ثبات حكومتهم وجمهوريتهم اقبالهم على ابتياع أوراقها المالية مما يبث فيهم عاطفة الولاء للحكومة والاهتمام بحفظ كيانها الا ان يكون بعض المحترفين منهم في المدن فهؤلاء يختلفون عن الفلاحين . ومنذ بات التعليم في بلادهم اجبارياً نشطوا من عقال الجهل وانتشرت المدارس في الارياف ولا يمر بهم ردح من الزمان حتى يثمر العلم في الامة . وقد أخذت فوائده تظهر للملاء على قرب عهدهم بانتشاره فضعفت سلطة الخرافات عليهم وأخذوا يطرحون قيود السحر وصاروا يطلبون النور الحقيقي . والفرنسويون لايميلون الى اكثار النسل ويزيدهم تمسكاً بميلهم اسلوب معيشتهم وتوزيع الاملاك بينهم واهتمام الاباء بادخار المال لابنائهم ولهذا يعزى اخفاقهم في الاستعمار . وما أثاروه من الحروب في التونكين ومادغسكر والجزائر وتونس لم يكن سببه ضيق البلاد وحب الافراج عمن شاء الخروج منها وانما مرجعه طلب المجد وحب الانتصار كما هو مشهور عن الفرنساويين والا فان الامة لم تجن بعد ثمار ما بذرته من النفوس والاموال في تلك المواقع . فضلاً عن ان الفرنسويين ليسوا على ازدياد ونمو في العدد . ومن الناس من يجاهر بأنهم آخذون بالانقراض

﴿ العيشة في المدن الفرنساوية ﴾ اذا تحدث روّاد الافاق بمحاسن البلاد فضلوا

باريس على سائر المدن بما فيها من البهاء والرخاء والظرف وبما استجمعته من كياسة الناس وحسن ذوقهم وخفة أرواحهم . حتى ان الانكليز لا يرون لابنائهم أفضل من الذهاب اليها على سبيل الفرجة واكتساب الذوق والرقة . فشوارع هذه المدينة المعروفة بالبولفار وبيوتها وفنادقها وحوانيتها جامعة بين الاتساع والفخامة وحسن الذوق والنظافة

وبيوتها منقسمة الى مساكن صغيرة يستأجرها القوم ولكل منها بواب يتولى حراستها وينظر الداخلين اليها والخارجين منها . والمسكن فيه جميع ما تحتاج اليه العائلة من المنافع البيتية على صغر حجمه . على ان الباريسيين يفضلون الاكل في المطاعم لرخصها على الاهتمام باعداد الطعام في بيوتهم . ولذا يقل عدد الخدم في بيوت الطبقة الوسطى منهم . والباريسيون امهر أهل الارض في حسن ترتيب الامتعة والسلع والانتفاع بجميع ما تقع اليد عليه ولهم فطنة ودراية في انتقاء الالوان وتنظيمها وفي أعداد الحفلات والبلوغ بها الى درجة الابهة والكمال . والجماهير منهم تحافظ على النظام وتشترك في هذه الحفلات والابتهاج ملء صدورهم والحبور ظاهر في عيونهم . فهم يخالفون الانكليز الذين يتخذون البرودة قاعدتهم في حفلاتهم ويخشون ان يبدوا ما يخالج أفئدتهم من الفرح والسرور . وأحسن مدن الارض لاقامة المعارض والمتاحف باريس كما يشهد بذلك التاريخ الحديث . ومع انها كانت في ما مضى مشهداً للثورات والحروب ونطعاً سفكت عليه دماء الالوف فانها لا تزال أبهى مدن العالم فتستطيع ان تخفي آثار الحصار في برهة من الزمان ولا تكاد النيران تخمد فيها حتى تحل محلها القصور الشواهق والشوارع البديعة

أما العلم فزاهر في فرنسا ومدارسها بين عالية وكلية ملأى بالطلاب وفيها العلماء الاعلام ولكن يقال ان جرمانيا تفوقها من حيث التعمق في اسرار الحكمة على ان للعلم مقاماً عظيماً في فرنسا والقوم يحترمون برعة الكتاب ويكرمونهم حتى لقد يستطيع كاتب نحرير ان يقلب الوزارة أو ان يتربع في دست الوزارة . وكتابها حسنو البيان طيبو الانشاء تسيل قرائحهم استعارات وتخيلات ولنا في موليير وفيكتور هوكو وديكارت وباسكال وفولتير ودوماس وغيرهم سحابة من الشهود

ولفرنسا المباني الفخيمة والآثار النفيسة كالكنائس والقصور والمقابر والحصون وقد قاموا بأعظم الاعمال الهندسية كفتح قنال السويس ولعلمائها الفضل في الاكتشافات الكثيرة في العلوم الطبيعية والكيمياء وهم متصفون بالذكاء والنيرة وتوقد الفؤاد

أما مصنوعاتها فقليلة لقلة معادنها لكن لاهلها المعامل الكثيرة فتجارة الحرير في يدهم وهم أصحاب خبرة في نسج الصوف والكتان والقطن والعمل في انية الحديد

وقد يخال للبعض ان فرنسا مفسدة الآداب وان أهلها في أدنى دركات الرذيلة وهو وهم عارض كغيره فان أهل المدن الصغيرة منهم وأهل القرى على جانب عظيم من الآداب وعزة النفس والتقوى والترفع عن الدنايا . وما في مدنها الكبيرة عام في جميع عواصم أوروبا ومدنها شامل لها لكنه أظهر في فرنسا مما هو في غيرها نظرًا لاختلاف عيشة الفرنساويين عن سائر الامم لاسيما أهل الشمال من الانكليز وغيرهم . والرجال في فرنسا متعلمون قليلو الاعتقاد بالامور الدينية شديدو الاهتمام بالاعمال بخلاف النساء فانهن اكثر جهلاً من رجالهن واكثر تدينًا منهم . ولهذا لا يكثر اختلاط الجنسين كما في انكلترا . على ان ما تشيعه الاجانب عن فرنسا مغلوط فيه ومبالغ في حقائقه ففرنسا من هذا القبيل كغيرها من بلاد أوروبا والامة تعرف نقائصها ولا تخفيها — قال أحد كتاب الانكليز « أما نحن معاشر الانكليز فنكتم نقائصنا وهي تفني الالوف منا كل سنة »

والبنات لا يخالطن الشبان منفردين ولذا كان تعارف الفريقين يبدأ حقيقة بعد الزواج وهم لا يكبرون فيه ويهتمون كثيرًا بالمهر أو الدوطة ومع ذلك فان عيشتهم البيتية في الغالب حلوة هنيئة ويندر ان يتهور شبانهم في الزواج كما يفعلون في انكلترا وهذا رأي العارفين من الانكليز . وقد قال أحد كتبتهم في رسالة من فرنسا « ان مجد هذه الامة واقتصادها الذي هو أساس قوتها وضعفها وفنونها التي تسمو احيانًا الى اعلى درجات التصور وسعيها الدائم لتنظيم خير الحكومات واخفاقها في ذلك ولطفها ورقتها مع ما يتخلل هذين أحيانًا من المظاهر وخفة أرواح أهلها وآدابها وعلومها وفنونها تحدو بي لان اصرح من أعماق فؤادي ان لا بلاد في الدنيا نظيرها . وجل اماني ان تنمحي نقائصها وتزهر فضائلها الى ما شاء الله »

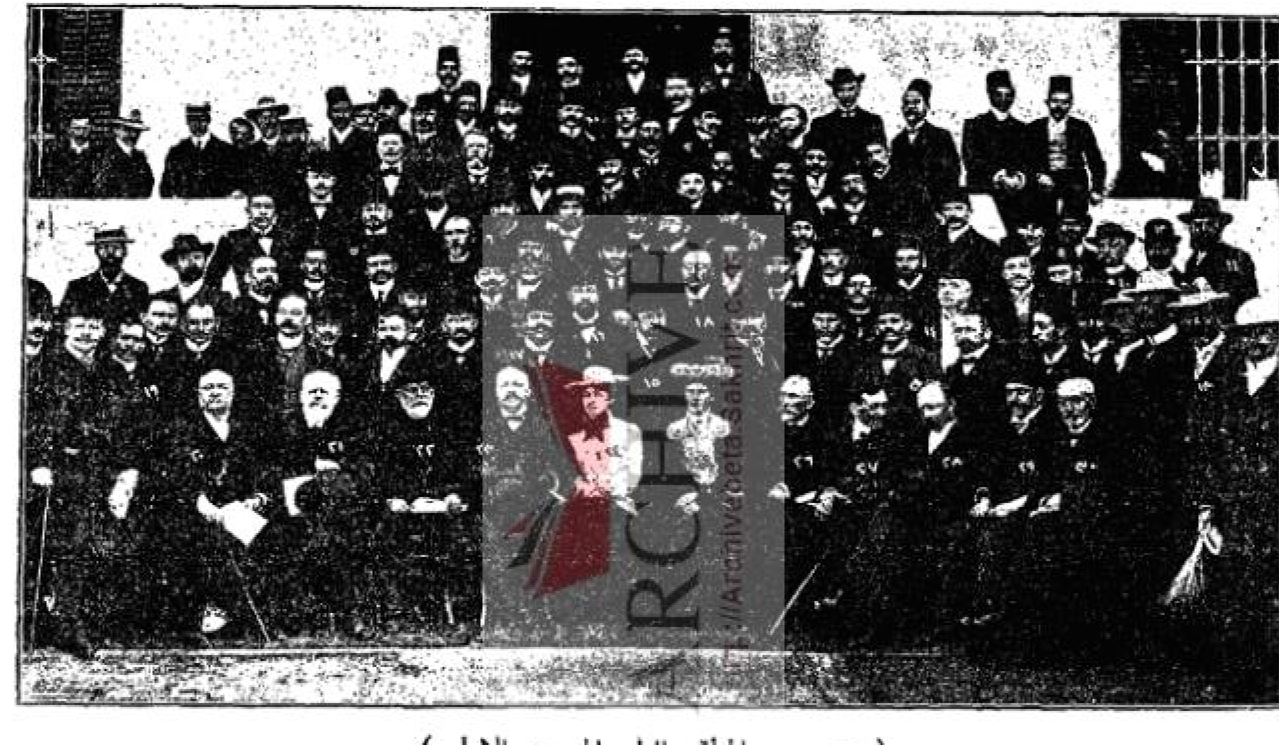
تاريخ الشهر

﴿ المؤتمر الطبي المصري الاول ﴾

المؤتمرات الطبية حديثة العهد في العالم المتمدن ولم ينعقد منها الى الآن الا بضعة قليلة . وهي من ثمار التمدن الحديث مثل سائر المؤتمرات السياسية والعلمية والادبية . والغرض منها تبادل الافكار بين رجال الآراء من الملل المتباعدة فيحصل من ذلك فوائد متبادلة

على ان المؤتمرات الادبية بابسط احوالها ليست بالامر الجديد . فقد كان للعرب في جاهليتهم مؤتمرات ادبية تنعقد في اسواقهم الموسمية في عكاظ ونحوها . فيجتمع الشعراء والخطباء من سائر القبائل يتباحثون ويتبادلون الاقوال ويتناظرون ولا ريب انهم كانوا يستفيدون من ذلك الاجتماع فوائد ادبية عظمى

واما المؤتمرات الطبية فالعهد فيها قريب جداً . وسرعة تناولنا اياها على قرب عهدنا من التمدن يدل على نهضة في النفوس الشرقية الى مجاراة اهل الغرب هي من ثمار ما غرسه امراء العائلة الخديوية . فان المغفور له محمد علي باشا اول من انشأ مدرسة طبية حديثة في الشرق وسمو اميرنا العباس أول من عقد مؤتمراً طبياً فيه . على ان هذا المؤتمر جدير بان يسمى « المؤتمر الطبي الشرقي الاول » لانه أول مؤتمر طبي عقد في الشرق . وقد كان الناس في ريب من خروجه الى حيز الفعل — لاننا لم نتعود ان ندعو الدول العظمى الى الاشتراك معنا في مشروع علمي او ادبي او طبي . لكنهم ما لبثوا رأوا القاهرة غاصة بمئات من الاطباء والاساتذة وفيهم من كابد مشقة الاسفار الوفاً من الاميال . وقد اشتركت الدول في هذا المؤتمر رسميا وانتدبت من ينوب عنها فيه . وبلغ عدد اعضائه نيفاً وخمسماية عضو منهم نحو مئة وستين عضواً من اوربا واميركا



﴿ جمهور من المؤتمر الطبي المصري الاول ﴾

اسماء بعض الذين بلغت الينا اسماؤهم نذكرها بدون لفظ دكتور : ١ بكر ٢ شكري ٣ لكج ٤ شدودي ٥ تريخاكي ٦ دورال فردن ٧ بتريدس ٨ روفر ٩ كاووتسكي ١٠ بوليمية ١١ هيس ١٢ عيد ١٣ نمر ١٤ بل ١٥ مارياني ١٦ كولوريدى ١٧ محمد بك شاكر ١٨ جوردانو ١٩ كحيل ٢٠ هريسون ٢١ نوتاكل ٢٢ بوشار ٢٣ مارتينو ٢٤ مدام مارياني ٢٥ مدام روفر ٢٦ لورته ٢٧ فورنوف ٢٨ ماتن ٢٩ خياط ٣٠ كوبس

افتتح الجلسة الاولى رسمياً سمو الخديوي المعظم في ١٩ دسمبر الماضي سنة ١٩٠٢ في الاوبرا الخديوية باحتفال شائق خطب فيه المندوبون خطباً مختصرة نابوا فيها عن دولهم بالشكر على تلك الدعوة واثنوا على ما آنسوه من النهضة الطبية في مصر · ثم توالت جلسات الموتمر في مدرسة قصر العيني الى ٢٤ منه تليت فيها بضع مئات من المقالات الطبية في اهم فروع الطب وخصوصاً امراض المنطقة الحارة وعلى الاخص الرمد · وستنشر هذه المقالات في كتاب على حدة تفرق في الاعضاء · وبعد الفراغ من العمل تشرف الاعضاء بمقابلة الجناب العالي ولاقوا من سموه كل ايناس ولطف · ولولا ضيق المقام لأتينا على ذكر الخطباء ومواضيع الخطب وأسماء اعضاء المؤتمر فنكتفي باسماء عمدة المؤتمر العاملة ومندوبي الدول مع اغفال لفظ دكتور

﴿ عمدة المؤتمر العاملة ﴾ — رؤساء شرف: اباتا باشا · السير بنشن · الرئيس العامل: ابراهيم باشا حسن · نواب الرئيس: امبرون · دكارونيا بك · عيسى باشا حمدي · كيتنج · حسن باشا محمود · ماسا · شيس بك · بنتن بك · فرنهورست باشا · السكرتير العام: فورنوف · امين الصندوق: ملتن · مساعد امين صندوق: خياط · اللجنة العمومية: بروسار · بورلاتزي بك · الفريد عيد · انجل بك · فوكه جبيل · هايمن · غوتيه · ابراهيم بك منصور · ميورسن · ناكامولي · باريسس بك تورتوليس بك · ترامو ني · فالنسن

﴿ اسماء مندوبي الدول مرتبة على الهجاء ﴾

عن المانيا الدكتور نولدا
» انكلترا » هريسون
» ايران » مهدي خان
» ايطاليا » مارالياني
» بلجيكا » الفريد عيد
» روسيا » بولوف

عن سويسرا الدكتور اترنود
» فرنسا » بوشار
» المجر » هور
» النمسا » نوتنا كل
» الولايات المتحدة ماجور كوركاس

﴿ عيد الفطر ﴾ وقع عيد الفطر المبارك هذا العام في يوم الاربعاء الموافق ٣١ دسمبر الماضي اعاده الله على سمو الامير المعظم وعلى اخواننا المسلمين كافة بالخير والسعادة

﴿ العام الجديد ١٩٠٣ ﴾ وافق رأس هذا العام يوم الخميس فاحتفل به الناس على جاري العادة جعله الله تذكارًا مباركاً يتوالى اعواماً عديدة

مطبوعات جديدة

﴿ دعوة الاطباء لابن بطلان وتكلة الحديث ﴾ ابن بطلان طبيب نصراني من اهل القرن الخامس للهجرة . نشأ في بغداد على عهد الدولة العباسية وكان من اهل العلم والظرف عذب الالفاظ في الانشاء . ولم يقتصر في مطالعاته على علم الطب ولكنه توسع في الادب وغيره والف كتباً كثيرة في الطب وفروعه . وفي جملة ذلك كتاب سماه دعوة الاطباء على مذهب كليلة ودمنة قال في وصفه انه « مزح يبسم عن جد وباطل ينطق عن حق وخير القول ما اغنى جده والهى هزله » فقسمه الى ١٢ باباً (١) في مدح بغداد وذم ميافارقين (٢) في ذكر مجالس الطعام وايراد الحجج التي تحمي عن الأكل فيما يقدم من الالوان (٣) في نعت مجلس الشراب (٤) في اعتبار الطبائعي بمسائل توضح فضله وتظهر جهله (٥) سوال الكحال (الرمدي) عما لا يسعه جهله (٦) في اعتبار الجرائحي بمعرفة التشريح (٧) امتحان الفصاد (٨) اعتبار الصيادلة بمعرفة العقاقير (٩) غيرة الاطباء وتغايرهم على المرض (١٠) في اعتذار الطبيب المصروف وذم الصارف له (١١) استهانة العامة بالطب (١٢) خاتمة الكتاب . وقد بين في هذه الفصول كثيرًا من الفوائد الصحية والحقائق الطبية (على رأي القدماء) ما يستفيده المطالع بلا مشقة ويرسخ في ذهنه لانه ساقه على سبيل القصة الفكاهية . فكان كتابه رواية صحية طبية ولعل ابن بطلان اول من الف على هذا النسق . وهو مما يستحب توخيه في الطب الحديث فعسى ان

يقدم اطباؤنا على تأليف الروايات الصحية فيقرأها العامة للفكاهة فيستفيدون بها ما يستعينون به على دفع الامراض او الوقاية منها . وقد عني في نشر كتاب دعوة الاطباء حضرة الدكتور بشاره افندي زلزل نزيل الاسكندرية وذيله بكتاب سماه « تكملة الحديث » ضمنه فصولاً في مبدأ علم الطب وفي الطب البقراطي . ثم افاض في الكلام عن الطب عند العرب في الشرق والغرب وجاء بفصل في ماهية الطب القديم ثم فصل في الطب الحديث بسط فيه الكلام عن مدرسة سلرنا وعن طرق انتشار علم الطب في اوربا و بداية نقض اراء القدماء في الكمياء وغيرها . ثم الطب في القرن التاسع عشر عند الشرقيين . واخيرًا جاء بفصل في فوضى الاطباء وواجباتهم وفيه كلام عن الطب والصيدلة في مصر وسوريا وفي صفات الاطباء ونحو ذلك . والكتابان في مجلد واحد صفحاته ٢٥٦ صفحة وثمنه عشرة قروش واجرة البوسطة قرش ونصف و يطلب من مكتبة الهلال بمصر

﴿ شرح ابن القف على فصول ابقراط ﴾ ابن القف طبيب نصراني من اهل القرن السابع للهجرة نشأ في سوريا وتفقه في الطب والف فيه كتبًا من جملتها كتابٌ شرح فيه فصول ابقراط الشهيرة . وقد عني بتلخيص هذا الكتاب الدكتور بشاره زلزل وذيله بملحق باللغة الفرنساوية بين فيه موضوع الكتاب وانتقد بعض الافرنج الذين اخطأوا في ترجمة بعض كتب الطب العربية الى ألسنتهم . وجاء بالامثلة على ذلك . وقد طبع الدكتور زلزل هذا الكتاب . وجعله تقدمة للمؤتمر الطبي المصري الاول . وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة اربعة قروش واجرة البوسطة نصف قرش

﴿ رزنامة امين هندية ﴾ ظهرت هذه الروزنامة لعام ١٩٠٣ وهي مما يعلق بالجدران وفيها التاريخ الافرنجي والهجري والرومي والقبطي وهي ملصقة على صفيحة من الكرتون عليها جداول التاريخ الافرنجي والهجري او على صفيحة بشكل صوره ملونة وثمنها مع الاولى ٢ صاغ ومع الثانية من ٣ — ٦ والبريد غرش ونصف

﴿ السلام ﴾ هي جريدة سياسية علمية تجارية تصدر في بونس ايرس في

ارجنتين مرة في الاسبوع لمنشئيها وديع افندي شمعون وبولس افندي نحاس . قيمة اشتراكها في بونس ايرس ٨ ريالات وفي الممالك الاجنبية ٢٠ فرنكاً فنتمنى لها النجاح

﴿ الحوادث ﴾ هي جريدة يومية سياسية أدبية تصدر بمصر لصاحبها امين افندي عواد بدل اشتراكها خمسة قروش عن كل شهر في العاصمة وثمانية قروش في سائر انحاء القطر المصري فنرجو لها الثبات

﴿ الفريق ﴾ هي جريدة سياسية أدبية تصدر في مصر مرة في الاسبوع لصاحبها ومديرها علي افندي علوي حفيد المرحوم علي علوي باشا بدل اشتراكها اربعون قرشاً في القطر المصري و١٢ شليناً في الخارج أطال الله بقاءها

﴿ النقود والاوزان والمقاييس ﴾ هو كتاب باللغة الفرنساوية لحضرة الموسيو جورف راندوني مدير الاحصاء في الكمارك المصرية جمع فيه جداول عديدة لتحويل النقود والاوزان والمقاييس العشرية الجارية في انكلترا وفرنسا الى ما يقابلها من النقود والاوزان والمقاييس في مصر . وقد طبع منذ سنتين فنفدت طبعته الاولى فأعاد طبعه ثانية طبعاً متقناً دقيقاً على ورق متين . ولا يعرف مقدار فائدة هذا الكتاب الا التجار وأصحاب المصارف وغيرهم ممن يتعاملون مع الافرنج ويحتاجون الى تحويل ما يزنونه أو يقبضونه الى تقدير تلك البلاد و بالعكس . فالكتاب جزيل الفائدة وقد زاد ضبطاً واتقاناً في طبعته هذه . و يطلب من مؤلفه وثمن النسخة ٣٠ قرشاً

﴿ وقاية الشبان ﴾ وعد الدكتور سعيد ابو جمره في مقدمة كتابه المفيد « حياتنا التناسلية » انه سيصدر كتاباً سماه « وقاية الشبان من المرض الافرنجي والسيلان » فالكتاب المذكور قد صدر واسمه يدلُّ على موضوعه . قال في مقدمته بعد كلام في انتشار الامراض الزهرية في العالم المتمدن بأوربا وأميركا ما نصه :

« وقد صار عدد السوريين المهاجرين عظيماً في هذه الآونة الاخيرة ولذلك فهم عرضة لهذه الامراض الخبيثة . اعتبر ما تعلمه من انهم كلهم أو معظمهم من الشبان الاقوياء . . . وهم بعيدون عن عين الام المهذبة المحبة واعتناء الاب المؤدب المربي » — فلمثل هؤلاء وضع حضرته هذا الكتاب وهو أوفى كتاب في هذا الموضوع

بالعربية وقد بسطه وأوضح عبارته ليسهل فهمه على غير الاطباء . وادمج في خلاله كثيرًا من الابحاث الادبية والوصايا التهذيبية فضلاً عن وسائل الوقاية من تلك الامراض الخبيثة أو تداركها قبل استشارة الطبيب مع بيان ما ينتج عنها من الاخطار الصحية والاضرار الادبية في الافراد وفي العائلات وفي الهيأة الاجتماعية . وكل من طالع كتاب « حياتنا التناسلية » يعلم اقتدار الدكتور ابو جمره في تقريب الابحاث الطبية الى الافهام مع سهولة العبارة وطلاوتها ويدرك توخيه الخدمة الحقيقية لابناء اللغة العربية — فهو لا يبالي بما يعترض طريقه في هذا السبيل . وهي شجاعة أدبية يشكره عليها كل عاقل منصف . والكتاب مزين بالرسوم وعدد صفحاته مائتا صفحة وثمن النسخة اثنا عشر قرشاً مصرياً واجرة البريد قرشان ويطلب من مكتبة الهلال بمصر ومن صاحبه في سان باولو بالبرازيل

مسيح الهند والقصيدة الاعجازية

(فكاهة)

جاءنا من مرزا غلام احمد قادياني الذي يزعم انه المسيح المنتظر رسالة بالانكليزية قال فيها ما ملخصه :

« قضيت السنين العشر الماضية وأنا أنشر معجزاتي في الانشاء العربي بما لا يستطيعه سواي . فاتفق ان أحد مقاومي المسمى مولوي ثناء الله جادل بعض أصحابي في قرية « مد » من اعمال امرتسار (بالهند) وكان في جملة أقواله أن علماء الهند أقدر مني في الانشاء العربي وان أقدرهم على ذلك مولوي ابو سعيد محمد حسين المشهور بالآداب العربية وانه اكتشف غلطات عديدة من انشائي . ولكنني أعتقد ان انشائي العربي من المعجزات فلم أستطع صبرًا على ما سمعته . فنظمت قصيدة أصف بها ما جرى من المناقشة في مد وسميتها « اعجاز احمدي » وصدرتها بمقدمة في اللغة الاوردية (الهندستانية) وأرسلت اليكم نسخة من القصيدة والمقدمة . واني ادعو الذين يدعون سبقي الى نظم مثلها مع اعتبار اني نظمتها في خمسة أيام فقط وقد أمهلتهم

في نظم مثلها عشرين يوماً . وأبيح لهم مع ذلك الاستعانة بكل علماء اللغة العربية في البنجاب وهندستان . نعم اني انتخبت خمسة منهم لمناظرتي (وذكر اسماهم) ولكنني أبيح لكل من أراد مسابقتي في هذا الميدان ان يتقدم . ولهذا سبق عشرة آلاف روبية مكافأة (نحو ٢٠,٠٠٠ فرنك) . وآخذ على نفسي العهد الوثيق بالوفاء الخ » ثم جاء بالشواهد الدالة على انه نظم هذه القصيدة في خمسة أيام فقط . فلا غرو بعد ما ذكرناه من الاطناب بهذه القصيدة ان يشتاق القراء الى مطالعتها ولكنها طويلة تزيد اياتها على خمسمئة بيت فنكتفي بنشر أمثلة منها قال :

أيا ارض مد قد دفاك مدمر ... وارداك ضليل واغراك موغر

وجاءك صحبي ناصحين كاخوة ... يقولون لاتبغوا هوى وتصبروا

فظل أسارى كم أسارى تعصب ... يريدون من يعوى كذئب ويختر

فجاؤا بذئب بعد جهد اذابهم ... ونمي ثناء الله منه ونظهر

فلما أتاهم سرهم من تصلف ... وقال افرحوا اني كمي مظفر

وقال استروا أمري واني أرودهم ... أخاف عليهم ان يفروا و يدبروا

وأرضى لئام اذا دنا من أرضهم ... على النار مشاهم وقد كان يبطر

وان كنت في شك فسل يامكذبي ... دهاقين مد والحقيقة أظهر

الى آخر القصيدة و بعضها يغني عن كلها فهل يستطيع شعراؤنا نظم مثلها ... ؟ ولكن للاسف انه حصر المناظر . في أهل الهندة ولا نستغرب اغترار هذا الرجل بقدر ما نستغرب اهتمام الناس به ومناظرته . ولم يكن ذلك الاهتمام الا ليزيده اغتراراً فينظم القصائد و يؤلف الكتب . فقد ذكرنا لهذا المسيح في السنة التاسعة كتاباً في العربية والفارسية سماه « اعجاز المسيح في التفسير الصحيح » زعم انه نزل عليه نزول القرآن وهو تفسير الفاتحة في ١٥٠ صفحة ووعد بتفسير القرآن كله بسبعين يوماً . وجاءنا منه بالامس كتاب آخر في العربية والهندية سماه « الهدى والتبصرة لمن يرى » رد فيه على بعض الذين ناظروه وسفهوا رأيه وفي جملتهم صديقنا صاحب المنار ولعل له كتباً لم تصلنا . ولولا اهتمام علماء الهند بشأنه لم ينشط الى شيء من ذلك

العميان

العناية بهم وتعليمهم

مهما قيل في تباغض الناس وتحاسدهم واستئثارهم بالخير لانفسهم فهم مجمعون على الانتصار للضعيف والاحسان اليه . وقد أوصت كتب الدين باعالتهم وتخفيف متاعبهم ومن جملة مايطرأ على الانسان من أسباب الضعف والذل العاهات كالصمم والعمى والعرج والعور . ولا يتفاضل الناس في تعرضهم لهذه العاهات فهم سواء في كل ذلك الملك والامير والقائد والتاجر والصانع والخادم والعبد . ومن أشهر أصحاب العاهات تيمورلنك القائد التتري الشهير فقد كان أعرج وكان هوميروس شاعر اليونان أعمى وكذلك أبو العلاء الشاعر الفيلسوف . ومن أشهر أصحاب العاهات عند العرب عطاء ابن رباح كان اسود اعور أشل افطس اعرج ثم عمي بعد ذلك . وأبان ابن الخليفة عثمان بن عفان كان أصم شديد الصمم وكان أبرص يخضب مواقع البرص وكان مفلوجاً حتى ذهب فالجه مثلاً في المدينة وكانوا يقولون « أصابك الله بفالج أبان » وكان احول . والاحنف بن قيس كان أعور متراكب الاسنان مائل الذقن . وابو الاسود الدؤلي واضع علم النحو في العربية كان أعرج مفلوجاً أبخر . وأبو طالب عم نبي المسلمين كان أعرج . وابو سفيان والد معاوية الشهير كان اعور . وكذلك المغيرة بن شعبة احد دهاة العرب والاشعث بن قيس والمختار بن عبيد . وأشهر العميان عندهم ابو قحافة والد أبي بكر الصديق وحسان بن ثابت الانصاري وكعب بن مالك الانصاري وعقيل بن أبي طالب وسعد بن ابي وقاص وعبد الله ابن أبي أوفى وغيرهم . وا كثرهم ذهبت أبصارهم في اواخر أيامهم

ومما يدعو الناس الى الحنو على أصحاب العاهات علمهم بأنهم هم أيضاً معرضون لامثالها . فاذا تصوروا حالهم في ذلك أشفقوا على اصحابها . وربما كان هذا هو المنبه الرئيسي في اقدام الناس على اعالة الضعفاء . ويؤيد ذلك تقاعد الانسان عن اعالة

المصابين بما لا يخاف هو الاصابة به لانه لا يتصور وطأة تلك الاصابة . فالعازب مثلاً لا يشعر بمصيبة الثكل او الرملة وقد يستغرب مايشاهده من لهف الآباء على أولادهم في حال مرضهم أو ضعفهم ويندهش لسهر الازواج على راحة نسائهم . فالانسان مفطور في الاصل على حب ذاته وكل ما يظهر فيه من حبه سواهُ انما هو راجع اليها

والعمى من العاهات التي لا يقول أحد انه غير معرض لها . فالناس اكثر اشفاقاً على أصحابها مما الى سواهم . واكثر عناية بهم واحساناً اليهم . وكتب الدين توصي بهم خيرًا وفي الامثال الجارية أدلة كثيرة على عناية الناس بعميانهم كل على قدر طاقته واحساسه

﴿ اعالة العميان ﴾ واما عناية الحكومات بالعميان وانشاء الملاجئ او المارستانات لهم فيظهر انها من مستحدثات العرب لان الوليد بن عبد الملك الاموي أول من « امر بحبس المجذمين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الارزاق » في أوائل القرن الثامن للميلاد . وأمثال هذه الملاجئ لم ينشأ في اوروبا الا في القرن الحادي عشر . على ان العناية بالعجزة والعميان كانت قبل ذلك من جملة أعمال الديور في أوائل النصرانية

وتدرج الافرنج في عنايتهم الحديث من اعالة العميان والاحسان اليهم الى تعليمهم فأنشأوا لهم المدارس ووضعوا لهم اشكالاً من الحروف الهجائية سيأتي بيانها . واما العرب فلا نظنهم أغفلوا تعليم العميان في مدارسهم ما يمكن تعلمه بالسماع كالقرآن والتفسير ونحوهما وخصوصاً في المساجد والملاجئ التي كانوا ينشئونها لهم

﴿ عدد العميان ﴾ ويؤخذ من الاحصاآت الطبية الاخيرة ان العميان يختلف عددهم باختلاف المناطق والاقاليم . فهم في البلاد المعتدلة واحد في كل الف بصير . وهم اكثر من ذلك في البلاد الحارة لتأثير نور الشمس الشديد وحرارتها وخصوصاً على السواحل حيث تتناوب على الابصار رطوبة الهواء وحرارة الشمس . وقد اشتهر القطر المصري منذ أجيال بتسلط امراض العين فيه بالنظر لحرارة الجو وكثرة الغبار وقلة العناية في النظافة . ذكر فولني الرحالة الفيلسوف الفرنساوي الذي زار مصر في أواخر القرن الثامن عشر انه كان في اثناء مروره في القاهرة يستغرب كثرة

العميان في شوارعها وان عددهم في تقديره لا يقل عن عشرين في المئة — ولا نخاله الا واهماً بذلك او انه انما أراد المبالغة لبيان كثرة العميان في مصر . وذكر غيره من اهل القرن الماضي ان في القاهرة ٤٠٠٠ اعمى ولا غرابة في ذلك لما نعلمه من اهمال عامة الناس لاسباب النظافة . واما الآن فان الناس اخذوا يفهمون معنى النظافة بفضل العلم والتربية الصحيحة فقلت حوادث الرمد عن ذي قبل ويرجى بتوالي العناية في هذا السبيل ان تزداد تحسناً وخصوصاً بعد تعميم لقاح الجدري لان الجدري من اسباب العمى الرئيسية

﴿ مدارس العميان ﴾ وانشاء المدارس لتعليم العميان القراءة في كتب خاصة بهم انما هو من محدثات التمدن الحديث . وأسبق أمم أوربا اليه الفرنساويون وأول مدرسة انشئت لهذا الغرض انشأها فالانتين هوي في باريس سنة ١٧٨٤ واقتدى به الانكليز فأنشأوا مدرسة في ليفربول سنة ١٧٩١ وأنشأوا غيرها من ايدنبورج وسكوتلاندا سنة ١٧٩٢ وأول مدرسة أنشئت في لندن للعميان سنة ١٧٩٩ واقتدت سائر أمم أوربا بذلك وتسابقت الحكومات والجمعيات ورجال البر الى انشاء المدارس للعميان لتعليم القراءة والصناعات . فنبغ منهم الخطباء والوعاظ والصناع ورجال الموسيقى والشعر وأنشأوا لهم غرفاً للمطالعة يطالع بها العميان في كتبهم المكتوبة بحروفهم

وفي الشكل الاول صورة غرفة المطالعة في مكتبة هي فرع لمكتبة سان جورج في لندن خصصوها لمطالعة العميان وهي تعيرهم الكتب يطالعونها في منازلهم . وفي هذه المكتبة أربعمئة مجلد وستزداد يوماً فيوماً بما يتبرع به أهل الاحسان

أما في الشرق فقد كان تعليم العميان في جملة ما اقتبسوه عن الافرنج في نهضتهم الاخيرة . فأنشأ المشرون الانكليز في بيروت مدرسة لتعليم العميان منذ بضع وعشرين سنة أنشأها المرحوم مستر موط وكتبوا لها الكتب بالأحرف النائتة التي سنصفها وخصوصاً الكتاب المقدس . ثم أضافوا اليها فرعاً لتعليم الصناعة . وقد استفاد منها كثيرون فتثقفت اذهانهم وانفتقت قرائحهم فاشتغل بعضهم في الموسيقى وآخرون في التبشير وآخرون في غير ذلك . وأنشأ المصريون نحو ذلك الزمن مدرسة لتعليم العميان

ودونوا لهم الكتب في الاحرف الخاصة بهم وخصوصاً القرآن



(ش ١) صورة غرفة المطالعة للعميان في لندن

﴿ أحرف العميان ﴾ لا سبيل الى تعليم العميان القراءة الاَّ باستبدال البصر بما يقوم مقامه . فاختاروا اللمس بالاصابع — فالبصير يقرأ بعينيه والاعمى بأصابعه . وأول ما خطر لهم في اصطناع الحروف ان يصوروها بعقد يعقدونها في خيوط يدلون بها على أحرف الهجاء ويميزون بينها بعدد العقد او أوضاعها . ثم استنبط لهم الموسيو فالانتين هوي الاحرف النافرة على لوارق فيدركها الاعمى بأصبعه كما يدركها البصير بعينه . وطبع كتابه الاول بهذا الحرف سنة ١٧٨٤ وهي السنة التي أنشأ بها مدرسته . وكان حرفه عبارة عن الحرف الروماني المائل (ايتاليك) نفسه وبدلاً من طبعه بالحبر ليظهر للعين جعله بارزًا في الصحيفة لتشعر به الانامل . واقتدى به غيره في انكلترا وغيرها ولكنهم خالفوه في اختيار نوع من الحروف الرومانية دون النوع الآخر . ثم خالفوه في بسط أشكال الحروف حتى انتهت الى طرق كثيرة أشهرها الآن طريقتان الاولى بالخطوط المستقيمة أو المنحنية وهي طريقة المستر مون ولا تزال تعرف باسمه . وعليها اعتمد المستر موظ في تصوير الهجاء العربي للعميان في سوريا — فالالف عندهم

خط عامودي (ا) والباء خط عرضي (—) والتاء خط مائل نحو اليمين (/) والثاء خط مائل نحو اليسار (\) والجيم قوس تحدبها الى الاعلى (⌒) والحاء قوس تحدبها الى اليسار ( ) والخاء قوس تحدبها الى اليمين ( ) والدال خطان يلتقيان بزاوية في اليمين والذال زاوية الى اليسار وقس على ذلك

والطريقة الثانية عبارة عن نقط ناتئة ترسم بها الخطوط او المنحنيات على نحو الطريقة الاولى . وقد اعتمدت عليها المدرسة المصرية فاقتبست حروفها العربية منها

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض

ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه ة و ى

أ آ ؤ ... پ چ ڤ

(ش ٢) الاحرف الهجائية للعميان على الطريقة المصرية

وترى في الشكل الثاني احرف مدرسة العميان المصرية نقلناها عن كتاب «الطريقة الانسية في تعليم العميان القراءة والكتابة في البلاد الشرقية» تأليف «محمد أنسي» وبين يدينا الجزء الرابع من القرآن بهذه النقط أوله «لن تنالوا البرّ ...»

وقد حدا بنا الى الكتابة في هذا الموضوع ما تبرع به السير كاسل في هذه الاثناء من المال لمساعدة الاطباء في تخفيف ويلات الرمد بمصر . فما أجدر اغنياء القطر المصري بالالتفات الى اتمام هذا المشروع بترقية شؤون العميان وتعليمهم ليستعينوا بالعلم على معائشهم ويتفقهوا بالدين والادب فتسمو مداركهم وقد ينبغ منهم رجال يخدمون الامة خدماً جزيلة كما حصل في كثير من أمم أوربا

والمشهور ان العمى أقبح العاهات وأشدها وطأة أو هو عندهم على الاقل أعظم من الصمم ولكننا نرى الصمم أشد وطأة منها لما يستطيع الاعمى اكتسابه عن طريق الاذن من العلم على أنواعه وهو ممتنع على الاصم — ولذة العلم اسمي اللذات وأبقاها

فيكتور هوكو

وعلم الادب عند الافرنج والعرب

لكاتب فاضل

٥

و بظهور الاسلام ظهرت طبقة جديدة من الادباء قيل لهم أهل الطبقة الاسلامية وهم الذين كانوا صدر الاسلام وأيام الدولة الاموية التي امتدت الى سنة ١٢٩ م وفي أوائل الدولة العباسية وسمي المتأخرون منهم شعراء الدولتين الاموية والعباسية ولخص حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم الطريقة المثلى في الشعر بقوله :

وانما الشعر عقل المرء يعرضه   على البرية ان كيسا وان حمقا
وان أحسن بيت أنت قائله   بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وفي مقدمة هذه الطبقة عمر بن أبي ربيعة كبير قريش وكان له في الشعر مقامات عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيرا ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه معجباً به ومنهم الحطيئة العبسي المشهور في الهجاء وحكم عليه بقطع اللسان في خلافة عمر (رضه) ثم عفا عنه . وكان جرير والفرزدق والاخطل من أعظم شعراء الدولة الاموية وحصل بينهم محاورات ومهاجات وكان لكل منهم فرقة من الناس تفضل شعره وتطرب لقوله وتنتصر لرأيه وكثيراً ما كان يفضي بينهم الجدال على تفضيل الشعر الى القتال . والمشهور بين الادباء ان جريراً مرجح على الفرزدق في اكثر انواع الشعر وعلى الاخطل في جميع أنواعه . وكان الفرزدق والاخطل متفقين على هجاء جرير ومعاداته . واستخرج المستشرق بوشه من مكتبة جامع أيا صوفيا بالاستانة ديوان الفرزدق وطبعه وحشاه وترجمه للفرنساوية وحرر شيئاً عن عروة ابن الورد أيضاً . وممن عاصر الفرزدق غيلان ذي الرمة الثقفي صاحب مي بنت مقاتل . ومن هذه الطبقة نصيب و بشار المتوفي سنة ١٦٧ ه وهو القائل « والاذن

تعشق قبل العين أحياناً » وكثير غيرهم ويجمع كلامهم كتاب الاغاني الذي ألفه أبو الفرج الاصفهاني المتوفى سنه ٣٥٦ ه وكان من نسل مروان الحمار آخر ملوك بني أمية وكتابه هذا مطبوع في بولاق . ومختصره أي رواياته مطبوع في بيروت . وممن اشتهر بالنثر وكتابة الرسائل عبد الحميد الكاتب وكان كاتباً لمروان الحمار فمات منكوباً حينما انقرضت الدولة الاموية . وجمعت رسائله في كتاب

فأهل هذه الطبقة وان نسجوا على منوال شعر الجاهلية فكلامهم أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في منظومهم ومنثورهم وخطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم للملوك . والسبب في ذلك حصول الانقلاب في الامة وتأسس الملك والدولة وتوسع حدود المملكة بالفتوحات واختلاط الاقوام بعضها ببعض فاتسعت بذلك دائرة العقول ونهضت طباع أهل الطبقة الاسلامية وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأرصف مبنى وأعدل تثقيفاً بما استفادوه من انفتاق الذهن وتوسع دائرة الفكر وبما سمعوه من الكلام العالي الطبقة في القرآن والحديث

٦

ثم حصل انقلاب كبير في الامة وقامت الدولة العباسية مقام الدولة الاموية وترجمت كتب العلم والحكمة عن خمس لغات أعجمية وهي :

(١) الفارسية والبهلوية

(٢) الهندية والسنسكريتية

(٣) السريانية

(٤) العبرانية وسمي المترجم عنها بالاسرائيليات

(٥) اليونانية

وعكف أهل العلم والفضل على النظر في هذه الكتب ونقلوا للعربية شيئاً قليلاً من أدب اللغات الاعجمية وكان في مقدمة الناقلين ابن المقفع (١٠٩ — ١٤٥ ه) واسمه عبد الله بن داذبه وأصله من مجوس الفرس أسلم ودخل في خدمة عيسى بن

علي عم السفاح أول الخلفاء العباسيين . واشتهر ابن المقفع بالفصاحة والبلاغة حتى قيل بانه الف كتاباً يعارض فيه القرآن كما فعل المتنبي . قال الباقلاني : فليس يوجد له كتاب يدعي مدع انه عارض فيه القرآن بل يزعمون انه اشتغل بذلك مدة ثم مزق ما جمع واستحيي لنفسه من اظهاره . . الخ . ثم ذكر له الدرة اليتيمة وقال انهما كتابان أحدهما يتضمن حكماً منقولة عن كتاب بزرجمهر في الحكمة والآخر في شيء من الديانات وقد تهوس فيه بما لا يخفى . آه

على ان الكتاب المشهور لابن المقفع هو كتاب كليلة ودمنة المطبوع في بيروت وهو قصة أدبية فلسفية سياسية أول من وضعها أحد أدباء الهند وفلاسفتها ويدعى بيدبا أو بيدباتي وحررها باللغة الهندية فترجمت عنها الى اللغة البهلوية على عهد أنوشروان ثم جاء ابن المقفع وترجمها للعربية نثرًا . ثم ظهر على عهد هارون الرشيد ابان بن عبد الحميد من شعراء العرب وانتسب للبرامكة وغمر بانعامهم ونظم لهم كتاب كليلة ودمنة فقال بعد المقدمة

هـذا كتاب أدب ومحنه وهو الذي يدعى كليله ودمنه
فيه احتيـالات وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهنـد

وكان له نظر جيد في العلم والحكمة ونظم قصيدة فلسفية في مبدأ العالم نسبت لابي العتاهية . وكان أبو نواس يأنف من مشاعرته لان كلامه كلام فلاسفة وحكماء لا كلام شاعر أديب متخصص بعلم الادب . واسترحم ابان بن عبد الحميد يوماً من يحيى بن خالد البرمكي بادخاله على الرشيد وعرض أشعاره عليه فأشار عليه يحيى بنظم قصيدته السياسية التي قال فيها

نشدت بحق الله من كان مسلماً اعم بما قد قاله العجم والعرب
اعم رسول الله أقرب زلفـة لديه ام ابن العم في رتبة النسب
وأيهما أولى به وبعهـده ومن ذا له حق التراث بما وجب
فان كان عباس أحق بتلكم وكان علي بعـد ذاك على سبب
فأبناء عبـاس هم يرثونه كما العم لابن العم في الارث قد حجب

فلما سمعها الرشيد تهلل وجهه بالبشر وأنعم على الشاعر بعشرين الف درهم

ثم ظهر سهل بن هارون الكاتب وصنف للمأمون كتاب قله وعفره يعارض به كتاب كليلة ودمنة في أبوابه وأمثاله ويزيد عليه في حسن نظمه . ثم جاء ابن الهبارية واسمه الشريف أبو يعلي محمد بن محمد ونسبه يتصل بعبيد الله بن عباس رضي الله عنه. وكان ابن الهبارية من شعراء نظام الملك وزير الب ارسلان ثم انتسب لابنه ملكشاه ومدحهما بقصائد ونظم كليلة ودمنة وسماه نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة وله كتاب آخر على هذا الاسلوب سماه الصادح والباغم ونظم فيه الفي بيت . وأشعاره سلسلة سهلة ومنها :

يقول أبو سعيد اذ رآني عفيفاً منذ عام ما شربت

على يداي شيخ تبت قل لي فقلت على يد الافلاس تبت

توفي سنة ٥٠٤ هجرية

وتُرجم غير كتاب كليلة ودمنة من لغات الاعاجم أمثال لقمان الحكيم ولطائف الوزراء ولطائف الملوك وكثير من النصائح والمشورات السياسية والادارية وشيء من كتاب زرادشت وكتاب ماني — قال المسعودي في مروج الذهب « وانتشر بأيدي الناس في ذاك الوقت كتاب أصله من بلاد العجم واسمه الف ليلة وليلة غير ان حكاياته لا تشبه حكايات الكتاب المعروف بهذا الاسم المتداول بيننا » واشتهر في الكتابة والانشاء أيضاً الجاحظ (١٦٥ — ٢٥٥ هـ) وهو أبو عثمان الكناني الليثي البصري وله طريقة في الانشاء يقال لها طريقة الجاحظ كما ان له مذهبا في الفلسفة وقيل لاتباعه الجاحظية وله مؤلفات كثيرة في الادب منها كتاب البيان والتبيين وكتاب الامصار وكتاب الحيوان وقد اختصر المؤلف هذا الكتاب الاخير ويوجد نسخة من المختصر في مكتبة اسكوريال باسبانيا وهي التي طبع فهرست كتبها المستشرق الاستاذ هارتويغ ديرنبورغ . ويوجد نسخة أصلية من كتاب الحيوان في مكتبه هامبورغ . وقد سلك مسلك الجاحظ وأخذ طريقته ولم يقصر عنه أبو الفضل محمد بن العميد (توفي ٣٦٠ هـ) وكان مؤدبا لعضد الدولة ومن أعظم وزراء آل

بويه وله رسائل كبيرة وأشعار وكتاب « الخلق والخلق » لم ينقحه . وأثنى عليه الباقلاني فقال : انه يأخذ في الرسالة الطويلة فيستوفيها على حدود مذهب الجاحظ ويكملها على شروط صنعته ولا يقتصر على ان يأتي بالاسطر من نحو كلامه كما ترى الجاحظ يفعله في كتبه متى ذكر من كلامه سطراً اتبعه من كلام الناس أوراقاً واذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره كتاباً . وكان ابن عباد وزير فخر الدولة يصحب أبا الفضل بن العميد ولذا قيل له الصاحب بن عباد

وممن اشتهر من الشعراء أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (١٩٠ — ٢٣١ هـ) وهو ميال للتصنع والتكلف والتعويص في المعاني وأحسن ما الفه كتاب الحماسة وهو مختار من كلام الشعراء المتقدمين . ومطبوع وله أيضاً كتاب فحول الشعراء وكتاب الاختيارات . ومنهم أبو نواس (توفي ١٩٥ هـ) وله سبك جيد وحلاوة ورقة . ومنهم ابن الرومي وابن المعتز وأشعرهم البحتري (٢٠٤ —٢٨٤ هـ) وفضله الباقلاني على جميع أهل عصره لبهجة كلامه وبديع رونقه وديباجة شعره وكثرة مائه . وقال المعري : أبو تمام والمتنبي من الحكماء وأما الشاعر فهو البحتري . قالوا والبحتري يغير على أبي تمـام اغارة ويأخذ منه صريحاً واشارة ويستأنس بالاخذ منه بخلاف مايستأنس بالاخذ من غيره وقد طبعت الموازنة بينهما في مطبعة الجوائب

وكان الخلفاء والرؤساء يشوقون شعراء الطبقة الاسلامية ويجيزونهم بأعظم الجوائز كما يفعل في يومنا الافرنج ولو كان فعلهم مقيداً بالقواعد والنظامات فان الاكاذيميات تحكم في كل سنة بتوزيع الجوائز النقدية التي تقرر صرفها نظارة المعارف أو يتبرع بها أصحاب الخير ومحبو العلم من ذوي الثروة . فهذا الامر شائع بينهم وله دائماً ذكر في جرائدهم . وكان للخلفاء معرفة بفنون الادب وتبصر بجيد الكلام ورديئه ويحفظون أشعاراً كثيرة ويعانون النظم والنثر لتقوى ملكتهم في اللغة حتى اذا رقوا منابر الخطابة أو تكلموا في صدور المحافل تمكنوا من استمالة الناس اليهم والفوا بين قلوبهم كما يفعل ملوك الافرنج في زماننا ولا سيما خطيبهم الشهير امبراطور المانيا فانه من أبلغ الخطباء في الملوك . وهكذا كان الخلفاء يستجلبون القلوب ببليغ

الكلام لا بحد الحسام . وظهر في ذوي الرياسة فحول من الادباء مثل ابن الخليفة العباسي المعتز بالله بن المتوكل واشتهر بابن المعتز (٢٤٧ — ٢٩٦ هـ) وتولى الخلافة يوماً واحداً وقتل وهو أفضل شعراء بني هاشم . ومثل أبي فراس الحمداني ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة من آل حمدان المنتسبين لبني تغلب من قبائل العرب وامتدت حكومة آل حمدان في حلب والموصل نحو ٦٠ سنة . ومن شعر أبي فراس الحمداني قوله :

نطقت بفضلي وامتدحت عشيرتي ... وما أنا مداح وما أنا شاعر

وطبع ديوانه في بيروت وكان المتنبي يفضله على نفسه

ومن اشتهر في الادب أبو بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني وكلاهما من أدباء القرن الرابع للهجرة ونشرت الجوائب رسائلهما . ونسج الحريري على منوال الهمذاني في تأليف مقاماته المشهورة ولم تزل تدرس في الصوربون وقد شرحها شيخ المستشرقين في فرانسا سيلفيستر دوساسي . وينتقد عليها أدباء الافرنج من جهة قصر المقامات وعدم اعتناء المؤلف في تصوير الحكايات وتشخيصها على نسق ما الفه الافرنج أو اليونان قديماً وانما صرف الحريري عنايته الى سبك الالفاظ وتصنيعها . وكانت ولادته في البصرة ثم نفي الى مشان بقرب البصرة (٤٤٦ — ٥١٥ هـ)

ومن المعلوم ان ايراد خلاصة تاريخ أدب اللسان العربي وذكر المشاهير من الادباء وتعيين طبقاتهم ليس بالامر السهل . ولذا نكتفي بالاشارة الى بعض من دون أخبار الشعراء . فمنهم ابن قتيبة المروذي (٢١٣—٢٧٦ هـ) صاحب « أدب الكاتب » وله « ديوان الكتاب » و « طبقات الشعراء » وغير ذلك . ومنهم المبرد الازدي (٢١٠ — ٢٨٦ هـ) وله كتاب الكامل والمقتضب والروضة . ومنهم ابن المنجم (٢٤١ — ٣٠٠ هـ) وكان أبوه من كتاب المأمون ومن نسل يزدجرد آخر ملوك فارس فألف هو في تاريخ الادب كتاب الباهر أو البارع في أخبار الشعراء . ثم جاء أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ — ٤٢٩ هـ) وهو عربي النسب نيسابوري المولد وكان يحترف بعمل فراء الثعالب فوضع للكتاب المذكور ذيلاً في ٤ مجلدات سماه « يتيمة الدهر في محاسن

أهل العصر » وجمع فيه أخبار شعراء زمانه ونوادرهم وأشعارهم . ثم جاء أبو الحسن على الباخرزى نسبة لباخرز ناحية بالقرب من نيسابور بخراسان وكان من ذوي المراتب العالية وأهل الديوان وتوفي مقتولاً سنة ٤٦٧ هـ فحرر ذيلاً ليتيمة الثعالبي سماه دمية القصر وعصرة أهل العصر ومنه نسخة في الاستانة . وزاد عليه أبو الحسن بن زيد البيهقي — وبيهق ناحية بالقرب من نيسابور أيضاً — ذيلاً سماه وشاح الدمية ثم جاء عماد الدين الكاتب الاصفهاني (٥١٩ — ٥٩٧ هـ) وزير السلطان صلاح الدين الايوبي والف كتاب خريدة القصر وجريدة العصر ومنه نسخة في الاستانة وأخرى في باريس وفيه تراجم الشعراء وأشعارهم من سنة ٥٠٠ الى سنة ٥٧٢هـ والف أيضاً كتاب السيل على الذيل وجعله ذيلاً لخريدة القصر . ثم جاء الوراق وهو أبو المعالي سعد بن علي الانصاري المتوفى سنة٥٦٨ هـ وذيل ماتقدم بكتابه زينة الدهر وعصرة أهل العصر

فهذه المدونات من أهم الاجزاء في تاريخ الادب العربي ويمكن اتمامها باختيار مايروق من مؤلفات أبي شامة (٥٩٦ — ٦٦٥ هـ) وأبوه المقدسي . نشأ هو في مصر وكتابه « كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » يدرس في الصوربون وطبع في مصر . ومن مؤلفات الكاتب الدمشقي (٧٠٠—٧٥٩ هـ) وكتابه مسالك الابصار في الممالك والامصار لايقتصر على التاريخ والجغرافيا بل فيه كثير من التراجم أيضاً ومجلداته نحو ثلاثين وقيل أربعين وهو مرقم في كتبخانة أيا صوفيا في الاستانة من عدد ٣٤١٥ الى ٣٤٣٩ ومنه نسخة في مكتبة باريس الاهلية والهمم جارية في طبعه . ولما كنت في الصيف الماضي بالاستانة شاهدت في كتبخانة الكوبريلي أحد المستشرقين من الانكليز يستنسخ بآلة التصوير الشمسي كتاباً كبير الحجم حسن الخط ليس فيه من التراجم الا حرف العين فسألت فاذا هو « ارشاد الالباء في معرفة الادباء » تأليف ياقوت الحموي الرومي (٥٧٤ — ٦٢٦هـ) صاحب معجم البلدان الذي طبعه المستشرق ووستنفلد في ليبزيك سنة١٨٦٩ في أربعة مجلدات وطبع حاشية له في مجلد خامس . والحموي من المؤلفات النافعة معجم

الادباء ومعجم الشعراء وكتاب أخبار المتنبي وعنوان كتاب الاغاني ومجموع كلام أبي علي الفارسي . . . فاذا كان حرف العين من ذاك السفر الجليل لم يكمل في مجلد ضخم فما بالك في بقية اجزاء هذا الكتاب . ومما يمكن مراجعته من الكتب في هذا الموضوع نزهة الالباء في طبقات الادباء لمحمد بن شاكر الانباري ونسخته في الاستانة . وكتاب ريحانة الالباء المطبوع في بولاق . ونفحة الريحانة في طبقات الشعراء للمحبي ووفيات الاعيان لابن خلكان وفوات الوفيات للكتبي والوافي بالوفيات لصلاح الدين ابن بيك الصفدي وأعيان العصر واعوان النصر له أيضاً . ثم تاريخ المحبي في أعيان القرن الحادي عشر والمرادي في أعيان القرن الثاني عشر . وهكذا ينتهي الباحث الى العصر الذي نحن فيه فيجد شيئاً من آثار المعاصرين في الجزء الاول من عكاظ الادب المطبوع في الاستانة عقب الحرب مع اليونان وقد استمار صاحب عكاظ وهو أبو النصر السلاوي باشا لكل واحد من شعراء العصر لقباً من القاب المتقدمين وسمى به أصحاب معلقات هذا القرن الرابع عشر للهجرة . فامرؤ القيس الثاني لنقيب الاشراف السيد توفيق افندي البكري ، وأبي العلاء الثاني للاستاذ عبدالجليل افندي براده المدني ونابغة العراق لجميل افندي الزهاوي ونابغة مصر لاحمد بك شوقي وزهير البلاغة لمحمد ولي الدين بك يكن . وصاحب المعجز لاحمد محرم افندي وحسان الموصل لشاعر العراق عبدالباقي افندي العمري وسح الادبا لاحمد عزت باشا الفاروقي الموصلي ولبيد العصر للفيلسوف يوسف ضياء الدين باشا الخالدي . ودريد الحكم لحسن حسني باشا الطويراني وأبو الثناء للشيخ محمود قبادو التونسي

وأما اللغويون والنحاة فأحسن جامع لاخبارهم ما الفه جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ وسماه « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » ورأيت نسخة منه في مكتبة يكي جامع وهي عند الجسر في الاستانة العلية . وطبع في مصر وسوريا وأوروبا كثير من مؤلفات الاصمعي وابي زيد الانصاري البصري وأبي عبيده النحوي وابن السكيت وغيرهم من اللغويين الافاضل

بخارا وأميرها

﴿ بخارا ﴾ هي امارة اسلامية في بلاد تركستان يحدها من الشمال تركستان الروسية ومن الشرق بامير ومن الجنوب افغانستان ومن الغرب صحراء قراقم. مساحتها مئة الف ميل مربع وسكانها اخلاط من التاوجيك والعرب والاوزبك الاتراك والفرس والقرغز واليهود عددهم جميعاً ٢,٥٠٠,٠٠٠ نفس كلهم مسلمون (الاّ اليهود). عاصمتها مدينة بخارا سكانها ٧٥,٠٠٠ ومن مدنها الكبرى كرشي سكانها ٢٥,٠٠٠ وخزر وحصار سكانها ١٠,٠٠٠ وكاركول وكرمين وغيرها . والتاوجيك سكان البلاد الاصليون أكثر اشتغالهم بالتجارة وهم طوال القامة حسنو الملامح . والعرب أكثر عدداً من هؤلاء ولكنهم مع ذلك لا يزيدون على ٦٠ الفاً وهم فاتحو البلاد وناقلو الاسلام اليها

ولبخارا أهمية تجارية كبرى بالنظر لتوسطها بين أوربا وأغنى بقاع أسيا . ولذلك كانت سبيلاً لتجارة الروس على القوافل . منها ما يسافر بطريق خيوا الى سواحل بحر قزوين فاستراخان ومنها في طرق أخرى الى بلاد أخرى . ويقدرون ما يستخدم في تجارتها من الجمال بنحو ٦,٠٠٠ جمل . وتنقل الى روسيا الرز والحرير والنيلة والاحزمة والشيلان والفرو وعرق اللولو وغيرها

واسم بخارا عند القدماء سغديا أي بلاد السغد . ولم تستول عليها دولة الرومان لبعدها في أقصى الشرق ولكن الفرس ملكوها من أقدم أزمنة التاريخ . ويقال ان فارسياب الفارسي الشهير هو الذي أسسها . ثم كان لها شأن عظيم في الاسلام وكانت في جملة فتوحات المسلمين في ما وراء النهر ولها تاريخ يطول شرحه . وقد بلغت شأواً عظيماً في الاجيال الاسلامية الوسطى فمر عليها عدة قرون كانت في خلالها من أعظم ممالك الاسلام — واليك ما قاله فيها ابن حوقل الجغرافي العربي الشهير في أواسط القرن الرابع للهجرة — قال :

« وبخارا هي دار الامارة على جميع خراسان وهي مستقيمة على رصيف كور ما

وراء النهر ثم يتبعها ما يتصل بها . فاما اسمها فبومكجث . وهي مدينة في مستواة وبناؤها خشب مشبك ويحيط بهذا البناء المشبك من القصور والبساتين والمحال والسكك المفترشة والقرى المتصلة ما يكون اثني عشر فرسخاً في مثلها . ويحيط بها كلها سور يجمع هذه القصور والابنية والقرى والقصبة . ولا يرى في أضعاف ذلك كله خراب ولا قفار ومن دون هذا السور على خاص القصبة وما يتصل بها من القصور والمساكن والمحال التي تعد من القصبة ويسكنها من يكون من أهل القصبة — سور حصين نحو فرسخ في مثله . ولها مدينة داخل هذا السور يحيط بها سور حصين ولها قهندز خارج المدينة متصل بها وهو مقدار مدينة صغيرة وفيه قلعة مسكن ولاة خراسان من آل سامان ولها ربض طويل عريض واسواقها في ربضها وليس في خراسان وما وراء النهر مدينة بناؤها أشد اشتباكاً من بخارا ولا اكثر أهلاً على قدرها منها ... وللمدينة سبعة أبواب حديد ... وليس في قهندزها ماء جار لارتفاعها ومياهها من النهر الاعظم الجائي من سمرقند وتتشعب من هذا النهر في المدينة انهار منها نهر يعرف بنهر فشيرديزه يأخذ من نهر بخارا في مكان يعرف بالورغ ... ومن فم هذا النهر الى مغيضه نحو فرسخ . ونهر يعرف بجوبار بكار يأخذ من النهر المذكور آنفاً في وسط المدينة بموضع يعرف بمسجد احيد ... وعلى هذا النهر شرب بعض الربض ونحو الف بستان ... ولسان بخارا لسان السغد غير انه يحرف بعضه ولهم لسان بالدرية وأهلها يرجعون من الادب والعلم والفقه والامانة والديانة وحسن السيرة وجميل المعاملة وقلة الشر ... وزيهم يغلب عليه الاقبية والقلانس كزي ماوراء النهر وداخل البلد وخارجه اسواق متصلة معلومة في أوقات من الشهر حارة يجري فيها البيع والشراء من الثياب والمواشي والرقيق وسائر أمتعة الصفر والنحاس والاواني وغير ذلك مما ينتفع به أهلها . ويرتفع من بخارا ونواحيها ما يحمل الى العراق وسائر البقاع ثياب تعرف بالبخارية وكذلك البسط وثياب الصوف ... الخ » اه

وما زالت بخارا يحكمها المسلمون من العرب أو الفرس أو التتر حتى دخلت في حوزة الروس على عهد العائلة الحاكمة الآن وهي عائلة أمراء بخارا

أولهم مير معصوم تولاها في أواخر القرن الماضي ثم خلفه ابنه السيد أمير حيدر سنة ١٨٠٢ وتوفي هذا سنة ١٨٢٦ فخلفه أميران لم يحكما الا قليلاً . وفي سنة ١٨٢٧ تولاها الامير نصرالله بهادر وفي ايامه قامت العداوة بينه و بين الروس والانكليز لتوسط بخارا بين املاكهما . وكانت هاتان الدولتان تتسابقان الى انفاذ السفراء اليه لاسترضائه فكان يعامل الروس بالغطرسة والانكليز بالاحتقار . أما الروس فجردوا عليه الجند حتى بلغوا الى خوقند . ثم تولى امارة بخارا سنة ١٨٦٠ الامير مظفر الدين فبدلاً من تسوية المسألة بالحسنى بعث الى جنرال الجند الرومي ان يخلي المكان حالاً وتهدده بالحرب الديني فكان ذلك ممهداً آخر لما يبغيه الروس من الاستيلاء عليها فجردوا سنه ١٨٦٦ حملة اكتسحوا بها بخارا . وكانت الواقعة القاضية لهم بالنصر على ضفاف سيحون (نهر الشاش) انكسر فيها البخاريون وعقد الصلح لكنه لم يدم فعاد الروس الى مناهضة البخاريين سنة ١٨٦٨ فدخل الروسيون سمرقند وظلت بخارا مستقلة بالاسم . وهي في الواقع خاضعة للروس بمعاهدة تقضي على البخاريين بمنع الاجانب من دخول بخارا الا باذن روسيا

﴿ امير بخارا الحالي ﴾ هو السيد عبد الاحد بهادر خان ابن الامير مظفر الدين ولد سنة ١٨٥٩ وتثقف في مدارس الروس وتولى أريكة بخارا سنة ١٨٨٥ بعد وفاة أبيه . وولي عهده الآن السيد مير عليم خان ولد سنة ١٨٨٠ — وقد كتب الينا أحد أفاضل التتار ممن ساح في بلاد بخارا وتركستان رسالة يصف الامير الحالي وسائر احوال الامارة لخصنا منها ما يأتي قال :

« ان جنابه الرفيع الآن في الثالثة والاربعين من عمره وهو متوسط القامة قوي البنية ضخم الجسم جميل الوجه كريم الاخلاق امتزج في طبيعته الجد والثبات مع الحلم والرأفة ومع انه تربى على الاصول القديمة المتبعة عند أمراء الشرق فهو عاقل زكي كثير الميل الى العلم ولا يزال يشتغل به ويبذل جهده في نشره في مملكته فضلاً عن سعيه في اصلاح أمور البلاد . وفي جملة الادلة على ادراكه روح العصر الحالي انه أرسل ولي عهده الى بطرسبورج لتلقي العلم في مدارسها على النسق الجديد ولكن للاسف لم تطل

اقامته هناك الاَّ سنتين فاقتضت الاحوال استرجاعه الى بخارا وتعيين والياً على احدى الولايات ليتمرن على ادارة شؤون الملك ويطلع على أحوال العمران

« يقضي جناب الامير معظم أوقاته في قصره الخاص « كرمينه » على مسافة ستين كيلو متراً من بخارا ولا يشرف العاصمة الاّ في بعض الايام لقضاء بعض الامور الرسمية . وقد سمعت في أثناء سياحتي الاخيرة في السنة الماضية من أحد اعيان سمرقند ان جنابه العالي انما ابتعد عن العاصمة لانه يرى نفسه فيها مغلول اليدين لا نفوذ له ولا سطوة وانه يتأسف لانه ينوي اعمالاً ذات شأن لاصلاح شؤون بلاده ورعيته ولكنه يأبى الشروع بها خوفاً من تغير الروس عليه . وهو يرى على ما يظهر ان أحسن ما يليق اجراؤه بالنظر الى الاحوال الحاضرة ان يسترضي الروسيين لئلا يظنوا فيه سوء القصد لغاية مكتومة عنهم . وقد اتبع هذه السياسة وحصل على رضاء الروس

« والبخاريون يعدون مملكتهم مستقلة تحت حماية روسيا ولكنها بالحقيقة لاتجري عملاً داخلياً أو خارجياً الا على ما ترضاه حكومة القيصر . ومع ذلك فلايزال مسلمو الافغان والهند ينظرون اليها نظر الاعتبار ويوجهون اليها آمالهم مما يجعل الروسيين اكثر عناية في المحافظة على عهودهم القديمة

« معاملاتها التجارية في الغالب مع روسيا والسكك الحديدية والبريد في قبضة الروسيين . وأصول ادارة الحكومة لا تزال على النسق القديم لان ادخال النظامات الجديدة ممنوع . وقد اشتهرت بخارا من عهد تيمورلنك بمدارسها وعلمائها ولكنها شاركت سائر العالم الاسلامي في الاجيال الاخيرة بالتقهقر . ومع ذلك فان مدارسها الواسعة لا تزال الى اليوم مملوءة بألوف من طلاب العلم يأمونها من البلاد القريبة والبعيدة يقيمون فيها أعواماً . على ان المعارف الجديدة لم تظهر فيها بعد فلا يرى السائح هناك شيئاً من المطابع او المطبوعات الحديثة ولا يدخلها من الخارج الا بعض الجرائد الفارسية تحت شروط وقيود . وقد اشتهرت بينهم جريدة « الترجمان » التي تصدر باللغتين التترية والروسية في مدينة باغجة سراي في القرم وقد خدمتهم خدمة حسنة ونال صاحبها التفات الامير وانعامهُ » اه

تاريخ الآداب الاجتماعية

في الممالك الاوروبية

٤ – الاسبانيول والبرتوغاليون

يظن المؤرخون ان أصل سكان اسبانيا الاولين من قبائل السلتيين (القلت) الذين قدموا اليها من الشمال فعبروا جبل البيرنه وضربوا في السهول والاودية ثم اختلطوا بغيرهم من أصناف البشر وتلاهم الفنيقيون سادة البحر المتوسط فأنشأوا المستعمرات كقادس وغيرها ولحق بهم اليونان آتين من بلادهم ومن مرسيليا . وكان القرطاجنيون سكان قرطاجنة في افريقية من نسل المهاجرين الفينيقيين فطمعوا في ضم اسبانيا لاملاكهم ودارت رحى الحرب بينهم وبين الرومان الى ان استخلصها هؤلاء من أيديهم وتولوا حكومتها ستمئة سنة ثار في خلالها الاهلون مراراً فبعثت اليهم رومية خيرة قوادها كيولبوس قيصر وبومبي لتأديب العصاة فيها . وقد بقي في اسبانيا شيء كثير من آثار الرومان بعد انقضاء دولتهم وانقراض مجدهم فان اللغة الاسبانية فرع من لغة الرومان فضلاً عما خلفوه من الحصون والمعاقل والطرق والاقنية مما يدلك على مبلغ سطوة الرومان في تلك الاعصر وما كان لهم من الشان وضخامة الملك

وعقب الرومان في اسبانيا قبائل الفندال والقوط آتية من شمالي أوروبا فطارد القوط الفندال فعبروا البحر المتوسط الى افريقية واحتلوها وظلوا فيها الى أن غلبهم بلازاريوس البيزنطي على أمرهم . ثم جاء العرب فاكتسحوا بلادهم وافنوهم عن آخرهم

لما استقل العرب بالامر في افريقيا عبروا البحر الى اسبانيا في أوائل القرن الثامن فاجتاحوا البلاد فخضعت لهيبتهم فامتلكوها من اقصائها الى اقصائها وأطلقوا عليها اسم الاندلس وجعلوا عاصمتهم قرطبة . ولما استفحل أمرهم حدثتهم نفوسهم بامتلاك فرنسا فلقيهم شارل مارتل مليكها في واقعة قضت عليهم بالعودة الى الاندلس على ان سكان الشمال من الاسبانيين قلما خضعوا للعرب فثبتوا على استقلالهم

واخذوا يبثون روح الوطنية في اخوانهم فانتشرت تلك الروح ببطء وتثاقلت حتى اثقلت كاستيل (قشتالة) واستولى عليها ملك نافار سنة ١٠٢٦ وقام أهل أراغون (ارجونة) على المسلمين ٠ وفي آخر ذلك القرن ظفر ملك كاستيل بهم فسلخ عنهم البرتوغال واسمها لذلك العهد لوزيتانيا فاستصرخ المسلمون اخوانهم عبر البحر فأنجدوهم بالرجال وجاء المرابطون فحفظوا بذلك ملكهم في جنوبي اسبانيا ٠ ولما كان القرن الثالث عشر طردهم فرديناند الثالث ملك كاستيل من قرطبة واشبيلية وطليطلة فنزحوا الى غرناطة فلبثوا فيها دهرًا الى ان اقترن فرديناند ملك اراغون بايزابلاً ملكة كاستيل فضما جيشيهما وأوقعا بالعرب سنة ١٤٩٢ واستقلا بحكومة المملكة بأسرها



كريستوفورس كولمبوس مكتشف اميركا

وكان البورتغاليون أصحاب خبرة بسلك البحار فكانت سفنهم تشق عبابها

وتسير في الآفاق للاتجار فامتلكوا جزائر ماديرا وكناري ونزلوا جنوباً حتى بلغوا رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٧ وفي سنة ١٤٩٧ سافر أحدهم فاسكودي غاما الى الهند عن طريق الرأس فجاء ذلك بعد اكتشاف اميركا بواسطة كريستوفورس كولمبس وعقب ذلك اكتشاف البرازيل فعظم شأن اسبانيا والبرتوغال واستفحل أمرهما وكثرت أملاكهما في مشارق الارض ومغاربها. على ان امتلاكهما تلك الاصقاع عاد بالويل والثبور عليها لانهما اتخذتا الاسترقاق تجارة رابحة وبذلتا نفوس الناس رخيصة في طلب الذهب والغنى وأصبحتا آلة في يد ديوان التفتيش . على ان نتائج تصرفهما لم تظهر سريعاً فبلغت اسبانيا في القرن السادس عشر مقاماً رفيعاً بين دول أوروبا وكانت الحكم بينهن



ناسكو دي غاما الرحالة البرتوغالي

على ان الحرب لم تلبث ان ثارت سجالاً بينها وبين انكلترا وفرنسا ففارقها النصر ووالاها الانكسار والهزيمة وانتابتها الويلات الداخلية ودب في أهلها روح التراخي والاهمال بما اكتسبوه من الثروة من أملاكهم في أميركا فضعف شأن الامة وتداعت أركان مجدها وانحطت عن سابق عزها وأصبحت في عداد دول أوروبا الصغرى

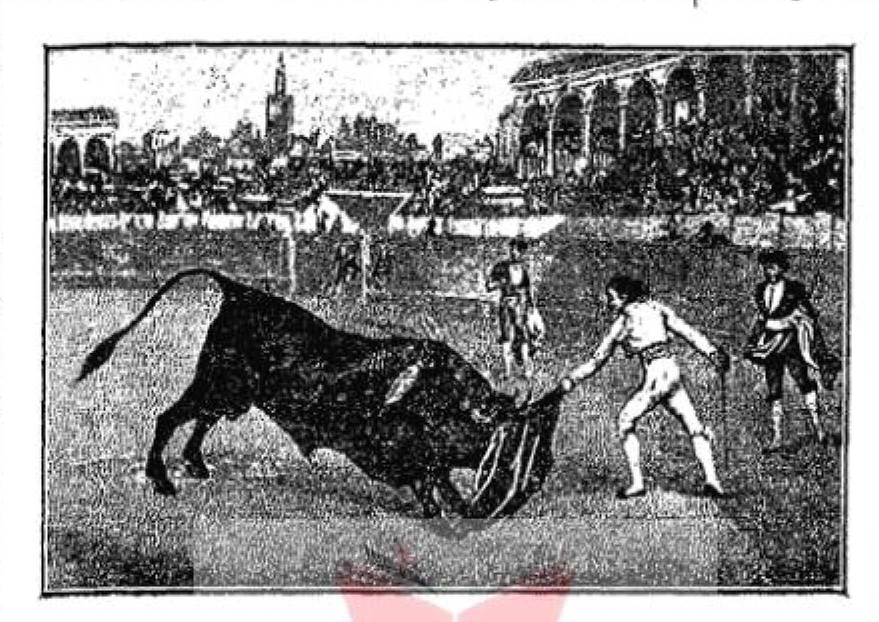
وجاءت الحرب الاميركية ضغثاً على ابالة فخسرت بها املاكها في الهند الغربية وفي الفلبين ونقم الشعب على الحكومة واشتدت الضيقة المالية فيها فصارت البلاد على شفاء الخراب . ولو أفاق أهلها من سبات النوم لكان لهم في خصب بلادهم وصفاء هوائهم ونشاط شبيبتهم ما يعيد اليها بعض ما فقدته من عظمتها وما أضاعه الوارث المتلاف من ارث السلف

{ اخلاق الاسبانيول وعاداتهم } يغلب في الوان الاسبانيول السمرة وسواد الشعور والعيون ونساؤهم جميلات رخيمات الاصوات ويغلب في رجالهم الغطرسة والكبرياء وقد يصعب تعيين أوصاف الامة لتباين الاجناس التي تتألف منها . ولكن يقال بالاجمال ان الخرافات ضاربة اطنابها فيها . ومن غريب شؤونهم ان اسلافهم اشتهروا بالقوة الجسدية لكنك لا تكاد تجد لهذه أثراً في نسلهم ولا تجد تعليلاً وافياً لهذا الانحطاط الا ان يكون انغماسهم فيما مضى في الملذات واسترسالهم الى القصف وسقوط ابطالهم في ساحات الوغى

والاسبانيول معتدلون في تعاطي المسكرات على كثرة الخمور في بلادهم وجودتها وكذلك في المآكل فلا يهتمون باتقانها وهم يميلون الى الكسل والراحة وقلَّ بينهم من يجهد قواه في العمل فلا تبلغ الشمس الهاجرة الا وتراهم ساروا يطلبون القيلولة . لكنهم كثيرو الحركة يكثر في كلامهم الصخب وهم في الغالب مهولون فيما يقولون أصحاب ثارات قليلو الشفقة وأحكامهم قد نخرها سوس الرشوة والتلاعب لكنهم قادرون على اخفاء عواطفهم تحت أثواب المجاملة والملاطفة والانس وصفاتهم مزيج من الشجاعة والقسوة واللطف وحب الانتقام وطول الاناة والكسل والرقة وهم محبون لبلادهم لكنهم قلما يفقهون معنى الوطنية حتى لقد يحار الكاتب في وصف أخلاقهم . وانما يقال بالاجمال انهم كرام يحتاجون الى التعليم والتهذيب لتقويم اودهم واعوجاجهم وتقوية ملكة الفضائل فيهم لانهاضهم من فتورهم العقلي والادبي . والقمار شائع بينهم على انواعه

ومن العابهم الوطنية صراع الثيران يهرعون الى شهوده رجالاً ونساء وقد وصف

ذلك عزتلو افندم ادوار بك الياس في رحلته المسماة « مشاهد أوربا وأميركا » قال :



قتال الثيران في مدريد

« وقصدت مرسح الثيران في مدريد يوم الاحد فما قدرت على ابتياع التذكرة لدخوله إلا بعد عناء كثير تكبده صاحب الفندق لأن الاقبال على تلك الفرجة كان فوق ما تتصوره العقول . ومرسح مدريد اعظم مراسح الثيران في اسبانيا كلها وفي صدره أماكن للاسرة المالكة ومع انه يضم خمسة عشر الفاً فما بقي فيه موضع واحد خالياً وكان الوصول في ذلك النهار الى المرسح عسرًا جدًا من كثرة الزحام ووفود القاصدين ومنظر الناس فيه وهم ١٥ الفاً غريباً لانهم قعدوا طبقات طبقات تتدرج من ارض المكان الى سقفه وفي الاسفل ساحة كبيرة للمصارعة يحيط بها حاجز من الخشب غير مرتفع ولكنه متين وهو يفصل الساحة عن مقاعد المتفرجين . وفي احدى الجهات من تلك الساحة أبواب من الخشب تفتح وتقفل من الوراء ليدخل منها المبارزون والوحوش وكان الناس ينتظرون بدء القتال بذاهب الصبر حتى اذا فتح أحد الابواب وبدأ الفصل الاول صفقوا كلهم طربين معجبين ودخل ثور كبير جعل يركض في

عرض الساحة كأنما هو يقول هل من مبارز هل من مناجز فعندئذ دخل الساحة رجلان يلبسان الجوخ الاحمر المقصب ومع كل منهما شال أحمر يحرش الثور ويهيجه فجعلا يغضبانه بابراز الشال حتى هاج وغضب ونجوا منه الى ما وراء الحاجز الخشبي الذي ذكرناهُ

« ثم دخل رجلان آخران على شاكلة من ذكرنا ومعهما باليد اليسرى شال أحمر وباليمنى حراب طول الواحدة نحو متر ونصف ملبسة بالقماش الاحمر ويتدلى منها شرائط حمراء فجعلا يقاتلان الثور بهذه الحراب وهما كلما تقدم عليهما عرضا له الشال الاحمر فينطحه تشفياً منه وغيظاً . وبعض الحراب المذكورة تغرز في رقبة الثور وبعضها لا يعلق بها بل يسقط الى الارض ويوجب سقوطها ازدراء الحاضرين كما انهم يصفقون استحساناً اذا غرزت الحربة في رقبة الثور . فلما سال دم هذا الثور واشتد هياجه دخل ثلاثة فرسان على الخيل معهم حراب طويلة جعلوا يطعنونه كل في دوره فعند ذلك هجم الثور على الحصان الاول ووضع رأسه تحت بطنه فبقره والقاه صريعاً ثم هجم على الحصانين الآخرين وفعل بهما كالاول حتى وقعت الافراس الثلاثة تتخبط بدمائها . وأما الفرسان فانهم سقطوا الى الارض لما قلبت خيلهم وفي الحال فروا من وراء الحاجز ما عدا أحدهم أُغمي عليه فبادروا الى اعانته وانتشاله حينما كان الثور يدوس جثث الخيل وينظر الى الحاضرين نظر الفائز المنتصر

« وبعد هذا دخل محارب يسمونه توريرو اي الرجل الثوري ومعه الشال الاحمر والحربة فجدَّ في محاربة الثور الى حد ان وقف الاثنان ينظران بعضهما الى بعض غيظاً فحينئذ طعن الرجل الثور بحربة في رقبته فأخرجها من الجانب الآخر . فلما وقع هذا الثور المسكين قتيلاً هاج المتفرجون طرباً وصفقوا استحساناً وصدحت الموسيقى فرحاً بتلك المذبحة ثم دخلت عربات ورجال جرَّت الجثث الى الخارج . هذا هو الفصل الاول من صراع الثيران يتبعه فصلان آخران لا يختلفان عنه كثيراً غير انه يدخل في الدور الثاني بنات على ظهور الخيل بأيديهن الحراب فيحاربن الثور ولا يعرضن انفسهن ولا خيلهن للخطر بل يلتزمن الفرار كلما هجم الثور عليهن » اه

والاسبان سريعو الغضب قريبو الرضى يبيعون نفوسهم رخيصة اذا أخذ الغيظ

مأخذه منهم وقد قال فيهم بعض السياح انهم لا يحترمون موتاهم ولا يهتمون بمقابرهم وهم يحبون التمثيل والغناء والرقص وجميع انواع الملاهي والطرب ونساؤهم يتحجبن في الغالب ويلتزمن البيوت وبناتهم لسن على شيء من الحرية فلا يخرجن الى ما سوى الكنيسة الا نادرًا ومعيشتهم البيتية غير هنيئة وبيوتهم قليلة الرياش والاثاث يزخرفونها من الخارج ويهملونها من الداخل والفرق بين الاثنين كالفرق بين اسلاف هؤلاء الاسبان في اوج مجدهم وبين أولادهم اليوم وطعامهم تفهٌ غير شهي

وكبارهم يحافظون على العادات القديمة ويترنمون لذكر سابق مجدهم وعزهم ولا يخلعون قبعاتهم بحضرة مليكهم على ان الملك الحق بانتزاع القاب الشرف منهم وبالاجمال فان الامة الاسبانية مصابة بداء الكسل والفتور والاعتماد على ماضي عزها . وجودة تربتها تقي الاهلين من ناب الجوع مع انهم لو نشطوا الى العمل لكان لهم منها فردوس أرضي يستغلون منه الثمرات والرزق فيعلو شأنهم وتزداد ثروتهم

﴿ البورتغاليون ﴾ لا كبير فرق بين الاسبانيول وجيرانهم البورتغاليين الا ان يكون اختلاطهم بالزواج مع اليهود والزنوج مما أبعدهم في السحنة واللون عن اخوانهم ويحتقر الاسبان البرتغاليين ويعدونهم أحط منهم مقامًا لكن هؤلاء أصحاب جد وكد وذوو اخلاق دمثة وكان الاولى بالاسبان الاقتداء بهم واحتذاء حذوهم

ويغلب في البورتغاليين سرعة الكلام ويفوقهم الاسبان جمالاً واعتدال قدّ على ان نساءهم جميلات العيون طويلات الشعور ومع ان السمرة لونهم فلا يندر فيهم بياض البشرة وشقرة الشعر وشفاههم ثخينة وهم أميل الى الرأفة من جيرانهم حتى لقد تشتد بهم الحنانية الى انجاد الاسرى والمسجونين بالزاد والاطعمة الفاخرة يدلونها اليهم في سلال او يقذفونها من نوافذ السجون . واسم بلادهم مأخوذ من البرتقال لكثرته فيها فكانوا يشحنونه الى الآفاق او ان اسم البرتقال مأخوذ من اسمها

وقد بقيت آثار الاسبان والبورتغاليين في كثير من مستعمراتهم فان لغة مكسيكو واميركا الجنوبية اسبانية فكان الاسبان بعد الانكليز اقدر الامم على الاستعمار لكنهم انحطوا في الزمن الاخير بعد ان دالت دولتهم فصاروا الى ما هم عليه

فيكتور هوكو

وعلم الادب عند الافرنج والعرب

لكاتب فاضل

٧

لما حدث الانقلاب الكبير في انتقال الخلافة الاسلامية من الامويين الى العباسيين وترجمت كتب العلم والحكمة الى لسان العرب قرأ أدباء المسلمين كتاب المنطق لارسطو ورأوا فيه ذكر اوميروس الشاعر والثناء عليه فلم يحفلوا بشعره ولا بشعر أحد من الاعاجم ولا التفتوا الى أساطير اليونان ولا لما وضعوه من الروايات التشخيصية ولا قدّروا حرية فكرهم ولا ذوقهم في الكلام حق قدره . لاشتغالهم عن ذلك بما لديهم من فنون الشعر وانواع الخطب والرسائل والدواوين والمعلقات سيما ما أدهشهم من كلام الحديث والقرآن فترجموا كتب المنطق والنجوم والطبيعيات والطب والهندسة ولكنهم لم يترجموا لاديب من أدباء اليونان ولا أدباء الرومان لا قصيدة ولا خطبة ولا رواية ولا حكاية من حكايات أساطيرهم . ولعلهم خافوا على الناس من الرجوع الى عبادة الاوثان ان بحثوا لهم في آلهة اليونان . ومع ذلك فترجمة كتب العلم والحكمة الى لسان العرب ظهر لها تأثير في توسيع أفكار الشعراء الاسلاميين وظهر فيهم طبقة جديدة هي طبقة المتنبي والمعري في الشرق وابن هاني في اشبيلية وهو المسمى بمتنبي الغرب . فحيث كان لاهل هذه الطبقة نظر في كتب العلم والحكمة فكلامهم ابلغ معنىً واكثر فوائد لاشتماله على آراء فلسفية وسياسية ومباحث عقلية وعلمية غير انهم خرجوا عن أساليب الشعر القديم ووضعوا من عندهم أساليب مخصوصة . فقام عليهم المتعصبون لاساليب العرب الاقدمين وسلقوهم بالسنة حداد وشددوا عليهم النكير كما فعل أصحاب طريقة كلاسيك مع فيكتور هوكو حينما شهر طريقة (رومانتيك)

فالمتمسكون بالاساليب القديمة من ادباء العرب يقولون ان نظم المتنبي والمعري ليس من الشعر في شيء لانهما لم يجريا على أساليب العرب المخصوصة اذ ليس كل كلام منظوم عند العرب يسمى شعرًا . بل الشعر هو « الكلام البليغ ، المبني على الاستعارة والاوصاف ، المفصل باجزاء متفقة في الوزن والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة » فلابدّ ان تجتمع هذه القيود في الكلام المنظوم حتى يسمى شعرًا . فما خلا عن الاستعارة والاوصاف مثل منظومات المتون العلمية المدرسية والارجوزات الاخلاقية وقول العامي (أغلق الباب واتني بالطعام) أو ما خلا عن تساوي الاوزان واتحاد الروي كقولهم (رب أخ كنت به مغتبطاً اشد كفي بعرى صحبته تمسكاً مني بالود ولا أحسبه بغير العهد ولا يحول عنه أبدًا فخاب فيه أملي ...) لان الوزن لم تتساوَ اجزاؤه في الطول والقصر والسواكن والحركات . أو لم يجرِ على أساليب العرب المعروفة فهو حينئذ لا يكون شعرًا وانما هو كلام منظوم . اما الاسلوب في عرفهم فهو القالب الذي يفرغ فيه الشعر او المنوال الذي ينسج عليه . وذلك انهم يقولون اذا أراد الطالب قرض الشعرَ ينبغي له ان يكثر من مطالعة أشعار العرب الاقدمين وان يحفظها ويرتاض فيها حتى تصير له ملكة في كلامهم فحينئذ يحصل في ذهنه قالب كلي من التراكيب التي رآها في كل شعر من أشعارهم وهذا القالب الكلي ينطبق على جميع تلك التراكيب فسؤال الطلول قالب كلي يكون بخطاب الطلول كقوله (يادارمية بالعلياء فالسند) ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال كقوله : (قفا نسأل الدار التي خف أهلها) أو باستبكاء الصحب على الطلل كقوله : (قفانبك من ذكري حبيب ومنزل) او بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقوله (ألم تسأل فتخبرك الرسوم) . وكذا تحية الطلول قالب كلي يكون بالامر لمخاطب غير معين بتحيتها كقوله (حي الديار بجانب الغزل) او بالدعاء لها بالسقيا كقوله :

اسق طلولهم اجش هذيم وغدت عليهم نضرة ونعيم

انظر مقدمة بن خلدون

او بسؤاله السقيا لها من البرق كقوله

يابرق طالع منزلاً بالابرق واحد السحاب لها حداء الأنيق

وكذا التفجع في الجزع قالب كلي يكون باستدعاء البكاء كقوله

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

او باستعظام الحادث كقوله (ارأيت من حملوا على الاعواد)

او بالتسجيل على الأكوان بالمصيبة لفقده كقوله

منابت العشب لا حامٍ ولا راعٍ مضى الردي بطويل الرمح والباع

او بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات كقول الخارجية

ايا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف

او بتهنئة فريقه بالراحة من ثقل وطأته كقوله

القى الرماح ربيعة بن نزار اودى الردى بفريقك المغوار

وامثال ذلك .... فمن اراد قرض الشعر كان هو كالبناء او النساج والصورة الذهنية المنطبقة في ذهنه كالقالب الذي يبنى فيه او المنوال الذي ينسج عليه . فان خرج عن القالب في بنائه اوعن المنوال في نسجه كان فاسداً . ولذا رأى اهل الذوق في قول الشاعر :

لم ادر حين وقفت بالاطلال ما الفرق بين قديمها والبالي

كلام فقيه لقوله ما الفرق بين قديمها لان هذا من تعبيرات الفقهاء واصطلاحاتهم لامن تعبيرات الادباء مع ما فيه من الوقوف بالاطلال فلم يستحسن اهل الذوق هذا البيت ولا وجدوا فيه رقة ولا بهجة ولا ماء ولذا لم يستحسنوا في الادب كلام الفقهاء ولا الفلاسفة مع ما في كلامهم من المنطق والحكمة لخلوه عن هذا النور الذي يتلألأ في كلام الادباء ويخرج من نفس الاديب ومن قلبه وروحه . واما كلام الفقيه او الفيلسوف فيخرج من عقله ومحاكته ومقايسته فهو وان كان برهانه قاطعاً الا ان تأثيره على النفوس اقل من تأثير كلام الاديب . ومن كثرة حفظهم لاشعار المتقدمين رسخت لهم ملكة في كلامهم حتى كاد ذوقهم يمج الاسماء التي لم ترد في اشعار

الجاهلية . روي ان جرير انشد بعض خلفاء بني امية قصيدته

بان الخليط برامتين فودعوا　　او كلما جدوا لبين تجزع

كيف العزاء ولم اجد مذ بنتم　　قلباً يقر ولا شراباً ينفع

قال وكان الخليفة يزحف من حسن هذا الشعر حتى بلغ قوله

وتقول بوزع قد دبيت على العصا　　هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

فقال الخليفة افسدت شعرك بهذا الاسم . لان سمع الاديب لم يألف اسم بوزع كما الف هند ومي او فاطم التي مشى بها امرؤ القيس حتى اجاز ساحة الحي وهي تجر اذيال المرط الموشى بالذهب ولا مشية فيكتور هوكو بمشوقته جوليت في مراقص باريس ومراسحها . ولم يزل الادباء يبنون كلامهم في ذاك القالب وينسجونه على ذاك المنوال حتى يومنا هذا كما فعل اصحاب المعلقات السبع التي نشرها صاحب عكاظ . وكلماتهم السبع التي خصت بكرامة التعليق هي :

كلمة نقيب الاشراف السيد توفيق افندي البكري ومطلعها

اما وعين الله حالفة مقسم　　لقد قت بالاسلام عن كل مسلم

وكلمة عبد الجليل افندي براده المدني

كذا فليكن ما يحرز المجد والفخر　　كذا فليكن ما يجمع الفتح والنصر

وكلمة جميل افندي الزهاوي البغدادي

هو الفتح الق في قلوب العدى هولا　　واثبت ان الحق يعلو ولا يعلى

وكلمة احمد شوقي بك المصري

بسيفك يعلو الحق والحق اغلب　　وينصر دين الله ايان تضرب

وكلمة محمد ولي الدين بك يكن المصري

ابت ضيمها في الناس كيف اضيمها　　حياة تساوى بؤسها ونعيمها

وكلمة احمد محرم افندي المصري

منازل سلمى لاعدتك الغمائم　　ولا درست بالجزع منك المعالم

وكلمة ابي النصر السلاوي باشا المصري

على مثلها فلتحمد الهمم الغر   فما هي الا الحرب اعقبها النصر

فالمتنبي والمعري خرجا عن هذا القالب وذاك المنوال الذي وضعه شعراء الجاهلية وجعل كل منهما له مذهباً مخصوصاً في الادب وأساليب معروفة في الشعر ولذا قال ابن خلدون « وكان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون ان نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لانهما لم يجريا على أساليب العرب »

وبعد ان كان حسان يقول

وان احسن بيت أنت قائله   بيت يقال اذا انشدته صدقا

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول كان زهير لا يمدح الرجل الا بما فيه -- صار أهل هذه الطبقة من الشعراء المستنيرين بنور ما ترجم من كتب العلم يمدحون باشعارهم امراء العجم الذين لا يفقهون دقائق البلاغة العربية طالبين معروفهم فقط لا سوى ذلك من الاغراض كما فعله حبيب والبحتري والمتنبي وابن هاني ومن بعدهم . فان حبيباً الملقب بأبي تمام ولد في قرية بجوار دمشق ونشأ في مصر وطاف الشام والعراق وخراسان ومدح الخلفاء والملوك والامراء بقصائد كثيرة . والبحتري ولد في قرية بجوار حلب ثم ذهب لبغداد ومدح الخليفة المتوكل ثم طاف بلاد الشام ومدح الامراء واجتمع في حمص على أبي تمام . والمتنبي ولد في الكوفة وأبوه سقاء من قبيلة جعف فجاء دمشق ومدح سيف الدولة من آل حمدان ثم ذهب لمصر ومدح كافور الاخشيدي الخصي الاسود ثم ذهب لبغداد وخراسان ومدح عضد الدولة من آل بويه وغيرهم وهو ممن حاول ان يأتي بمثل القرآن كابن المقفع ولكنهما عجزا وأبطلا ما كتباه ولذا هجا بعضهم المتنبي فقال

أي فضل لشاعر يطلب الفضـ   ـل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما   ء وحيناً يبيع ماء المحيا

وكذا ابن هاني متنبي الغرب ولد في اشبيلية وطاف بلاد افريقية ومدح أمراء البربر وهو القائل في المعز لدين الله

ماشئت لا ما شاءت الاقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار

فصار عرض الشعر في الغالب انما هو الكذب والاستجداء لذهاب المنافع التي كانت فيه للاولين وصار يقال احسن الشعر اكذبه . وقلد شعراء العرب العجم في مبالغاتهم وغلقهم للامراء دفعاً للشر واستجلاباً للاحسان والخير . واستبد الرؤساء بالامر وقويت فيهم الشوكة والسلطة فلم يبق بهم لاستعمال فن الخطابة وطلاقة اللسان لاجتذاب قلوب الامة اليهم بل رأوا من المصلحة الذاتية قهرهم بالقوة وارهابهم بحد السيف فاستخفوا بالامة وبالرأي العام وتمثلوا بقول المتنبي

السيف أصدق أنباء من الكتب

وبقول عمارة اليمني السياسي

وشفرة السيف تستغني عن القلم [1]

وفعلوا بالامة ما قاله لها الحجاج سابقا « لاعصبنكم عصب السلمة وألحونكم لحو العصا ولاضربنكم ضرب غرائب الابل يا أهل العراق . يا أهل الشقاق والنفاق . ومساوىء الاخلاق . اني والله سمعت لكم تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراد به الله في الترغيب . ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب . يا عبيد العصا واشباه الآماء انما مثلي ومثلكم ما قاله ابن براقة الهمداني :

وكنت اذا قوم غزوني غزوتهم فهل انا في ذا يا أهل همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارماً وانفاً حمياً تجتنبك المظالم »

وقال المعتضد عند وفاته في سنة ٢٨٩ هـ وهو سادس عشر الخلفاء العباسية ولعله

---

(١) والشطرة الاولى (العلم مذ كان محتاج الى العلم) او (العلم اول محتاج الى العلم) وهو مطلع قصيدة حرض فيها شمس الدولة على تملك اليمن ومن ابياتها الملتهبة تلهب الجمر قوله :

ان المعالي عروس غير وامقة ان لم تخلق ردائها برشح دم

ومنها : وكان اول هذا الدين من رجل سعى الى ان دعوه سيد الامم

وقد طبع ديوانه الاستاذ هارتويغ ديرنبورغ سنة ١٨٩٧ مع كتابه النكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية

ندم على هذا الاستبداد :

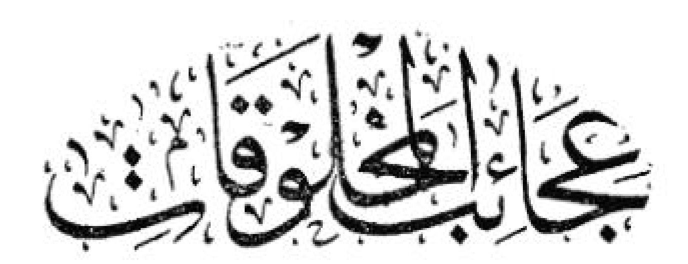
ولا تأمنن الدهر اني امنته   فلم يبق لي خلاً ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال ولم ادع   عدوًّا ولم امهل على طغيه خلقا
واخليت دار الملك من كل نازع   فشردتهم غرباً ومزقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزًّا ورفعة   وصارت رقاب الخلق اجمع لي رقا
رماني الردى سهماً فأخمد جمرتي   فها انا ذا في حفرتي عاجلاً القى

ولكن الرؤساء من الاعاجم فعلوا فعلاً بلا قول لعجمة لسانهم وأصبح تعاطي الشعر هجنة في الرئاسة ومذمة لاهل المناصب الكبيرة وقدموا الجهلاء على الشعراء ودعوهم بالظرفاء واهملت فنون الادب وبلغ التفريط في جانب الفصاحة اللسانية الى درجة كاد فيها الرؤساء لا يفوهون بكلمة في المجالس ويعتبرون السكوت عين الادب واذا اجتمعوا في حفلة اكتفوا بسماع الدعاء المأثور . وكثيراً ما يتلوه اجهل المجتمعين ويكون قد حفظ الدعاء من الصغر بالسماع

شاهدت أحد الولاة اتخدع بمن يتلو الدعاء المأثور وظنه من العلماء لطول لحيته وكبر عمته فاراد تعيينه في منصب فقيل له امي فلم يصدق ودعاه ليلة وطلب منه ان يقرأ عليه ما كتبته جريدة الجوائب اذ ذاك فلما أمسك الجريدة بالعكس فهم الوالي وتلاهى عنه ولم يمينه . ولقد دقق في هذا المبحث عبد الرحيم افندي احمد مبعوث مصر في مؤتمر المستشرقين الحادي عشر المنعقد في باريس سنة ١٨٩٧ ووجد نسبة تامة بين الحرية وبين ارتقاء لسان العرب فكلما اتسع نطاق الحرية في الدولة اتسع معه نطاق الادب في العربية وزادت فصاحة هذا اللسان وبلاغته وكلما زاد الاستبداد تقيدت عقول الادباء بالسلاسل وصاروا ينطقون بما يوافق الزمان والمشرب لا بما يشعرون به ويعلمونه ويرونه

قال مبعوث مصر المشار اليه ولقد لاحظت في المتكلمين بلسان العرب ان الحرية اذا فقدت منهم كثر في كلامهم تكرار (اللازمة) مثل نعم دفاهم ، هكذا احلم ياسيدي الخلاصة ، النتيجة وأمثال ذلك من الكلمات التي يرددها المتكلم . هذا في المخاطبات

بين اثنين وأما في الاجتماعات العمومية كالافراح والعزاء واستقبال الولاة والقضاة فاما ان ينقضي الاجتماع بالسكوت والهمس او بتلاوة الدعاء المأثور وان جعل للادب حرمة فيتلى في ذاك الاجتماع قصيدة مدح او تبريك او عزاء وينفض الجمع بغير ان يفوه الرئيس بما يقتضيه الحال والمقام ويصور بكلامه حالة تلك الهيئة المجتمعة



الحشرات

تطلق الحشرات عند العرب على صغار دواب الارض وقد يقال لها الهوام . والمراد بها هنا طائفة من الدويبات الدنيا عديمات الفقرات كالنمل والذباب والبعوض والجنادب والعناكب والخنافس والنحل والجعلان ودود القز ونحوها . ولا تشتمل البرابيع والفيران والضباب كما قد يراد بها في معناها اللغوي . والحشرات انواع كثيرة ربما زاد عددها على مجموع انواع سائر اصناف الحيوان من الدود الى الانسان . فقد حسبوا من الخنافس وحدها نحو ٨٠٠٠٠ نوع ولذلك فهم يقدّرون انواع الحشرات المعروفة بنحو ٢٠٠٠٠٠ ويتوقعون ان تبلغ بما سيكتشفونه من انواعها الصغيرة الى مليون نوع

وللحشرات خصائص شتى تختلف باختلاف الانواع مما يطول شرحه . وانما نذكر من غرائب ظواهرها كيفية ولادتها ونموها فانها تشترك في ذلك على السواء وتختلف فيه عما في سائر طوائف الحيوان — وذلك انها تمرُّ في « طفوليتها » على ثلاثة ادوار تنقلب فيها على ثلاثة أشكال بينها فرق كبيرٌ لا يخطر للناظر اليها انها حيوان واحد اختلف شكله باختلاف ادوار حياته . ولا يقتصر ذلك الاختلاف على شكل

الحشرة ولكنه يتطرق الى خصائصها ونوع معيشتها . فبين هي دودة لدنة الملمس تنسل بين الاتربة او الاعشاب فاذا هي جندب صلب القشر يشب وثباً فاذا هي فراشة ذات أجنحة تتلألأ بالالوان الزاهية . وقد تأكل في دورها الاول التراب فتهضمه وتصبح في دورها الثاني أو الثالث لا تهضم الا اوراق العشب الندية



(ش ١) الذباب الفارسي

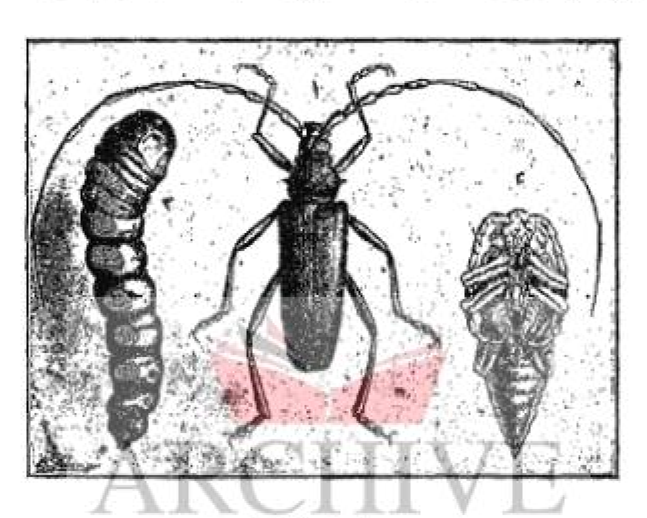
ومع غرابة تلك التقلبات فالحشرات كثيرة بين أيدينا وقلَّ من ينتبه اليها وخصوصاً الذباب والبعوض فانها تتشكل قبل بلوغها بثلاثة أشكال لكل منها خصائص ليست للاخرَين . ومن الحشرات المشهورة في تقلبها دود الحرير فان الذين يربونه يرون تقلبه من الدودة الى الشرنقة فالفراشة ثم تبيض الفراشة بزوراً والبزور تصير دوداً والدود يفرز لعاباً يصير خيوطاً هي الحرير يصطنع منها غلافاً يكمن فيه وهو الشرنقة ثم يخرج من الشرنقة فراشاً باجنحة يتزاوج ويبيض

ويقال نحو ذلك في سائر اصناف الحشرات مع اختلاف خفيف في بعض الظواهر ولكن المبدا واحد فيها كلها . فالذباب الاعتيادي فراش يلقي بيوضه بزوراً صغيرة بيضاء تصير دوداً ابيض هو الدود الذي يشاهد في اللحوم المنتنة او الجبن القديم . ثم يتحول ذلك الدود الى جنادب تدب لا اجنحة لها ثم يتحول الى فراش يتطاير كما نراه

وفي الشكل الاول صورة تدرج النمو في الذباب الفارسي بعد انتقاله الى الدور الثاني فان الذبابة بعد ان كانت دوداً خلعت ثوبها وصارت جندباً يدبُّ تحت الماء يتسلق الاعشاب المائية وله قوائم قصيرة بلا اجنحة ولا يعيش الا في المياه او الاوحال . فاذا جاء اجل الانتقال الى الفراش تسلق اوراق العشب وخلع ثوب « الجندبية » فاذا هو من تحتها ذو اجنحة صغيرة جميلة لا تلبث بعد قليل ان تصير كبيرة يطير بها الى حيث شاء كما ترى في أعلى الشكل ويمينه . وكان القدماء يعدون كل دور من أدوار الحشرة حيواناً مستقلاً كما يتوهم بعض العامة ان الدود الذي يظهر في اللحوم المنتنة يتولد منها ولا يخطر لهم علاقته بالذباب المتطاير . وكذلك الناموس فانه يتولد من ديدان تعيش في الماء أصلها بزور وضعها الناموس فيه ولذلك كانت الوسيلة المثلى لتقليل الناموس ردم المستنقعات والآجام او تغطية سطوحها بزيت الغاز لاماتة البزور او ابعاد الناموس عنها

ويقال بالاجمال ان الحشرة تمرُّ في ثلاثة ادوار تكون في أولها دودة وفي الثاني جندباً او شرنقة وفي الثالث فراشة كما ترى في الشكل الثاني وتختلف طبائعها وخصائصها في كل منها عما هي في الآخرين . فالدودة (٣) لا عمل لها الا الاغتذاء والنمو كما تفعل ديدان الحرير حتى اذا أدركت أجلها تكمشت وخلعت ثوبها القديم وأصبحت جامدة لا حراك بها (٢) وقد تكتسي ثوباً تنسجه حولها من خيوط لعابها ويقال لها حينئذ الشرنقة . وهي اشبه بجثة محنطة ملفوفة بالاكفان ثم لا تلبث ان ترى الحياة أخذت تدبُّ في تلك الجثة رويداً رويداً حتى تهب وتنتفض من اكفانها وقد لبست ثوباً جديداً ذا الوان زاهية زاهرة وفيها الازرق والاخضر والاحمر والذهبي والعقيقي

والبنفسجي مما يبهر العقول . وأغرب ما فيها ان تلك الفراشة المرقشة المخملية اللمس الملأى من الحياة نشأت من رمة جافة لا يظهر للحياة فيها أثر . ولعل ذلك ما حمل القدماء على القول بالتقمص . والظاهر ان المصريين انما قدسوا الجعلان لانهم رأوها تنشأ من رمم مائتة فرمزوا بها عن الحياة او الخصب واكثروا من رسمها في كتاباتهم على البابيرس ونقشوها على الهياكل واصطنعوا لها التماثيل باقدار مختلفة وكانوا يصلون لها



(ش ٢) ادوار الحشرات الثلاثة

وتختلف أشكال كل دور من هذه الادوار باختلاف الحشرات وأنواعها مما لا محل لاستيفاء الكلام عليه هنا

{ درجة غليان الماء والطبخ }

اذا وضعت ثلجاً في اناء وغرست الترمومتر فيه نزل الزئبق في الترمومتر الى الصفر وهي درجة تجليد الماء . ثم اذا وضعت ذلك الاناء على النار والترمومتر فيه أخذ الثلج بالذوبان حتى يذوب كله ثم يأخذ الزئبق بالصعود حتى يغلي الماء . فاذا نظرت عندئذ الى الزئبق رأيته بلغ الى درجة ١٠٠ (سنتكراد) ولا يزال كذلك ولو زدت الوقود لان حرارة الماء لا تزيد على المئة طالما كان الاناء مكشوفاً أوكان

فيه منفذ للبخار المتصاعد كما هي الحال في قدور الطبخ

فاذا علمت ذلك تبين لك ما يرتكبه الطباخون أو ربات المنازل من الخطاء في تقوية النيران تحت القدور بعد غليانها لان الحرارة الزايدة انما تنصرف في تبخير الماء من الطبخة ولا تعجل نضجها — بل قد تؤخره لان زيادة الغليان تزيد تبخير الماء فيقل ماء الطبخة وهي لم تنضج فيضطرون الى صب الماء فوقها . فاذا كان بارداً نزلت حرارة الطبخة الى تحت درجة الغليان واقتضى لها وقت لتعود الى تلك الدرجة

وعليه فمن العبث زيادة الوقود بعد ان تبلغ الطبخة درجة الغليان — فاذا غلت القدر وكانت النار كثيرة خففها فينضج الطعام نضجاً قانونياً وتأمن عليه من الالتصاق في قعر القدر أو الاحتراق — الا اذا كان ماؤه كثيراً وأردت تبخير الماء عنه فان زيادة الوقود تأتي بالغرض المطلوب

﴿ رفع الخبط عن مسألة الضغط ﴾

رأيٌ جديدٌ في الجاذبية

بعث الينا حضرة السيد ابن شهاب أحد علماء الهند في حيدر أباد كتاباً ضمنه رأياً جديداً في الجاذبية . ومرجع البحث فيه الى نقض رأي علماء الطبيعيات في ضغط الهواء لانهم يقولون ان الهواء يضغط بثقله على كل ما هو تحته ومقدار ذلك ١٥ ليبرة (رطل) على كل عقدة مربعة . وبهذا الاعتبار يكون الضغط على الجسم الانساني نحو خمسين قنطاراً . فأنكر حضرته ذلك وكتب رأيه في الكتاب المشار اليه في ٣٢ صفحة كبيرة بعبارة متينة واضحة وادلة تشف عن تعقل واعتدال . واضطر لنقض القول بضغط الهواء ان يذهب في الجاذبية مذهباً جديداً يخالف الرأي المشهور مع اعترافه بسائر خصائص المادة على ما يقوله العلماء — فهو يعترف ان للهواء ثقلاً مثل سائر المواد ولكنه ينكر ضغطه على الاجسام تحته . لان جاذبية الارض في اعتقاده تطلب « ان يكون الجسم الاكثف من أجسامها حالاً في الحيز الاقرب الى مركزها ثم

ما يليه كثافة فيما يليه قرباً وهكذا » او « ترتيب الاجسام في طبقات كروية من الحيز المحيط بالمركز بحيث تكون كل طبقة منه مشغولة بجسم ليس فوقه جسم اكثف منه ولا تحته جسم الطف منه — فالاكثف من الاجسام يستولي على نقطة المركز لتلك الطبقات ثم ما يليه كثافة في الحيز الذي يليه وهكذا حتى يصير الالطف المطلق أو الخلاء عند مثبتيه في الحيز الابعد »

هذا هو رأيه في الجاذبية وعليه « فلا تجاذب بين الاجرام الا للترتيب بذلك النظام ولا جذب ولا ثقل الا بتغيير شيء من ذلك الترتيب العجيب . فكل حيز فوق الارض حريص على بقاء ما شغل به لا يطلب الامتلاء الا بجسم اكثف مما هو مشغول به من حيز أبعد الى المركز منه . وكل جسم لا يطلب الحلول الا في حيز مشغول بأخف منه وأقرب الى المركز من حيزه . والثقل او الضغط انما يكون على الجسم القاسر من الجسم المقسور عن الحلول في الحيز الذي تقتضيه كثافته ليس الا »

وهو يعلل كل ظواهر الجاذبية بهذا الرأي كما نعلل تلك الظواهر بالرأي المعروف عندنا . فعنده « ان مواد الارض طالما كانت مرتبة على الترتيب المشار اليه فلا يكون لها ضغط ولا ثقل فاذا حاولنا تغيير شيء من هذا الترتيب في حيز ما اضطررنا في تغييره الى بذل قوة تضاد قوة الجاذبية وتغلبها . فلو حاولنا رفع قدم مكعب من الماء الى طبقة الهواء يلزمنا بذل قوة لرفعه تساوي ثقل تسعة آلاف درهم تقريباً لا يرتفع بدونها ولو عكسنا الامر وحاولنا انزال قدم مكعب من الهواء الى طبقة الماء لاحتجنا في انزاله الى نفس تلك القوة التي رفعنا بها القدم المكعب من الماء »

ثم ذكر أشهر أدلة العلماء على ضغط الهواء وزعم انه نقضها فنكتفي بذكر بعضها مثالاً لسائرها — واجابة لا يعازه الينا في انتقاد ذلك الرأي فنقول :

من أدلة العلماء على ضغط الهواء اننا اذا ملأنا انبوبة زئبقاً ثم قلبناها بحيث لا ينصب منها شيء وغمسنا فوهتها في كاس فيه زئبق فالزئبق في الانبوبة يسقط الى علو ٣٠ عقدة ثم يقف . فالرأي المعول عليه الآن في سبب وقوفه على هذه الصورة ان الهواء الجوي يضغط على سطح الكاس بثقل يوازن ثقل الزئبق

الباقي في الانبوبة . ويقول حضرة الكاتب بل السبب في ذلك انما هو كراهية الطبيعة للفراغ . وبعبارة أخرى « ان نزوله يستلزم خلاء في الانبوبة لانسدادها من الاعلى ولا منفذ لدخول الهواء اليها ليخلف الزيبق — والخلاء ممتنع في أي حيز كان فوق الارض بمقدار قوة الجاذبية من ذلك الحيز — وبتلك القوة لايبرح الحيز الفارغ المشغول بباقي الهواء القليل المتفشي في ذلك الحيز طالباً للامتلاء بما تقتضيه قوة الجاذبية في طبقة الكروية ومتشبثاً بجوانب الانبوبة الداخلية والزئبق الذي فيها فيحمل عموداً من الزئبق غلظه كقاعدة العمود العلوي وطوله يختلف باختلاف قوة الجاذبية في حيزه بقربه من الارض وبعده عنها »

الى ان قال « واذا وضعنا البارومتر كله بكاسه وأنبوبته تحت قابلة كبيرة ثم سددنا منافذ الهواء الى داخلها سداً محكماً حتى ينفصل ما هو داخلها من الهواء عما هو خارجها انفصالاً كلياً فان عمود الزئبق اذ ذاك يبقى مرتفعاً ذلك الارتفاع العظيم مع انه لاضاغط على كاسه من الهواء الا ما في القابلة — وهو قليل وخفيف جداً لايوازن العمود منه من عمود الزئبق الا ما لايستحق الذكر . فلو فرغ الهواء من القابلة لنزل عمود الزئبق لتساوي الطرفين بالجذب فظهر بهذا جلياً بطلان ماقالوه .. »

نقول — ولكن حضرته غفل عن ناموس ثابت تعلل به هذه الظاهرة تعليلاً صريحاً نعني به « مرونة الهواء » لان الهواء سائل مرن اذا ضغطته انضغط وصغر جرمه وهو يطلب الرجوع الى حجمه الاصلي . وميله الى الرجوع قوة تعادل القوة التي ضغطته . فالهواء الجوي الملامس لسطح الارض مضغوط بثقل مافوقه من الهواء وفيه من المرونة مايساوي ثقل ذلك الهواء . فاذا فصلت بينه وبين الهواء الجوي بالقابلة المشار اليها ظل الضغط على سطح الزئبق في الكأس كما كان من قبل . لان مرونة الهواء داخل القابلة تعادل ثقل الهواء الجوي تماماً . ويؤيد ذلك انك لو أخرجت بعض الهواء من القابلة فان الباقي منه يتمدد ليشغل القابلة فلا يحصل فراغ ومع ذلك فان الزئبق ينزل في الانبوبة . لان مادة الهواء نقصت بما خرج منه فقلّت المرونة كأنك رفعت عنه بعض الضغط فينزل الزئبق في الانبوبة بمقدار ما نقص من الضغط

وقال — « ولنا من البارومتر نفسه شاهد آخر على بطلان تعليلهم السابق وذلك اننا اذا لاحظنا تغيرات البارومتر في مكان واحد عند تعكر الهواء واختلافه لطافةً وكثافة رأينا العمود الزئبقي يصعد قليلاً اذا صفا الجو وتلطف الهواء الكروي وينزل اذا تعكر الجو وتكاثف الهواء . . فلو كان سبب صعود الزئبق ونزوله ثقل عمود الهواء الخارجي كما زعموا لكان الامر بالعكس »

نقول — لقدوهم حضرته في فهم صفاء الجو وتعكره ونسبة ذلك الى الثقل . اما صفاء الجو اي وخلو الهواء من السحاب أو الضباب فيدل على ان البخار المائي الذي فيه مختفٍ بين دقائقه فيثقل الهواء به كما تثقل الاسفنجة اذا امتصت الماء . وأما تعكر الجوّ بالغيوم فيدل على تحول ذلك البخار الى ماء وقد انفصل عن الهواء ولم يعد له تأثير على وزنه . وشأنه في ذلك شأن الماء اذا اذبت فيه ملحاً فانه يظهر صافياً وقد زاد كثافة وثقلاً اما اذا اضفت اليه مواد تطفو فيه ولا تذوب فيظهر كدراً وثقله النوعي لا يزال كما كان . وهم يستدلون على قرب المطر بنزول البارومتر بغتة لان نزوله يدلُّ على تحوُّل ما في الهواء من البخار الى ماء يبدو في اول الامر ضباباً فسحاباً ثم ينزل مطراً

ويقال نحو ذلك في سائر اعتراضات حضرته لانها تدلُّ في الغالب على تسرع في الحكم من نقص الاستقراء لانه (كما قال) لم يطلع على غير ما ترجم من العلوم الطبيعية الى اللغة العربية — والظاهر انه لم يطلع عليها كلها — والا فان ضغط الهواء من النواميس الثابتة المقررة وقد بنوا عليه اكثر ما اصطنعوه من الآلات الهوائية على اختلاف قواتها كالممصات والطلمبات للكبس والسحب مما يطول شرحه



المـاء والطعام

معلوم ان الماء يشغل نحو ثلاثة ارباع سطح الارض واكثر أعضاء الانسان

والحيوان لكن مقداره في جسم الانسان اكثر كثيراً مما يخطر في البال فالرجل المعتدل يزن ١٥٠ رطلا منها مئة رطل ماء يتخلل أعضاءه في العظم واللحم والدم والعصب والكبد حتى في الدهن . والماء ضروري للاعمال الحيوية لا يستغني عنه جسمٌ حيٌّ فالانسان ينفق كل يوم من ستة الى عشرة أرطال منه يسترجعها بالطعام والشراب . والاطعمة الاعتيادية التي تظهر لنا جافة فيها كمية كبيرة من الماء تختلف باختلاف المواد واليك مقدار الماء في كل مئة جزء من الاطعمة الاعتيادية :

المواد النباتية

اسم المادة	في المئة	اسم المادة	في المئة	اسم المادة	في المئة	اسم المادة	في المئة
الذرة	١٤	الفصولية	١٤	العنب	٨٠	الكرنب	٨٩
الحنطة	١٤	الرز	١٥٠	البنجر	٨١	البصل	٩١
الشعير	١٤	الخبز	٤٠	التفاح	٨٣	الخس	٩٦
البسلة	١٤	البطاطس	٧٥	الجزر	٨٩		

المواد الحيوانية

اسم المادة	في المئة	اسم المادة	في المئة	اسم المادة	في المئة	اسم المادة	في المئة
الزبدة	١٠	الجبن	٣٤	الهبر	٧٣	السمك	٧٤
الجنبون	٢٢	البيض	٧٢	لحم الطير	٧٣	اللبن	٨٦

فترى مما تقدم ان الماء في المواد النباتية اكثر مما في الحيوانية وهو فيها كلها اكثر مما يظن اذ لا يخطر ببال أحد ان في كل ١٠٠ درهم نتناولها من الخبز ٤٠ درهماً من الماء . واذا أكلنا ١٠٠ درهم من الخس دخل جوفنا ٩٢ درهماً من الماء . ومع ذلك فالانسان لا يستغني عن تناول الماء القراح وخصوصاً اذا كان طعامه جافاً لان الماء ضروري لاعمال الهضم وبدونه لا تدور الاطعمة في البدن لانه هو الذي يذيب المواد ويحملها الى سائر الاعضاء بالدم وغيره . وقد يتبادر الى الذهن ان الاطعمة التي تذوب في الماء قليلة جداً بالقياس على ما نراه بين أيدينا . لاننا نعلم بالاختبار ان الخبز والبقول وسائر المواد النشوية لا تذوب في الماء الا قليلاً . ولكنها

تتغير بالمضغ فيتحول نشاءها الى سكر بواسطة اللعاب ويسهل ذوبانها . وكذلك المواد اللحمية وغيرها فانها تذوب في عصارات المعدة والامعاء

ثم ان مقدار ما يتطلبه البدن من الماء يختلف باختلاف الحر والبرد وباختلاف الامزجة والاعمار وباختلاف انواع الاطعمة للاسباب التي قدمناها . فان من يتناول الذرة والرز وغيرهما مما قلَّ ماؤه يحتاج الى شرب الماء اكثر ممن يأكل التفاح والجزر والخس . ومن يأكل الاطعمة الحيوانية يحتاج الى الماء اكثر ممن يأكل الاطعمة النباتية . واذا اعتبرنا الفصول كنا أحوج الى النبات في الصيف مما الى اللحم وعكس ذلك في الشتاء

مطبوعات جديدة

﴿ تقويم مجلة المشرق ﴾ اصدرت مجلة المشرق الغراء تقويمها السنوي وهو رزنامة مما يعلق على الجدران للتاريخ الافرنجي وما يقابله من التاريخ الهجري والرومي وفي ذيل كل ورقة حكمة منظومة والرزنامة في غاية الاتقان والضبط فنثني على رصيفتنا أجل الثناء

﴿ باريس الخفية ﴾ هي سلسلة روايات أدبية تأليف الكاتب الفرنساوي بونسون دي ترايل نقلها الى العربية حضرة زاكي افندي مابرو . وقد عني بطبعها حضرة جرجي افندي غرزوزي صاحب المكتبة الخديوية في خمسة أجزاء (١) رجال السيف (٢) اخوان الهوى (٣) الارملة العذراء (٤) ثارات كونتران (٥) ختام الانتقام . وكلها في مجلد واحد ضخم صفحاته زهاء ثمانمائة صفحة . وهو يطلب من المكتبة الخديوية بالاسكندرية ومن مكتبتي الهلال وهندية بمصر . وثمن النسخة ٢٥ قرشاً وأجرة البوسطة ثلاثة قروش

﴿ ميامر وعجائب السيدة العذراء ﴾ هو كتاب دينيٌّ فيه أدعية وصلوات وتراجم وعجائب . الميمر الاول في ميلاد السيدة العذراء والثاني في دخول السيدة العذراء الهيكل ويليه تسليم مريم العذراء ليوسف النجار خطيبها فميلاد المسيح فمجيئه مع والدته الى مصر وما يلي ذلك الى بكائها على قبره ثم تكريس كنيسة العذراء

بمدينة فيلباس ويلي ذلك عجائب تنسب الى العذراء ثم مختصر ترجمة حياتها . وكلها مجموعة من اقوال آباء الكنيسة القبطية الارثوذكسية . وقد عني بنشر هذا الكتاب الخواجه جرجس حنين التاجر بالزقازيق بعد معاناة المشقة في جمعه من عدة كتب قديمة وقد صدره برسم السيدة العذراء وطفلها وصورة غبطة الانبا كيرلس بطريرك الطائفة القبطية الارثوذكسية وصورة الانبا تيموثاوس مطران كرسي أورشليم . والكتاب يطلب من حضرته ومن مكتبة الهلال بمصر وثمن النسخة خمسة عشر قرشاً

﴿ تاريخ بيروت ﴾ بيروت من المدن التي عاصرت الدول القديمة وقد مرت في ادوار عسر ويسر . ثم خمل ذكرها حتى نهضت في القرن الماضي وزهت بالعلم والمعرفة وأصبحت زهرة سوريا بل زهرة الشرق بالمدارس والمطابع . ومع ذلك لم يكن لدينا من أخبارها الا النتف متفرقة في كتب التاريخ حتى عثر حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي منشىء مجلة المشرق على كتاب خطي في مكتبة باريس اسمه تاريخ بيروت لصالح بن يحيى « فاستنسخه وضبطه وهذب عبارته وعلق عليه الحواشي ونشره في مجلة المشرق ثم نشره في كتاب على حدة والحقه بفهارس لاعلامه ومواضيعه فجاء كتاباً صفحاته ٣٢٠ صفحة في ذيله خارطة لبلاد الشوف وخصوصاً بلاد الغرب

يبدأ الكتاب بموجز في تاريخ بيروت القديم ثم ما طرأ عليها منذ القرن السادس للهجرة الى التاسع . واسهب في الكلام عن بني بحتر المعروفين بأمراء الغرب الذين كانوا يملكون في غربي لبنان وتولوا زمناً طويلاً على بيروت وما جاورها باسم ملوك مصر الشراكسة . أما المؤلف فيظهر في اثناء كتابه انه من سلالة أمراء الغرب في القرن التاسع للهجرة . والكتاب فريد في بابه فنثني على حضرة الاب شيخو لما يبذله من العناية في خدمة اللغة العربية بنشر مثل هذا الكتاب . وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة ثمانية قروش وأجرة البريد قرشان

﴿ أسرار الملوك ﴾ هي رواية غرامية تاريخية معربة بقلم توفيق افندي حبيب محرر بجريدة الوطن وقد طبعت بنفقة المكتبة الشرقية وتطلب منها وثمن النسخة أربعة غروش

﴿ اليس ﴾ هي رواية ادبية غرامية فكاهية تأليف الست خديجه بيرم وتباع في

المكتبة المشرقية بشارع درب الحجر وفي سائر المكاتب الشهيرة

﴿ عمرو بن عدي او حفظ العهود ﴾ هي رواية تاريخية غرامية حدثت في القرن الثاني للميلاد بين الحيرة والانبار الفها المرحوم الشيخ نجيب الحداد في قالب تشخيصي ذي ثلاثة فصول وفيه أشعار كثيرة غنائية من نظم المؤلف رحمه الله . وفي شهرته في الشعر والانشاء ما يغنينا عن الاسهاب في الوصف. وكان قد أهداها الى حضرة نقولا بك توما المحامي الشهير فصدرت هذه الطبعة مصدرة برسمهما . وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة اربعة قروش

﴿ الرسائل الاخوية في التمرينات الحسابية والعربية ﴾ صدرت الرسالة الاولى منها تأليف حضرة ابراهيم افندي زكي واحمد افندي برهومه مدرسين في مدرسة التوفيق بالفيوم واسم الكتاب يدل على موضوعه . وهو عبارة عن مسائل تمرينية في الحساب وقواعد اللغة العربية على أسلوب جديد في جداول فيها فراغ لكتابة الجواب بازاء السؤال مع تصحيحه على ما يحتاج اليه تلامذة المدارس . والكتاب يطلب من حضرتهما ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة قرشان

﴿ القلب والشحرور الابيض ﴾ هما روايتان الاولى لادموندو دي اميتشيس والثانية لانطون جيوليو باريلي وهما من أشهر الروايات الافرنجية . وقد عني حضرة نجيب افندي غرغور بتعريبهما ونشرهما في كراريس اسبوعية ونصف شهرية وشهرية فيصدر في كل اسبوع من كل كتاب ملزمة ذات ثماني صفحات بحيث يتألف من الملزمتين كراس ذو ١٦ صفحة. فالذين يرغبون في الحصول على كل كراس على حدة يدفعون ثمنه قرشاً مصرياً مقدماً والذين يفضلون اداء ثمن الكتابين دفعة واحدة فيدفعون اربعين قرشاً وسيصير الثمن بعد تمام الطبع ثلاثين قرشاً عن كل كتاب والمخابرة مع حضرة المعرب في الاسكندرية

﴿ تأثير النساء في الارتقاء ﴾ هي مباحثة تلاها حضرة جرجي افندي نقولا باز في جلسة جمعية شمس البر في غرفة القراءة ببيروت ونشرت في جريدة المحبة الغراء ثم نشرت على حدة والموضوع ذو أهمية كبرى

﴿ المجلة المدرسية ﴾ هي مجلة علمية ادبية مصورة تصدر بمصر في اول كل شهر لمديرها ومحررها سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية بالسيدة زينب قيمة اشتراكها خمسة عشر قرشاً بالقطر المصري وخمسة فرنكات في الخارج وابحاثها مدرسية في التاريخ والتاريخ الطبيعي والادب والاملاء وفي سائر المواضيع فنرجو لها النجاح

﴿ المحيط ﴾ صدر الجزء الاول من مجلة المحيط لمنشئها عوض افندي واصف ضافياً بالمواضيع المفيدة بالعلم والادب والسياسة والصحة وخلاصة ابحاث الجرائد والمجلات وغير ذلك مما تلذ مطالعته وتجزل فائدته وفيها من الرسوم ثلاثة رسوم للخزان ورسم اديسون المخترع الاميركاني الشهير وصورة أوتوموبيل اخترعها اديسون تسير مئة ميل في الساعة . والمجلة مع حداثة نشأتها تعد من أنفع المجلات العربية بدل اشتراكها ٤٠ غرشاً في مصر و ١٤ فرنكاً في الخارج فنرجو الانتفاع بها

﴿ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ﴾ الراغب الاصفهاني من أدباء القرن الخامس للهجرة جمع كتاباً في الادب والشعر سماه « محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء » ذاع صيته في الآفاق لما حواه من الحكمة والموعظة في كل موضوع أدبي أو اخلاقي أو تهذيبي كالكلام في العقل والعلم والجهل وما يتفرع عنها وفي السيادة والولاية وما ينطوي تحتها من الكلام في أحوال اتباع السلاطين والقضاة والحجاب والغلمان . وفي الانصاف والظلم وما يترتب عليهما من الحلم والصرامة والعقاب والحسد والتواضع والكبر . ثم الكلام في الاخلاق والصفات كمراعاة الجار والمزاح والحياء والوقاحة والمسابقة الى المعالي . ثم في الابوة والبنوة وما يتفرع منهما مثل ممادح الابوة ومذامها والاقارب . ثم الكلام في الهمم والجد والآمال وفي الصناعات والمكاسب وفي البخل والكرم والشرب والشراب وفي الاخوانيات والغزل وما يتعلق به . ويأتي على كل موضوع بأمثلة وحكم او اشعار من نخبة ماقاله العرب . وقد طبع هذا الكتاب غير مرة وبين يدينا الطبعة الاخيرة لشقيقنا ابراهيم افندي زيدان وقد هذبه واختصره في ٣٠٤ صفحات كبيرة . وهو يطلب من مكتبة الهلال بمصر ومن سائر المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ قرشاً وأجرة البريد قرشان ونصف قرش



الجزء العاشر من السنة الحادية عشرة

١٥ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣ و١٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٠

ملوك الشرق وامراؤه

٦ — جزائر ملديف او محلديب وسلطانها

﴿ جزائر ملديف ﴾ هي ارخبيل في الاوقيانوس الهندي جنوبي جزيرة سيلان وغربيها تمتد طولاً من الشمال الى الجنوب في مسافة ٥٤٠ ميلاً . ويقدرون عددها بنحو خمسين الف جزيرة . ولكن الاغلب انها لا تزيد على ١٢,٠٠٠ لان من القاب السلطان عندهم انه « صاحب الاثني عشر الف جزيرة و١٣ أتولاً » . على ان الجزائر المذكورة أسماؤها في سجلات حكومة الانكليز ٦٠٢ منها ١٧٨ جزيرة مأهولة . وتقسم جزائر ملديف الى مجاميع يسمون المجموع منها « اتول » وكل اتول مؤلف من جزر عديدة صغيرة متزاحمة . ويحيط بالاتول غالباً سور من أحجار طبيعية على أسلوب عجيب هو خاص بهذه الجزائر . وفيها غابات يتخللها اشجار ضخمة قديمة العهد وانجم اعتيادية . واكثر اشجارها من الكوكو (الجوز الهندي) . وقد رأى الباحثون جزرًا تظهر حديثاً ولم تكن من قبل وجزرًا قد اخذت في الذهاب

ويقسم هذا الارخبيل الى ١٧ مجموعاً وبينها جزر متفرقة . ولكنهم يجعلونها ١٤

اتولاً هي اقسام ادارية اعتمدتها الحكومة في اعمالها وهي :

١ تلادوماتي	أتول	
٢ ميلادوماولو	«	
٣ مالوس مادلو	«	
٤ فاديفولو	«	
٥ مالي	«	وفيها عاصمة جزائرملديف
٦ فيلادوي	«	
٧ مولاكو	«	
٨ أري	«	
٩ نيلاندو	أتول	
١٠ كاومدول	«	
١١ هدومتي	«	
١٢ هوادو	«	
١٣ جزيرة ملوك — وهي مشهورة بمدارس العلم من القدم خصوصاً في عهد الاسلام ومنها يتخرج القضاة		
١٤ أدو	أتول	

ولفظ ملديب أو ملديف او محلديب هندي الاصل لان « ديف » في اللغة الهندية البراكريتية — وهي « ديبا » في السنسكريتية و « ديبو » في اللغة البالية — معناها الجزيرة . والفرس يجمعونها « ديبجات » باضافة جات على المفرد وهي من صيغ الجمع عندهم . ومنها اسم هذه الجزائر عند العرب . وفي مراصد الاطلاع « الديبجات في اقصى بحر الهند جزائر متصلة نحو الف جزيرة عامرة كلها بين الجزيرة والجزيرة ميلان أو ثلاثة أميال او أقل » وقد ذكرها ابن بطوطة في القرن الرابع عشر الميلاد فسماها ديبات محل او محل ديبات أو محلديب او مالديب . والظاهر انها مؤلفة من لفظين « مال » و « ديب » فيكون معناها جزائر « مال » أو « مالي » وهو اسم سكان ملقا في جنوب الهند أيضاً . ويقال نحو ذلك في اسم سيلان عند العرب وهو « سرنديب » واما « اتول » فهو لفظ ملديفي معناه مجموع جزر صغيرة

ولغة ملديف فرع من لغات السنيغال يخالطها كثير من الالفاظ العربية والفارسية والبرتغالية وغيرها على هذه النسبة في المئة : —

الفاظ سنغالية أصلية	٦٠	« ملقية	٠٢
« فارسية وعربية	١١	« تاميلية	٠١

الفاظ بورتغالية	٠١	الفاظ من لغات أخرى	٢٤
« سنكسكريتية أو بالية	٠١	المجموع	١٠٠

وتاريخ هذه الجزائر قديم متصل بتاريخ الهند وا كثره مظلم لا يهمنا من أمره الا ما كان من شأنها بعد الاسلام . ويؤخذ من قرائن كثيرة ان الاسلام دخل هذه الجزائر في القرون الاولى للهجرة ولكنه لم يتمكن فيها الا بعد ان اسلم ملكها . وقد ذكر القاضي تاج الدين في تاريخ محلديب ان السلطان محمد ابن عبد الله (في القرن السادس للهجرة) ويسمونه السلطان محمد درمونت أول من أسلم من سلاطينهم — قال انه أسلم في السنة الثانية عشرة من ملكه على يد الشيخ يوسف شمس الدين التبريزي . ويؤخذ من كلام الرحالة ابن بطوطة ان هذا السلطان كان يسمى قبل اسلامه احمد شنورازه وانه أسلم على يد الشيخ الحافظ أبي البركات البربري المالكي وان اهالي محلديب كانوا على مذهب المالكية . وقد اطلعنا على جدول لسلاطين محلديب من عهد محمد بن عبد الله هذا الى السلطان الحالي نقلاً عن سجل محفوظ عندهم . وفيه ان السلطان المشار اليه تولى تلك الجزائر سنة ٥٤٨ ﻫ وتوالى عليها بعده تسعون سلطاناً آخرهم السلطان الحاج محمد عماد الدين الحالي

سكان محلديب ٣٠,٠٠٠ كلهم مسلمون وهي تابعة لجزيرة سيلان تحت رعاية الانكليز تبعث اليها كل سنة جزية باسم الهدية

وحكومة محلديب يرأسها السلطان وتحته قاضٍ شرعي يحكم في المسائل الشرعية والمدنية ومجلس يسمونه كيليجفان مؤلف من أربعة وزراء تحتهم سبعة هم رؤساء المصالح ويسمونهم مانيكفان وهم يباشرون الادارة وجمع الاموال تحت يد السلطان مباشرة . والاموال تجمع على مقتضى الشرع الاسلامي على نحو ما كانت عليه الدول العربية في صدر الاسلام . وقلما يحتاجون الى عنف في تحصيلها لان الناس يعرفون ما عليهم ويكادون يؤدونه من تلقاء أنفسهم

اما مرتباتهم فلا يمكن تقديرها كما انه لا يمكن تقدير مرتب السلطان نفسه . لان الاعشار التي تجمع من تلك الجزائر تفرق فيهم جميعاً في آخر كل شهر . على ان

السلطان في غنى عن حصته بما يتعاطاه من التجارة وله نصيب من العنبر الذي يستخرج باسمه . لان كل العنبر الذي يعثر الصيادون عليه يعطى للسلطان وحده . وأما حصته من دخل المملكة فقد يتنازل عنه لوزرائه

﴿ سلطان ملديف ﴾ وقد وصلتنا رسالة كتبها محمد أفندي حسني العامري في السويس من تاريخ ملديف ذكر فيهاجدول السلاطين المشاراليه وبسط الكلام عما شاهده بنفسه من السلطان وبطانته وهم مقيمون في السويس الآن — لزم السلطان على الاقتران بكريمة عزتلو عبد الرحمن بك كامي وكيل وابورات الادارة المخصوصة العثمانية وفيس قنصل دولة علية ايران — فاقتطفنا منها ما يأتي :

السلطان محمدعماد الدين يبلغ من العمر الآن ٣٠ سنة وقد تولى سلطنة ملديف في ٦ محرم سنة ١٣١١ هجرية في حياة والده السلطان محمد عماد الدين لان والده أصيب بفقد البصر فتنازل لولده عن السلطنة . ورأس هذه العائلة السلطان الغازي حسن عز الدين تولى سلطنة ملديف بالاستحقاق واختيار الاهالي بعد ان حارب راجا كانانور صاحب جزيرة منيكوي يوم اراد امتلاك ملديف فتغلب حسن عليه وجلس على كرسي السلطنة سنة ١٧١٣ هجرية . وحسن عز الدين هذا هو ابن الوزير محمد فاملدير منكفان ابن الوزير دهود الهروي وأمه آمنه بنت الخطيب محمد الملي — فهو من عائلة كبيرة لها فضل على ملديف

والسلطان محمد عماد الدين الآن في السويس مع نجله توتو مانوبولو البالغ من العمر سبع سنين وبمعيته أحد الوزراء قام ديدي منكفان حسين ديدي وهو رجل عاقل له إلمام بتاريخ بلاده وجغرافيتها . وسكرتير فارسي الجنس يسمى دادابهاري وطبيب يسمى عبدالله كويا هندي تعلم الطب الحديث في المدارس الانكليزية . ومربي ولده ويسمى السيد حسن . وأمين طعامه واسمه بادجي علي ديدي . ثم طباخ وخادمان . وكلهم في غاية الاستقامة والكمال أهل وداعه وعفة لا يشربون الخمر مطلقاً ويستنكفون مما يشاهدونه من تعاطي المصريين للخمر وتجاري. الحمالين ورجال البحر والسوقة على افطار رمضان

سألت السلطان يوماً هل يعرف أهل ملديف الصنائع فقال « ليس في ملديف انسان لا يعرف الصنائع اللازمة للمعيشة حتى انا فقد تعلمت مثلهم » وعمد الى اداة نجارة كانت في المكان الذي نحن فيه واشتغل بها بسرعة ثم قال « وهكذا أبني بيتي وأحيك ثوبي وأخيط نعلي » . وأما من جهة أمور الدين والقراءة والكتابة فيندر ان يكون في ملديف انسان بلغ الثانية عشرة الا ويعرف جميع ذلك الذكور والاناث. لان من القواعد المرعية في حكومة ملديف ان القاضي لا يسمح بزواج أحد الا بعد امتحانه في العلوم الدينية قراءة وكتابة

﴿ كيف يقضي السلطان يومه في ملديف ﴾

ينام السلطان في حجرة في سراي الحكومة المعدة لجلسه خالية من النساء فهو يقوم يومياً في الفجر يؤدي الصلاة ويتناول شيئاً من الطعام قبيل القهوة أو الشاي . ثم ينام الساعة ٥ صباحاً الى الساعة الثامنة افرنكية صباحاً ثم يستيقظ ويأكل فطوراً جيداً ويخرج الى مجلس الحكم فيستقبل الوزراء وبعض الاعيان والحكام وينظر في أمور الحكومة التي تعرض عليه . وفي الظهر يذهب للصلاة في المحل المعد لذلك في قصره ثم يعود لمجلسه الى وقت العصر فيقوم للصلاة ثم يتناول طعام الغذاء ويسير للرياضة اما بصيد الطيور وأما بمشاهدة الالعاب الرياضية او يصعد على قمة القلعة العالية المجاورة للسراي ليشاهد منها جميع أماكن العاصمة ومناظر البحر . وبعد ان يقضي ساعة أو اثنتين في هذه الرياضة يذهب الى قصر حريمه وهو مجاور لسراي الحكومة فيصرف ساعة او نحوها مع أولاده وزوجته—وهو لم يتزوج الا واحدة رزق منها بولد واحد وابنتين . فاذا جاء وقت المغرب توجه للصلاة ويمكث في مكان الصلاة الى وقت العشا فيصلي صلاة العشاء ويخرج فيتناول طعام العشاء ثم يخرج الى المجلس فاذا لم يجد أشغالاً تستوجب وجوده يذهب لزيارة والده السلطان محمد عماد الدين الاعمى في منزله بجوار السراي السلطانية ثم يزور والدته واخوته في بيتهم الخاص بهم وهو على نحو خمس دقائق من مكانه . ثم يعود الى سراي الحكومة فيجد بعض الوزراء والزوار فيتحادثون في الشؤون المختلفة ويسأل الحاضرين بعض مسائل الى الساعة الحادية

عشرة افرنكية مساء فيقوم السلطان وينصرف الحاضرون فتدق النقارية (الطبل) من القلعة كالمعتاد يومياً مؤذنة للناس بالنوم ولعساكر خدمة النهار بالانصراف ولحرس الليل بالانتشار في المدينة

أما السلطان فانه يذهب عند ذلك الى حجرته الخصوصية في نفس السراي وليس فيها غير الخدم الخصوصيين من الرجال فقط وربما جاءه بعض المخبرين بخبر جديد او بعض افراد عائلته ليشكو له امراً او يسأله حاجة . ثم يتناول طعاماً خفيفاً ويخرج الى ردحة امام حجرته فيها اتباعه فيجلس بالقرب منهم فيقصون له بعض الحكايات أو القصص من محفوظاتهم لانه مغرم بذلك . وقد يقرأون له في الكتب فاذا جاءت الساعة ١٢ (نصف الليل) ذهب لمكان الصلاة فيتهجد لله ثم يعود لحجرته وينام فيها او على بابها حسب الطقس

والذي شاهدته بنفسي اثناء مجالستي حضرته في السويس انه على جانب عظيم من التقوى والدعة يكاد لا يفتح فمه طول يومه اذا لم تسأله عن شيء . ولكن عينيه البراقتين تتفرسان فيما حوله فيحصل الالمام بغير كلام . ومن عهد تشريفه للسويس الى اليوم لم يبرح قصر جهيه عبد الرحمن بك كامل الا يوم زيارته سعادة المحافظ ويوم مقابلة دوق دي كنوت الانكليزي . ويندر ان تراه في العربة ماراً في المدينة ساعة الرياضة بين العصر والمغرب

ومما يدل على كمال آداب اهل ملديف أن الغلام تومانوبولو ابن السلطان محمد عماد الدين ذهب مع الجناب عبد الرحمن بك الى المدرسة الاميرية بالسويس فاخذه ناظر المدرسة ليزور حجرات التدريس فلما اتى الى درس القرآن اراد ناظر المدرسة ان يناوله جزءاً من القرآن فقال لا امسه لاني لست على وضوء — فتأمل مع ان عمره لم يتجاوز السنة السابعة . ا ه



فيكتور هوكو

وعلم الادب عند الافرنج والعرب

لكاتب فاضل

٨

أما أهل الاندلس فلما وجدوا في جزيرتهم سماء صافية وأرضاً طيبة وهواء نقياً وأشجاراً مزهرة وأنهاراً جارية وجبالاً راسية وسهولاً واسعة اتسعت افكارهم واستبحر عمرانهم وراقت أشعارهم ورقت معانيهم وتهذبت فنون الشعر ومناحيه في قطرهم وبلغ التنميق فيه الغاية وكثر فيهم الادباء والشعراء . فوسعوا دائرة الادب ونظموا الشعر في جميع الاعاريض المعروفة عند العرب وأتوا بالمطولات في جميع مذاهب الشعر واغراضه من نسيب ومدح ورثاء وهجاء . ثم لم يكتفوا بكل هذا بل وجدوا الزمان والمكان يقتضي لهما فنون جديدة من الشعر ينسج على منوال غير المنوال الذي وضعه عرب الجاهلية ويقرض في عروض غير عروضهم فغيروا اسلوب الشعر وعروضه كما فعل فيكتور هوكو وأهل طبقته في تغيير عروض الشعر الفرنساوي . واستحدث المتأخرون من الاندلسيين الموشح والزجل والمربع والمخمس والمعصب على أربعة أجزاء والمزدوج والكاري والملعبة والغزل وعروض البلد والاصميات والحوراني والمواليا والدوبيت وهما لاهل الشرق وغير ذلك من التفنن الذي لايدخل تحت حصر . فأول من وضع الموشح مقدم بن معافر الضريري من شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله احمد بن عبد ربه (٢٤٦ — ٣٤٨ هـ) صاحب كتاب العقد الفريد . وقد انتشر هذا الكتاب انتشاراً عجيباً ولم أدخل مكتبة من مكتبات الاستانة [1] الا واجد فيها نسخة أو اكثر من هذا المؤلف ثم شاع استعمال الموشح

(١) في الاستانة مايقرب من الخمسين مكتبة تختلف في الجسامة والاهمية ومجموع ما فيها من الكتب اقل من ثمانين الفاً بقليل وكتب فهرستها مطبوعة ولكن فيها خطأ

في الاندلس واستظرفه الناس ونظم فيه كثير من الادباء ونسج على منوالهم أدباء الشرق وطبع كثير من الموشحات واشتهر . فمنها ما نظمه الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب . وكان معاصراً لابن خلدون وكأنه ندب حضارة الاندلس بمطلع هذا الموشح حيث قال

جادك الغيث اذ الغيث هما يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما في الكرى أو خلسة المختلس

ومن أبدع ما أتوا به في الموشحات قول بعضهم

كحل الدجى يجري من مقلة الفجر على الصباح
ومعصم النهر في حلل خضر من البطاح

ثم نسج أهل الامصار على منوال الموشح ونظموا مثله بلغتهم الحضرية من غير التزام اعراب وسموا هذا النوع من الموشح بالزجل وأول من أبدعه ابو بكر بن قزمان ومع انه قرطبي الدار كان يتردد كثيراً الى اشبيلية مركز الادباء ومجمع الظرفاء وهي على نهر الوادي الكبير تشبه حمص القريبة من نهر العاصي ولذا أطلقوا عليها اسم حمص فكان أبو بكر بن قزمان يركب مع أصحابه في النهر للنزهة والصيد وتدور بينهم المحاضرات الشعرية والمحاورات الادبية وهم في الزورق . وقد استخرج صاحب جريدة الارز من مكتبة في رومة شيئاً من زجل الاندلسيين ونشره في مجلد وأما الاصمعيات فهي الشعر البدوي وسميت اصمعيات نسبة للاصمعي راوية العرب (١٢٢ — ٢١٦ ﻫ) وهي قصيدة طويلة بلا اعراب بل هي بلغتهم الدارجة ويبتدأ فيها غالباً باسم الشاعر وفيها كثير من البلاغة والفوائد التاريخية . والمعصب يجيئون فيه على أربعة أجزاء يختلف آخر الثلاثة في رويه ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت الى آخر القصيدة . والحوراني نسبة لحوران بأرض الشام . ولا نطيل الكلام ببيان هذه الفنون وأقسامها وفيها من البلاغة والفوائد التاريخية ما لا ينكر . بخلاف ما أحدثوه من الصنائع اللفظية

كثيراً وربما قيد في الفهرست المجموع المشتمل على عدة رسائل باسم الرسالة الاولى وفيها من نفائس الكتب مالا يقدر

وبيان ذلك ان أدباء العرب في الجاهلية والاسلام صرفوا عنايتهم في النظم والنثر الى الالفاظ لا الى المعاني . فالهدف الذي كان الاديب منهم يروم اصابته هو التفنن في طرق الافادة وبيان المعنى الواحد بأساليب مختلفة من الكلام . وشبهوا المعنى بالماء والالفاظ والتراكيب بالاناء فمنه آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف . فغرض الشاعر منهم ان يسقي سامعه الماء الواحد الذي لا يختلف ولا يتغير باجمل أناء يصوغه له حسب قدرته . ولم يكن غرضه ان يسقيه انواع المياه الخفيفة المهضمة من منابع مختلفة معدنية ولا أنواع الخمور أو المرطبات والابزورات بأي أناء كان . ولذا أظهر الادباء كل مهارتهم في الالفاظ وبينوا اقتدارهم في معرفة اللغة وحفظ الاسماء الكثيرة والمترادفات وافادة المعنى الواحد بطرق مختلفة فكانت الالفاظ طوع قريحتهم يتصرفون بها كما يتصرف الصائغ في سبك الفضة . فألفوا من الالفاظ المهمل والمنقوط والمشجر وما يقرأ طرداً وعكساً ولزموا في القوافي ما لا يلزم ونظموا الحالية وأمثالها — يروى عن أديب انه أجاب من شتمه بقوله « الكلب من لا يعرف للكلب مائة اسم » وحفظوا اسماء كثيرة للبعير والناقة والسيف ولكل ما اشتهر بالخسة والشرف وقالوا كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى أو خسته . ونجد امرأ القيس اذا وصف الفرس لم يدع عضواً من أعضائه الا شرحه تشريحاً . وألفوا كتباً كبيرة من الاحرف المهملة او المعجمة مثل التفسير الذي الفه مفتي الشام السابق المرحوم محمود افندي حمزه بالحروف المهملة . ولما طبع هذا التفسير بدمشق بعثني والدي بنسخة منه الى المرحوم مفتي الخليل التميمي وكان علامة الديار المقدسية . فنظر في التفسير طويلاً ثم رده الي وقال لو لم يقيد قلمه بالاحرف المهملة لافادنا بأكثر من هذا . وكتاب عنوان الشرف المشتمل على عدة علوم في متن واحد يقرأ بصور مختلفة وهو مطبوع في مصر وعلى نسقه كتاب آخر مطبوع في الاستانة . ولما قال العماد الكاتب « سر فلا كبا بك الفرس » اجابه القاضي الفاضل « دام علاء العماد » . والجملتان مما يقرأ طرداً وعكساً . وكان القاضي الفاضل رئيساً للمراسلات السياسية عند السلطان صلاح الدين الايوبي والعماد الكاتب بمعيته رئيساً لقلم المصالح الشامية وكتابه الفتح القدسي طبع في السنين الاخيرة . وقال

أبو عبد الله بن بيس من علماء الاندلس وهو شيخ لسان الدين بن الخطيب المشهور :

اسـاجعه بالواديين تبوأي ثمارًا جنتها حاليات خواضب

دعن ذكر روض زانه سقي شربه صباح ضحى طي ظباء عصائب

غرام فؤادي قاذف كل ليلة متى ماأى وهنا هواه يراقب

فجمع في أول الكلمات حروف الهجاء من الالف الى الياء على الترتيب

فأدباء الافرنج يقولون . نعم ان الشعر العربي فيه كثير من الصنائع البديعية وله رونق وبهجة وفيه تهييج للمسامع وهو على اسلوب التوراة وعلى نسق اللغات السامية ولكن الكلام الذي فيه تصنع في الالفاظ وتعمل في الشكل الخارجي لايكون فيه حركة ذهنية ولا تخيل فكري . وما لم يكن فيه ذلك ليس فيه احساس ولا عظمة مطلقاً واذا ارتفع نفس الشاعر او الكاتب في الكلام الذي فيه تصنع وتعمل لم يبق على ارتفاعه بل ينقطع حالاً وينتقل الى غير ما هو فيه . بخلاف الشعر اليوناني أو الافرنجي كروايه ايرناني مثلاً فان فيكتور هوكو نظمها على نفس واحد ونسق واحد وأبدع فيها بما قاله عن لسان شارلكين من الكلام العالي الملوكي . فاذا نطق به المشخص على مرسح التشخيص أخذ بمجامع القلوب واستمر المشخص يهدر كما يهدر النهر حتى يصل كلامه لاعماق أفئدة السامعين ويؤثر فيها تأثيرًا عظيما ومن قاس بنظره بين مقامات الحريري و بين رواية مضحكة من روايات موليير التشخيصية فهم معنى اعتراضهم وحقيقة انتقادهم على مقامات الحريري والهمذاني وامثالها . وينتقدون على المقامات ايضاً من جهة التهتك بالاخلاق والتغزل بالبنين كالتغزل بالبنات ووضع الحب في غير موضعه الطبيعي مما لم نعهده في كلام ادباء الافرنج المشهورين الا من ندر منهم مثل الاديب الانكليزي الذي حكم عليه منذ سنوات في لوندرا ودافع عن نفسه بمشروعية هذا الحب في اصل الخلقة والطبيعة وبوجوده عند اليونان والرومان

والحق ان هولاء الافاضل لم يقصدوا بتاليف المقامة تصوير رواية مضحكة على اسلوب الكوميديه ولا رواية محزنة على نسق التراجيدية . وانما قصدوا اظهار المقدرة

على تضنيف الكلام وتدبيجه بديباج الاستعارات والباسه حلل التشابيه وترصيعه بلآلئ البديع كقول الحريري في وصف الخطيب « يختلب الاسماع بجواهر لفظه ويجتذب القلوب بزواجروعظه » من الكلام المدبج المصنع المرصع الذي لو نطق به على مرسح التشخيص لا يفهمه العوام ويحتاج الخواص الى النظر في صنائعه وأعمال الفكر في بدائعه . والا لو صرف الواحد من أولئك الافاضل عنايته لتصوير رواية على نسق روايات اليونان او الرومان او الافرنج اسقانا بكأس من الزجاج الشفاف أطيب الخمور وأعلاها طبقة . ولكنه أراد ان يغترف من ماء البحر بأناء صاغه لنا من الذهب الخالص وطلاه بالمينا الثمينة ورصعه فوق ذلك بعروق وأوراق من الجواهر واللآلي ليخفى لنا الماء بابهى أناء ويرينا أحسن المصوغ والمجوهر . وقد يغرق فكر الكاتب العربي الملتزم للصنائع البديعية في لجج تلك الاستعارات والجناسات ويحتاج في استخراجه الى غواص ماهر له ملكة راسخة في اصطلاحاتهم . لان الكاتب منهم لم يكتب للعوام وأهل السوق وانما يكتب للخواص من علماء الرجال وأدبائهم ولاصحاب الذوق منهم في الكلام وفي معانيه ولذا فهو يتجنب الكلمات السوقية المبتذلة وينتقي أعلى طبقات الكلام وأعوصها في اللغة . فالمعري على ماله من جلالة القدر في الادب لم يسقنا الحكمة من كأسه الا وهو يغوص في المباحث اللغوية ويأتي بالشواهد والامثال كما يتضح لمن طالع رسالة الغفران وهي التي شبهها مندوب مصر في مؤتمر المستشرقين الحادي عشر برسالة الجحيم التي الفها الشاعر دانتي الطلياني . ومن طالع رسالة دانتي او ترجمتها رآها تسيل على نسق واحد كما يسيل الماء ليس فيها تصنع في الالفاظ والتراكيب ولا فيها احتياج الى تفسير الالفاظ اللغوية والاستشهاد بالكلام المعترض

فالاندلسيون أصلحوا كثيراً من الخلل الموجود في أدب العرب وجاؤا بالمطولات في فنون كثيرة من الشعر والنثر وأوجدوا فنوناً مستحدثة واتبعوا في الكلام شعورهم وأحساسهم القلبي فطافوا على قرائهم بصحاف من ذهب واكواب فيها بعض ما تشتهي الانفس . ونرى في توصيفهم المناظر الطبيعية وتصويرهم وجوه الارض مشابهة

بأشعار الافرنج كوصف حمدونه وهي من بنات الاندلس الشواعر لوادي أش وهو في أيالة غرناطة قالت

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم [1]
حللنا [2] دوحه فحنا علينا حنوّ المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمإ زلالاً الذ من المدامة للنديم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

وقال أبو الفدا لابل الابيات لاحمد بن يوسف المنازي المتوفى سنة ٤٣٧ ه وزيرابي نصر احمد ابن مروان الكردي صاحب ديار بكر وترسل الى القسطنطينية ومر في بعض أسفاره بوادي بزاعا فأعجبه حسنه فقال فيه الابيات . ووادي بزاعا في ولاية حلب واليه ينسب أبو فراس الحمداني وغيره من الشعراء

ولو طال على الاندلسيين الأمد في الحضارة وتعاقبت الادوار على اللغة وتوالت عليها الانقلابات لاتوا بأحسن مما جاء به فيكتور هوكو وأميل زولا من محصول العقل ومجتنى الفكر البشري . ولكن عاجلهم الانقراض وفاجأهم الاستبداد فأمحلت عقولهم وسدت قرائحهم . وقد اجتمعت في باريس بوفد السلطنة المراكشية وهو ذاهب لحضور الاحتفال بيوبيل فيكتوريا ملكة الانكليز فوجدت رئيس الوفد الذي هو السفير الكبير أمياً

ثم ان العارفين باللغات نصوا على ان لأدب اللسان العبراني تأثيرًا على أدب العرب قبل الاسلام و بعده وذكروا مشابهة وتواردًا في الخواطر بين ما جاء في شعر امرىء القيس الذي يضرب فيه المثل اذا ركب و بين ما ورد في سفر أيوب من التوراة في وصف الفرس . ونقل بعد الاسلام من العبرانية الى العربية ما سمي بالاسرائيليات مثل التواريخ وقصص الانبياء ومناقب الصالحين مما هو في التوراة والتلمود وكان نقلها عن احبار اليهود الذين أسلموا مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وأمثالهما رضي الله عنهم . وقد رأينا فيما سبق كيف ترجم عن اللغة الفارسية والهندية

(١) نسخة : وقاه مضاعف النبت العميم . (٢) نزلنا

كتاب كليلة ودمنة وما شابهه وكيف نسج الادباء على منواله واعتنوا بنظمه مما كان له مفعول قوي في الحركة الذهنية والتصورات الادبية والاختلافات الفكرية . ومع ذلك فجميع ما ذكر لم يكن له كبير تأثير على الشعر العربي ولم يغير شيئاً من أساليبه القديمة ودامت أساليب شعراء الجاهلية هي الهدف الذي يصوب نحوه كل شاعر بالعربية في قديم الزمان وحديثه

فيتضح مما تقدم ان العرب لم يأخذوا من الامم الذين ترجموا كتبهم الا العلم والحكمة فقط ولم يحفلوا بشعر اليونان ولا برواياتهم الشخصية ولا بشعر اللاتين وخطبهم ولا ترجموا شيئاً من ذلك . مع انهم رأوا في كتاب المنطق لاسطو ثناء طيباً على أوميروس الشاعر اليوناني ولكنهم لم يقلدوه ولا اتبعوه ولا نهجوا منهجه في شيء ولم يكن للكتب المترجمة تأثير على طبقة المتنبي والمعري وابن هاني الا من جهة افادتهم الآراء الفلسفية لا من جهة افادتهم أساليب النظم وطرق الكلام

ومن فحول هذه الطبقة أبو العتاهية وكان في أيام المهدي وهارون الرشيد والمأمون واكثر في أشعاره من ذم الدنيا لغدرها بابنائها ومن تذكير الغافلين بالموت ولم يشوق للآخرة ونعيمها ومن لطيف شعره

الا اننا كلنا بائد وأي بني آدم خالد
وبدؤهم كان من ربهم وكلٌّ الى ربه عائد
فيا عجبا كيف يعصي الالا ه ام كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد

ومن فلاسفة الشعراء أيضاً ابن الشبل ابو علي حسين بن عبد الله البغدادي المتوفى سنة ٤٧٤ وكان له وقوف على كثير من علوم الحكمة والفلسفة وله ديوان وقصيدة فلسفية يقول فيها

بربك أيها الفلك المدار اقصد ذا المسير ام اضطرار
مدارك قل لنا في أي شيء ففي افهامنا منك انبهار
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء سوى هذا الفضاء به تدار

وعندك ترفع الارواح أم هل   مع الاجساد يدركها البوار

الخ :

ولابن سينا والرازي أشعار فلسفية وقصيدة ابن سينا في النفس مشهورة ومنها

هبطت اليك من المحل الارفع   ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف   وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره اليك وربما   كرهت فراقك وهي ذات تفجع

الخ ...

وله أشعار بالفارسية أيضاً يرد بها على من اتهمه بالكفر والالحاد . ومن كلام أبي بكر الرازي محمد بن زكريا قوله

لعمري ما أدري وقد آذن البلى   بعاجل ترحال الى اين ترحالي

واين محل الروح بعد خروجها   من الهيكل المنحل والجسد البالي

الى غير ذلك مما أتى على هذا النسق من كلام أهل هذه الطبقة

فان لم يكن لفنون الادب الاعجمية كبير تأثير على شعر العرب ونثرهم فهل لفنون الادب العربي تأثير على شعر الافرنج ؟

بينا ابحث عن جواب هذا السؤال واذ رأيت في جريدة طرابلس الشام عدد ٤٦٢ مقالة في الزجل والتوشيح وكتاب العذاري المائسات الذي استخرجه صاحب جريدة الارز من سفر قديم العهد مخطوط بالحرف المغربي المشبج عثر عليه في خزانة كتب بدير القديس انطونيوس للرهبانية الحلبية في رومة وقال فيه :

فتصفحته فاذا فيه طائفة كثيرة من الشعر الفائق مقطعات ومختارات خرج بها ناظموها عن أوزان الشعر العربي المعينة واجزاء بحوره المفروضة وأحكام أعاريضها وضروبها المطردة بيد انهم اجادوا في ذلك منتهى الاجادة فانتقيت مما عثرت عليه كل نفيس .... خدمة لاهل الادب واثباتاً لسبق العرب اليها ..— وبعد ان ذكر صاحب المقالة تعريف الموشح والزجل وعروض البلد والمزدوج والكاري والملعبة والغزل وغير ذلك قال :

وقد استحسن شعراء الافرنج من الاسبان والالمان والطليان والفرنساويين هذه الضروب من فنون الشعر العربي ونسجوا على منوالها كما يرى ذلك في دواوين شعرائهم . ولا مراء بأن ذلك انتقل اليهم من العرب حيث لم يأنسوا بأنوار هذه المستحدثات الا في اواخر القرن الثالث عشر . والمتصفح لكتب العرب والافرنج يرى شذرات من هاتيك المذارى . ولكن قل ان يراها مجتمعة في صفحات عديدة أو كتاب واحد مع انها في درجة عليا من الحسن والجودة وتطريب السامع (انتهى)

فايضاحاً لمجمل هذا القول رأينا ان نبحث في منشأ الادب الافرنجي وفي دخول العرب بلاد الافرنج

﴿ استدراك ﴾ : ورد في مقالة « الكاتب الفاضل » في الهلال الماضي صفحة ٢٧٢ سطر ١٣ لفظ « عين » صوابها « يمين » . وصفحة ٢٧٤ سطر ٦ « المتنبي » صوابها « أبي تمام »

الياذة هوميروس

يعلم قراء الهلال ان الياذة هوميروس للبستاني تحت الطبع في مطبعة الهلال . ونحن مقتطعون الابيات الآتية من ملزمة نمرة ١٠١ التي تطبع الآن . وهي من قصيدة في وصف واقعة حربية . وقد اجتزأنا هذه المرة بالمتن الشعري على ان نوافيهم مرة أخرى بمثال آخر من الشعر مقروناً بشرحه وحواشيه :

زَفْسُ هٰذِي أَقْدارُهُ ٱلْمَنْوِيَّهْ ... نافذاتٌ أَحكامُها مَرْعِيَّهْ (١)

فتَرامى الطِّرْوادُ لِلفُلْكِ مِثْلَ الـ ... أُسْدِ تَنْقَضُّ في طِلابِ الرَّمِيَّهْ

نالَهُمْ نَصْرُهُ وذُلَّ عِداهُمْ ... فَرَماهُمْ بِعادِياتِ الرَّزِيَّهْ

لِٱبْنِ فِرْيامَ أَحْرَزَ المَجْدَ حَتَّى ... يُضْرِمَ النّارَ في السَّفِينِ الرَّسِيَّهْ

كلُّ هذا اُستجابةً لِدُعاء أَنفَذَتهُ ثِيتيسُ أُسُّ البليَّة
فقضى زفسُ بالنوائبِ حتّى يُبصرَ النارَ أُلهِبَتْ بجَليَّة
فيُزيحُ الطِّرْوادَ عنها ويُولي قومَ أرغوسَ نُصرةً عَلويَّة
فبهذا قضى وهكطورَ أغرى بِالأساطيلِ وارياً بالحميَّة
كرَّ يحكي آريسَ ذا الرُّمحِ أو نا راً بغابٍ شبَّتْ بشُمٍّ عليَّة
فمُهُ مُزبِدٌ وعيناهُ نارٌ ثارتا مِنْ أجفانهِ الوحشيَّة
وحوالَيْ صُدْغَيهِ هاجتْ هياجاً خُوذةٌ بالبريقِ أجّتْ بهيَّة
مِن عُبابِ الرّقيعِ زفسُ وقاهُ ورعاهُ مِنْ دونِ كلِّ البريَّة
إنّما يومُهُ دنا وأثينا بابنِ فيلا أذنتْ إليهِ المنيَّة
كرَّ حيثُ الصفوفُ رُصَّتْ دِكاكاً وتلألتْ مناصلُ السمهريَّة[1]
وبغى خرقَهم فصدَّتهُ جُندٌ كالبناءِ المرصوصِ صفَّتْ سويَّة
لبثوا لا يروعُهمْ منهُ كرٌّ لا ولا همَّةٌ وكفٌّ قويَّة
كصفاةٍ بالثغرِ ليستْ تُبالي بِرياحٍ وموجةٍ مائيَّة[2]
لاهباً هبَّ ناحياً كلَّ نحوٍ بِسُراهمْ كجمرةٍ محميَّة
ودهاهمْ كما دها الموجُ في اليمِّ غراباً بهيَّةً نوتيَّة[3]
بشراعٍ بالرّيحِ منتفخاتٍ وصفاحٍ بغثيهِ مغشيَّة[4]
فتلوحُ المنونُ منبعثاتٍ دانياتٍ لأعينِ النوتيَّة
هكذا كانتِ الأغارقُ تنتا بُ حشاها شجيَّةٌ وشجيَّة

ثارَ فيهم كالليثِ بين صُوارٍ رائِعٍ في جُدُودِهِ وَهوَ رَعْدِيَّةٌ (٥)

لا تُطيقُ الرُّعاةُ ذَوْدًا فيجري بَينهُ وَهيَ رِعدَةٌ ضاوِيَةٌ (٦)

يَقنِصُ الليثُ منهُ ثَورا وباقيـ ـهِ فلولاً يَفرُّ في البَرِّيَّةْ

هكذا فرَّتِ الأراغِسُ منهُ بَلْ ومِن زَفْسَ ذي القضايا الحَقِيَّةْ

فَلَّ هكطورُ منهمُ فارِساً فَـ ـذًّا فَولَّوا بأضلُعٍ مَحنِيَّةْ

فيرِفيتُ الذي أتى من مكينا وابْنُ قُفرِيْسَ الذميمِ الطَّوِيَّةْ

هَمَّ في جُنَّةٍ الى قدميهِ قد تَثنَّتْ أهدابُها المَتْنِيَّةْ

حُصنُهُ في الكِفاحِ كانت وصدَّتْ عنهُ تحتَ القِراعِ كلَّ أذيَّةْ

مُلْقِيًّا كانَ فالتوى بِخُطاهُ عاثِرًا في أطرافِها المَلْوِيَّةْ

خرَّ مُستلقِيًا فصلَّتْ عليهِ خُوذَةٌ كُلُّهُ فُولاذِيَّةْ

خَفَّ هكطورُ مُغمِدًا رُمحَهُ في صَدرِهِ بَينَ جُنْدِكَلِّ السَّرِيَّةْ

فتلظَّوا أسىً ولكنَّهُ لم يَبقَ فيهم لِرِفدِهِ مِن بَقِيَّةْ

لَجأوا في صِفاحِ أوَّلِ صَفٍّ مِن خَلايا العِمارَةِ الأرغُسِيَّةْ

والمُدى في الأعقابِ تَضرِبُ حتَّى حَصَرُوهم حَولَ الخِيامِ الخَلِيَّةْ

وَقَفُوا ثَمَّ عُصبَةً أوقفتهُمْ خَشيَةُ العارِ والمَنايا الدَّنِيَّةْ

وتوالَوا بَعضٌ يُحرِّضُ بَعضاً بِعَجيجٍ لِلجَوِّ أعلى دَوِيَّةْ

ومَلاذُ الكُماةِ نَسطُورُ يَستَحـ ـلِفُ كُلًّا بالأهلِ والعَصَبِيَّةْ:

« صَحبِ لا تَشغَلُوا بِكُم أَلسُنَ الخَلْـ ـقِ وذُودُوا ذَوْدَ الرِّجالِ الأَبِيَّةْ

وَاذكُروا الوُلدَ والنساءَ ومِلكاً لكُمُ في تِلكَ الدِّيارِ القَصيَّةْ
وَاذكُروا أَهلَكُم أَماتوا وباذوا أَم هُمُ في قَيدِ الحياةِ الرَّضيَّةْ(١)
لا تَزيدوا الشَّكوى بِحَقِّ عيالٍ لَبِثَت خَلفَكُم تَبُثُّ الشَّكيَّةْ»
فَاستَجاشَت نُفوسُهُم وأَثينا قَشعَت عَنهُمُ الغُيومَ المَليَّةْ
سُحُبٌ صَبَّها رُكاماً عَلَيهِم رَبُّ هَولٍ دُجُنَّةً لَيليَّةْ
بَدَّدَتها فَفاضَ في السَّهلِ والأَسـ طُولِ نُوراً أَشِعَّةٍ شَمسيَّةْ
فَلَهُم لاحَ ثائِرَ الجَأشِ هَكطو رُ بِجُندٍ تَكُرُّ طَرْوادِيَّه
ولَهُم لاحَ مَن تَوانى عَنِ الحَرْ بِ وَمَن خاضَها بِصادِقِ نِيَّةْ
وأَياسٌ بِعِزَّةِ النَّفسِ يَأبى عُزلَةً في المَواقِفِ العَسكَرِيَّةْ
غادَرَ الجُندَ ثُمَّ حَثَّ خُطاهُ في سُطوحِ السَّفائِنِ الصَّدرِيَّةْ
رُمحُهُ طولُهُ اثنَتانِ وَعِشرو نَ ذِراعاً لِلْكَرَّةِ البَحرِيَّةْ
نافِذُ النَّصلِ مُحكَمُ الوَصلِ زاهٍ بِحَرابيهِ الحِسانِ الزَّهِيَّةْ
كَرَّ يَعدو كَفارِسٍ كَرَّ يَعلو أَربَعاً مِن عِتاقِ جُردٍ سَوِيَّةْ(١)
ضَمَّها ثُمَّ حَثَّها في طَريقِ الـ خَلقِ في السَّهلِ حَثَّةً سَلهَبيَّةْ
وضَواحي البِلادِ غَصَّت رِجالاً ونِساءً تُجِلُّ تِلكَ المَزِيَّةْ
وَهوَ في جَريِها بِغَيرِ عَناءٍ واثِبٌ مِن مَطِيَّةٍ لِمَطيَّةْ(٢)
هكذا طارَ بِالسَّفينِ أَياسٌ داوِيَ الصَّوتِ لِلذُّرى الجَوِّيَّةْ
يَستَثيرُ النُّفوسَ لِلفَتكِ ذَودًا عَن أَساطيلِهِم بِنَفسٍ جَرِيَّةْ

وابنُ فِريامَ رامحٌ مثلَ نَسرٍ شقَّ أسرابَ طيرِ برٍّ شقيَّهْ
يذهمُ الزهوُ والغرانيقَ والبَطَّ بأكنافِ جدّةٍ نهريَّهْ
هكذا عن سُراه برّزَ هكطورُ يومَ السفائنَ الدانويَّهْ
زفسُ أغراهُ دافعاً مستثيراً خلفَهُ سائرَ الجنودِ الكفيَّهْ
فتلاقوا كأنَّهم ما تلاقوا قبلُ ما بينَ عاملٍ وحنيَّهْ
لو رأيتَ النفوسَ كيفَ تلظَّتْ قلتَ ذي كرَّةٌ لهمْ أوَّليَّهْ
والأماني هجنَ مختلفاتٍ ففريقٌ يرى المنونَ جليَّهْ
وفريقٌ يرى الأعادي اضمحلّتْ والخلايا براسخِ الأمنيَّهْ
وابنُ فِريامَ كالشهابِ انبرى يقبضُ أطرافَ مركبٍ مرخيَّهْ
مركبٌ فيهِ جاءَ أفرطسيلا سُ بلا عودةٍ عليهِ هنيَّهْ[1]
حولَهُ استحكمَ التلاحمُ لا تُرمى بهمْ النُّهبُ والحنايا الرويَّهْ
بلْ تراموا بمُديَةٍ وسنانٍ رَقَّ حدَّاهُ والسيوفِ الوضيَّهْ
كمْ حسامٍ أهوى بكفِّ كميٍّ أو بكتفِ الفوارسِ المرميَّهْ
والثرى اسودَّ وابنُ فِريامَ قد قامَ على الفلكِ صائحاً بالبقيَّهْ:
«دونكمْ نارَكمْ وكرّوا كثافاً إنّما اليومَ زفسُ يرعى الرعيَّهْ
إنّما اليومَ يومُ قشعِ الرزايا واحتلالِ السفائنِ المحميَّهْ
أوسعتْنا مذْ أوفدوها خطوباً رغمَ آلِ الميامنِ العليَّهْ
حالَ بيني وبينَها بجنودي جبنُ هيابةِ الشيوخِ الغبيَّهْ
إنْ يكنْ زفسُ قبلُ أعمى حِجانا فلهُ اليومَ بالهجومِ مشيَّهْ»[1]

مطبوعات جديدة

﴿ الراوي ﴾ هي جريدة يومية سياسية تجارية تصدر في مصر لصاحبها يوسف بك طامت بدل اشتراكها في السنة ١٥٠ قرشاً بمصر وخمسون فرنكاً في الخارج ونظراً لما نعلمه من براعة الذين يتولون تحريرها ورسوخ قدمهم في عالم السياسة والادب نتوقع للراوي مركزاً مهماً في الصحافة المصرية — ومما نلاحظه في هذا المقام ان «الراوي» اسم لغير صحيفة . وأول ما سمي به مجلة أدبية ظهرت في الاسكندرية منذ بضع عشرة سنة لمنشئها خليل افندي زينية صاحب جريدة المصوّر . ثم مجلة « الراوي » لصاحبها بطرس افندي حبا ظهرت في اسيوط منذ عشر سنوات ثم صدرت جريدة بهذا الاسم في العام الماضي في نيويورك لمحررها سليم افندي سركيس صاحب المشير — وقد اتفق نحو ذلك أيضاً في اسم «البيان» و «المحيط» و « المنار» وغيرها . والأولى تجنب ذلك خوف الالتباس والاسماء كثيرة

﴿ الجوائب المصرية ﴾ وظهر في هذه الأثناء أيضاً جريدة الجوائب المصرية لمديرها خليل افندي مطران صاحب المجلة المصرية . وهي أيضاً يومية سياسية أدبية . وعدد يوم الجمعة من كل أسبوع يظهر مصوراً بصور ملونة تمثل بعض الحوادث الجارية . وتمتاز عن سائر الجرائد اليومية انها تصدر في الصباح بدل اشتراكها ١٦٠ قرشاً بمصر و ٥٠ فرنكاً في الخارج وفي شهرة رصيفنا مطران افندي في عالم الادب بسلامة الذوق وحسن الاختيار ما نرجو معه للجوائب المصرية مستقبلاً مجيداً

﴿ الاخاء ﴾ هي مجلة عمومية أدبية تصدر في طوخ قليوبية مرة في الشهر لصاحبها محمود افندي كامل كاشف بدل اشتراكها في السنة خمسون قرشاً في القطر المصري و ٢٥ فرنكاً في الخارج . وفي العدد الاول منها مقدمة في بيان خطتها وتاريخ صدورها وامتيازات مشتركيها ثم مقالة اجتماعية في ادواء الاجتماع في الحضارة والبداوة ومقالة في السياسة الادبية وقصائد في خزان اصوان لاحمد افندي محرم ولامين افندي حداد ولشوقي بك شاعر الحضرة الخديوية . وقصائد أخرى في مواضيع أخرى

وشذرات أدبية في المؤتمر الطبي وعيد الوطنية وغير ذلك وبالجملة فانها مجلة مفيدة نرجو لها الثبات في خدمة اللغة العربية ونثني على حضرة صاحبها اطيب الثناء

﴿ العلم الصناعي ﴾ هي مجلة علمية صناعية تاريخية تصدر في مصر مرة في الشهر لحضرة عبد الرحيم افندي فوزي وحسن افندي فهمي احمد من متخرجي مدرسة الفنون والصنائع . بدل الاشتراك عشرون قرشاً وفي الجزء الاول مقالة في تاريخ الصناعة وتأثيرها في العمران وباب لاشهر المخترعين ومقالة في الراحة في السياحة وباب النتائج الصناعية وغير ذلك فنرجو لها اثبات

﴿ مسيح الهند والجهاد ﴾ نشر ميرزا غلام احمد القادياني مسيح الهند منشوراً بالانكليزية في اثناء احتفال الهنود بتتويج الملك ادوارد حرض فيه ائمة المسلمين في الهند على نشر كتاب في ابطال مشروعية الجهاد . واستحث الحكومة الانكليزية على الزامهم ذلك لان الهند في زعمه اصبحت منذ نيف وخمسين سنة رائعة في بحبوحة الامن والسعادة في ظل حكومة الانكليز لا يكدر راحتها الا تمرد بعض القبائل على الحدود بتحريض علمائهم (الملا) على الجهاد في حرب غير المؤمنين باعتبار انه من السبل المؤدية الى الجنة . فاذا اتحد العلماء ورجال الفتوى على تقبيح هذا العمل اطاعهم المتمردون وسكنت الثورة . وفي رأيه ان يترجم هذا الكتاب الى العربية والفارسية والپشتية وينشر في انحاء الهند . وتبرع بدفع عشرة آلاف روبيــة (نحو ٢٠٠٠٠ فرنك) يدفعها من جيبه لمساعدة هذا المشروع وانه هو واتباعه — وعددهم على قوله ١٥٠٠٠ — يؤيدونه

ثم تحول الى الضرب على طنبوره فقال : ان الجهاد كان ضروريا في ديانة اليهود حتى اذا انتشر دينهم جاء المسيح فأمر بالسلام والمحبة . وكذلك في الاسلام فقد كان الجهاد في أوائله واجباً لاقناع المقاومين ونشر الدين . وأما الآن فقد زالت تلك الاسباب فارسل الله مسيحه (يريد نفسه) لابطال الجهاد في القرن الرابع عشر ... ثم حرض الحكومة على العمل بنصيحته والايعاز الى العلماء والائمة ان يكتبوا كتاباً في تقبيح الجهاد واثبات بطلانه



الجزء الحادي عشر من السنة الحادية عشرة

١ مارث (اذار) سنة ١٩٠٢ و ٢ ذو الحجة سنة ١٣٢٠

ملوك الشرق وامراؤه

٧ — زنجبار وسلطانها

﴿ زنجبار ﴾ هي لفظة مركبة من « زنج » و « بار » ويظن بعض مؤرخي الافرنج انها عربية ومعناها « بر الزنج » أي بلاد الزنج . ولكننا نرى هذا التركيب غير مألوف في العربية . والأغلب عندنا انها مركبة من « زنج » و « بار » في الهندية ومعناها « الباب » فيكون المراد باللفظ « باب الزنج » او مدخل بلاد الزنج كما يقولون « هندوبار » لسواحل بلاد الهند . ويؤيد ذلك ان البلدين متقابلان يفصل بينهما البحر والعلاقات التجارية قديمة بينهما . وزنجبار الآن اسم جزيرة من جزائر شرقي أفريقيا تجاه أملاك المانيا مساحتها ٦٤٠ ميلاً مربعاً وبها تسمى سلطنة زنجبار لان مقر السلطان فيها

كانت زنجبار في أوائل ادوارها تحت سلطة بعض قبائل الزنج سكان أواسط أفريقيا ولم يذكر عنها المؤرخون القدماء ما يشفي غليلاً لانهم قلما كانوا يعرفون عنها شيئاً قبل نزول البرتوغاليين فيها في القرن الخامس عشر للميلاد . على ان العرب اشاروا اليها في بعض رحلاتهم او تقاويمهم واكثر ما ذكروه يدل على جهلهم تلك

البقاع وانهم انما يرجمون بالغيب كقولهم « ووراء البحر الحبشي بحر الزنج وفيه العنبر » وأول من ذكر تلك الجهة ذكرًا صريحًا ابن بطوطة في رحلته الشهيرة في النصف الاول من القرن الثامن للهجرة — فبعد ان زار اليمن ولقي سلطانها المجاهد نور الدين رحل الى عدن فوصفها ثم وصف زيلع وبعد خمس عشرة ليلة وصل الى مقدشو ويسميها الافرنج (Magadoxo) وهي بلد على سواحل افريقيا الشرقية مما يلي بلاد الصومال. فوصفها ووصف سلطانها وقال « انهم يسمونه الشيخ واسمه ابو بكر بن الشيخ عمر وهو في الاصل من البرابرة » ووصف مقابلة السلطان له وذكر عوائدهم في ذلك وفي غيره قال « وركبت البحر الى بلاد السواحل قاصداً مدينة كلوا فوصلنا الى جزيرة منبسى وهي جزيرة كبيرة بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر ولا برّ لها واشجارها الموز والليمون والاترج ولهم فاكهة يسمونها الجمون وهي شبه الزيتون ولها نوى كنواه الا انها شديدة الحلاوة ولا زرع عند اهل هذه الجزيرة وانما يجلب اليهم من السواحل واكثر طعامهم الموز والسمك وهم شافعية المذاهب اهل دين وعفاف وصلاح ومساجدهم من الخشب محكمة الاتقان وعلى كل باب من ابواب المساجد البئر والبئتان وعمق آبارهم ذراع او ذراعان فيستقون منها الماء بقدح خشب قد غرز فيه عود رقيق في طول الذراع والارض حول البئر والمسجد مسطبة فمن اراد دخول المسجد غسل رجليه ودخل ويكون على بابه قطعة حصير غليظ يمسح بها رجليه . ومن اراد الوضوء أمسك القدح بين فخذيه وصب على يديه وتوضأ وجميع الناس يمشون حفاة الاقدام »

ويظهر من وصفها انها غير منبسة المعروفة بل هي تنطبق بالاكثر على جزيرة بما التابعة لزنجبار كما سيأتي — قال ابن بطوطة « وبتنا بهذه الجزيرة ليلة وركبنا البحر الى مدينة كلوا وهي مدينة عظمى ساحلية اكثر اهلها الزنوج المستحكمو السواد ولهم شرطات في وجوههم » . ثم ذكر سلطان كلوا وسماه ابا المظفر حسن وقال « وكان كثير الغزو الى ارض الزنوج يغير عليهم ويأخذ الغنائم فيخرج خمسها ويصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله تعالى ويجعل نصيب ذوي القربى في خزانة على حدة فاذا جاء

الشرفاء دفعه اليهم وكان الشرفاء يقصدونه من العراق والحجاز وسواها ورأيت عنده من شرفاء الحجاز جماعة » . ثم ذكر شيئاً من مكارمه الى ان قال « وركبنا البحر من كاوا الى مدينة ظفار » — قلنا — ومدينة كاوا ور ء زنجبار الى الجنوب فكأن الرحالة المشار اليه تجاوز هذه الجزيرة وعاد من سياحته هناك الى بلاد العرب ولم يمر بها ولا ذكرها ولكن لا يخلوان تكون يومئذ تابعة لسلطنة مقدشو في شماليها او سلطنة كاوا في جنوبيها وكلتاهما عريقة في الاسلامية — فقد ذكروا انه كان في بكاوا وحدها ثلاثمئة جامع وان مذهب اهلها الشافعية

وبعد مرور رحالتنا هذا بقرن وبعض القرن جاءها البرتوغاليون واليهم الرحلة في تلك الازمان فامتلكوا كاوا ثم منبسى ثم مقدشو وكل ما اليها وجزيرة زنجبار. وما زالت في ايديهم حتى استخرجها منهم ائمة مسقط (او مسكت) في القرن السابع عشر ولا تزال في ايديهم الى اليوم . وقد دخلت في حماية انكلترا في اواسط القرن الماضي كما يجيء.

﴿ ائمة مسقط ﴾ مسقط قصبة عمان في شرقي جزيرة العرب وجنوبيها . وقد انتاب سائر أقاليم بلاد العرب حروب كثيرة وتوالت عليها دول شتى بعد ظهور الاسلام وعمان قلما مسها شيء من ذلك . وحكامها قبيلة قحطانية تعرف بقبيلة اليعاربة الى اوائل القرن السادس عشر فاحتل مسقط البرتوغاليون . وفي اواسط القرن السابع عشر استرجعها امراء اليعاربة — ولا تزال آثار كنيسة البرتوغاليين وسرايهم ومنارتهم وبعض الابنية الاخرى ظاهرة في تلك المدينة . ظل الامراء اليعاربة مستقلين بحكومة عمان ينازعهم بها بعض القبائل الاخرى الى أوائل القرن الثامن عشر اذ ظهر نادر شاه الفاتح الفارسي الشهير الملقب بنابوليون الشرق فاكتسحها رجالهُ سنة ١٧٣٧ وامعنوا في أهلها قتلاً ونهباً . وظل العمانيون يئنون تحت نير الفرس أربع سنوات حتى أنقذهم رجل يمنيُّ الاصل يقال له احمد بن سعود من غير العائلة الحاكمة فحارب الفرس وجاهد جهاد الابطال في انقاذ عمان من سلطانهم حتى أتيح له ذلك . فجعله العمانيون اماماً عليهم سنة ١٧٤١ وهو جد أئمة مسقط ومنهم

سلاطين زنجبار . وقد اتسعت مملكة عمان في أيامه وأيام ابنه السيد سعود في أوائل القرن الماضي وانتشرت اعلامها على كثير من بلاد العرب ومعظم خليج فارس وعلى بعض سواحل افريقيا الشرقية وفي جملتها جزيرة سقطرة وجزيرة زنجبار وكان اليماربة قد امتلكوا بعضها في أواخر القرن السابع عشر

وفي سنة ١٨٠٤ قتل السلطان سعود فخلفه ابنه السيد سعيد فقاسى أموراً عظاماً من هجمات الوهابية من أهل نجد حتى خاف ضياع سلطانه بالكلية ولكنه تمكن من استبقاء عمان وحفظها من غاراتهم وثبتت سلطته في زنجبار وسواحل أفريقيا الشرقية. وقد حكم ٥٢ سنة فتوفي سنة ١٨٥٦ وعمان أزهى ممالك العرب . ولما توفي اقتسم مملكته اثنان من ابنائه فتولى أحدهما السيد مجيد مملكة زنجبار وتولى أخوه السيد ثوين مملكة عمان . وأصبحت زنجبار مملكة مستقلة من ذلك الحين . وكأن استقلالها احتاج الى مداخلة حكمدار الهند يومئذ اللورد كنين فحكم باستقلالها على هذه الصورة سنة ١٨٦١ وكان ذلك بدء سيطرة الانكليز عليها

وتوفي السيد مجيد سنة ١٨٧٠ فخلفه أخوه الاصغر السيد برغش وعرف بسلطان زنجبار . وكانت سلطته تمتد على جزيرتي زنجبار وبما وما يجاورهما من الجزر الصغيرة وعلى سواحل افريقيا من ورشيخ عند الدرجة الثالثة شمالاً الى خليج تنجي في الدرجة العاشرة جنوباً . على ان احكامه قلما كانت تسرى على ماوراء السواحل الا في بعض الطرق التجارية الى قلب القارة . على ان مطامع جيرانه الالمان والانكليز وغيرهم آلت الى اقتطاع تلك المملكة بأساليب مختلفة رويداً رويداً حتى توفي السيد برغش سنة ١٨٨٨ وسلطانه يكاد يكون محصوراً في جزيرتي زنجبار وبما . فخلفه ابنه السيد خليفة ولم تمض سنتان حتى انحصرت مملكة زنجبار بتينك الجزيرتين

وفي سنة ١٨٩١ تعين السير ماتيوس الانكليزي وزيراً لسلطان زنجبار فنظم حكومتها تنظيماً حسناً . وخلف السيد خليفة السيد علي بن سعيد عمه . وتوفي السيد علي سنة ١٨٩٣ فعهدت السلطنة الى ابن أخيه السيد حامد بن ثوين . وتوفي هذا سنة ١٨٩٦ فخلفه المرحوم السيد حمود بن محمد بن سعيد السلطان السابق



السيد حمود بن محمد بن سعيد — سلطان زنجبار السابق

وكان السيد حمود رحمه الله محباً للعدل راغباً في العلم ينشط اهله ادبياً وماديا كما أشرنا الى ذلك غير مرة في الهلال حتى فاجأه المنون في العام الماضي وابنه السيد علي بن حمود في مقتبل الشباب فخلفه وهو في السنة التاسعة عشرة من عمره . فوقع اختياره موقعاً حسناً لدى العالم الشرقي لما علموه من رغبته في اقتفاء آثار والده في تنشيط العلم وموازرة أهله مع دماثة اخلاقه وصدق نيته في خدمة بلاده

(أحوال زنجبار) مملكة زنجبار الآن مؤلفة من جزيرة زنجبار ويسميها الوطنيون أونكويا ومساحتها ٦٤٠ ميلاً وسكانها ١٥٠،٠٠٠ وجزيرة بمبا ومساحتها ٣٨٠ ميلاً وسكانها ٥٠،٠٠٠ فمساحة المملكة الزنجبارية نيف والف ميل مربع وعدد سكانها ٢٠٠،٠٠٠ نفس معظمهم مسلمون سنيون على مذهب الامام الشافعي ٠ واما السلطان وعائلته فمن فرقة الاباضية ٠ وفي زنجبار جماعة من الغرباء يتعاطون التجارة ونحوها فيهم ٥٠ انكليزياً و ٥٠ المانياً وبعض الامركان والفرنساويين والايطاليان وغيرهم — ولهم كنائسهم ٠ وهناك نحو ٧،٠٠٠ من الهنود تكاد تكون تجارة زنجبار محصورة في أيديهم

يقيم السلطان في مدينة زنجبار في الجزيرة المسماة بذلك الاسم ٠ وعدد سكان هذه المدينة ٣٠،٠٠٠ نفس

تجري الاحكام القضائية في مملكة زنجبار باسم السلطان ويتولى النظر فيها القضاة واما الافرنج فيتقاضون الى قناصلهم الا القضايا التي يكون فيها المدعي انكليزياً والمدعى عليه وطنياً أو من في حكمه ممن ليس لهم قناصل تدافع عنهم فانها تنظر بمحكمة السلطان

وكان راتب سلطان زنجبار يؤخذ بالاكثر من عوائد المحصولات وضرائبها واكثرها على الكبش القرنفل ٠ ثم ترتب ذلك على ان يكون للسلطان بيت مال خاص لا يختلط ببيت مال الحكومة وراتبه ١٢٠،٠٠٠ روبية في السنة (نحو ٢٤٠،٠٠٠ فرنك) يؤخذ ذلك من مجموع الضرائب وينفق الباقي في مصالح الشرطة والميناء والبلدية ٠ على انهم لا ينفقون مالاً الا بمصادقة وكيل انكلترا السياسي او قنصلها هناك ٠ جند زنجبار ٩٠٠ رجل ومنهم رجال الشرطة ٠ والضابط الاكبر انكليزي

تراجم مشاهير الشرق

في القرن التاسع عشر

الجزء الثاني

سيصدر الجزء الثاني من هذا الكتاب بعد بضعة أيام وفيه تراجم رجال العلم الذين نبغوا في الشرق في أثناء القرن التاسع عشر ومنهم رجال النهضة الاخيرة ورجال الصحافة والانشاء وسائر حملة الاقلام والشعراء وغيرهم

تاريخ الآداب الاجتماعية

في الممالك الاوربية

٥ — الايطاليان

{ الايطاليان القدماء } للعمران في أوروبا مهدان بلاد اليونان وايطاليا وقد كان للاثنتين شأن في تاريخ الدهور وحوادث العالم . ثم أناخ عليهما الدهر بكلكله فطمست معالمها وشاب مجدهما وتفرقت الكلمة بينهما الى ان عادت ايطاليا فتضامت وصارت مملكة واحدة وأمة واحدة للمرة الثانية في تاريخها لكنها لم تبلغ شأوها الماضي ولم ترق الى ذلك الاوج — ويبعد انها تبلغه في مستقبل الايام

ليس في التاريخ ما يشير الى الشعوب التي استوطنت ايطاليا في الدهور الاولى فان شكلها ومركزها جعلاها محطاً لرحال النازحين من الشمال والشرق والغرب فكثرت فيها القبائل على اختلاف أصنافها واندمجت فيها الاجناس الكثيرة . فمنها البلاسجي والسابلياني والاتروري واليونان الذين اتخذوا جنوبيها مقراً لهم وكثروا فيها حتى سميت تلك البلاد اليونان الكبرى تمييزاً لها عن بلاد اليونان الاصلية . على ان سكانها لم يختلطوا بالسكان الاصليين فترفعوا عنهم لما رسخ في نفوسهم من العظمة والميزة على سائر أصناف الناس

أما لغة ايطاليا القديمة فاللاتينية وهي احدى اللغات الآرية التي منها اليونانية . فاللاتينية واليونانية أختان شقيقتان وفرعا شجرة واحدة ووجه الشبه بينهما ظاهر جليّ

على ان الامة العظيمة التي اتخذت ايطاليا مقاماً لها ومدت شوكتها الى أطراف الارض هي الامة الرومانية التي كان لها شأن خطير في التاريخ وقد ملأ اسمها الارض ودان لسلطتها القاصي والداني وطأطأت الشعوب الرؤوس امامها هيبة واحتراماً — ولا ننوي في هذا المقام الاشارة الى وقائعها لان ذلك يستغرق المجلدات الضخمة فليراجع في موضعه

لكن للدول آجالاً لا تتخطاها فان دولة الرومان بعد ان زهت وأزهرت وامتدت عروقها في العالم بأسره عادت فانكمشت وغلبها على أمرها الغاليون سكان فرنسا والقوط وسواهم من قبائل الشمال التي كانت قد دوّخت بلادهم وأرهقتهم بحد السيف فانقرضت تلك السلطنة العظيمة التي نشرت تمدنها في الافاق . وعقبها في ايطاليا اللمبارديون ثم الغاليون والفرنج حتى قام شارلمان فوحد ممالكه وألف منها امبراطورية كادت تضاهي سلطنة الرومان في اتساعها على فرقٍ بين الاثنتين في العلم والعمران والتمدن والفنون فكان من ذلك ان خضعت ايطاليا لملوك جرمانيا زمناً طويلاً

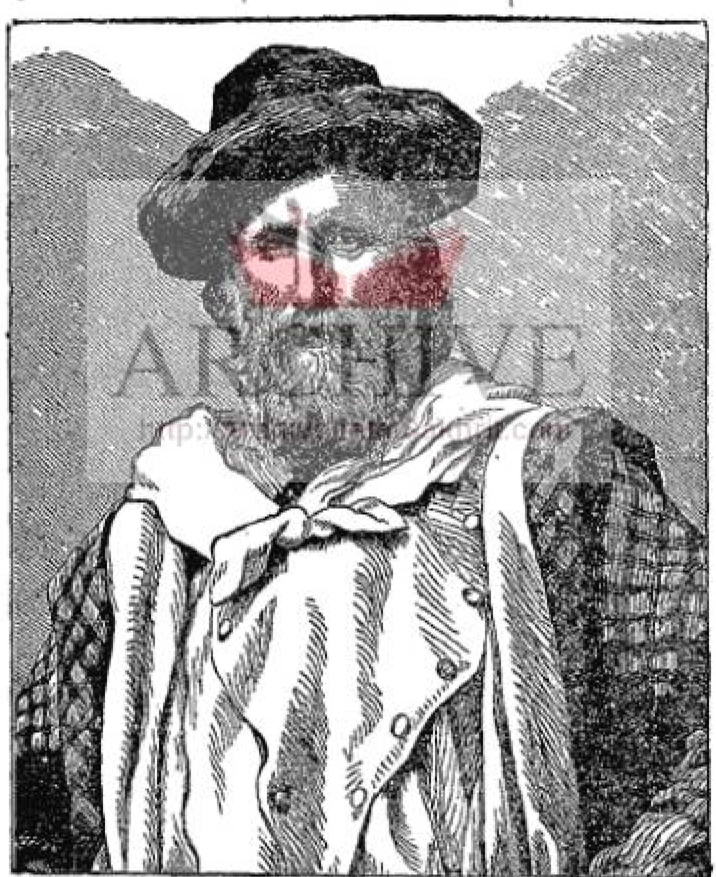
ومن ينظر في خريطة أوروبا يرَ ما لايطاليا من حسن الموقع التجاري وما لمرافئها من الميزة على غيرها لتوسطها في بحر الروم وسهولة اتصالها بداخلية أوروبا فنتج من ذلك ان نزع أهلها الى التجارة وأثرت مدنها كفنيسيا (البندقية) وبيزا وجنوا ورومية وتقاطر اليها التجار والصناع من كل حدب وصوب فزادت ثروة وغنىً . وكان خوف سكانها من غزوات المسلمين دافعاً لهم لبناء القلاع والمعاقل وتحصين المدن مما زاد في منعتها فأخذت تلك المدن تكتسب شيئاً من الاستقلال الاداري بفضل غناها ومنعتها حتى صارت منفردة بحكومتها تمام الانفراد وان أبقت على الاعتراف بسيادة الامبراطور الجرماني

ولا مشاحة في ان أوروبا مديونة لهذه المدن بما بث فيها من روح النشاط والعمل والتجارة وتحسين المواصلات وتنشيط أصحاب الفنون وذوي الحرف . على انها كانت مقراً للفساد ومعدناً للظلم والاستبداد كذلك . ومن يطالع المطولات في تواريخها يتضح له ما كانت عليه من سوء الادارة والاسترسال الى القصف والتهتك والخلاعة

وفي القرن الرابع عشر كانت النهضة العلمية المشهورة في ايطاليا فصرف القوم جل اهتمامهم الى الآداب والعلوم والتنقيب عن بقايا الرومان واليونان وسرى هذا الاهتمام الى أوروبا وهو فاتحة العصر الذي وصلت اليه — عصر الجد والاجتهاد والدرس والبحث

وكان لايطاليا شان كبير في حكومة أوروبا في تلك الاعصر بما صارت اليه البابوية من القوة والسلطة حتى تولت خلع الملوك وتنصيبهم . ثم استعرت في ايطاليا

الحروب الاهلية فجرت الدماء فيها كالسيول وقام الانكليز والفرنسويون والهولانديون ينازعونها في التجارة وملك البحار فانتابها الضعف وعادت الى الانحطاط وحل بها الفقر وتجرأ عليها جيرانها فاحتل الفرنسويون مملكة نابولي وصقلية وأخذ الجرمان فنيسيا ولعبت أيدي سبا بسائر الولايات فلم يبق سوى نسكانيا وأملاك البابا . ثم سلمت نسكانيا ودخلت أملاك البابا في حماية الاجانب حتى كان القرن التاسع عشر فهب الايطاليان يطلبون الاستقلال والتخلص من نير الاجانب وربقة الاستعباد فساعدتهم بعض دول أوروبا وكان لهم من الرجال نفر توفرت فيهم شروط الرجولية ككافور الوزير



غاريبلدي — القائد الايطالي الشهير

وغاريبلدي البطل المغوار فأجلوا الاجانب عن بلاد ابائهم والفوا بين الولايات الكثيرة

وعادت الوحدة الايطالية واستتب الملك لاسرة سافوس وهي مالكة البلاد اليوم

﴿ الايطاليان في العصر الحاضر ﴾ ينقسم الايطاليان اليوم الى فريقين أهل المدن وسكان الارياف وبين هؤلاء كثيرون من الاشراف والنبلاء الذين أخنى عليهم الدهر فاذاقهم مرارة الفقر بعد الغنى ولم يستطع ان يسلبهم عزة النفس وشممها . فانهم ياوون الى قصور أجدادهم بعد ان عراها الزمان من رياشها ومفاخرها وهم على جانب عظيم من الجهل والكسل يتناولون رزقهم من عقاراتهم المهملة وخير ما فيهم كرمهم وحبهم للضيافة

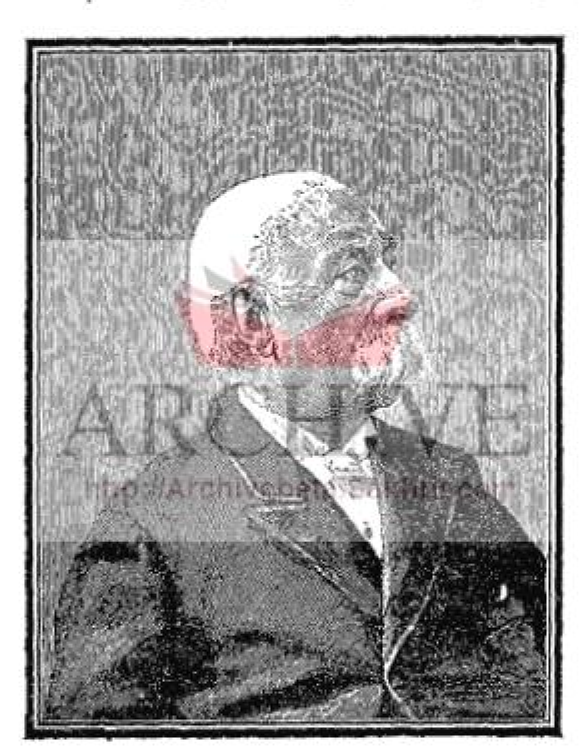
ويعيش الفلاحون في شظفٍ وقلةٍ وأخلاقهم خليط من الاستقلال وعدم الثبات فهم يرعون العهود ما زال لهم منها نفع ويعاملون أولادهم بالقسوة لكنهم يذرفون دموع الحزن لاحقر الاسباب . والتعليم بينهم ضعيف وهم محافظون على عاداتهم وتقاليدهم لا ينثنون عنها ولا يرون فضلاً في ادخال شيء من مبتدعات العصر . ويقول بعض العارفين ان الحكومة في تلك الاصقاع ليست على ما يرام من الانتظام وما تقدم من الاخلاق والصفات يدفعنا الى الجزم بان الاستعباد الذي عاناه الايطاليان أثر فيما توارثوه من الصفات الرفيعة عن أسلافهم فكان من ذلك هذا الخليط الغريب فيها

ونساء الفلاحين يشتغلن بتحضير الطعام وتجهيزه كيف اتفق وفي خياطة الملابس وهنَّ مغرمات بالتزين والبرقشة فلا يهملنها الاَّ لعلة . وهن على جانب عظيم من الغباوة وحكى بعض من رآهن قال انهن يقمطن الاطفال ويحكمن رباط الاقمطة على الخصر والفخذين بحيث لا يستطيع الطفل حراكاً ثم يحملنه تحت الابط متدلدلاً ولا يؤمن بطب الاطباء بل يأنسن الى طب العجائز . وبيوت الفلاحين قذرة ويغسلون حوائجهم وأمتعتهم ومواعينهم وينظفون بيوتهم مرة واحدة في السنة

وكانوا فيما مضي من الزمان يرتدون بالثياب المزوقة الغريبة الاشكال ولكنهم أبدلوا از ياءهم اليوم فهم يلبسون في أيام الاسبوع قميصاً طويلاً أبيض ويرتدون أيام الآحاد والاعياد بثياب مصنوعة على الزي الافرنجي صنع أيديهم وهي في غاية القبح ويضعون في برانيطهم ريش الطير او ازهارًا ويتمنطقون بقطعة من النسيج

الملون قد يدسون فيها خنجراً . ونساؤهم يرتدين بالثياب المبرقشة ويغطين رؤوسهن بمناديل الحرير الملونة و يكثرن من العقود والاقراط والفساطين (تنورة) حتى لقد يبلغ عدد فساطين الواحدة منهن في الاعياد ثمانية عشر فسطاناً

وأجور الفلاحين رجالاً ونساء بخسة جداً وطعامهم خشن بسيط فالخبز والفواكه ويندر ان يأكلوا البيض واللحوم وهم ميالون الى الطرب والرقص والغناء مغرمون بالالعاب لا سيما اليانصيب ولعب القمار اشبهوا بذلك الاسبانيول كما تقدم



كرسبي — وزير ايطاليا السابق

اما في المدن فالكسل داء الشعب ولذا ترى بينهم المتسولين حتى لا يستطاع عدهم في نابولي مثلاً . ولما كانت ايطاليا محطاً لرحال السياح من الاغنياء وكان هؤلاء لا يأسفون على دراهمهم فشت عادة الاعتماد عليهم بين الايطاليان . على ان هذه العادة

تنقص تدريجاً كلما خطت البلاد في سبيل النجاح والعمران واشتد ساعد الحكومة حتى تستطيع ان تضرب على أيدي عصابات الاشقياء الذين يطوفون في البلاد والجمعيات السرية الكثيرة التي باتت تتهدد سلامة المملكة وراحة شعبها

والاشراف في ايطاليا كثيرون لايحصيهم عدّ ويعلل عن ذلك بأن انقسامها الى ولايات عديدة في الماضي خوّل كل ولاية حق الانعام بالقاب الشرف على من شاءت من سكانها . فكان من ذلك عدد غفير كما أصبح شأن الالقاب لهذا العهد في بلادنا . لكن هؤلاء الاشراف في الغالب فقراء لايحبون العمل مما يحدو بهم الى التماس الرزق أحياناً من سبل غير محللة

على ان رقة الايطاليان ومجالستهم تشفعان بكثير من عيوبهم اذا لم تنته الى حد الافراط . ويتبين ان البلاد قد أخذت تنهض من سباتها الطويل فأصبح الكهنة أحسن حالاً من قبل والعلم آخذ بالانتشار والامة مهتمة الآن بتأسيس المدارس وقد نبغ في الايطاليان في العصر الحاضر جماعة من العلماء الاعلام ولا يبعد ان يستمر الاصلاح الى ان يتجلى عن تحسين عام في الامة

واشتهر الايطاليان بانطباعهم على الفنون الجميلة كالتصوير والنقش والموسيقى وقد نبغ فيهم مصورون تفردوا بمواهبهم في العالم المتمدن

وقد اندفع الايطاليان الى النزوح عن بلادهم فهم يهاجرون الى أميركا الجنوبية والشمالية وسائر بلاد أوروبا وشمالي افريقيا وشرقيها وهم بين بناء وعامل وصانع وخادم كثيرو العدد . ومما يمدحون عليه استعدادهم للاشتغال باية مهنة عرضت لهم فهم ينجحون حيث يموت غيرهم جوعاً ولايستطاع الجزم بعد فيما اذ كانت هذه المهاجرة مفيدة للامة والبلاد

على ان بينهم كثيراً من الجمعيات السياسية والاشتراكية وقد تمادى أعضاؤها في أطغيانهم مؤخراً حتى كادت البلاد توصم بوصمة عارهم . فانهم قتلوا في خلال بضع سنوات رئيس جمهورية فرنسا وامبراطورة النمسا ومليكهم العادل المحبوب امبرتو وحاولوا قتل غيرهم من العظماء أيضاً

﴿ الملحقات بايطاليا ﴾ يخالف أهل صقلية عن اخوانهم الايطاليان في هيئاتهم وأخلاقهم فهم أحدّ منهم طباعاً والطف وأرق من أولئك كرماء ظرفاء ومرجع هذا الفرق اختلاف في النسب فان اهل صقلية نسل اليونان والفينيقيين والعرب والنورمان والفرنسويين

أما جزيرة كورسيكا التابعة لفرنسا فسكانها ليسوا من الايطاليان ولا الفرنسويين فهم يتكلمون الايطالية لكنهم خاضعون لفرنسا وهم نسل اخلاط من الامم الكثيرة التي سكنت تلك الجزيرة والزراعة بينهم متأخرة واكثر العمال فيهم من الايطاليان وتاريخهم مملوء بالمشاحنات العائلية والخصام حتى ان الوالد يوصي أولاده على سرير موته بالانتقام من العائلة الفلانية ويعلمون أولادهم من الصغر حمل السلاح واتقان الرمي بالرصاص . فمن فاه منهم بكلمة قبيحة عن جاره اوما اختص به من متاع او حيوان فاجأه الجار بالرصاص أو بالخنجر حتى يأتي دوره فيباغته ذو ثار ويقضي عليه

وكان أهل سردينيا القدماء يحسنون البناء وقد خلفوا آثاراً ضخمة تشهد ببراعتهم وقد تغلب عليهم أمم كثيرة وخضعت جزيرتهم في القرون الوسطى لاسبانيا الى ان أخذها دوق سافوا الذي تسمى ملك سردينيا . وقد خلف الاسبان في تلك الجزيرة آثارهم في اخلاق القوم وعاداتهم وسحنتهم . والرجال يرتدون جبة من النسيج الاسود لا اكمام لها ويلبسون تحتها سراويل بيضاء ويغطون رؤسهم بقبعة سوداء ويتقلدون الاسلحة . والعداوات العائلية والثارات شائعة بينهم

اما سكان مالطة فأصلهم سامي وسلفاؤهم من الفينيقيين ولغتهم تؤيد صحة هذا القول فانها في الارياف سامية بحتة اما في المدن فقد امتزجت بالايطالية وغيرها . تولاَّها الرومان واليونان والمسلمون والنورمان وحكمها فرسان مالطة ثم دخلت في حوزة اسبانيا ووهبها الامبراطور شارلكان لفرسان القديس يوحنا ومنهم انتقلت الى الاتراك حتى كان أول القرن التاسع عشر فدخلت في طاعة الانكليز . ويغلب في المالطيين السمرة ورجالهم حسان ونساؤهم جميلات العيون والشعور وهم أصحاب جد وعمل لكنهم سريعو الغيظ كاهل سردينيا . واكثرهم من الكاثوليك شديدو التمسك بعقائد الدين ووصاياه وهم منتشرون على شواطئ البحر المتوسط

باب المقالات

الانتحار

الحاد والمزمن

الانتحار او قتل النفس قديم بقدم الانسان لانه من نتائج الضعف البشري والانسان ضعيف من فطرته . واقدم ما ذكروه من حوادث الانتحار مقتل شمشون في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد ومقتل شاول في أواسط القرن الحادي عشر على ماجاء في التوراة

واما حوادث الانتحار في التاريخ القديم فعديدة من افظعها ان فرقة من الجند الروماني على عهد ركوين الاول انتحرت كلها سنة ٦٠٦ ق م تخلصاً من عار توهموا انه لحقهم باوامر صدرت لهم ان يحتفروا أسرابا للاقذار العامة . وهناك حوادث اخرى انتحر فيها الملوك والقواد والفلاسفة وغيرهم

ومع ذلك فالشرائع اليونانية والرومانية كانت تعدُّ الانتحار من افظع الجرائم وكانت تحرق اليد التي تتعمد ذلك دون سائر البدن — فضلاً عن غضب الكنيسة على المنتحر لاي سبب كان . وكانت تحلل الاستيلاء على ماله وعقاره . ثم تعدلت تلك القوانين وتخففت فاكتفوا بصلبه على متصلب الطرق عبرة للناس . ثم تعدلت مرة أخرى سنة ١٨٨٢ ولكن المنتحر لايزال الى الآن يدفن ولا يصلون على جثته

وللعلماء بحث طويل في الانتحار واسبابه وعلاقته بالفصول والاعمار والمهن والبقاع والاجناس وغير ذلك . ووضعوا الاحصاآت المختلفة عن حوادث الانتحار في ممالك أوربا باعتبار الازمان . منها ثلاثة احصاآت لسنة ١٨٦٨ و ١٨٧٦ و ١٨٨٢ نلخصها في الجدول الآتي وفيها عدد الوفيات العامة في المليون وعدد المنتحرين منهم : —

	معدل الوفيات في المليون			عدد المنتحرين منهم		
	١٨٦٨	١٨٧٦	١٨٨٢	١٨٦٨	١٨٧٦	١٨٨٢
ايرلاندا	١٥,٨٠٠	١٧,٣٠٠	١٧,٣٠٠	١٦	٢٠	٢١
ايطاليا	٣٠,٦٠٠	٢٨,٨٠٠	٢٧,٥٠٠	٣١	٣٧	٤٩
سكوتلاندا	٢١,٣٠٠	٢٠,٩٠٠	١٩,٣٠٠	٣٧	٣٧	٤٤
انكلترا	٢١,٨٠٠	٢٠,٩٠٠	١٩,٣٠٠	٦٩	٧٣	٧٤
البلجيك	٢١,٧٠٠	٢١,٩٠٠	٢٠,٢٠٠	٧٥	٨٢	١٠٥
اسوج	٢١,٠٠٠	١٩,٦٠٠	١٧,٤٠٠	٨٨	٩٢	١٠٥
بافاريا	٣٣,٤٧٠	٣٠,٧٠٠	٢٨,٤١٠	٩٣	١٠٤	١٣٤
النمسا	٢٨,٥٠٠	٢٩,٨٠٠	٣٠,٨٠٠	٩٩	١١٤	١٥٨
فرنسا	٢٤,١٠٠	٢٢,٦٠٠	٢٢,٢٠٠	١٤٥	١٥٧	١٩١
بادن	٢٧,٤٣٠	٢٦,٧٦٠	٢٤,٤٠٠	١٤٦	١٧٨	١٧٧
بروسيا	٢٧,٤٠٠	٢٥,٥٠٠	٢٥,٢٠٠	١٥٢	١٥١	١٩١
دنمارك	١٩,٣٠٠	١٩,٧٠٠	١٩,٣٠٠	٢٨٥	٢٦٧	٢٥٥
سكسونيا	٢٩,٦٤٠	٢٧,٩٠٠	٢٨,٣٧٠	٣٢٥	٣٥٠	٣٧١

وقد رتبنا الممالك في هذا الجدول باعتبار عدد حوادث الانتحار فيها ليتبين الفرق بين الامم من هذا القبيل • فيظهر من مقابلة هذه الارقام ان الانتحار في ايرلاندا اقل مما في سائر ممالك أوربا • وفي سكسونيا اكثر مما فيها كلها • ويظهر بالاجمال ان سكان جزائر بريطانيا العظمى وايطاليا أقل تعرضاً للانتحار من سواها • ويظهر من هذا الجدول أيضاً ان حوادث الانتحار آخذة في الازدياد كل سنة عما قبلها

وقد بذل العلماء قصارى جهدهم في ارجاع هذه الفروق الى اسباب متصلة بالشعوب أو بالاقاليم أو بالازدحام أو بأحوال اخرى ولكنهم لم ينتهوا الى نتيجة قطعية • وبحث آخرون في علاقة ذلك بالجنس بين الذكور والاناث وبالسن بين الشباب والكهولة وبالمهن ودرجة التهذيب • فاتضح من هذه الجهة ان الانتحار اكثر في المتعلمين مما في سواهم ولذلك رأيناه

يتزايد بتوالي الاعوام

اما بالنظر الى الجنس فقد اتضح ان الانتحار في الاناث لايقلُّ عن ١٥ ولا يزيد على ٣٠ في المئة من معدَّل وفيات الانتحار في أي بلد كان وما بقي فهو من الذكور. ومع ذلك فانه يختلف باختلاف الامم فهو على معظمه تقريباً عند الانكليز فقد كان معدل وفيات الانتحار في نسائهم الى سنة ١٨٧٦ نحو ٢٦ في المئة من مجموع المنتحرين ثم أخذ في التناقص . وكذلك الحال في فرنسا . واما في بروسيا وسائر المقاطعات الجرمانية فمعدل الانتحار في النساء عشرون في المئة من مجمل الحوادث

اما السنُّ فتأثيره في الانتحار أقرب الى القياس والضبط ويؤخذ من الاحصاآت التي وضعوها في هذا الموضوع ان للسن تأثيراً في حوادث الانتحار يكاد يكون واحداً في كل الممالك مع اعتبار ما يشاركه من العوامل الاخرى التي تختلف باختلاف الاقاليم والامزجة وهاك جدولاً عن معدل حوادث الانتحار في انكلترا وويلس من سنة ١٨٥٨ — ١٨٨٣ باعتبار السن في الذكور وفي الاناث

عدد حوادث الانتحار في المليون باعتبار السن

السن	وفيات الذكور	الاناث	السن	وفيات الذكور	الاناث
١٠	٤	٣	٥٥	٣٩٦	١١٩
١٥	٢٦	٣٠	٦٥	٣٩٤	١١٣
٢٠	٦٢	٣٤	٧٥	٣٠٦	٠٨٥
٢٥	٩٩	٤٢	٨٥	٢٢٦	٠٤٦
٣٥	١٧٥	٦٢	المعدل في كل الاعمار	١٠٤	٤١
٤٥	٢٧١	١٠٣			

ويؤخذ من هذا الجدول ان وطأة الانتحار تتزايد بسرعة من سن العاشرة الى الخامسة والخمسين وتبقى على وتيرة واحدة تقريباً عشر سنين ثم تتناقص بغتة . ومما يستحق الذكر ان نسبة الانتحار في الاناث الى الاعمار تختلف عما في الذكور كما يتضح من مراجعة هذا الجدول

وللمهن تأثير على حوادث الانتحار ولكن تحقيق تلك النسبة صعب — على ان الدكتور اوكل صاحب هذا الجدول قد بذل العناية في استخراج ذلك في المدة من سنة ١٨٧٣ —

١٨٨٣ في انكلترا وويلس فجمع تسعة آلاف حادثة انتحار لاناس أصحاب مهن معروفة فوجد اكثر المهن تعرضاً للانتحار الجندية وحوادث الانتحار فيها تزيد على سائر الحوادث زيادة فاحشة — لعل السبب في ذلك اقتدار أصحابها على الانتحار في أي وقت كان لوجود الاسلحة معهم دائماً . ثم يأتي بعد الجند أصحاب النزل والخانات ممن يدمنون المسكرات . ثم رجال الطب والصيدلة والعطارة لسهولة توصلهم الى العقاقير السامة ومعرفتهم أنسبها للقتل بلا ألم . ولاحظ الدكتور أوكل أيضاً ان أصحاب المهن البدنية على الاجمال أقل تعرضاً للانتحار من اصحاب المهن العقلية . وبالجملة ان الانتحار في المتعلمين اكثر مما في اهل الجهالة — نقول ذلك مع الاسف الشديد

وللفصول تأثير شديد في الانتحار فقد تحققوا بالاحصاء والمراقبة انه اكثر حدوثاً في مايو ويونيو مما في سائر الاشهر . ويكاد ذلك يكون عاماً في كل الممالك الا في بافاريا وسكسونيا فان معظمه يقع في يوليو . ويظهر تأثير الفصول في الانتحار في الاناث اكثر مما في الذكور وخصوصاً في ايطاليا ويعلل ذلك بعضهم بان الاناث يفضلن الانتحار غرقاً وهذا ميسور لهنَّ في الصيف اكثر مما في الشتاء

وطرق الانتحار تختلف أيضاً باختلاف البلاد فالانكليز يفضل رجالهم الانتحار شنقاً ونساؤهم غرقاً . والايطاليان اكثر ما يكون انتحارهم باطلاق الرصاص والنساء بالغرق والبروسيان اكثر من نصف حوادث الانتحار عندهم بالشنق رجالاً ونساء . وهناك طرق اخرى لانخوض فيها لضيق المقام

قلنا — ولم يتأت لاحد ان يضع احصاء لحوادث الانتحار في بلادنا ولكن بالقياس على البلاد الاخرى يجب ان يكون ذلك المنكر قد تكاثر فيها من اواسط القرن الماضي ثم تزايد زيادة فاحشة في اواخر ذلك القرن . وسيتزايد في اوائل هذا القرن بناء على ما تقدم من علاقة تلك الجريمة بانتشار العلم وتزايدها بتزايد انتشاره للاسباب التي قدمناها . ولان التعلم وسائر وسائل الحضارة تضعف القوى البدنية وتزيد حساسة القوى العصبية فتتعاظم الانفعالات النفسية حتى تسدل على العقل حجاباً كثيفاً فيعمل صاحبه ما لا يعمله الا المجانين — والانتحار ضرب من ضروب الجنون وخصوصاً ارتكابه للاسباب التافهة التي قد لاتخرج عن اعتبارات وهمية لاحقيقة لها في الواقع — فالمنتحر اذا كان مصاباً بداء عضال لايرجو منه شفاء مطلقاً وهو يقاسي منه آلاماً مبرحة فلا يلام اذا أحب التخلص

من هذه الحياة وعجل أجله اياماً أو اشهراً وان كان ذلك مما لايجيزه الشرع ولا الدين

ولكن أكثر الذين عرفناهم من المنتحرين شبان في مقتبل العمر صحاح الابدان والعقول يرجون مستقبلاً مجيداً وقدحامت الآمال حولهم • فلا نعلل انتحارهم بغير الجنون الموقت — والاّ فيستحيل على عاقل ان يقدم على ارتكاب جريمة القتل في نفسه وهو اذا أراد احدٌ مسه بجارحة اعظم أمره وطالبه بعمله اما انتقاماً واما تقاضياً فكيف يقدم هو على قتل نفسه وفيه عقلٌ ؟

على ان المنتحر لايمدُّ تلك اليد الاثمية لهدم ذلك البناء المقدس الا وهو مقتنع بما يسوغ له ذلك وربما عدَّ عمله هذا فضيلة • على انه لو ابقى على نفسه وكاشف احداً بعزمه او تربص ريثما يعود الى رشده لرجع عن جنونه

واكثر ما نسمع به من حوادث الانتحار سببه الفقر او اليأس من النجاح او الفشل في بعض الاعمال او الخيبة في بعض الآمال• فالذي ينتحر فراراً من الفقر انما هو جبان ادى به اعتقاده العجز عن الارتزاق الى التخلص من الحياة بفعل منكر يفتقر الى اقدام أعظم كثيراً من مما قد يحتاج اليه الارتزاق • فلو انه بدلاً من اقدامه على قتل نفسه نشط للسعي في اسباب الرزق بالاسفار او الاخطار لكفى نفسه مؤونة هذا الذنب واختبر الحياة من وجه آخر — ولكننا لانعدُّ الانتحار اقداماً وانما هو جنون ناتج عن ضعف الارادة وانحطاط القوى الادبية

اما الذي ينتحر لفشل في امل فما أضيق مطامعه وما أقصر آماله — وما عليه اذا خابت آماله في جهة الا ان يحولها الى جهة أخرى ويعدَّ خيبته درساً استفاده في حياته الدنيا فلا يعود الى تعليق الآمال وحصرها في جهة واحدة او في شخص واحد اعتباراً بقول الشاعر :

لستَ الملوم أنا الملوم لانني أنزلت آمالي بغير الخالق

لا نستثني من ذلك ما يحدث من هذا القبيل في حوادث العشق ونحوه لان الحب مهما يكن من سلطانه على القلوب فالعقل لايزال يرقب سبله من قمة البدن فيستشرف حركات القلب ويهزأ بها ويعد اكثرها جنوناً — فلا يعدم الانسان بالعقل نذيراً في ساعة اليأس وما عليه الا ان يجيب انذاره بالتربص برهة ريثما يثوب الى رشده• والغالب في المتربص أن ينجو من الموت ويضحك مما مرَّ في ذهنه من هذا الشأن

ومن الاسباب المهيئة للانتحار بين شباننا مطالعة اقاصيص الانتحار في الروايات الغرامية المنقولة الى لساننا وفيها من ينتحر او يشرع في الانتحار لاسباب طفيفة وهمية ومؤلف الرواية يحسن ذلك العمل ويعدُّهُ من الفضائل . فاذا كان القارىء ضعيف الحكم انقاد بما تؤثرهُ عليه تلك الكتابة الى استحسان الانتحار والتشبه به عند الحاجة — فالانتحار فظيعة من الفظائع البشرية المحرمة شرعاً وادباً ولا يقدم عليها الا من مسهُ الخبل او غلب عليه الجبن والضعف

(الانتحار المزمن) على اننا نرانا بالغنا في اعظام عمل المنتحرين « الانتحار الحاد » — ونريد به قتل النفس الذي يرتكبه المرء عن حدة او غضب او يأس فيلتمس الموت العاجل — وقلّما النظر في « الانتحار المزمن » وهو قتل النفس على مهل ومرتكبوه يزيدون على اضعاف اولئك — ان بين ظهرانينا مئات والوفاً يقتلون انفسهم بعادات تتملك فيهم فتنخر عظامهم وتذيب اكبادهم وتقرح امعاءهم وتشوش اعمال ادمغتهم فتفسد ادابهم وتهدم منازلهم وتسقط بهم الى حضيض الذل والضعف — ولو اردنا تعداد الرذائل التي يعد مرتكبها منتحراً لضاق بنا المقام فنشير الى بعضها ونبدأ برأسها وهو المسكر « رأس المعاصي » — ألا تعدون السكير منتحراً وهو انما يستدني اجله بما يتعاطاه من تلك « الارواح الشريرة » فضلاً عما يأتيه من الاضرار في اثناء ذلك الانتحار « المستطيل » من القدوة السيئة وما قد يورث اولاده من العلل البدنية والعقلية كما فصلنا ذلك غير مرة

ومن ضروب الانتحار المزمن — الفحشاء وفي الاشارة اليها مايغنينا عن تدنيس القلم في تفصيل اضرارها

ومن قبيل الانتحار المزمن أيضاً « المقامرة » فان الاسترسال فيها يضعف البدن ويورث العلل ويفسد الاخلاق وكثيراً ماكانت المقامرة علة للانتحار

وقل نحو ذلك في سائر الرذائل على اختلاف ضروبها فانها مجلبة للاسقام والعلل وتنتهي بالموت . ومن يعمل الفكرة في ماجريات الطبيعة ير من النواميس الادبية الثابتة ان الذين يحيدون عن طريق الفضيلة يعرضون انفسهم للهلاك وينتحرون « انتحاراً مزمناً » وشواهد الحال اكبر دليل

عجائب المخلوقات

أصغر الطيور واكبرها — والعنقاء

في أقاليم المنطقة الحارة كثير من أصناف الطير تمتاز عن طيور سائر المناطق بالوانها الجميلة وأصواتها الرخيمة. وفي جملتها نوع صغير الحجم جداً اذا تطاير حسبته ياقوته مرسلة في الفضاء او شرارة منبعثة من بطارية. وقد لا يزيد حجم الواحد منها على حجم بعض انواع الفراش. وقد يتوهم الناظر اليه انه فراشة ذات الوان. وكثيراً ما يذهب هذا الطير فريسة نوع من انواع الرتيلاء القوية

واذا انتقلنا الى الطيور الكبرى اول ما يتبادر الى الذهن ان النعامة اكبرها كلها ولكنهم عثروا على بقايا طيور اكتشفها الاستاذ اوين في زيلاندا الجديدة نقلوها الى كلية الجراحة في لندن. ومنها بعض هيكل عظمي لطائر يسمونه الدينورنيس (Dinornis) ارتفاعه عشرة أمتار وعظم الفخذ في الانسان البالغ لا يزيد حجماً عن أدق عظامه. والدينورنيس قد انقرض من أجل غير بعيد وسكان زيلاندا يتناقلون خبره فيما بينهم كما كان يتناقل العرب خبر عنقاء مغرب. ونحن نعد خبر العنقاء خرافة لا حقيقة لها ولكن بالقياس على ما عثروا عليه في زيلاندا اصبح خبر العنقاء حقيقة تقادم عهدها وضاعت الآثار الدالة عليها. ولا يبعد ان يعثروا على شيء من آثارها في المستقبل كما عثروا على آثار الدينورنيس

ومن الطيور الهائلة أيضاً طير الابيورنيس (Epiornis) الذي كان في مداغسكر ويظن انه أعظم هامة من ذاك. فان بيضة من بيوضه في متحف باريس الآن وحجمها يزيد على ستة أضعاف بيضة النعام الكبرى. وقد حسبوا مقدار ما يساوي حجمها من بيوض الطيور الصغيرة فاذا هو نحو ١٢,٠٠٠ بيضة. ثخانة قشرتها مليمتران لا تكسر

الا بالمطرقة. فماذا عسى ان تكون قوة منسر فرخ الابيورنس عند محاولته الخروج من البيضة — وهو لا يخرج منها حتى يكسرها بمنقاره ؟

فاذا قدرنا حجم الابيورنس بالقياس على حجم بيضته كانت هامته ستة اضعاف هامة النعامة فاعتبر ذلك ليهون عليك تصديق قول العرب عن العنقاء — فقد قالوا فيها أقوالا كثيرة لا يخلو بعضها من مبالغة فاذا اخذناها على اجمالها هان علينا التسليم بانها من الطيور الحقيقية التي عرفها العرب ثم انقرضت — قال القزويني « العنقاء اعظم الطير جثة واكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحداة الفار » وقال ابو البقاء العبكري « ان أهل الرس كان بأرضهم جبل يقال له مخ صاعد في السماء قدر ميل وكان فيه طيور كثيرة وكانت العنقاء به وهي عظيمة الخلق لها وجه كوجه الانسان وفيها من كل حيوان شبهٌ وهي من أحسن الطيور وكانت تأتي الجبل في السنة مرة فتلتقط طيوره فجاعت في بعض السنين وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به ثم ذهبت بجارية أخرى »

فاستغرب الناس ذلك وبنوا عليه فساد الرواية وانها خرافة لا أصل لها . مع اننا سمعنا غير مرة بوقوع ذلك من طيور معروفة . فان بعض النسور يهاجم الصيادين في أعلى جبال الالب ويؤذيهم وبعضها يختطف الاولاد ويذبحهم على الجبال . وأشهر واقعة من هذا النوع جرت في فالي بالجبل الابيض سنة ١٨٣٨ وذلك ان فتاة اسمها ماري دليكس عمرها خمس سنوات كانت تلعب مع رفيقة لها على سفح ذلك الجبل فانقض عليها نسرٌ هائلٌ اختطفها وتشبث بمخالبه باثوابها وطار بها ولم يبال بصياح رفيقتها فسمع بعض الناس الصياح فتقاطروا حالاً فلم يجدوا من آثار ماري الا فردة من حذائها . وتتبعوا آثار النسر الى عشه فوجدوا فرخين حولها اكام من عظام الماعز والضأن ولم يجدوا آثار ماري بينها . وبعد شهرين اكتشف بعض الرعاة جثتها على نصف فرسخ من المكان الذي كانت تلعب فيه

وحدث سنة ١٨٦٨ في تبة بمسوري من الولايات المتحدة حادثة من هذا النوع رواها معلم احدى المدارس هناك قال « حدث في مدرستي حادث غريب لم نسمع بمثله .



النسر يحمل ماري ويكس

وذلك ان بعض النسور الكبرى قضى بضعة ايام لا ينفك عن اختطاف الحملان والخنازير ولم يخطر لنا انه يجسر على اختطاف الآدميين ولكنه انقض على التلامذة ذات يوم وهم يلعبون كالعادة واختطف ولدًا اسمه جمي كني وسنه ثماني سنوات وطار به فسمعت صوت الغلام يناديني ويستغيث بي فوثبت وقد تعاظم صياح التلامذة وعلا ضجيجهم . وكأن النسر تهيب او فزع فاطلق الغلام من بين مخالبه فسقط ميتًا وقد غرست مخالب النسر في لحمه »

وذكروا نسورًا هائلة خطفت رجالاً وهم نيام . واقوى النسور على ذلك يسمى في اصطلاح علم الحيوان جيباتوس (Gypætus) فهل يقال بعد ذلك ان العنقاء لفظ يدل على غير معنى ؟



مطبوعات جديدة

﴿ النخبة الازهرية ﴾ هو كتاب في الجغرافية لمؤلفه اسماعيل افندي علي مدرس علم تقويم البلدان بالجامع الازهر جعله أربعة أجزاء : الاول في عموميات الدنيا والثاني في مصر والحكومة السودانية والثالث في افريقيا وأوربا والرابع في اسيا واميركا واوقيانيا والاقاليم القبطية . وفي الجزء الاول ابحاث مفيدة في الجغرافية الرياضية والطبيعية والساسية والاقتصادية . وفي الجزء الثاني فصول ذات بال في جغرافية مصر الطبيعية وجغرافيتها السياسية وتقسيمها الاداري الى المحافظات والمديريات ووصف كل منها على حدة وذكر أشهر مدنها وما يقتضيه ذلك من ذكر الخطوط الحديدية على أنواعها . ثم جغرافيتها الاقتصادية وما ينطوي تحتها من ذكر الحاصلات على انواعها واصناف التجارة وفيها جداول مفيدة في صادرات القطر ووارداته ومقالة حسنة في نظام الحكومة المصرية . ثم باب الحكومة السودانية وجغرافيتها وهو باب جديد في العربية . وقس على ذلك موضوع الجزئين التاليين مما يطول شرحه . وبالجملة فان النخبة الازهرية اطول تأليف عربي في الجغرافية العامة يمتاز بما حواه من الخرط والاشكال ففيه ٤٧ خريطة ملونة تلوينا جميلاً و ٦٦ شكلاً لايضاح هيئة الارض وأقسامها وتمثيل بعض العادات والاخلاق . والكتاب ٦٥٠ صفحة بقطع كبير . وظهور هذا الكتاب في العربية خطوة مهمة في صناعة التأليف والنشر فنثني على حضرة المؤلف ثناء جميلاً

﴿ الافكار ﴾ اشتهر الدكتور سعيد أبو جمره بين قراء العربية بمانشره من الكتب الصحية التي لم ينسج على منوالها وتعد من دلائل النهضة الصحيحة في التأليف باللغة العربية . فضلاً عن مقالاته في المواضيع الاخرى العلمية والادبية التي ظهرت في المجلات والجرائد . ونظرًا لما آنسه من الاقبال الكثير على كتابيه وارتياح القراء الى مطالعة كتاباته أنشأ صحيفة عربية أخبارية صحية سماها « الافكار » تصدر في سانباولو بالبرازيل مرة في الاسبوع خطتها وطنية محضة والغرض منها « تقوية الرابطة الوطنية والمحافظة على الجامعة الشرقية » والدكتور أبو جمره معروف بين الجالية

السورية في العالم الجديد بغيرته على الشرق وأهله . وفي الجزء الاول من الافكار مقالة في الغرض من اصدارها وأخرى في خطتها ومواضيعها ثم بريد سوريا فبريد مصر فمقالة عنوانها أفكار سائح في الوطنية ستصدر تباعاً . ثم نصائح صحية وفيها عشر نصائح للمستحمين ثم باب الاخبار الخارجية فالاخبار المحلية فشذرات مختلفة وكل ذلك بعبارة سهلة . بدل اشتراكها ٢٠٠ غرش برازيلي في البرازيل و٢٠ فرنكاً في الخارج وهذا عنوانها Al-Afkar, Caixa do Correio 641 S. Baulo, Brazil فنرجو لها الثبات في خدمة الامة والوطن

﴿ مجلة السيدات والبنات ﴾ اعلنت حضرة المدموازيل روزا انطون ناظرة مدرسة البنات الاميركية في الابراهمية انها عازمة على انشاء مجلة نسائية بهذا الاسم لا تبحث الا في الشؤون المختصة بالنساء ولا تنشر الرسائل أو المقالات الا اذا كانت منهن وستجعل مباحثها بسيطة سهلة جامعة بين الفائدة والفكاهة . والصحافة العربية في افتقار كلي لمثل هذه المجلة والاقبال عليها يدل على رغبة الجنس اللطيف في ترقية شؤون الامة ومن أحسن نصفيها . ومتى صدرت هذه المجلة نوفيها حقها من التقريظ

﴿ قاموس اللغة العثمانية ﴾ اللغة العثمانية هي اللغة التركية بما دخل فيها من الالفاظ العربية والفارسية والافرنجية على نحو ما يتكلم بها الاتراك في الاستانة وغيرها من الممالك العثمانية — فهي لغة الدولة العثمانية . ومع كثرة ما تحت لوائها من العرب فان التآليف المساعدة على تعليمها لهم قليلة وخصوصاً المعجمات . وقد سد هذا النقص حضرة الشيخ محمد علي الانسي رئيس كتاب محكمة الحقوق في بيروت بمعجم سماه قاموس اللغة العثمانية يحتوي على الكلمات التركية والفارسية والافرنجية المتداولة في اللغة العثمانية وأغفل الالفاظ العربية لاستغناء ابناء العرب عن تفسيرها . وقد فسر الالفاظ الاخرى بما يحتمله كل لفظ من المعاني المختلفة فجاء كتاباً صفحاته ٥٦٤ صفحة في حقلين ويباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٦ قرشاً مصرياً وأجرة البوسطة قرشان

﴿ تقويم الازهر لسنة ١٣٢١ هـ ﴾ سيصدر هذا الكتاب من مطبعة الهلال وهو من حساب الشيخ محمد محمد عمر الاسطنهاوي الفلكي وفيه ما لا يوجد في سواه . وقد طبع على نفقة الشيخ احمد علي المليجي الكتبي فنحث الادباء على اقتنائه

المانيا وولي عهدها

﴿ الجرمان ﴾ نزح الجرمان من اعالي الهند كما نزح منها القلت والفرس والاكراد والبلاسجة وغيرهم من الشعوب الآرية . ونزل الجرمان في أعالي اوربا في القرون الاولى للميلاد كما فعل قبل ذلك البلاسجة والقلت وكما نزل الفرس والاكراد في العراقين وما وراءهما . فالجرمان والفرس والهنود والاكراد اخوة يستدل على ذلك من لغاتهم وآدابهم القديمة وكثير من عاداتهم واخلاقهم . وكانت الشعوب الجرمانية في اول نزولها اوربا قبائل رحل اهل غزو وماشية فسطوا على المملكة الرومانية من الشمال كما سطا عليها العرب من الجنوب . فاحتلوا اواسط اوربا ولكل قبيلة اسم خاص ولم يكن لفظ الجرمان يطلق عليهم وانما هو لقب لقبهم به الغاليون سكان فرنسا القدماء ومعناه في لسانهم القديم « الجيران » فسموا به بعض من جاورهم من الجرمان ثم اطلق على جميعهم

وكان الجرمان لما جاؤا اوربا يعبدون الاوثان ثم اعتنقوا النصرانية وتحضروا وانشأوا الممالك والدول وكان لهم شأن كبير في تاريخ اوربا بالقرون الوسطى . واول من تسمى امبراطورا فيها بعد الرومانيين « شارلمان » معاصر الرشيد العباسي . وهو جرماني تتوج رسمياً سنة ٨٠٠ م وتوالى على ذلك العرش بعده بضعة من اهله ثم انتقل الملك الى عائلة سكسونيا ففرنكونيا فعائلة هوهنستوفن وغيرها الى سنة ١٤٣٨ فتولى الملك عائلة هبسبورج ثلاثة قرون ونصف قرن تقريباً . حتى اذا ظهر الرجل العظيم الذي دوخ اوربا ووطئ اسيا وافريقيا في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر (بونابرت) فحل المملكة الجرمانية سنة ١٨٠٦ الى بضع وثلاثين مقاطعة يحكم كل منها حاكم . اعظمهم ملوك النمسا و بروسيا و بافاريا وسكسونيا وهنوفر وورتمبرج . وحكام سائر المقاطعات دوقات او برنسات . فصارت حكومتها الى تحالف بين تلك المقاطعات . ثم حصلت حرب انفصلت بها النمسا عن ذلك التحالف

وفي سنة ١٨٧٠ انتشبت الحرب المشهورة بين فرنسا و بروسيا وملك بروسيا

يومئذ وليم الاول من عائلة هوهنزولرن — ويتصل نسبها بقائد من قواد شارلمان اسمه الكونت تاسلو زولرن — فأنجدتها سائر المقاطعات الجرمانية عملاً بالتحالف المقرر بينها ففازت بروسيا وكان من عواقب ذلك الفوز ان المالك الجرمانية اتحدت كلها الى مملكة واحدة تحت سلطة وليم المذكور سنة ١٨٧١ وسميت مملكة المانيا وهو امبراطورها



الامبراطور وليم الاول — مؤسس مملكة المانيا

ولا تزال الحكومة في قبضة هذه العائلة الى الآن وامبراطورها الحالي وليم الثاني رجل اوربا . وولي عهده البرنس فريدريك وليم ضيف مصر في هذا الشهر فيستحسن الحالة هذه ان نأتي على شيء من مناقبهما



وليم الثاني — امبراطور المانيا الحالي

﴿ وليم الثاني الامبراطور الحالي ﴾ هو حفيد وليم الاول ويعد من اعظم رجال اوربا في هذا القرن فاذا خطب او كتب تبصر رجال السياسة في اقواله وبنوا عليها العلالي والقصور — على ان الاكثرين لم يدركوا كنه عظمته . فقد جمع في مناقبه الشخصية الشجاعة الادبية والبدنية مع شرف النفس وقوة العقل . وهو يعيش عيشين متباينين لانه امبراطور المملكة الالمانية وقائد جندها الاعظم وهو أيضاً أبو عائلة يحنُّ اليها و يعنى

باحوالها . وقد اشتهر بحبه لامرأته واحترامه لاقوالها حتى كثيراً ما يباحثها في بعض الشؤون السياسية كانه يستطلع رأيها ولكنها قلما تبدي رأياً في امر او تتداخل في شأن لا من قبيل البحث او على سبيل الاستفهام . لعلمها ان الملوك العظام وان تلطفوا في استشارة المقربين منهم يسوءهم ان يمس احدٌ دائرة نفوذهم

يقضي الامبراطور معظم يومه في مهام المملكة فينهض قبل الساعة الخامسة صباحاً فيغتسل ويلبس ثوبه الرسمي — ويندر ان يلبس ثوب البيت . ويؤثر عنه ان احد اصحاب المعامل اراد ان يصنع له ثوباً للبيت جميلاً فاجابه الامبراطور « ان آل هوهنزولرن يا صاحبي لا يلبسون ثوب البيت » — فاذا لبس ثوبه الرسمي بدأ بالعمل وبعد ساعة ونصف يجتمع بالامبراطورة على المائدة يتناولان الفطور . وهو عبارة عن الشاي واللبن والخبز والزبدة واللحم البارد والبيض فقط . وكان اولادهما وهم اطفال لا يجلسون معهما على المائدة فكانوا اذا حان وقت طعام والديهما اتوا غرفة المائدة لالقاء التحية عليه قبل ذهابه الى العمل

يقضي الامبراطور صباحه بتلاوة ما يعرضه عليه وزراؤه من الاوراق الرسمية ويقرأ المراسلات التي ترد من اقاصي المملكة ويسمع ما يعرض عليه من الاراء ونحوها . حتى اذا حان الغداء ذهب اليه وخصص بعد الظهر للنظر في احوال الجند ثم يركب مع الامبراطورة الى الحديقة ويعود للعشاء نحو الساعة السابعة مساء . ويندر ان تخلو مائدة العشاء من الاضياف لانه يحب محادثة اهل العلم والادب وذوي الاطلاع . فاذا انقضت ساعات العمل انقطع الى عائلته فانما همه ان يرى اولاده ويلاعبهم ويطرح عليهم الاسئلة او يقص عليهم القصص . ولا يعود من سفر الا ويحمل معه الهدايا الى كل منهم فتراه اذا وصل المنزل جيء بالصناديق وفيها الهدايا فيفتحها هو بيديه واولاده يحومون حوله حتى يفرق الهدايا فيهم

وللامبراطور من الاولاد ستة ذكور اولهم ولي العهد البرنس فريدريك وليم ولد سنة ١٨٨٢ واصغرهم البرنس يواكيم ولد سنة ١٨٩٠ واما الانثى فهي البرنسس لويزا وهي اصغرهم جميعاً ولدت سنة ١٨٩٢ والامبراطور يحبها بنوع خاص لانها

البنت الوحيدة ولانها اصغر الجميع مع ما هي عليه من الذكاء واللطف . ولذلك فهي الآمرة الناهية في بيت ابيها — قال الامبراطور مرة في عرض كلامه لبعض اخوانه عن اولاده « ان لويزا اذا خاطبتني تنسى انها تخاطب امبراطورًا ولكنها لا تنسى أبدًا انها ابنة الامبراطور »

وللامبراطور اهتمام خاص بتثقيف اولاده وتدريبهم على العيش الطبيعي والبساطة في المأكل والملبس منذ نعومة اظفارهم وتعويدهم الاعمال الرياضية كالملاحة والحركات العسكرية والمسابقة في الركض والوثب ونحو ذلك . وقد علمهم ان لا يخجلوا من مقابلة الغرباء كما يفعل معظم الاولاد وأن يخاطبوا الناس بالبساطة الطبيعية بلا تكلف

وقد تدرب الامبراطور وليم على الاعمال العسكرية منذ حداثته فنال رتبة ملازم وهو في العاشرة من عمره وانتظم في بعض الفرق يطيع الاوامر العسكرية وحركاتها مثل سائر ضباطها . ولا يزال مولعاً بالعسكرية الى الآن يحتمل اشق متاعبها من البرد والحر وغيرهما فاذا عاد من مناورة أو نحوها لا يهمه ما تراكم عليه من الغبار أو لحق به من التعب . ويؤيد ذلك قوله في أول خطاب تلاه عند تسنمه عرش المانيا « انا جميعاً للجند ونحن يد واحدة في الحرب والسلم . . ولا أنسى أن عيون اسلافي تنظر اليَّ من العالم الآخر واني مسؤول بين يديهم عن شرف الجند ومجده »

﴿ ولي عهد المانيا ﴾ هو البرنس فريدريك وليم بكر الامبراطور الحالي قدم هذا القطر في أوائل مارس الجاري وهو شاب في الحادية والعشرين من عمره . جاء هذه الديار سائحاً على أثر اتمامه دروسه المدرسية كما يفعل معظم أولاد الملوك في العالم المتمدن . ولكنه لم يأت بصفة رسمية فرارًا من الاحتفالات ومضايقاتها . وسيقيم هنا مع أخيه وبعض الحاشية بضعة أيام ثم يزور الصعيد ويشاهد آثار الفراعنة الذين اطلع على أخبار عظمتهم وسعة سلطانهم في كتب التاريخ . ثم يذهب لزيارة فلسطين وفيها أهم آثار الانسان حتى الآن . ثم يمر ببعض سوريا فالاستانة ومنها الى مملكة أبيه . وهو جميل الطلعة ذكي الفؤاد عالي الهمة واسع الاطلاع وقد تلقى العلم على أعظم العلماء في أشهر المدارس . ويندر أن يتأتى لاحد مثل ما تأتى له من وسائل التعليم بالنظر الى رغبة أبيه في ذلك بنوع خاص

فيكتور هوكو

وعلم الادب عند الافرنج والعرب

لكاتب فاضل

٩

كانت فرانسا في قديم الزمان تسمى أرض الغول وكان يسكنها قبائل الغولوا والسلت (القلت) من البربر المتوحشين. فلما استبحرعمران الرومانيين فيرومة وقويت شوكتهم ساقوا العسكر من ايطاليا على سواحل فرنسا الجنوبية واستولوا على اسبانيا لجودة الهواء والارض فيها وشكلوا في اطراف مرسيليا ومصب نهر الرون ولاية سموها بروفانس ومعناها الايالة وجعلوا عاصمتها مدينة اكس وهي في شمالي مرسيليا. وبنوا على الحدود الاسبانية مدينة نربون بالقرب من مستنقع على شاطئ البحر واتخذوها محطاً لرحالهم في سفرهم الى اسبانيا والى الحمامات المعدنية التي في جبال البيرينة. وقبل الميلاد بخمسين سنة تعين يوليوس قيصر واليا على بروفانس فوسع حدود الولاية وفتح ارض الغول والحقها باملاك الدولة الرومانية فصارت الولاة ترسل اليها من رومة ومعهم العسكر والمأمورون فنظموا ادارتها وفتحوا طرقها وعمروا فيها القلاع والحصون والمدن ونشروافيها شيئاً من حضارتهم ومن لغة عوامهم وهي اللغة اللاتينية الدارجة وادخل المبشرون بالمسيحية الدين فيها فصارت اللاتينية لغة الدين والدولة واستمرت بلاد الغول في أيدي الرومانيين نحو اربعمائة سنة. وحينما انقسمت دولة الرومان الى شرقية مقرها القسطنطينية والى غربية مقرها رومة وذلك في سنة ٣٩٥ م كانت فرنسا في قسمة الغربية ضرورة غير ان تسبب الولاة وضعف قوتهم العسكرية اباح لقبائل الجرمان التجاوز على أرض الغول والاستيطان فيها كما استوطن من قبلهم قبائل القوط والفاندال ارض اسبانيا وسموا الاندلس باسمهم فقالوا فاندالوسيا او أندالوسيا. ففي اوائل القرن الخامس للميلاد نزلت قبائل الويزي قوط في جنوبي

نهر لوار المار في وسط فرنسا والمنصب في المحيط بالقرب من مدينة نانت . ونزلت قبائل البورغوند في وادي الرون وجبال جورا ونزلت قبائل الفرنك في شمالي أرض الغول اي في بلاد البلجيك . ونزلت الالمان على ضفاف الرين العليا واستمرت حكومة الرومانيين محصورة وسط بلاد الغول على ضفاف نهر السين . غير ان القبائل النازلة سالموا الحاكم الروماني وقاتلوا تحت قيادته قبائل الهون الاسيوية وكانت قد هجمت على غربي اوروبا وخربت البلاد وأراقت الدماء فهزموا رئيسهم اتيلا سنة ٤٥٠ م امام مدينة شالون التي على نهر مارن . فلمت قبائل الهون شعثها وجمعت جموعها وفاضت على الممالك الرومانية في ايطاليا كالسيل الجارف واستولوا على رومة سنة ٤٧٦ م وابادوا ملكها . فتفردت قياصرة الروم في القسطنطينية بالحكم على الرومانيين واستقلت القبائل النازلة في ارض الغول وكان أشجعهم واقدمهم قبائل الفرنك فاستبدوا بالامر وطرد رئيسهم قلوفيس الوالي الروماني وقام مقامه في حكومة الغول وتزوج بمسيحية من البورغوند فنصرته هو وقومه ونصره الرهبان على قبائل البورغوند والويزي قوط فحكم عليهم واسس سنة ٤٨١ م الدولة التي سميت باسم جده « ميروفة » فقيل لها (ميروفينجيان) أي آل ميروفة وهي اول دولة من الافرنج ودام حكمها ثلاثة قرون . وحيث كان ملوك الافرنج يقسمون الملك بين أولادهم انقسمت دولة الميروفينجيان الى أقسام متفرقة فضعفت قوتها وتضعضعت وأصبحت ايام دخول العرب اليها منقسمة الى أربع ممالك يملكها ملوك من آل ميروفه

(١) اوستراسيا أي المملكة الشرقية وهي عبارة عن الالزاس واللورين وما جاورهما من ضفاف نهر الرين . ولم يكن لملكها من آل ميروفه نفوذ فيها بل كانت الكلمة فيها لاعيانها وكبيرهم دوق اوستراسيا ومقرهم مدينة مج

(٢) نوستريا أي المملكة الغربية وهي على ضفاف السين الى أورليان جنوباً وعاصمتها باريس وكذا أورليان والمالك عليها من سلالة ميروفنجيان اصحاب الملك الشرعي على عموم فرنسا

(٣) بورغونيا وهي على ضفاف الرون والسون وعاصمتها ديجون

(٤) اكيتانيا وهي ما بين جبال البيرينه ونهر غارون المنصب في المحيط بعد مروره بطولوز وبوردو . وكانت اذ ذاك تحت حكم الدوق أود الملقب بدوق اكيتانيا وهو من نسل ميروفه ومقره طولوز . وتسمى الايالة المحيطة بها لانغيدوق وما في جنوبها سبتيمانيا كما يسمى القسم الذي على ساحل الاوقيانوس المحيط غسكونيا وأطلق عليه في كتب العرب ارض غشكونية

ففي سنة ٦٨٧ م تداخل دوق اوستراسيا المسمى بپين دريستال في شؤون مملكة نوستريا لغفلة ملوكها من آل ميروفه واهمالهم مصالح الملك حتى اطلق عليهم اسم الملوك البطالين لقعودهم وتخاذلهم . وجعل بپين نفسه مشيراً للملك في باريس وأميراً للامراء في المملكة على مثال ما حدث في عهد الخلفاء العباسيين ثم انضمت اليهم بورغونيا فصار لدوق اوستراسيا نفوذ في أكثر المملكة وهيأ الامر لابنه شارل مارتل صاحب الوقائع مع العرب ولحفيده من بعده . فحقد على بپين الامراء من آل ميروفه لا سيما أود دوق اكيتانيا لتفوقهم عليه في الاصالة وشرف النسب

وقبل دخول الرومانيين ارض الغول كان لسكانها من قبائل الغولوا والسلت النازلين أرض بريطانية السن مخصوصة همجية فلما انتشر بينهم عسكر الرومانيين ومأموروهم ومن تبعهم من التجار والسوقة صاروا يتكلمون لغة عوام اللاتين وسوقتهم أي اللاتينية الدارجة ويلوكون بها السنتهم كما يلوك الزنجي لسانه بالعربية او السنغالي بالفرنساوية فلما استولت قبائل الفرنك على ارض الغول وطردوا منها والي الرومان اقتبسوا لسان اهلها وما لديهم من الحضارة الرومانية وضموا الى هذه اللاتينية المحرفة كلماتهم الفرانكية البربرية فظهر من هذا الاختلاط لغة سميت (رومان) وهي لاتينية سوقية تحرفت بلسان الغولوا والسلت ثم امتزجت بلسان الفرانك . وحيث كان اللسان والدولة تابعين لقانون واحد في الترقي والانحطاط والانقسام انقسمت لغة رومان بانقسام الدولة الى قسمين احدهما كان يتكلم به أهل الجنوب ويسمى (أوق) ومنه لسان بروفانسال المنسوب لايالة بروفانس وهو أقرب للسان الطليان والاسبانيول منه الى اللسان الفرنساوي الجديد . والثاني كان يتكلم به أهل الشمال ويسمى (اويل) . ثم

انقسمت لغة اهل الشمال الى لهجات متعددة غلبت على الجميع لهجة جزيرة فرانسا وهي الايالة التي عاصمتها باريس وتعممت في الولايات الشمالية حتى صارت اللغة الفرنساوية الحالية ثم انتشرت في الايالات الجنوبية حينما استولى عليها سنة ٩٨٧ م هوغ قابت مؤسس الدولة الثالثة من دول الافرنج في فرنسا . ولم تزل الحكومة الفرنساوية تسعى في نشرها وتعميمها واصلاحها الى يومنا هذا . ومع ما تصرفه من العناية في تعليمها لم يزل في اهل القرى من لا يعرف منها الكلمة الواحدة . ونزلتُ ذات يوم قرية من قرى الفرنساويين في جبال البيرينه فلم استطع التفاهم مع اهلها حتى جاءني رجل من القرية المجاورة وله تردد على الامصار الفرنساوية ومدنها العامرة

فالفرنساويون اخذوا لسانهم من قوم ليس لهم به قرابة جنسية وسموا انفسهم باسم قبيلة اجنبية من قبائل الجرمان الذين خرجوا من المانيا وتغلبوا على فرنسا واسسوا فيها حكومتهم وسموها باسمهم وتناسوا اسمها القديم وهو ارض الغول واسم سكانها الغولوا

ولما دخل العرب فرنسا كان اهلها يتكلمون لغات كثيرة همجية غير مدونة اذ كانت القراءة والكتابة باللسان اللاتيني الفصيح في فرنسا وفي عموم اوربا الغربية بما فيه انكلترة . فمن تلك اللغات التي لم تدون حينئذ لغة الباسك وكان يتكلم بها قبائل الواسكون سكان البلاد في قديم الزمان ومنهم سميت اكيتانيا بارض غسكونية . ولم يزل من المتكلمين بلسان الباسك نحو ١٢٠,٠٠٠ في فرنسا ونصف مليون في اسبانيا . ومنها لغة بروفانسال ولم يزل لها عدة لهجات (باتوا) يتكلم بها اهل القرى في الولايات الجنوبية وفي ضواحي مرسيليا . ومنها لغة بريتون وهي بقية لغة القلت او السلت ولم يزل من المتكلمين بها نحو مليون ونصف في شبه جزيرة بريطانيا غربي فرنسا . ومنها لغة فلاماند وهي نوع من الالمانية ولم يزل يتكلم بها نحو ١٦٥,٠٠٠ من سكان الحدود الشمالية . وغير ما ذكر من اللغات التي انقرضت بدون ان يبقى لها اثر في اللغة الفرنساوية كلغة اكيتانيا او بقي لها أثر فيما يسمونه باتوا من لغات أهل القرى اذ لكل ناحية باتوا مخصوصة بها لا يفهمها

أهل الناحية الاخرى بخلاف الامة العربية الدارجة فان المرسيني والاسكندروني والبيروتي واليافي والاسكندري والطرابلسي والتونسي والجزائري والطنجي يفهم بعضهم بعضاً بأدنى تأمل وأقل فكر مهما تحرفت كلماتهم وكذا أهل المدن في داخل تلك السواحل فلا يتعذر عليهم فهم لهجات بعضهم بعض مع انه لم يحصل عناية ولا همة في نشر اللغة العربية وتعليمها بل الهمم مصروفة في تلك البلاد العربية لنشر غير العربية من اللغات الاعجمية كالفرنساوية والانكليزية والطليانية والتركية . فبينما كانت فرانسا متفرقة الكلمة لغة وسياسة اذ دهمها العرب واستولوا على اكثرها

حروف المطابع العربية

ولجنة اصلاح الحروف المصرية

تهتم الحكومة المصرية الآن في اصلاح حروف مطبعة بولاق الاميرية او استبدالها بأحسن منها وقد عينت لجنة للبحث في ذلك فدونت اللجنة خلاصة ابحاثها في كراسة رفعتها اليها وقد جاءنا منها نسخة طلب الينا ابداء رأينا فيها فرأينا ان نمهد الكلام في ذلك بفذلكة في تاريخ المطابع العربية من حيث أشكال حروفها في أوربا والاستانه وسوريا ومصر ثم نبدي ما يعنُّ لنا من الملاحظة على تقرير اللجنة

﴿ حروف المطابع العربية ﴾ كان العرب قبل اختراع الطباعة يقتنون الكتب مخطوطة وكان للنساخ شأن عظيم وخصوصاً في أبان التمدن الاسلامي . فلما تقهقر ذلك التمدن قلت العناية في هذه الصناعة حتى اذا اخترعت الطباعة أصبح النسخ صناعة كاسدة

اخترعت الطباعة في أوربا في أواسط القرن الخامس عشر وللافرنج يومئذ عناية في آثار العرب ومؤلفاتهم فاستخدموها لطبع الكتب العربية في أوائل القرن السادس عشر في البندقية ولم ينقض ذلك القرن والذي بعده حتى انتشرت الطباعة العربية في

كل عواصم أوربا وكثير من مدنها وخصوصاً في رومية والبندقية وباريس ولندرا وفينا وليبسك وأوكسفورد ونحوها

ولا يخفى ان استخدام الحروف العربية في الطباعة أصعب كثيراً من استخدام الحروف الافرنجية بالنظر لاتصالها بعضها ببعض واختلاف شكل الحرف الواحد باختلاف موقعه من الكلمة . فاهتمت كل مطبعة في اصطناع الحروف على ما وصلت اليه يدها من الخطوط . ومن اشهر المطابع التي اصطنعت الحروف لنفسها مطبعة ميديسس وهي من أقدم مطابع رومية — اصطنع حروفها رجل اسمه روبرت كرانيون . ومن اشهر الكتب المطبوعة فيها قانون ابن سينا سنة ١٥٩٥ وهاك مثالاً من تلك الطبعة :

التعليم الاول وهو فصلا

الفصل الاول من التعليم الاول من الفن الاول من الكتاب
الاول من كتاب القانون في حد الطب
الفصل الثاني في موضوعات الطب

التعليم الثاني فصل واحد

(ش ١) حروف مطبعة ميديسس القديمة

وهو بعيد عن الجمال كما ترى ولكن بعض الذين أنشأوا المطابع بعدها حسنوه كثيراً

ومن أشكال الحروف العربية التي اصطنعها الافرنج حرف مطبعة باريس اهتم بحفرها العلامة سافاري دي بريف الشهير . وقد طبعت في باريس كتب كثيرة وانتقلت حروفها الى مطابع عديدة في أوربا وهي أقرب الى التناسب من حروف مطبعة رومية المتقدم ذكرها

وتلي حروف مطبعة باريس حروف مطابع لندرا وأوكسفورد فان الانكليز أنشأوا غير مطبعة هناك واصطنعوا حروفاً على قاعدة خاصة يدل شكلها على قصر معرفة راسميها بقواعد الخط العربي ولكن هذه المطابع نشرت كتباً عربية خدمت بها اللغة العربية خدماً ذات بال وفي الشكل الثاني مثال من مطبعة لندرا

٤ طوبى للرجل الذي جعل الربَّ متَّكلهُ ولم يلتفت الى الغطارس والمنحرفين الى الكذب .

٥ كثيراً ما جعلتَ انت ايها الربُّ الهي عجائبك وانكارك من جهتنا . لا تُقومْ لديك . لاخبرنْ واتكلمنْ بها . زادت عن ان تُعدّ .

(ش ٢) حروف مطبعة لندرا

ولو أردنا تعداد أشكال الحروف في مطابع أوربا العربية لطال بنا المقال فنكتفي بما تقدم على سبيل المثال ونلتفت الى الطباعة العربية في الشرق فنرى ان الاستانة أسبق مدن الشرق الى استخدام الحروف العربية . فقد ظهرت الطباعة فيها في أوائل القرن الثامن عشر وكانت حروفها في أول الامر على شكل الحرف الباريسي لان مؤسس المطبعة الأولى في الاستانة اقتبس الرغبة في انشائها من باريس وكان قد أقام فيها وشاهد مطابعها العربية . ثم عني عبد الرحيم افندي بصب حروف جديدة هي أساس قاعدة الحرف الاسلامبولي المشهور . ثم اتقنت هذه القاعدة نحو سنة ١٨٧٣ وقلما حصل فيها تعديل بعد ذلك

وتلي الاستانة بالطباعة العربية سوريا فقد ظهرت الطباعة في حلب سنة ١٧١٧ ثم في الشوير ثم في غيرهما وحروفها كلها منقولة اما عن حروف رومية أو عن حروف باريس — وخصوصاً مطبعة الشوير فان حروفها مأخوذة عن حروف رومية . فلما انشئت مطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس في بيروت سبكوا لها حروفاً تشبه حروف مطبعة الشوير مع بعض التحسين

ثم انشئت المطبعة الاميركانية الشهيرة وقد تأسست أولاً في مالطة سنة ١٨٢٢ وطبع فيها عدة كتب تحت مناظرة المرحوم الشيخ أحمد فارس الشدياق وحروفها على قاعدة حروف مطابع انكلترا . وفي سنة ١٨٣٤ نقل المرسلون لاميركان مطبعتهم الى بيروت وحروفها ظلت كما هي الى سنة ١٨٣٨ فاهتم المرحوم عالي سمث اصطنع

حروف جديدة فاستخدم أحد كتبة الاستانة فكتب له حروفاً جميلة سبكها في لايبسك بمساعدة المستر هالك — وهي الحروف الاميركانية المشهورة . وقد ذاع صيتها وانتشرت مطبوعاتها في انحاء العالم العربي والناس مجمعون على انها أجمل حرف عربي طبع به الى ذلك الحين وبه طبعنا الهلال من أول انشائه الى السنة الماضية . ونحو سنة ١٨٨٦ عني الشيخ ابراهيم اليازجي صاحب الضياء باصطناع القاعدة المعروفة بالحرف الاسلامبولي الشامي على اقيسة مختامة وأساسها الحرف الاسلامبولي المتقدم ذكره . وهي القاعدة التي تسبك بها معظم حروف المطبعة الادبية الشهيرة في بيروت . واكثر جرائد مصر والشام وأميركا تطبع بحروفها . واصطنع الشيخ اليازجي بعد قدومه مصر حرفاً على تلك القاعدة قياسه وسط بين الحروف الكبرى والصغرى التي تسبك في بيروت فشاع استعماله في المطبوعات المصرية وفي جملتها الهلال هذا العام ومنه هذه المقالة

وفعل نحو ذلك أيضاً الآباء اليسوعيون بعد انشاء مطبعتهم في بيروت فقد طبعوا فيها كتباً كثيرة وكانت حروفها من الشكل الباريسي ثم استخدموا الحرف الاميركاني سنة ١٨٦٨ ثم اصطنعوا لها حرفاً خاصاً بها اساسه أيضاً القاعدة الاسلامبولية وبها يطبعون كل مطبوعاتهم وفي جملتها الكتاب المقدس وهو حرف متقن جميل

اما مصر فأول من أدخل الطباعة اليها نابوليون بونابرت لانه احتاج في تدويخه وادي النيل الى نشر المنشورات والاوامر فاستخدم لذلك مطبعة عربية حمل حروفها من باريس واستخدمها في أثناء احتلاله . فلما خرج الفرنساويون من مصر سنة ١٨٠١ م ذهبت العناية بها وأمحت آثارها حتى أسس المغفور له محمد علي باشا الكبير مطبعة بولاق سنة ١٨٢٠ فاصطنع لها حروفاً على قاعدة خاصة عرفت بقاعدة مطبعة بولاق أو القاعدة المصرية وهي أساس كل ما اصطنع من الحروف للمطابع التي أنشئت بعدها في مصر الى أواخر القرن الماضي اذ شاع استخدام الحروف المسبوكة في سوريا والاستانة وفيها الاسلامبولي والاميركاني

﴿ عدد الحروف ﴾ الابجدية العربية ٢٨ حرفاً فلو كانت تكتب منفصلة

كالحروف الافرنجية لما زاد عدد ما تحتاج اليه الطباعة منها على هذا العدد يضاف اليه الارقام والحركات فلا يزيد ذلك كله على خمسين حرفاً ترتب في صندوق صغير كل حرف في عين وتجمع منها الكتب على أهون سبيل . ولكن الخط العربي متصل متداخل .متراكب على أسلوب خاص لايقاس بالخط الافرنجي فاقتضى اتصاله وتراكبه وتداخله ان يختلف شكل الحرف الواحد منه باختلاف موقعه من الكلمة . فالحاء المنفردة (ح) تكون في أول الكلمة (حـ) وفي وسطها (ـحـ) وفي آخرها (ـح) ولبعض الحروف شكل واحد في الوسط والآخر وشكل آخر للاول والانفراد كالدال مثلاً فانها (د) في اول الكلمة ومنفردة و (ـد) في وسط الكلمة وآخرها

فاذا اعتبرنا هذه الاختلافات فقط خيل لنا انه يكفي للطباعة العربية أقل من مئة حرف — وقد يجوز ذلك لولا ما تتطلبه الصناعة من اعتبار الرونق والجمال في مظاهر المصنوعات . فاذا نظرت الى الخط العربي الجيل رأيت للحرف الواحد في الموقع الواحد من الكلمة عدة أشكال باعتبار الحجم والارتفاع ونحو ذلك . فالباء الواقعة في أول الكلمة يختلف شكلها في « بيت » عما في « بحر » وتختلف في هذه عما في « بن » وفي « بما » و « بها » وغير ذلك . ويختلف موقع كل منها باختلاف ما يتبعها من الحروف كما رأيت في باء « بحر » فانها أعلى موقعاً من باء « بيت » فضلاً عن اختلافها في الشكل عنها وكذلك الباء في « بهجة » فانها مثل باء « باب » ولكنها أعلى منها وكذلك باء « بحر » فأعلى منها باء « بحج » . وقس على ذلك مثل هذا الاختلاف في الباء الواقعة في الوسط فانها في « سبت » غير ما في « لبن » او « تبر » وفي هذين غير ما في « البحر » وهذه أعلى منهما

وتختلف هذه التنوعات أيضاً باختلاف الحرف فهي في الباء وما يصحف عنها وفي الميم اكثر مما في سائر الحروف . فاضطر صانعو الحروف ان يجعلوا لها أقيسة يعبرون بها عن مقدار ارتفاعها فقسموا مسافة السطر من الاعلى الى الاسفل الى عشرة أجزاء ومعظم الحروف واكثرها استعمالاً تقع في الوسط كالحاء والراء في « بحر » فانهم يعبرون عنهما بقولهم « حاء على خمسة » و « راء على خمسة » أي في الوسط . ويندر في الحروف ما يقع تحت خط

الوسط . وأما ما يقع فوق هذا الخط فقد قسموه الى أربعة أجزاء قياس كل منها واحد وربع فالباء في « بمبم » يقال في اصطلاحهم انها على ستة وربع والباء في « بمج » على سبعة ونصف وباء « تجبي » على عشرة وهي أعلاها جميعاً

وتختلف تنوعات كل حرف أيضاً باختلاف القاعدة فهي في القاعدة الاميركانية اكثر مما في الاسلامبولية وفي هذه اكثر ممـا في المصرية . فعدد تنوعات الباء في القـاعدة الاميركانيـة ١٤ وهي « ب ـب ! ! ! ! ! ! ! ! ! ! بي بي » وفي الاسلامبولية ١٣ وهي « ب ب ! ! ! ! ! ! ! ! ! بي بي »

وهناك سبب آخر لتعداد حروف الطباعة لا دخل له في اشكال الحروف ولا مواقعها وانما يراد به وقايتها في اثناء استعمالها ويكون ذلك بالاكثر في الحروف الدقيقة كالالف والباء والتاء والثاء والنون والياء واللام والميم في أوائل الكلم وأواسطها فانها دقيقة الجسم تنضغط بالاستعمال القليل ويتمثل سطحها عن سائر الحروف فلا تظهر في الطبع او انها تنكسر لاقل سبب . وملافاة لذلك اصطنعوا حروفاً مزدوجة تتركب من هذه الحروف وما يكثر وروده معها من الحروف الاخرى أو من رفيقاتها مثل اللام والميم في أول الكلمة « لمـ » وفي أواسطها « ـلمـ » وقس على ذلك ـيـ و ـنـ و بجـ و لحـ ولا و نم وكا ولة وغيرها . وهذا النوع من التركيب اكثر في القاعدة المصرية مما في سائر القواعد ولذلك بلغت أشكال حروفها في الصندوق ٩٠٠ شكل اي نحو أشكال القاعدة الامركانية مع ان اشكال الحروف نفسها في هذه القاعدة باعتبار الشكل والوضع اكثر من تلك كثيراً . واما زيادة حروف مطبعة بولاق فبالاحرف المركبة وهي كثيرة جداً فيها ممـا لا وجود له في الصندوق الامركاني . واما الحرف الاسلامبولي الشامي فان قاعدته وسط بين الاثنين ولا تزيد أشكال الحروف في صندوقها على ٧٠٠

﴿ لجنة اصلاح الحروف ﴾ قد رأيت مما ذكرناه ان الطباعة العربية تقدمت في اثناء القرن الماضي تقدماً حسناً في سوريا ومصر وتحسنت حروف مطابع الشام كثيراً للاسباب التي قدمناها . وأما الحروف المصرية فظلت على قاعدة واحدة تقريباً منذ

تأسيس مطبعة بولاق حتى الآن فرأت الحكومة المصرية اصلاحها أو استبدالها بما هو أحسن منها مع مراعاة قواعد الاقتصاد التي يجب اتباعها في مثل هذه الحال فشكلت لجنة أعضاؤها شيلو بك مدير مطبعة بولاق والشيخ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية وأمين بك سامي ناظر المدرسة الابتدائية ومدرسة المعلمين واحمد بك زكي سكرتير ثاني مجلس النظار ورئيسها ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية. وانتدبت اللجنة المذكورة شيلو بك وزكي بك لتفقد أشهر مطابع أوربا لدراسة الموضوع فزارا اشهر المطابع والمسابك هناك . وكانت مهمة صديقنا زكي بك متعلقة على الخصوص باختصار صندوق الطباعة وتسهيل جمع الحروف فلما عاد من أوربا كتب اعماله في الكراسة التي نحن في صددها. وخلاصتها انه اختصر عدد الحروف المستخدمة في مطبعة بولاق الى أقل مما استطاعته المطابع الى اليوم. وأقل المطابع العربية حروفاً اليوم مطبعة اكسفورد عدد حروفها ٢٨٢ حرفاً فجعلها زكي بك ١٧٨ منها ١٣٢ حرفاً و ٩ أرقام و ٢٤ حركة و ١٣ علامة للوصل والوقف والاملاء — وكيفية اختصاره الحروف انه اكتفى بالحروف الوسط (على خمسة) أي غير المتراكبة او المتداخلة . وهي موجودة في كل صندوق على اي قاعدة من القواعد المعروفة ولكن عمال الطباعة لا يكتفون بها التماساً لجمال الحروف اذا كانت متراكبة كما قدمنا . فالصندوق المجموعة منه هذه المقالة يمكن استخدامه للجمع البسيط على رأي زكي بك فضلاً عن استخدامه لما هو موضوع له على اصول الصناعة . وايضاحاً لذلك نأتي بمثل نقابل فيه بين الطريقتين ببيت من الشعر نجمعه من هذا الحرف على الطريقتين

(١) الطريقة الاعتيادية

وإني حين تشتجر العوالي أعيد الرمح في أثر الجراح
وأجمل من حياة الذل موت وبعض العار لا يمحوه ماح

(٢) طريقة زكي بك

وإني حين تشتجر العوالي أعيد الرمح في أثر الجراح
وأجمل من حياة الذل موت وبعض العار لا يمحوه ماح

فترى بين « تشجر » و« تشتجر » وبين « الرمح » و« الرمح » و بين « الجراح » و« الجراح » و« أجمل » و« أجمل » و « يمحوه » و« يمحوه » فرقاً واضحاً بشكل الكلمات . وأهل صناعة الخط يعلمون ان الطريقة الجارية أقرب الى الجمال

وقد ذكر زكي بك في تقريره المشار اليه مميزات طريقته وأهمها (١) ان الحروف تكون فيها متناسقة تناسقاً هندسياً في كل السطور على استواء واحد (٢) ان الحركات يمكن تعيين مواضعها فوق الحرف المراد تشكيله اكثر مما في الطريقة القديمة لتراكب بعض الحروف فيها (٣) انها تستوجب السرعة في العمل والاقتصاد في وقت العمال فتقل أجرة الجمع ويسهل نشر المطبوعات. وقد الحق بالحروف العربية علامات اقتضاها التمدن الحديث اقتداء بلغات الافرنج كعلامات الاستفهام والتعجب والوقف القليل والمتوسط ونحو ذلك وهي خدمة جليلة

أما التناسق الهندسي فهو كما قال حضرته تماماً . ولكن التناسق غير الجمال لان الجمال يقوم بالخطوط المنحنية أكثر مما بالخطوط المستقيمة. وقد نغضي عن هذا الجمال اذا توسمنا مقابل ضياعه فائدة ذات بال — وأهم ما يرجى من فوائد هذا المشروع « الاقتصاد » فانه مرجع الاختراعات الصناعية على الاطلاق وأساسه اقتصاد الوقت. ومن رأي حضرته انه يقتصد بطريقته هذه نحو ٢٥ في المئة من الوقت . فلا ندري اذا كان قد بنى قوله هذا على الاختبار المحسوس . والا فاننا لا نرى رأيه في ذلك لان جامع الحروف اذا وقف امام الصندوق ليجمع كلمة مؤلفة من عشرة أحرف مثلاً لا بدّ له من ان يمد يده الى الصندوق عشر مرات فالوقت اللازم لجمعها واحدٌ في الحالين . وقد يُعترض علينا ان الحروف في الطريقة الجديدة متقاربة لاجتماعها في صندوق واحد بين يدي العامل فلا يحتاج الى بسط يده مثل بسطها في الطريقة الاخرى . فالجواب على ذلك ان الحروف في الطريقة القديمة مرتبة على أسلوب تجتمع فيه الحروف الاكثر وروداً في مكان أقرب الى يد العامل وتبتعد عنه كلما ندر استعمالها وقد لا يمد يده الى « الحروف » البعيدة الا مرة كل عشر مرات . فاذا حسبنا ذلك البعد يضاعف الوقت اللازم لالتقاط ذلك الحرف كان الفرق

بين الطريقتين نحو خمسة في المئة . ولكن في الطريقة القديمة اقتصاداً نكتسبه من الاحرف المركبة يعوض عن ضعفي هذا الفرق . فلو أراد العامل جمع هذه الجملة مثلاً « لجنة تحسين الحروف » على الطريقة الجديدة لاقتضى ان يمد يده الى الصندوق ١٥ مرة وأما على الطريقة القديمة فيكفي ١٢ مرة لاسباب تقدم بيانها . وزد على ذلك ان الحروف المجموعة على الطريقة الجديدة تشغل مكاناً اكبر من المجموعة على تلك بنحو العشر لعدم تراكب الحروف او تداخلها — وهو تفريط في المكان يشبه التفريط في الزمان

وأما مواضع الحركات فالالتباس فيها نادرٌ واذا خيف الالتباس في بعض الكلمات فيمكن جمعها من الحروف المتوسطة لانها موجودة في كل الصناديق كما قدمنا

على اننا لا نريد الاعتراض على تقليل عدد الحروف بل نحن معضدون لذلك الرأي شاكرون للساعين فيه . ولكننا نفضل تقليلها مع استبقاء رونقها وبدلاً من ان يكون عددها ١٧٨ يزاد الى ضعفي ذلك وهذه الزيادة لا تؤثر شيئاً في الاقتصاد المطلوب ولكنها تزيد رونق الخط وتريح النظر

ومما يجب الانتباه له في هذا المقام ان الخط يتوقف جماله على شكل كل حرف على حدة كما يتوقف على نسبة تلك الحروف بعضها الى بعض . وللخط العربي قواعد مقررة لرسم الحروف فيقيسون طولها وعرضها والمسافات بين اطرافها بالنقطة وعلى ضبط هذه المسافات بالنسبة بعضها الى بعض يتوقف جمال الخط . وقد استدرك صاحب المشروع ذلك بقوله « لا يجوز ان يقوم فرد واحد بكتابة الحروف المطبعية الجديدة بل أرى من الواجب ان يشترك جماعة من أشهر الخطاطين الماهرين ليتعاونوا على انجاز هذا العمل الدقيق » ونزيد على ذلك وجوب العناية في انتقاء من يحفر تلك الحروف على الفولاذ ومن يضربها على النحاس فان لضبط الحفر والضرب أهمية عظمى . ولا نعرف من اتقن هذه الصناعة في عالم الطباعة العربية كما اتقنها الشيخ ابراهيم اليازجي فقد امتاز بدقة صناعة يده مثل امتيازه بدقة صناعة قلمه فعسى ان تنتفع الحكومة المصرية بمواهبه

ومما نذكره من حسنات هذا المشروع ادخال العلامات والاشارات للتعبير عن بعض الاغراض البيانية كالتعجب والاستفهام والاملاء ودرجات الوقف ونحو ذلك . وقد يتبادر الى الذهن ان استخدام امثال هذه العلامات خاص بلغات الافرنج مع ان العرب استخدموها منذ قرون عديدة لضبط قراءة القرآن وعبروا عنها باحرف اقتطعوها من كلمات تشير الى درجة ذلك الوقف كالطاء من « طيب » والصاد من « صالح » والجيم من « جيد » ولو اتخذ صاحب المشروع هذه الاحرف أو نحوها بدلاً من العلامات المصطلح عليها عند الافرنج لكان اختياره أقرب الى الذوق العربي ولا التباس فيه

ان المستر هلك الذي قلنا صفحة ٣٦٧ انهُ ساعد عالي سميث في حفر الحروف الاميركانية اسمهُ هومن هلك . وقد اتماً حفرها في بوسطن باميركا



الاطعمة اللحمية والاطعمة النباتية

من الاعتقادات الشائعة ان اللحم افخر المأكولات واكثرها غذاء ولذلك فالناس يتسابقون الى تناوله و يعالجونه بالطبخ على طرق شتى ويتفننون في استخراج خلاصته لجمع الغذاء الكثير في كمية قليلة من المرق . نعم ان اللحم من أقوى المغذيات وهو مفيد ولازم في بعض أحوال الضعف البدني فيؤخذ مطبوخاً او نيئاً او تؤخذ خلاصته على ما يصفه الاطباء عند الحاجة — واما ولع الاصحاء بهِ وا كثارهم منه واغفال المأكولات النباتية فانه خطأ فاضح . لان الجسم يحتاج في تغذيته الى الجمع بين اللحوم وغيرها . واذا كان لا بد من الاقتصار على أحد الغذائين او ترجيح الواحد على الآخر فترجيح الاطعمة النباتية أسلم عاقبة على الصحة — اعتبر ذلك في أهل القرى والفقراء ممن لا يتأتى لهم اكل اللحم الا نادراً فتراهم اصح بنية وابعد عن المرض من اهل

المدن المنغمسين في الترف المتفننين باكل اللحوم وما جرى مجراها من المواد النتروجينية وفيهم من يصطنع المرق الكثيفة وفيها الغذاء الكثير في الحجم الصغير حتى قيل عن بعض الامراء انه كان يستجمع خلاصة العجل في كاس من المرق او كاسين يتناولها كل يوم — زعموا ان ذلك يعوض على البدن ما قد يخسره بالافراط ونحوه . فمثل هذا القول بعيد الاحتمال لان خلاصة العجل لا تجمع في كاسين ولا في عشر . ولان هضم هذا المقدار من الغذاء يحمل الاعضاء الهاضمة مالا تستطيعه وخصوصاً الكلى . لان الطعام اذا مرَّ في القناة الهضمية يهضم بعضه و يمتص و يبقى البعض الآخر فيها فيدفع الى الخارج . والقسم المهضوم يتمثل بعضه فيعوض عما دثر من انسجة الجسد ويبقى البعض الآخر عالة على الكلى فيتعبها كثيرًا وقد يسوق صاحبها الى القضاء العاجل . على ان أمثال هذه الاشاعة تدل على شدة اعتقاد الناس بأفضلية الاغذية اللحمية واحتقار الاطعمة النباتية . والحقيقة ان للاطعمة اللحمية فائدة في التغذية لا تنكر ولكنها تكون مضرة اذا لم تصحب بالمواد النباتية والاكثار من هذه اولى وافضل

واما الاضرار الناجمة عن الاكثار من الاغذية اللحمية فاشهرها داء النقرس وداء المفاصل وكثير من الامراض الكلوية والكبدية . وتوالي الغذاء الكثير على البدن يزيد المواد الشحمية على القلب فيعيق حركته و يورثه الضعف . ومن نتائج التغذية الكثيرة وعيشة الترف والتأنق تصلب الشرايين فان جدرانها بعد ان تكون مرنة تحتمل دفع الدم اليها بانقباضات القلب تتصلب وتصير قصمة اذا اندفع الدم اليها بعنف انفجرت فاذا كان الانفجار في اوعية الدماغ حصلت السكتة اوكان بجوار القلب قيل له النقطة وهو في الحالين شديد الخطر على الحياة . ولذلك كانت الوفيات البغتية بمثل هذا الانفجار قليلة في الفقراء وأهل التقشف . ولذلك ايضاً اطلقوا على داء النقرس أو داء المفاصل اسم داء الملوك لتغلبه فيهم وفي من يعيش عيشهم من الكبراء

ولا نقصد بما تقدم تبغيض اللحوم الى الناس كما ذهب فيثاغورس وتلامذته ومن عمل بأقوالهم الى اليوم من الاقتصار في الطعام على المواد النباتية — لان تركيب الاسنان البشرية يدل على ان الانسان خلق ليأ كل من الطعامين (و يندر في أصناف الحيوان

من أعطي ذلك الامتياز غيره) ولكننا نوجه التفات القراء الى أهمية المواد النباتية في الغذاء وان الاكثار منها لا يأتي بالضرر الناجم عن الاكثار من المواد اللحمية ولا بد من الموازنة بينهما. وتختلف النسبة في ذلك باختلاف الفصول. فالمواد النباتية لازمة في الفصول الحارة وفي البلاد الحارة مثل لزوم الاطعمة اللحمية في الفصول الباردة والاقاليم الباردة . ثم ان ذلك يختلف ايضاً باختلاف الامزجة وحال الصحة والمرض والمهنة والعادة وكل شيء

باب السؤال والاقتراح

﴿ المن ﴾

(بمبروك . كندا) سليمان افندي عساف مسلم

أرسلت اليكم طي هذا الكتاب قطعة من المن كما زعم الذين أتوا به من ماردين وهم يقولون أنه المن الذي اكله بنو اسرائيل في البرية . فهل هذا هو حقيقة وعهدنا بين بني اسرائيل أنه اذا بقي الى الصباح تولد فيه الدود وانتن . واذا حميت الشمس ذاب . وأما هذا فانهم يتجرون به فيبقى أعواماً

﴿ الهلال ﴾ المن مفرز نباتيٌّ حلو تفرزه بعض أنواع النبات من أغصانها أو أوراقها أو أزهارها . وهو أنواع كثيرة تنبت في أماكن مختلفة من الارض ومن جملتها المن الماردينى الذي ذكرتموه . قال نيبوهر انه يظهر على ورق شجر يكثر في ماردين وما بين النهرين ويسمونه شجر البلوط وشجر العفص يبدو المن على أوراقه في شهري يوليو وأوغسطس سائلاً بقوام العسل فيجمعونه بهز الشجرة صباحاً قبل شروق الشمس فينقطر أبيض صافياً على أقمشة يفرشونها تحت الشجرة . فاذا لم يجمع كل صباح ظل

اشار بسماد الارض بها بان يدفنوا في الارض المزروعة بطارية او بضع بطاريات فتتمغنط التربة فيسرع نمو النبات وتكثر غلته • ويلوح لنا بالقياس على ما مضى ان الانسان سيكتشف قوة اخرى يستعين بها على فهم كثير من الاسرار الطبيعية التي لا تزال غامضة على اهل هذا الزمان ويطلع على نواميس جديدة يعلل بها ما لا يزال يبهرهُ من حوادث هذا الكون — او لعله اذا زادت معرفته زاد شعوره بجهله كأن العلم مصباح اذا زاد نوره ارانا مشاكل جديدة لم يكشف لنا سرها فيزيدنا شعوراً بقصورنا

(مسئولية عمال التلغراف) لا يخفى ما لمصلحة التلغراف من الاهمية في العالم المتمدن بالنظر الى ما تنقلهُ من الاخبار الهامة وخصوصاً مما يتعلق بالتجارة • فان التاجر في فرنسا قد يبعث الى عامله في لندرا ان يبيع او يشتري ما يساوي الوف الالوف • فوقوع الخطأ في نقل الرسالة قد يجرُّ الى اضرار جسيمة وعليه اقتضى ان ينتخب عمال التلغراف من اهل التعقل والاعتدال ضناً بمصالح الناس • والناس في خلاف من حيث القاء تبعة ما يقع من امثال هذا الخطأ على عاتق العمال • اما في برلين فقد حكموا بالامس على عاملين من عمال التلغراف لخطأ وقع في كلمة مرسلة بشأن البورصة كتبها المرسل « بيع » فوصلت الى المرسل اليه « شراء » ووجه الخطأ ان هذين اللفظين متقاربان في الالمانية وهما (Kaufen) الشراء و (Verkaufen) البيع ويشبه ذلك باع وابتاع في اللغة العربية

(قضيب الصاعقة) يهتم اهل البلاد الباردة اهتماماً كبيراً بالصواعق ويخافونها ولذلك اصطنعوا لها القضبان المشهورة للوقاية منها او تخفيف ويلاتها • ولكنهم اصبحوا الآن في غنى عن هذه القضبان بما نصبوه من الاسلاك الكهربائية للتلغراف والتلفون والتراموای ونحوها • وقد تبين من الاحصاءات الاخيرة ان الصواعق قلت كثيراً في المدن التي تكثر فيها هذه الاسلاك واصبحت في غنى عن قضبان الصاعقة

مطبوعات جديدة

﴿ مرشد التاجر والدليل على مسك الدفاتر ﴾ ان صدور مثل هذا الكتاب في مصر يدلُّ على نهضة تجارية فيها • لانه لا يقتصر على مسك الدفاتر او ضبط الحسابات بل هو عبارة عن كتاب مطوَّل في علم التجارة بفروعها وقوانينها وكل ما يتعلق بها • فهو

يشتمل على تعريف التجارة والتجار وما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات وتفصيل طوائفهم وطرقهم وما يفتقرون الى معرفته وعلى أصناف التجارة وشؤونها وعلى العقود التجارية والكمبيالات والحوالات وصورها وشروطها ومعاملات التجار وأساليبهم والمصالح التي تتعلق بها أعمال التجارة . وعلى الحسابات ومسك الدفاتر وطرقها ووجوهها . وعلى الشركات وكيفية تأليفها ونظامها وكل ما يحتاج الى معرفته التاجر والكاتب وصاحب المنزل والزارع والصانع . وبالجملة انه كتاب فريد في بابه باللغة العربية لا يستغني عنه تاجر يريد أن يكون على بينة من العمل الذي قد اتخذه سبيلاً للارتزاق ومرسحاً للعمل وخصوصاً في هذا العصر وقد وضعوا لكل فن قواعد وسهلوا الوصول اليها بالكتب التي ينشرونها في لغاتهم كما فعل حضرة يوسف افندي كيال صاحب مرشد التاجر الذي نحن في صدده . فانه خدم التجارة خدمة جليلة . وهو لم يقدم على هذا المشروع الا بعد أن زاول حرفة المعاملات الحسابية زمناً طويلا وقد رفع كتابه المشار اليه الى نظارة المعارف فصادقت عليه وامرت باضافته الى مكاتب المدارس الاميرية . والكتاب ٤٦٤ صفحة كبيرة مطبوعة طبعاً متقناً و يطلب من مكتبة الهلال بمصر وثمن النسخة ثلاثون قرشاً وأجرة البريد ثلاثة قروش

﴿ مطالع الميامن ﴾ هو كتاب في تهاني غبطة البطريرك كيرلس الثامن بطريرك طائفة الروم الكاثوليك الجديد . عني بجمعه ووقف على طبعه عزتلو عبد المسيح انطاكي بك صاحب جريدة العمران وفيه ١٦ رسماً لاشهر بطاركة هذه الطائفة و بعض فضلائها وكل ما قيل في غبطة البطريرك من التهاني نظماً ونثراً وسلسلة البطاركة الانطاكيين ونبذ تاريخية في الطائفة الكاثوليكية وفي قواعد الكنيسة وغير ذلك من الفوائد التاريخية المجموعة من شتات الكتب . والكتاب نحو ٢٠٠ صفحة وثمن النسخة عشرون قرشاً واجرة البريد قرش ويطلب من ادارة جريدة العمران بمصر

﴿ مذهب طولستوي ﴾ هو كتاب يحتوي على مختصر ترجمة حياة طولستوي الفيلسوف الروسي الشهير ووصف معيشته وآدابه وفلسفته وآرائه الدينية وحرم المجمع المقدس له واعتراضه واحتجاج زوجته على مضمون الحرم وغير ذلك وقد عربه عن الروسية سليم افندي قبعين وطبع بنفقة المكتبة الشرقية ويطلب منها وثمن النسخة ستة قروش



الجزء الثالث عشر من السنة الحادية عشرة

١ افريل (نيسان) سنة ١٩٠٣ و٣ محرم سنة ١٣٢١

ملوك الشرق وامراؤه

٨ – قشمير وأميرها

﴿ قشمير ﴾ او كشمير مملكة من ممالك الهند المستقلة تحت رعاية الانكليز مساحتها ٨٠٫٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٢٫٥٤٣٫٩٥٢ نفس . وهي بلاد جبلية واقعة في أعالي الهند على جبال حمالايا الشهيرة . يحدها من الشمال بلاد تركستان ومن الجنوب بلاد الفنجاب ومن الشرق تيبت ومن الغرب بلاد الفنجاب وجبال شترال . يقطعها نهر الهند الشهير فيمر فيها من الشرق الجنوبي نحو الغرب الشمالي حتى يخرج من أعاليها ثم ينحدر جنوبًا في بلاد السند الى ان يصب في البحر الهندي . ونهر جيلوم ينزل جنوبًا فيمر في بلاد الفنجاب حتى يلتقي بنهر الهند

عاصمتها مدينة قشمير وتسمى أيضًا سريناغار واقعة في أواسط المملكة بانحراف نحو الجنوب والغرب في واد شهير يقال له وادي قشمير . ويكتنف الوادي من الجانبين جبال شامخة يبلغ ارتفاع بعضها بضعة عشر الف قدم عن سطح البحر تنصب من جوانبها جداول تنتهي الى أسفل الوادي فتصير نهرًا كبيرًا هو نهر جيلوم . ويكتنف الجداول مغارس وغابات يتحدث السياح بجمالها وتعدد ألوانها في زمن

الربيع . ويعلو قمم تلك الجبال اكاليل بيضاء من الثلج . ومدينة قشمير تأسست في أواسط الوادي على جانبي نهر جيلوم في القرن السادس للميلاد والنهر يجري في وسطها كما يجري دجلة في وسط بغداد . على ان ابنيتها لا تزال على النمط القديم وأسواقها ضيقة وأكثر بنائها من الخشب ويوصل بين جانبي قشمير فوق النهر سبعة جسور من الخشب والحجارة . وفيها عدة معابد هندية وثنية صغيرة ومسجدان كبيران يعرف أحدهما بالمسجد الجامع والآخر بمسجد شاه حمدان والثاني أجملهما

سكان قشمير الآن اكثرهم مسلمون وهم معتدلو الابدان مع جمال وصحة . وقد اشتهر جمالهم من قديم الزمان وعدهم العرب من أحسن خلق الله خلقة وان المثل يضرب بتمام قامة نسائهم وحسن صورهن . واشتهرت قشمير خصوصاً بضرب من الشيلان تنسب اليها وربع أهلها يشتغلون بحياكتها . وفي حارة تسمى الخانيار في هذه المدينة قبر يسميه القشامرة قبر النبي بوزاسف يزوره العوام والخواص . وفي بعض كتب التاريخ عندهم ان يوزاسف هذا كان نبياً من الانبياء جاء من اقصى البلاد فمات ودفن في هذه المدينة فزعم رجل قحباني ان هذا النبي هو المسيح وقد فندنا ذلك في الهلال العاشر من السنة العاشرة

ومن مدنها الشهيرة اسلام آباد وهي على مقربة من قشمير يشتغل أهلها أيضاً بحياكة هذه الشيلان

ولبلاد قشمير تاريخ طويل ينتهي الى عصر الخرافات استخرجوه من كتاب مدون بالسنسكريتية في أواخر القرن السادس عشر للميلاد . يؤخذ منه ان وادي قشمير كان في القدم بحيرة وان ملكاً يقال له كاسيابا فتح في حوافيها ثغوراً انصرف الماء منها وظهرت تربتها فاستقدم قوماً من البراهمة ليقيموا فيها . وهذه الخرافة شائعة بين أهالي تلك البلاد الى الآن ويؤخذ منها ان السكان الاصليين هم البراهمة . وفي أواسط القرن الثالث قبل الميلاد جاءها مبشرون بوذيون نشروا فيها الديانة البوذية ثم عادت البرهمية فانتعشت وتغلبت

وفي القرن الاول للميلاد تسلط على قشمير ثلاثة من أمراء التتر يسمون هشكا

ويوشكا وكنشكا . وفي أيامهم انتشرت البوذية ثم تغلبت البرهمية ثم توازنت القوتان بين القرن الخامس والعاشر للميلاد. وأنشئت لهما بيوت العبادة وخصوصاً للبرهمية. وزار قشمير في أثناء ذلك عدة رحالات من أهل الصين ذكروها في رحلاتهم

وفي سنة ٤٠٧ للهجرة غزاها المسلمون بقيادة أمين الدولة بعد فراغه من خوارزم وكان قد فتح ما بينها و بين خوارزم — قال ابن الاثير: « وأتاه من المتطوعة نحو عشرين الف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد وسار اليها من غزنة ثلاثة أشهر سيرًا دائمًا وعبر نهر سيحون وجيلوم وهما نهران عميقان شديدا الجرية فوطئ أرض الهند وأتاه رسل ملوكها بالطاعة وبذل الاتاوة فلما بلغ درب قشمير أتاه صاحبها واسلم على يده وسار بين يديه الى مقصده » والظاهر ان سلطان المسلمين لم يثبت فيها في تلك الغزوة . ولكن الاسلام نما وانتشر بين أهلها . وأما تاريخ قشمير السنسكريتي المتقدم ذكره فانه لم يذكر من أمرائها المسلمين الا واحدًا تولاها في القرن الرابع عشر للميلاد واشتهر فيها بما بذله من العناية في مقاومة ديانة البراهمة، فانه هدم كثيرًا من معابدهم واحيا الاسلامية. وكان اسمه اسكندر فسموه « بوتشيكان » أي هادم الاصنام . وفي أيامه ظهر تيمورلنك القائد التتري الشهير فكان في جملة ما اكتسحه من البلاد قشمير فجاء اسكندر هذا وسلم له طائعاً. وفي سنة ١٥٨٦ سقطت قشمير في قبضة المغول ففتحها اكبرخان جلال الدين محمد سلطان المغول ابن همايون وهو اكبر ملوك هندستان على الاطلاق وله شأن عظيم في تاريخ الهند . وما زالت قشمير في سلطان خلفائه حتى فتحها الافغانيون سنة ١٧٥٢ بقيادة احمد شاه عبدالي ثم استخرجها من قبضتهم الاسياخ ملوك فنجاب سنة ١٨١٩

وظلت قشمير في حوزة الاسياخ الى سنة ١٨٤٤ وأميرها يومئذ الشيخ عماد الدين فحدثت بينه وبين الانكليز حرب انتهت بمعاهدة تعرف بمعاهدة لاهور أبرمت سنة ١٨٤٦ وهي تقضي بالتنازل عن قشمير لانكلترا

وكان في جملة رجال عماد الدين رجل هندي من قبيلة دغرة اسمه « غلاب سنغ » وكان عماد الدين قد رقاه من بين العامة حتى ولاه امارة جامو . فلما أفضت ازمة

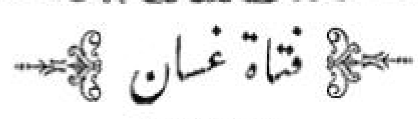
قشمير الى الانكليز سلموها الى غلاب سنغ المذكور على ان يحفظ صداقتهم ويكون عوناً لهم عند الحاجة . ودارت المداولة بهذا الشأن وانتهت باستقلال غلاب بقشمير وملحقاتها بمعاهدة جديدة ثم وسع أملاكه فيها

وسنة ١٨٥٧ توفي غلاب سنغ وخلفه ابنه اندبر سنغ . وفي سنة ١٨٨٥ تولى الامير الحالي وهو مهراجا سنغ وقد تحسنت شؤون البلاد على يده لانه عاقل مستنير

قلنا ان سكان مملكة قشمير ٢,٥٤٣,٩٥٣ نفساً وهم يقسمون باعتبار المذاهب على هذه الصورة :

هنود براهمة	٦٩١,٧٠٠
اسياخ	١١,٣٩٩
جينية	٥٩٣
بوذية	٢٩,٦٠٨
مسلمون	١,٧٩٣,٨١٠
مسيحيون	٢١٨
طوائف أخرى	١٦,٦٢٥
الجملة	٢,٥٤٣,٩٥٣

دخلها في العام يساوي ٥٢٦,٢٠٠ روبية معظمها من خراج الارض ويقال ان الحكومة تقاسم الاهالي على نصف محصولاتهم وتختزن الحنطة في اهراء عامة وللمهراجا جند خاص عدده نحو ٢٥,٠٠٠ ماش و ١,٤٠٠ فارس و ١,٢٠٠ طبجي



فتاة غسان

الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الثانية من الجزء الاول لرواية فتاة غسان وأصبحت الرواية كاملة فمن أراد الحصول عليها فليطلبها من ادارة الهلال وثمن الجزئين عشرون قرشاً وأجرة البريد قرشان

تاريخ الآداب الاجتماعية

في الممالك الادبية

٦ — الجرمان

﴿ قدماء الجرمان ﴾ لما سفر صبح التاريخ عن ظلمات أوربا الوسطى كانت قبائل التيوتون محتلة ضفاف نهر الرين وهي سبط من اسباط الآريين الذين منهم الايطاليان وغيرهم من أهل أوربا . فانتشر التيوتون في تلك البقاع واجتازوها شمالاً وغرباً فسكنوا بريطانيا العظمى وفرنسا والدنيمارك واسوج ونروج وإيسلاندا ونخصر الكلام في هذا الفصل في جرمانيا فقط

انقسم الجرمان القدماء الى شطرين أهل الشمال منهم وهم سكان هولاندا وساكسونيا وسكندنافيا وأهل الجنوب هم سكان ما بقي من البلاد . وقد وصفهم تاسيتس المؤرخ الروماني فذكر بين قبائلهم الباتافيين والفريزيين والسوابيين والفندال وقال في وصفهم انهم طوال القامة اشداء شقر الالوان والشعور زرق العيون وملامحهم حسنة ورؤوسهم مستطيلة وكانوا لا يزالون على خشونة البداوة وشظف عيشها يرتدون ما يستر عوراتهم ويعيشون بالصيد والقنص او يأكلون البان المواشي ولحومها . وكان السكر والقمار فاشيين بينهم . وكانوا اشد احتراماً لنسائهم من معاصريهم يشاورونهن في الامور ويتبعون نصائحهن . وكانت النساء تبث روح الشجاعة والاقدام في رجالهن وأولادهن . وكانت حكومتهم ديموقراطية فلكل قبيلة مجلس يتألف من شاكي السلاح فيها . واذا نزلت بهم ملمة انتخبوا قائداً للقبيلة الواحدة أو للقبائل الكثيرة حتى اذا ما انتفى الحذر عادت الامور الى مجاريها

وخشيت رومية بأسهم لحاربتهم وغلبتهم على أمرهم ولكن بعد ان ذاقت منهم الامرّين . ولما تداعت أركان سلطتها غزاها قبائل الجرمان واحتلوا بلادها وقويت شوكتهم حتى كانت أيام شارلمان فبلغوا اوج القوة والسطوة . ولما توفي ذلك الامبراطور

اصاب امبراطوريته ما أصاب سلطنة الاسكندر فانقسمت اجزاء متفرقة

وجاء السلاف الى جرمانيا من الشرق وغزوها فلم يقووا عليها فمن منهم استوطن البلاد انضم الى الجرمان فلم يتميز السلاف عن غيرهم من القبائل . ثم أخذت تلك القبائل بالائتلاف والاتحاد فكان منها ثلاث ولايات عظم شأنها وهي سكسونيا في الشمال والوسط والمانيا في الجنوب وسوابيا في الجنوب الشرقي . وفي سنة ٨٠٠ تأسست الامبراطورية الجرمانية . وكان الامبراطور ينتخبه الامراء والدوقات والاساقفة ورؤساء الاساقفة الذين قبضوا على السلطة الزمنية وشاركوا الامراء في الحكم وكانوا يسمون الامراء المنتخبين . اما الامبراطور فكان رأس الحكومة لكن المنتخبين كانوا مستقلين كل في ولايته يعترفون برئاسة الامبراطور فقط . على ان الامبراطور كان عادة من الامراء المالكين فكان مطلق التصرف في ولايته كغيره من الامراء والحكام والاساقفة . وكانت الامور الخطيرة تنظر في مجمع الامة وهو مؤلف من نواب جميع الولايات . لكن ذلك النظام عاد بالخسران على جرمانيا فهاجمتها أوستريا وفرنسا وسلباها بعض أملاكها وعظمت كلمة بروسيا فاتخذت لنفسها مقاماً رفيعاً بين اخواتها حتى آل الامر الى الوحدة الجرمانية ودعي ملك بروسيا الى عرش الامبراطورية كما هو معروف سنة ١٨٧٠

وفي سنة ١٤١٥ وهب الامبراطور سجسموند مقاطعة بروسيا للامير فردريك من أسرة هوهنزولرن ومن ذلك العهد أخذت هذه الولاية تتقوى وتتسع فاستولت على بروسيا الشرقية وهي من املاك بولاندا وقاومت أوستريا فغلبتها وسلخت منها جزءاً كبيراً من املاكها وقوي العنصر البروسي حتى استغرق العنصر السلافي على ان حكاية ذلك تستغرق الزمن الطويل والاسهاب الكثير ولا موضع لاثباتها هنا

﴿ الجرمان اليوم ﴾ الجرمان في الزمان الحاضر نسل قبائل كثيرة مختلفة اختلطت وتمازجت وتزاوجت . ويرجح العلماء ان هذا الاختلاط والتمازج هو دعامة قوة جرمانيا في الزمن الحاضر . ومن يتفرس في الجرمان اليوم ير فيهم صنفين من الناس الاسمر والابيض وهما ثمرة ذلك الاختلاط ويغلب وجود الصنف الاول في الجنوب

والثاني في الشمال حيث الالوان البيضاء والعيون الزرقاء والشعر الاشقر. والناس هناك طوال القامات مستطيلو الرؤوس . وقد وجدت الحكومة من احصائها الاخير لتلامذة المدارس ان مايزيد عن نصفهم يختلفون بين البياض والسمرة . وهذا ناتج عن الاختلاط المتقدم ذكره ونحو الثلث منهم بيض شقر وأربعة عشر في المئة سمر واكثر هؤلاء في بافاريا والالزاس واللورين

ويظن العارفون ان لانتشار علوم الادب فيهم يداً كبيرة في انشاء وحدتهم فانهم أخذوا يقرأون الروايات والاشعار الوطنية ووصف بلادهم الخ فزاد ذلك في حميتهم في القرن الاخير الى درجة يصعب تصورها . وأول من شرع في وضع علوم الادب بينهم على أساس متين لوثير المصلح الشهير فانه ترجم التوراة الى لغتهم وتعتبر هذه الترجمة من أحسن ما كتب في الجرمانية وعقبه الكتاب والشعراء والفلاسفة واللاهوتيون ككانت ورختر وشلر وقوطي مؤلف فوست وغيرهم من عظام الرجال والكتاب . فأصبحت جرمانيا بعدهم كعبة العلم ومحط رحال العلماء



قوطي Goethe — الشاعر الالماني الشهير

وعلماء الجرمان في الطبقة الاولى من التدقيق والمعرفة . فهم يعشقون العلم ولا يألون جهداً في الدرس والتنقيب حتى انهم ليعرفون عن بلدان الاجانب وتواريخها

وآدابها ما لا يعرفه سكان تلك البلدان أنفسهم . فالعالم منهم بعلم من العلوم يطلع على جميع ماقاله العلماء أو كتبوه بشأن ذلك العلم حتى لقد يدهشك منه ان يبين المناقشات التي تدور بين العلماء في المواضيع التي ينقطع لدرسها

ومما اشتهرت به جرمانيا في العصر الحاضر حسن تنظيم جيوشها وتدريب جنودها ومبلغ علم ضباطها لاسيما بعد حروبها مع النمساويين والفرنساويين . وجل مايقال في ذلك ان ضباطها ينقطعون الى صناعتهم كما ينقطع علماؤها الى علومهم فيستسهلون الصعب في درس فنون الحرب واللغات والجغرافيا بحيث تصبح صناعة احدهم غاية وجوده في هذه الحياة

لكن جرمانيا تئن تحت حمل العسكرية الذي يهظ عاتقها واستنزف ثروتها . ففي جيوشها خيرة شبانها وتجنيدهم وانقطاعهم الى الخدمة العسكرية يعود على البلاد بالخسارة لعدم الانتفاع بهم . فكأن خيرة رجال جرمانيا ينقسمون بين العسكرية والمدارس فلا يبق للصناعة والزراعة الا من كان دونهم ذكاء وقوة ابدان واجتهاداً ومضاء عزيمة

والذين لا يعرفون الجرمان يتمثلونهم بعين الخيال كشعب ليماوي المزاج هادئي الطبع بعيدين عن الحدة والاسراع في الاعمال لكن ذلك بعيد عن الحقيقة . اجل ان الرزانة تغلب عليهم ولكنهم معرضون للحدة كالفرنساويين — يشهد بذلك شيوع عادة البراز بينهم وخصوصاً بين تلامذة المدارس منهم فانهم يرون في الحسام حاسماً لمناظراتهم وخصامهم وقل ان ترى فيهم واحداً الا وفي وجهه ندبة جرح . وليس تلامذة المدارس الجرمانية أشداء البنية فان أكثرهم صفر الالوان شقر الوجوه نحفاء مبتلون بقصر النظر ولذلك كان لبس النظارات فاشياً بينهم . ويرد بعض العلماء ذلك الى سوء الغذاء وعدم مناسبة الاقليم وخصوصاً في سكسونيا

وأما عامة الشعب فأصحاب جد وكد لكنهم خشنو العادات بعيدون عن ظرف الحضارة لا يفرطون في الشراب والنفقات وهم مغرمون بالموسيقى حتى لقد قال أحد الكتبة ان كل جرماني يعرف شيئاً عن الموسيقى . وقد نبغ من بينهم أعظم الموسيقيين وهم

ولع شديد بالتمثيل فيكثرون التردد الى المراسح والاوبرات . ولا يهتمون بزخرفة ملابسهم فيها كما يفعل الناس في باريس ولندرا مثلاً

والجرمان يحذون في أعمالهم ومعيشتهم حذو رجال الجيش والعلماء فيهم . وهذا سبب انتشار النظامات الكثيرة في جميع أعمالهم وادارتهم ومدارسهم فلا يستطيع أحدهم بلوغ وظيفة الا ان يقدم امتحاناً يخافه النابغون في سائر البلدان

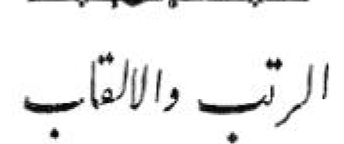
وبالاجمال فان عامة الجرمان ليسو في شيء من الظرف واللياقة فهم كعامة الانكليز. أما أشرافهم فينقصهم كثير من هذه الصفات . ومرجع هذا النقص على ما يظن عدم بلوغ المرأة عندهم مقامها في الحضارة وقلة دخلهم بالنسبة الى سمو معارفهم ومداركهم وعدم اكتراثهم بالظواهر مع اهتمامهم الشديد بالحقائق . على ان المتهذبين منهم من أفضل الناس خلقاً فهم أصحاب لياقة وحشمة دون تصنع على بساطة قلب ورحابة صدر واحترام لحاسات الناس وقلة اعتداد بالنفس

على ان علماء العمران يقولون ان الجرمان لا يبلغون مقاماً سامياً من الحضارة مالم يرفعوا شأن المرأة بينهم فانها لا تزال الى العصر الحاضر منقطعة للاعمال البيتية خاضعة خضوعاً تاماً لرجلها فارادته شريعتها وهم يقدرون قيمة النساء بقدر ما يحسنّ القيام بالاعمال البيتية . ومما لا يروق للاجنبي في جرمانيا كثرة الطلاق بينهم وكثرة الاولاد غير الشرعيين لانهم لا يسمحون لبناتهم وشبانهم بالمخالطة في الاجتماعات ولذا يسعى الفريقان في اغتنام الفرص واختلاس سويعات الخلوة بمعزل عن عين الرقيب . لكن نساءهم فاضلات حكيمات يحسنّ ادارة البيوت وطبخ الاطعمة ويسعين في المحافظة على مرضاة أزواجهن

وطعام الفلاحين حسن بسيط غير مغذ ويتألف من قهوة البن وخبز الذرة غير المختمر والبطاطس المطبوخة بالدهن والبصل وبعض الخضر والفواكه . والجبليون منهم لا يذوقون اللحم الا فيما ندر فيقتاتون من اللبن والخبز والبيض والزبدة

واعتماد السكان في معايشهم على الزراعة على ان الصناعة تقدمت بينهم تقدماً بيناً في الزمن الاخير وزراعتهم متقنة يجرون فيها على القواعد العلمية ولهم المدارس

والحقول الزراعية . ومن صناعاتهم عمل أدوات الحديد والاسلحة ونسج الكتان والصوف والدمى الخشبية وما أشبهها . وفي الربع الاخير من القرن الماضي ازدادت تجارة جرمانيا الخارجية وصارت تصدر البضائع الى أقطار الارض فزاد بذلك عدد سفنها التجارية والحربية . وأخذت الحكومة تهتم بامتلاك المستعمرات في أفريقيا والصين حتى صارت انكلترا تنظر اليهم بعين الحذر . وهم يزاحمونها في الاسواق التجارية الاجنبية ويتصدرون حيث كان الانكليز أصحاب الاولية في التجارة



الرتب والالقاب

عندهم وعندنا – ورتبة الاستحقاق

يشكو الانكليز من ابتذال الرتب والالقاب عندهم حتى أصبح اهل الاستحقاق يفضلون التجرد منها – فاذا كان هذا رأيهم فيها وقلما ينالها عندهم غير المستحقين فكيف يجب ان يكون رأينا فيها عندنا ؟

وقد شاع هذا الشعور بين افراد الشعب الانكليزي حتى صرح بعض النابغين منهم برفض الرتب وفضلوا البقاء على أبسط الالقاب . وأشهر من فعل ذلك المستر غلادستون فأنه تولى أرقى مناصب الدولة الانكليزية وحاز قصب السبق على رجالها بالسياسة والعظمة ومع ذلك فهو لم يقبل لقباً ولا رتبة وظل اسمهُ « مستر » وتحت أمره وفي حوزته جماعة من اللوردات والبارونات والسيرات وغيرهم . وفعل نحو ذلك أيضاً جماعة من رجال السياسة عندهم كالمستر تشمبرلين والمستر بلفور والمستر سميث وغيرهم . وجماعة من رجال العلم والصناعة مثل جورج وطس أعظم مصوري انكلترا اليوم وهربرت سبنسر أعظم فلاسفتها وجون مورلي من أكبر رجال السياسة وغيرهم – ولا مشاحة ان نفور هؤلاء العظام من الالقاب والرتب يدل على عظم نفوسهم . لان الرجل الكبير لا يرى في الالقاب والرتب ما يزيده رفعة

على ان الناس مفطورون على التماس الفخر وتطلب الشهرة . ولكن بعضهم يطلبها بالجد والعمل فينال الرتبة عن استحقاق فتكون دليلاً على منزلته واشارة الى رضاء دولته أو سلطانه عنه وتقديرهم حق قدره . والبعض الآخر يطلبها بالحيلة او البذل فينالها و يلقب بها . وقد أصبح ذلك ميسورًا ومألوفًا في معظم ممالك أوربا حتى انكلترا — ذلك ما حمل بعض الممتازين من عظمائها على رفض الرتب والاكتفاء بما نقشوه على صفحات التاريخ من آثار أعمالهم . والامة الحية تشترك عواطف شعبها بعواطف حكامها وتتشابه الآراء بينها . فالشعور بابتذال الرتب في انكلترا اتصل بالدولة فأدرك الملك ادوارد ما ينال العظماء من الحيف اذا لم يمتازوا عن سواهم . والتمييز لا يكون الا بعلامة ملوكية من رتبة او لقب او وسام على ما جرى عليه الناس منذ أجيال . ولكنه رأى الرتب والقابها كاللورد والكونت والسير وغير ذلك مبتذلة كما قدمنا فاستنبط رتبة لا لقب لها ولا علامة ولا شريطة سماها « رتبة الاستحقاق » Order of merit لا تخلع الا على من ينفرد بعمل عظيم يبذله في خدمة انكلترا . ولزيادة تعزيز شأن هذه الرتبة حصرها في اثني عشر رجلاً اختارهم من عظماء انكلترا امتازوا عن سواهم في الجندية أو السياسة أو العلم او الصناعة أو غير ذلك . منهم خمسة من رجال الحرب وسبعة من رجال العلم والادب والصناعة وهم :

اللورد كتشنر	قائد جند الهند الآن
اللورد وولسلي	قائد جند انكلترا سابقًا
اللورد روبرتس	« « « الآن
الاميرال هنري كبل	مؤسس البحرية الانكليزية
الاميرال سيمور	القائد البحري الشهير
جورج وطس	اشهر مصوري انكلترا
وليم لكي	المؤرخ الشهير
جون مورلي	أعظم رجال الاقلام عندهم
اللورد ريلي	أعظم علماء الطبيعة «

اللورد ليستر	مكتشف مضادات الفساد في الجراحة
اللورد كلفن	العالم الكهربائي الشهير
السير وليم هجنس	أعظم علماء السبكتر وسكوب

فاذا ذكر اسم احد هؤلاء الاثني عشر ألحق به هذان الحرفان (O. M.) وهما مقتطعان من اسم هذه الرتبة بالانكليزية

أما الاعمال التي استحقوا من أجلها هذا الامتياز فيضيق المقام عن ذكرها فضلاً عن تفصيلها فنكتفي بالاشارة الى اجمالها :

﴿ اللورد كتشنر ﴾ هو الرجل العجيب وليس بين قراء الهلال من لا يعرف شيئاً عنه . واكثر قرائنا بمصر والسودان قد شاهدوه . ومن غريب أمره انه ارتقى الى اسمى رتب الانكليز بمدة قصيرة جداً . وهو أصغر سناً من سائر رفاقه أصحاب « رتبة الاستحقاق » . لانه لا يزال في الثالثة والخمسين من عمره — ابتدأ أعماله العسكرية سنة ١٨٧٠ فتطوع في جند فرنسا أثناء الحرب بينها وبين بروسيا وبعد أربع سنوات سار بمهمة هندسية عسكرية الى فلسطين وهو ملازم . فأتقن اللغة العربية هناك فساعده ذلك على الانتظام في الجندية المصرية وأعدَّ له هذا المستقبل المجيد فتعين ضابطاً في السواري المصرية سنة ١٨٨٢ برتبة بكباشي

ولما أنفذت انكلترا حملتها سنة ١٨٨٤ لانقاذ غوردون باشا من الخرطوم استخدمته في قلم المخابرات لتجسس أحوال القبائل السودانية . فكان يتنكر بلباس العرب ويخالط بهم ويستطلع أخبارهم فأدى بذلك خدماً مهمة . وقد شاهدناه في تلك الحملة وصحبناه شهراً في أثناء رجوعها من المتمة على أثر مقتل غوردون وسقوط الخرطوم فرأينا فيه رجلاً شديداً يتطلع الى المناصب العالية ويتطلبها بجده وسعيه لا يبالي بما قد يقف في سبيله . ومصداق ذلك انه ما زال يرتقي في مناصب الجند المصري حتى تولى قيادته العامة ثم كان ما كان من حروبه السودانية حتى فتح أم درمان ثم حروبه في الترانسفال حتى أتى على آخر تلك الحرب كما هو مشهور ونال لقب فيكونت وانهالت عليه الهدايا والانعامات وتعين في العام الماضي قائداً عاماً للجند الهندي



(ش ١) روبرتس (ش ٢) وولسلي

﴿ اللورد روبرتس ﴾ هو عظيم كاللورد كتشنر ولكنه يختلف عنه خلقاً وخلقاً . فان روبرتس صغير القامة خفيف الحركة وكتشنر كبير الهامة ثقيل الحركة . فاذا اجتمعا تألفت منهما قوة عسكرية لا يتفق مثلها الا نادراً . لان كتشنر يمتاز باقتداره في تنظيم الجند في ساحة الحرب والتنبؤ بنتيجة كل حركة حربية . وروبرتس يمتاز بسرعته في اغتنام الفرص والانتفاع بها وبيسالته وتحمسه اذا حمي الوطيس . وقد اشتهر روبرتس بذلك من صغره فنال وسام « صليب فيكتوريا » وهو شاب مكافأة على انقاذه راية انكليزية كانت قد وقعت في أيدي الاعداء في بعض المواقع . واظهر في حرب الافغان سنة ١٨٧٩ بسالة نال بها شهرة لم ينلها غيره في طول عمره . وذلك انه ظل مختفياً في براري افغانستان ثلاثة أسابيع ومعه ٩٫٠٠٠ جندي فلم يشك الناس انهم بادوا عن آخرهم . ثم مالبثوا ان رأوا روبرتس خارجاً بجنده بين كابول وقندهار وقد تكلل بالظفر بواقعة أظهر فيها من المهارة في الحركات الحربية ما لم يسمع بمثله . وظهر منه نحو ذلك أيضاً في حربه الاخيرة في جنوبي افريقيا وعهدنا بها غير بعيد

﴿ اللورد وولسلي ﴾ هو قاهر العرابيين وصاحب واقعة التل الكبير سنة ١٨٨٢ والمتنبئ بيوم الفتح قبل أوانه . وقلَّ من مصريي تلك الايام من لم يسمع به أو يشاهده . ومن مميزاته انه ارتقى الى رتبة قائمقام في الجيش الانكليزي وهو في السادسة والعشرين من عمره . وكان له شأن كبير في حرب بورما وبلاد القرم وبلاد الهند وتولى سنة ١٨٦٧ قيادة حملة حربية في كندا فأخمد ثورة هائلة كانوا يخافون عواقبها . وفعل مثل ذلك في الاشانتي سنة ١٨٧٣ فأجبر ملكها على الطاعة وأتى نحو ذلك أيضاً سنة ١٨٧٩ في بلاد الزولو . ولما كانت ثورة سنة ١٨٨٢ بمصر بعثت انكلترا جنداً لاخمادها بقيادته كما هو مشهور . ثم تولى قيادة الحملة التي سارت لانقاذ غوردون

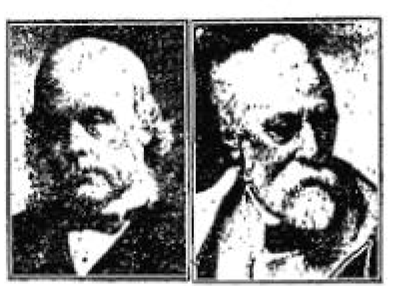
سنة ١٨٨٤ فنال على أثر نجاحه فيها شكر مجلس الاعيان وتعين قائداً عاماً للجند الانكليزي ونال الرتب الانكليزية الى فيكونت . فمزية هذا الرجل في خدمة دولته انه نشر سلطانها وأيد نفوذها في كثير من المستعمرات



﴿ الاميرال هنري كبل ﴾ لهذا الرجل البحري شأن عظيم في خدمة انكلترا لقدم عهده في بحريتها فقد تولى قيادة فرقة بحرية في حرب اسبانيا منذ ٦٩ سنة فارتقى الى رتبة قبطان وتولى قيادة دارعة ذات ٤١ مدفعاً في حرب الصين سنة ١٨٤٥ وقاد جند البحر في حصار سباستبول سنة ١٨٥٥ ثم في الصين سنة ١٨٥٧ وتعين قائداً عاماً للجند البحري في الكاب والصين قبل ان يولد معظم اهل هذا الجيل . وقد اعتزل البحرية منذ ٢٤ سنة بعد ان نال رتبة اميرال الاسطول . فحقه في « رتبة الاستحقاق » انه خدم دولته ثلاثة أرباع القرن وهم يعدونه مؤسس البحرية الانكليزية

(ش ٣) كبل (ش ٤) سيمور

﴿ الاميرال سيمور ﴾ كان سيمور جنديا يوم كان كبل قائداً كبيراً . ثم ارتقى سيمور حتى تولى قيادة الدارعة ايريس في مياه الاسكندرية سنة ١٨٨٢ واسمه مألوف عند المصريين مثل اسم وولسلي . ثم تولى قيادة الحملة التي أرسلت الى الصين في الحرب الاخيرة سنة ١٩٠٠ ويعده الانكليز من أعظم رجال البحرية

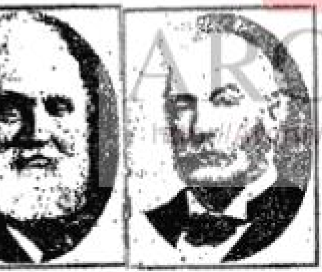


﴿ جورج وطس ﴾ فرغنا من رجال الحرب فلنأت الى رجال العلم والادب والصناعة ونبدأ بجورج وطس فانه أكبر مصوري انكلترا وهو الآن في السادسة والثمانين من عمره وقد اتصل بالاكاذيمية الملوكية وهو في العشرين . وما زال من ذلك الحين

(ش ٥) وطس (ش ٦) ليستر

يصور الصور ويعرضها في المتاحف واكثرها ميثولوجية تخيلية . فذاع صيته في انكلترا وسائر أوربا وأصبحت صوره ذات قيمة كبيرة عندهم . ومن أشهرها أربعون صورة لمعاصريه من الكتاب والمصورين قدمها الى متحف الصور الاهلي في لندرا ويقال ان الملك ادوارد انما أوجد « رتبة الاستحقاق » التي نحن في صددها رغبة في مكافأة هذا الشيخ العظيم . لان الملكة المرحومة كانت قد عرضت عليه رتبة بارون على يد المستر غلادستون فلم يقبلها اكتفاء بشهرته الصناعية

﴿ اللورد لستر ﴾ هو اول طبيب انتظم في سلك الاشراف مكافأة على خدمة علمية . فقد كان جراحاً كبيراً وهو الذي اكتشف مضادات الفساد في الاعمال الجراحية ولا يخفى ما نتج عن هذا الاكتشاف من تقدم الجراحة وسلامة العواقب في العمليات الجراحية وما ترتب عليه من انقاذ الارواح . وقد يكون الملك ادوارد نفسه مديوناً لهذا الاكتشاف في العملية التي اجروها له قبيل التتويج — فلا غرو اذا كافأه برتبة الاستحقاق



(ش ٧) ريلي (ش ٨) كلفن

﴿ اللورد كلفن ﴾ وهو مشهور بالاكثر باسم السير وليم طمسن لانه أتى على معظم أعماله العلمية قبل ان يسمى لورداً . وهو الآن في التاسعة والسبعين من عمره ولا يزال صحيح البنية نشيطاً صبوراً على البحث هماماً في الاسفار . تعلم في مدرسة كمبردج وبرع في الموسيقى حتى ترأس على جوق المدرسة . ثم انقطع الى الابحاث العلمية الطبيعية . ولو شئنا تعداد أعمـاله لاقتضى لنا ان نفصل تاريخ الكهربائية في ستين سنة لانه صاحب الابحاث المهمة فيها . وقد الف كتاباً في حركة الحرارة وعلاقتها بالكهربائية وهو في السابعة عشرة من عمره فكان لكتابه تأثير كبير في ايضاح ذلك الرأي . ثم أوغل في الاختراعات الكهربائية فاخترع مقاييس الكهربائية (الاليكترومتر) وموازينها على اختلاف الاشكال . وله آراء فلسفية في القوى الطبيعية مشهورة باسمه واصطنع

الابرة المغنطيسية على نحو ماهي عليه اليوم وغير ذلك من الخدم الجليلة

﴿ اللورد ريلي ﴾ هو الآن في الحادية والستين من عمره تعلم في مدرسة كمبردج ثم اشتغل بالعلوم الطبيعية وهو صاحب الاراء المشهورة في الصوت . وقد اكتشف منذ بضع سنوات بمساعدة الاستاذ رمسي عنصراً جديداً في الهواء سماه ارغون . وكان اللورد ريلي استاذاً في مدرسة كمبردج وهو معدود اليوم من أعظم علماء الطبيعيات في العالم



﴿ السير وليم هجنس ﴾ هو الآن في الثانين من عمره ولم يتعلم في مدرسة جامعة ولكنه فطر على حب البحث وخصوصاً في الفلسفة الطبيعية واستغرق فيها منذ شبابه وأجرى تجارب ذات شأن في الكيمياء

(ش ٩) كتشنر (ش ١٠) هجنس

والكهربائية والمغنطيسية وبنى لنفسه مرصداً في لندن . وقد تمكن بتجاربه المتواصلة من اكتشاف عنصر أضافه الى قائمة العناصر المعروفة في الفلك . وتوصل بواسطة السبكتروسكوت الى اكتشافات فلكية مهمة تتعلق بالسيارات . وقد عرفت له المجامع العلمية ذلك فخلعت عليه وساماتها ثم تولى رئاسة اثنين منها . ومن نتائج ابحاثه بلغت آلة التصوير الفوتوغرافي والسبكترسكوب الى ما هما عليه من الاتقن



﴿ جون مورلي ووليم لكي ﴾ هما أشهر رجال الادب في انكلترا وكلاهما في نحو الخامسة والستين من العمر وقد تعلما في المدارس الكبرى واشتغلا في صناعة القلم وخصوصاً التاريخ . أما مورلي فانه توسع في مواضيع الكتابة فاشتغل في الصحافة وبرع

(ش ١١) مورلي (ش ١٢) لكي

في الانتقاد الادبي . اما لكي فانه انقطع للتاريخ وبرع فيه . وكلاهما من أعضاء مجلس العموم . ومما اشتهر عن مورلي في التاريخ انه تنبأ منذ بضع سنوات بقرب

انفصال انكلترا عن مستعمراتها . واما لكي فان ابحاثه أقرب الى الرأي النظري منها الى الحقائق الثابتة بخلاف ابحاث مورلي

هؤلاء هم الاثنا عشر الذين اختارهم ملك الانكليز من بين عظماء شعبه وميزهم برتبة الاستحقاق . والمطلع على تاريخ تلك الامة الحديث يرى في هذا الاختيار بعض التساهل و يعجب لحرمان جماعة من عظماء الانكليز في العلم والسياسة من هذه الرتبة مع انهم اعظم من بعض هؤلاء — نذكر منهم سبنسر الفيلسوف الاجتماعي والمستر تشمبرلين السياسي الشهير

العبرة لنا من ذلك

اذا كانت الامة الانكليزية وملكها وحكومتها اجمعوا على ان الرتب والالقاب اصبحت مبتذلة عندهم حتى ابى عقلاؤهم تقلدها ووافقهم ملكهم على ذلك واراد تمييزهم عن سواهم بعلامة فاصطنع لهم رتبة بلا لقب وجعل علامتهم عدم العلامة — فكيف ينبغي ان يكون حالنا والرتب تباع بيننا جهاراً وتبذل جزافاً . و بعد ان كانت الرتب علامة الشرف يفتخر بها حاملها اصبح نائلوها بالاستحقاق يودون انهم لم ينالوها . فياحبذا لو ادرك عظماؤنا ذلك وتمثلوا بعظماء الانكليز وعلموا ان في رفض الرتبة شرفاً يفوق اضعاف الشرف بتقلدها . ولكن العظمة الحقيقية لا تزال غامضة عندنا قل من يفهم كنهها — كيف لا ونحن لا نزال الى اليوم نواخذ الصحف اذا ذكرت اخبار ذهابنا او ايابنا ولم ترفق اسماءنا بنعوت التفخيم كالفاضل واللوذعي والوجيه والامثل الخ . . وما هي من الرتب في شيء وانما هي من ثمار التمليق ومن اكبر دلائل الضعف بل هي من بقايا عصور الانحطاط والظلم . فهل يليق بنا ونحن ندعي خروجنا من تلك الظلمات ان نستبقي تلك الآثار السوداء . واذا لم نكن قد بلغنا من الشجاعة الادبية وعظم النفس ما يهون علينا رفض الرتب الم يئن لنا ان ندرك حقيقة تلك النعوت الفارغة فنستعفي منها أو على الاقل اذا قصرت الصحف بذكرها مع اسمائنا ان لا ننقم عليها . . ؟

على اننا نلقي التبعة في ذلك على كتاب الصحف لانهم لو اجمعوا على اغفال تلك النعوت واكتفوا بذكر الاسماء بالالقاب الرسمية كما يفعل أهل العالم المتمدن

لتعود الناس ذلك والفوه — لا ننكر انهم قللوا بعض تلك النعوت وأصبحوا يحاسبون ضمائرهم في ايرادها وتعدادها فيأتون بالنعوت التي يمكن ان تنعت تلك الاسماء بها باعتبار المهن والمناقب — على اننا نود اغفالها بالكلية وفي اغفالها احترام لقرائهم — وقد توخينا ذلك في الهلال منذ بضع سنوات فأغفلنا نعوت التفخيم على الاطلاق ورأينا عملنا هذا قد وقع موقع الاستحسان لدى العقلاء واستحسن ذلك أيضاً بعض الرصفاء ووعدوا بالعمل به فعسى ان يجيبوا نداءنا . وفي اعتبارنا ان اجماع الصحافة على ذلك من جملة حسنات هذه النهضة

{ اقتراح قضائي }

من مواد قانون تحقيق الجنايات : —

(٢٠٧) يجب على المحكمة في مواد الجنايات التي تستوجب الحكم بالقتل على حسب الشريعة الاسلامية الغراء ان تستفتي قبل الحكم مفتي الجهة الكائنة فيها

(٢٠٨) ويجب عليها لذلك ان ترسل الى المفتي أوراق الدعوى ويلزم ردها اليها في ظرف ثمانية أيام بالاكثر مصحوبة برأيه

(٣٠٩) وبعد أخذ رأي المفتي تحكم المحكمة بالعقوبات المقررة في قانون العقوبات

فنستفتي رجال القضاء فيما يأتي :

أولاً — ماهي الحكمة في طلب رأي سماحة المفتي بعد ثبوت التهمة على الجاني ثبوتاً قاطعاً

ثانياً — ماهو الوجه الذي يطلب من المفتي النظر اليه في مثل هذه القضية لاعطاء رأيه في الاعدام أو عدمه

ثالثاً — هل تكون المحكمة مقيدة برأي المفتي اذا لم يفت بالاعدام — فاذا لم تكن مقيدة فما الداعي لهذا النص في القانون　　« محام »

وملح الطعام من منبهات الهضم الا اذا كان مقداره كبيرًا فانه يوقفه . ومما يعيق الهضم أيضاً الشب الابيض الذي يدخله الخبازون الافرنج في الخبز لتحسين قوامه — وانما يهمنا من كل ماتقدم ازالة الوهم السائد على اعتقاد بعض العامة في فائدة المشروبات الروحية في الهضم . فان بقاء ذلك الوهم من أكبر اسباب شيوع المسكرات لان الادمان على المسكر كثيرًا مايكون سببه في بادئ الرأي اعتقاد نفعه في الهضم ثم يتمكن حبهُ في نفس الشارب فيصير عادة متأصلة تعسر ازالتها

مطبوعات جديدة

اهدتنا ادارة مجلة البيان — التي تصدر في لكنو الهند باللغتين العربية والهندية لمنشئها السيد عبد الله العمادي ومديرها المولوي عبد العلي المدراسي — خمسة كتب عربية مطبوعة على يدها وهي :

(١) — سنة أبي حنيفة — واسمها التاريخي مسند الامام الاعظم وهو صحيح الامام أبي حنيفة النعمان الذي رواه عنه موسى بن ذكريا الحصكفي مرتباً على أسماء شيوخه وقد جمعه على ترتيب الابواب الفقهية الشيخ محمد عابد السندي المدني . وطبع على الحجر في مطبعة اصح المطابع في لكنو الهند تحت ادارة السيد محمد عبد العلي المدراسي في ٣٧٢ صفحة مزدوجة في اوله ترجمة الامام ابي حنيفة مطولة وتراجم رجال هذا المسند والصحابة الذين ورد ذكرهم فيه مرتبة على حروف المعجم في نحو ١٢٨ صفحة ثم المسند وحواشيه في ٢٤٤ وفي الكتاب فهارس لكل باب

(٢) — منهاج المعراج مع شرح معارج العلوم — هو كتاب في المنطق يحتوي شرح الرسالة المشهورة بمعارج العلوم في تنقيح المسائل المنطقية التي صنفها الحسن السهالوي وقد طبعت على الحجر أيضاً في مطبعة أصح المطابع المذكورة في لكنو في نحو مئة صفحة كبيرة

(٣) — الطريف للاديب الظريف — وهو كتاب في الادب تأليف

الحافظ الحاج الشيخ عبد الاول بن علي الجونفوري وقد طبع في المطبعة المشار اليها أيضاً طبعاً واضحاً وفيه كثير من الفوائد اللغوية على نحو ما في كتاب فقه اللغة للثعالبي والمزهر للسيوطي من جمع الالفاظ المتشعبة من معنى واحد أو المختصة بمعان تجتمع تحت رأس واحد أو يجري عليها حكم واحد . كاسماء البروج والاخلاط والجهات الست وما يفرد ويثنى ولا يجمع وما لا يثنى ولا يجمع وما يطلق على المذكر والمؤنث. وتقسيم المياه الى أسمائها مما يشرب وما لا يشرب وتقسيم الصدور والاظفار ونحو ذلك من أسماء أوعية الطعام وأوعية المائعات وتفصيل الحركة والتحاريك وحركات مختلفة وتقسيم الاكل وضروبه وأصوات الطيور وأصوات النائم وسائر ضروب الاصوات وذكر الاضداد ونحوها وأنواع البيوت ومرادفات الساعة وأسماء الحرب وغير ذلك . وفي ذيل الكتاب نوادر وحكايات مما يروى عن العرب في الاخلاق والعادات والحكم الامثال

(٤) — المنطوق لمعرفة الفروق — وهو كتاب في اللغة تأليف الحافظ الشيخ عبد الاول أيضاً . وقد عني بطبعه السيد محمد عبد العلي المدرامي في المطبعة المتقدم ذكرها — وفيه بيان الفرق المعنوي بين بعض الالفاظ المتشابهة أو المتقاربة أو المتضادة كالفرق بين الصدق والحق وبين الرحمة والمغفرة وبين الغسل (بالفتح) والغسل (بالضم) وبين الفيء والظل والسير والسرى والرضاب واللعاب والنسيان والسهو والحسد والغبطة والشاذ والنادر والدين والملة والنفس الزكية والزاكية . وبين الكتاب والرسالة وبين الرسالة والمجلة وبين المعنى والمحوى والاعجمي والعجمي والعين والينبوع وقس على ذلك . وهو كتاب نفيس جزيل الفائدة وخصوصاً لارباب الاقلام صفحاته خمسون صفحة

(٥) — سفينة البلاغة — هو كتاب في الانشاء العربي لمؤلفه محمد زمان خان صاحب شهيد . وقد طبع على الحجر في هذه المطبعة أيضاً في ٣٢٤ صفحة كبيرة . في أوله مقدمات في أساليب الافتتاح وطريق المتقدمين والمتأخرين في الكتابة وذكر الاسجاع والالفاظ التي تمجها الاسماع وتعريف الفصاحة ونحو ذلك . ثم باب

في ذكر الحمد والنعت اللذين تصدر بهما الكتب وآخر في ذكر السلام والتحية باختلاف المقامات وآخر في ذكر الاوصاف والدعاء وآخر في وصف الشوق وآخر في وصف المكتوب وما يدانيه وآخر في ذكر عافية المكتوب منه وتمنيها للمكتوب اليه . وأبواب أخرى في الكتب المتقدمة مع الهدايا وفي التهاني والتعازي والشكاية والعتاب والزجر وأجوبتها والشفاعات والتحريض والحث على المواعيد والشكوى والنصائح والمواعظ والامثال ونحو ذلك مما يطول شرحه . فنثني على ادارة البيان لهذه الهدية النفيسة ونرجو منها مواصلة العناية في نشر الكتب المفيدة

{ مجلة السيدات والبنات } صدرت هذه المجلة لصاحبتها المدموازيل روزه انطون كما اشرنا الى ذلك في الهلال الماضي وقد تصفحنا الجزء الاول منها فاذا هو حافل بالفوائد التي لا تستغني عنها ربات المنازل في هذا العصر لترويض عقولهن وترقية شؤون العائلات وتربية البنين وتدبير المنزل . ففي باب اشهر النساء ترجمة لوسي ستون بلكوال زعيمة المطالبات بحقوق النساء في امريكا . وبباب الام والولد والمدرسة فصل في التربية الادبية وآخر في التربية الجسدية . وفي باب المنزل والمطبخ والمائدة فصل في واجبات ربة البيت وآخر في المطبخ . ثم باب النساء المظلومات للمراسلة بين النساء الشرقيات ثم اخبار نساء الغرب وكثير من الفوائد الصحية والادبية بطريق السؤال والجواب . ثم باب القصص الشهيرة وفيه قصة « يوم للملائكة في الارض » وفي ذيل الجزء صحيفة الازياء وفيها صور آخر زي (مودة) ومعهُ مثال للتفصيل عليه . وبالجملة فانها مجلة مفيدة لا يليق بادبية من ربات المنازل أو بنات المدارس ان تتقاعد عنها وهي تصدر بالاسكندرية مرة في الشهر وبدل اشتراكها خمسون قرشاً بمصر و١٥ فرنكاً في الخارج

{ كتاب المناهج } الاب جبريل القرداحي مدرس العربية والسريانية في المدرسة الاوربانية في رومية العظمى من علماء اللغة السريانية وله فيها مؤلفات تشهد بطول باعهِ في معرفة اصولها وفروعها وقواعدها مع سعة اطلاعه في اداب اهلها . ومن اشهر مؤلفاتهِ فيها قاموسه السرياني العربي الذي سماه اللباب وهو جزءان

كبيران وكتاب الكنز الثمين في صناعة شعر السريان وتراجم شعرائهم المشهورين . وقد بعث الينا بالامس بنسخة من كتاب جديد اصدره في رومية اسمه كتاب المناهج في النحو والمعاني عند السريان نشرنا نبذة منه في هلال السنة الماضية عنوانها اللغة الآرامية . وموضوع الكتاب النحو السرياني والمعاني والبيان عند السريان . وهو كتاب فريد في بابه باللغة العربية . وكنا قبل ان نتعلم اللغة السريانية انما نلتمس تعلمها في جملة اللغات السامية ولكننا وجدنا فيها أدباً وشعراً وتاريخاً فنثني على حضرة المؤلف اطيب الثناء لسعيه في تسهيل اكتساب هذه اللغة ونشر ادابها

﴿ الامام ﴾ هي جريدة سياسية علمية أدبية قضائية تجارية تصدر في مصر مرة في الاسبوع لصاحبيها ومحرريها محمد بك أبو شادي ومحمود افندي واصف بدل اشتراكها ثمانون قرشاً صاغاً في مصر وجنيه عثماني في الممالك المحروسة العثمانية و ٢٥ فرنكاً في اوربا . وبين يدينا العدد الثاني منها وفي صدره مقالة في « العلم والاسلام » وأخرى في « الى أين المصير » ومقالة قضائية في « عقوبات القرآن » ثم القسم الادبي وفيه أشعار وفوائد فنرجو للامام الثبات والنجاح

﴿ تقويم المؤيد ﴾ صدر هذا التقويم لعام ١٣٣١ هـ لصاحبه محمد افندي مسعود المحرر بجريدة المؤيد وقد اشتهر هذا التقويم في العالم العربي بضبطه وما يحويه من الفوائد التاريخية والصحية والاحصائية والسياسية والفلكية والزراعية فضلاً عما حواه من النوادر والنكات المأثورة عن الملوك والخلفاء . ومع ذلك فان صفحاته ٣٠٤ صفحات مطبوعة على ورق نظيف بحرف دقيق وفيه صور أشهر الملوك ورجال السياسة وثمن النسخة خمسة قروش صاغ وأجرة البريد قرش ويطلب من صاحبه ومن مكتبة الهلال بمصر

﴿ أم الدنيا ﴾ هو كتاب يبحث في المرأة وحالتها من عهد الخليقة الى الآن تأليف علي افندي احمد الشهيدي بنظارة الحربية . وتظهر منزلة المرأة عند حضرة المؤلف من تسميته اياها « أم الدنيا » . وفي الكتاب فصول في المرأة وخلقها والزواج والهبوط والتعارف والطوفان والتبلبل وفي المرأة السامية والحجاب وحريتها في الزواج

وفي المرأة الحامية فالمصرية فالسودانية فالشلوكية. ثم المرأة اليافثية فالرومانية فالانكليزية وفي الاستدلالات على عدم مساواة المرأة للرجل. وفي المرأة والاسلام وعود الى الحجاب والطلاق والمرأة والتمدن الحديث وواجبات الرجل نحو المرأة وتعليمها وواجباتها نحو الهيأة الاجتماعية ونحو الزوج . ومن تدبر هذه المواضيع تتضح له أهمية الكتاب فنرجو الانتفاع به. وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة قروش صاغ وأجرة البريد ثلاثون باره

﴿ كله نصيب ﴾ هي الرواية العاشرة من الروايات الشهرية لصاحبها يعقوب افندي الجمال . والرواية المذكورة تأليف نقولا افندي الحداد صاحب كتاب الحب والزواج . والذي اطلع على كتابه المشار اليه يعلم سلامة ذوقه واقتداره على تشريح العواطف فالرواية من أحسن الروايات الادبية التي يجب مطالعتها. وهي تطلب من صاحب الروايات الشهرية ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ثلاثة قروش وأجرة البريد نصف قرش

﴿ اسيا ﴾ هو كتاب بالفرنساوية في جغرافية أسيا الطبيعية والسياسية والاقتصادية تأليف شارل افندي مقصود استاذ اللغة الفرنساوية في مدارس العروة الوثقى. وقد علق عليه حواشي باللغة العربية قال في سبب تعليقها — لما كانت نظارة المعارف قضت بتعليم العلوم باللغات الاجنبية وكانت الكتب الجغرافية المتداولة قاصرة على ذكر البلدان ومواقعها بدون تعليق شيء من الفوائد التاريخية ... وضعنا هذا الكتاب الجغرافي والقسم العلمي منه بالفرنساوية على ما تقتضيه نظارة المعارف وعلقنا عليه حواشي بالعربية بالتاريخ والسياسة فجاء الكتاب جامعاً للحسنيين— وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة قروش صاغ وأجرة البريد عشرون بارة

﴿ دليل الكاتب ﴾ هي رسالة في فن الخط لمؤلفها محمد افندي حلمي الكاتب بدائرة البرنس محمود حمدي باشا كتبها على أسلوب جديد بين فيه ما هي أحوال الحروف الهجائية وما هي القواعد الاساسية. وفصول في الفصل والوصل والحروف التي تزاد وهي خمسة. وفي الحروف التي تبدل والتي تحذف وهو موضوع جديد في المطبوعات

الحديثة ثمن النسخة قرشان وأجرة البريد عشرون بارة ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

﴿ المباحث المصرية ﴾ هي مجموع مباحث ادبية اجتماعية قضائية تأليف ناشد افندي حنا أحد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية اكثرها مقالات مهمة تستغرق في كتابتها البحث الطويل. منها مقالة في « حقوق المجرمين » وأخرى في الداء الاجتماعي وأخرى في السحر الحديث ومقالات في الاحسان وحقوق الانسان الطبيعية والحرية وغير ذلك. وكلها مقالات وافية تلذ مطالعتها فنثني على حضرة المؤلف ونتمنى ان يكثر أمثاله من الادباء الذين يشغلون أوقات الفراغ في كتابة مثل هذه المواضيع فيخدمون وطنهم ويصرفون اذهانهم عن أسباب اللهو التي تحط من شأن الانسانية

﴿ المغني المصري ﴾ هو كتاب غنائي لجامعه محمود افندي حمدي البولاقي الآلاتي يحتوي المغاني الجديدة والقديمة والمواويل والقصائد والسلامات الخديوية وقد رتب ذلك في أربعة أبواب (١) التواشيح والادوار (٢) المواويل الغزل المشهورة (٣) القصائد الموجودة مع أرباب الفن (٤) الحان الشيخ سلامه حجازي وفي الكتاب صور أشهر ملحني الغناء بمصر. صفحاته ١٦٠ صفحة وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة اربعة قروش وأجرة البريد نصف قرش

﴿ حريق مكتبة الاسكندرية ﴾ المؤرخون في اختلاف في نسبة حريق هذه المكتبة الى الرومانيين أو الى المسلمين وعلى كل من الرأيين أدلة وقرائن والكتاب الذي بين يدينا تأليف حضرة الخوري بولس عويس ضمنه رداً على كتاب الاسلام والنصرانية على العلم والمدينة بما يتعلق بحريق المكتبة المذكورة وهو يرى ان المسلمين أحرقوها. فقدم الكلام في تاريخ هذه المكتبة من أيام البطالسة الى قدوم عمرو بن العاص الى الاسكندرية وانه هو الذي احرقها وجاء بالادلة على صحة رأيه المذكور. ولاصحاب الرأي الآخر أدلة كثيرة على تفنيدها مما لا محل للخوض فيه هنا. على اننا ذكرنا رأينا في ذلك في كتابنا « تاريخ مصر الحديث »

﴿ العام الهجري الجديد ﴾ وافق أول عام ١٣٢١ للهجرة يوم الاثنين في ٣٠ مارس الماضي

الهلال

الجزء الرابع عشر من السنة الحادية عشرة

١٥ افريل (نيسان) سنة ١٩٠٢ و١٧ محرم سنة ١٣٢١

أشهر الحوادث وأعظم الرجال



الشيخ خليل اليازجي

الشيخ خليل اليازجي [1]

ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٨٩

﴿ ترجمته ﴾ هو أصغر أولاد المرحوم الطيب الاثر الشيخ ناصيف اليازجي ولد في بيروت في بيت الشعر واللغة والانشاء فرضع آداب اللغة العربية مع اللبن وقد قال الشعر وهو صبي ولم يدخل المدرسة . على انه لم يدخل المدارس الا بعد ان أخذ طرفاً من الادب . وقد درس الطبيعيات والرياضيات في مدرسة الاميركان في بيروت وبرع فيها ونظمها في شعر . وقدم سنة ١٨٨١ مصر وتعرف فيها بجماعة من أهل العلم فنال حظوة لدى الامراء والوزراء وأنشأ مجلة « مرآة الشرق » لم يصدر منها الا بضعة أجزاء ثم ظهرت الثورة العرابية فعاد الى مسقط رأسه فانتدبته المدرسة الكلية الاميركانيـة والمدرسة البطريركية لتعليم اللغة العربية للصفوف العالية فيها

وفي سنة ١٨٨٦ اصابته علة في الصدر عجز عن مداواتها الاطباء ولما فرغت حيل العقاقير وصفوا له تبديل الهواء في وادي النيل فعاد الى مصر وطبع فيها ديوانه المسمى « نسمات الاوراق » وفيه نخبة منظوماته وهي على ما طبع عليه رحمه الله من القريحة الشعرية

واشتد عليه الداء في أثناء ذلك فأشير عليه بالعودة الى لبنان فعاد وأقام في عبيه اشهراً ثم نزل الى الحدث وما زال فيها حتى توفاه الله في ٢٣ يناير سنة ١٨٨٩ ونقلت جثته الى بيروت ودفنت فيها بمحفل حافل . وكان رحمه الله شاعراً مطبوعاً سريع الخاطر حاد الذهن متوقد القريحة كثير الرواية متفنناً في أساليب الانشاء قريب البرهان مع لطف المحاضرة وسمو الاداب

﴿ مؤلفاته ﴾ اكثر مآثره المنشورة شعرية أشهرها رواية « المروءة والوفاء »

---

(١) نقلنا هذه الترجمة عن الجزء الثاني من كتاب « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع » الذي تم طبعه بالامس في مطبعة الهلال

وهي رواية تاريخية تمثيلية شعرية غنائية دلّ فيها على مقدرته في النظم وسعة معرفته بالانغام . أساسها حكاية حنظلة الطائي مع الملك النعمان في عصر الجاهلية فمثل فيها فضائل المروءة والوفاء تمثيلاً واضحاً . وصدرها بقصيدة طويلة بين فيها الاحوال التي يجب اتباعها في هذا النوع من الروايات . وقد أتم نظمها سنة ١٨٧٦ فبلغت أبياتها نحو الف بيت جمعت بين المتانة والسهولة وقد مثلت هذه الرواية في بيروت سنة ١٨٧٨ وشهدنا ما كان من اعجاب البيروتيين بها وتصفيقهم المتواصل في اثناء تمثيلها . وقد طبعت في بيروت سنة ١٨٨٤ وفي مصر سنة ١٩٠٢

وعني رحمه الله أيضاً في تنقيح كتاب كليلة ودمنة المشهور وفسر الغريب من الفاظه وضبطه بالشكل الكامل ووقف على طبعه فجاء اضبط نسخ هذا الكتاب المعروفة

ومما طبع من ثمار قريحته ديوان « نسمات الاوراق » المتقدم ذكره وفيه اكثر ما نظمه من تهاني ومراث وتواريخ ومدائح وحكم وآداب في ما يزيد على ٢,٦٠٠ بيت سنأتي على أمثلة منها

ومن مؤلفاته التي لم تطبع « كتاب الوسائل الى انشاء الرسائل » وهو مجموع ما القاه على تلامذته في المدرسة البطريركية من الرسائل وأصول الانشاء وهو يعلم فيها هذا الفن على أسلوب يتدرج فيه الطالب من الكتابة البسيطة الى أعلى طبقة من الانشاء . والكتاب لا يزال خطاً في المدرسة المذكورة

ومنها « الصحيح بين العامي والفصيح » وهو معجم لم يسبقه أحد الى مثله جمع فيه مرادفات الالفاظ العامية من اللغة الفصحى . وقد رأيناه رحمه الله وهو يعنى في جمع تلك الالفاظ يوم جاء مصر للمرة الثانية وتوسمنا في ذلك التأليف فائدة كبيرة لشدة حاجة الكتاب بنوع خاص اليه . وكان قد مثل بعضه للطبع فاشتدت عليه وطأة الداء فانقطع عن العمل فعسى ان لايحرمنا شقيقه الشيخ ابراهيم صاحب الضياء من اتمامه.

أما شعره فأحسن مايقال في وصفه ان نأتي بأمثلة منه — قال من قصيدة قدم بها روايته المذكورة الى شقيقه المشار اليه :

لما وجدتك مثل بحرٍ زاخرٍ ألقيت بين يديك بعض جواهري
هاتيك جوهرةٌ لديّ وان تكن صدفاً لدى دُرّ بلجك فاخرِ
نزرُ المقل أجلُّ في عينيه من وفرٍ لدى عين الغني القادرِ
تخذت لياليّ الطوال محابرًا وسوادها اتخذته حبر محابرِ
ووهبتها انسان عيني فاغتدت دعجاء اذ كحلت باثمد ناظري
عذراء لكن لا أقول فريدةٌ للعقد ان العقد ليس بحاضرِ
لم ينسج الشعرا على منوالها اذ ليس معناها بقلب الشاعرِ
حاشاك والاطلاق أضيق حيزًا من ان يحيط بك احتياط الدائرِ
شعرية لانثرَ فيها وهي من بعض الوجوه ترى كنثر الناثرِ

وقال من قصيدة بعث بها الى صديقه المرحوم أديب اسحق بالقاهرة :

تلك العيون متوننا فكأنما قد كلفتها قتلنا الايامُ
ولربما نام الزمان هنيهةً عنا وتلك تصيب وهي نيامُ
واذا رأت في النوم طيف خياله فتكت به ولو انها احلامُ
طمعت بخضرتها العيون وما درت ان السموم تكنها الادسامُ
ولرب حلو في المرارة مودع كالحبر فيه ثنا الاديب يقامُ
متنبه الافكار يقظان الحجى حتى لاعجب منه كيف ينامُ
فاذا تروا كاتباً فجميعه فكر فتوشك تفصح الاقلامُ

وقال يمدح المرحوم شريف باشا وزير مصر من قصيدة :

قد قام في دست الوزارة فاكتسى شرف العلى وبه تشدد أزرُهُ
وغدا زمام الدهر طوع بنانه اذ بات مكشوفاً لديه سرُّهُ
وهو الذي ضبط البلاد بكفه لما حوى ما عنه ضاقت صدرُهُ
يرنو بفكرته فيوشك ما يرى بالعين منه ان يراه فكرُهُ

وقال من قصيدة في رثاء المرحوم المعلم بطرس البستاني :

أجرى اليراع عليك دمع مداده فكسا به القرطاس ثوب حدادهِ

وبه تخط لك الرثآء من الاسى | فهو المقيم على عهود ودادهِ
فلكم بميدان الطروس هززتهُ | حتى جعلت الرمح من حسادهِ
ان كان يبكيك اليراع بدمعه | فلقد بكاك حزيننا بفؤادهِ
يا صاحب الفضل الذي لو أننا | نبكي به لم نخش وشك نفادهِ
يا قطر دائرة المعارف والحجى | ومحيط فضلٍ فاض في امدادهِ
فاذا المحيط بكاك لم يك دمعه | دون المحيط يزيد في ازبادهِ
يبكي الحساب عليك متخذاً له | دمعاً يسيل عليك من أعدادهِ
خدم البلاد وليس أشرف عنده | من أن يسمى خادماً لبلادهِ
ومحبة الاوطان كان يعدُّها | مما يدور عليه أمر معادهِ

وقال من قصيدة يرثي بها المرحوم أديب اسحق :

أخلق بجسمك ان يبيت كليلا | عن جهد نفسك أو يموت عليلا
نهكته نفسك في المطالب والعلى | حتى تمنى للفراق سبيلا
يا راحلاً ابكى عليه محابراً | ومنابراً ومحاجراً وطلولا
ترثيك أقلامٌ يكون صريرها | نوحاً عليك من الاسى وعويلا
وهي التي قد كن بين بنانها | قضباً وكان صريرهن صليلا
ولعل مثلك ليس يوجد عندنا | حتى نرى لك منك عنك بديلا
يروي مآثر عنك يقصر دونها | صوغ القوافي في ثناك طويلا
ويعدُّ ما أحصيته في مدة | قصرت ففات العرض منها الطولا
ان كان قلَّ مدى حياتك عندنا | فقليل مثلك لا يعد قليلا
فلقد ملأت به السماع جرائداً | وقصائداً ورسائلاً وفصولا
ما بين شرق في البلاد ومغرب | لم تأل فيه تغرباً ورحيلا
مستصحباً لك همة نفادةً | وعزيمة مثل الحسام صقيلا
وقريحةً وقادةً وبصيرةً | نقادةً تستوضح المجهولا

وقال من قصيدة رثا بها المرحوم سليم البستاني وقد توفي فجأة :

هو الموت الا ان خطبك أعظم ورزؤك في الارزاء أشجى واجسم
ومن فلتات الدهر أمرك انه لاشفق في أمثال هذا وأرحم
لك الله ميتاً كالقتيل ولم يسل له من دم لكن مدامعنا الدم
وان نحن طالبنا المنايا بثاره رمتنا وقالت من يطالب عنكم
وان نحن عاتبنا الزمان بفعله قرعنا سماعاً ماله من يترجم
فعدنا وقد خبنا من الدهر مأملاً ننوح على ما كان منه ونلطم
فقدنا بني الاوطان عضواً مكرماً كجسم مضت منه يد فهو أجذم
الا اننا في فقده اليوم أسرةٌ وأوطاننا في نوحه اليوم مأتم
على مثله يبكى وهيهات مثله فتىً طاب منه القلب واليد والفم

وقال يمدح المرحوم الدكتور فان ديك على أثر مرض شفي منه على يده :

لو استطعت جعلت البرق لي قلما والجوّ طرساً وحبري الغيث حين همى
ورحت أملأ آفاق السماء ثناً عليك منتثراً طوراً ومنتظما
يا كنز فضل وعلم لانفاد له نعم أنه لزم الانفاق والكرما
ان النفيس عزيز قد ينال وقد ينال ذاته بينما غنماً لمن غنما
كالشمس تعطي سناها كل ذي بصر وربما كان لا يدري له قيما
نبغي مبالغة في الشعر فيك فلا نستطيع ذاك ولا نقضي الذي لزما
والشعر لا بد فيه من مبالغة الا بوصفك فهو الغالب الكلما
أنت الطبيب لاجساد العباد وللـ عقول والانفس اللاتي اشتكت سقما
والفيلسوف الذي أحصى العلوم وقد أسالها منهلاً للمشتكين ظما
تدعى الحكيم وان نعت الطبيب وان لانعته فصحيح فيك كلها
يا مغفلاً نفسه في جذب منفعة للآخرين جزيت الخير والنعما
كانما الناس طرًّا عيلة لك من شكا فأنك معه تشتكي ألما

وكتب من القاهرة وهو مريض الى بعض أعزائه في بيروت :

قل صبر الفؤاد والشوق غالبْ والضنى وحده لذا الشوق غالب

غالب السقم مني الشوق حتى | بات قلبي ميدان كل محارب
غلب السقم بانحيازي اليه | وانثنى الشوق انما غير هارب
لم أقل هارباً ومن لي بهذا | فهو طي الفؤاد ضربة لازب
غير اني قسمت قلبي فكان الـ | ـسقم في جانب وشوقي بجانب
كلما حن مني القلب قال الـ | ـعقل مهلاً فأنت لست بصاحب
وعسى الله ان يصير بي بل | بكثيرين ذلك الظن خائب
واذا لم يكن قد قام عذري | انني قد عملت ما هو واجب
ويكون البعاد هذا ابتداءً | لبعاد هذا له لا يقارب
غير اني أرى لليلي فجراً | ربما كان صادقاً غير كاذب
ليس من عائق لهذا ولا ذا | فبكل من الخواطئ صائب
كيف يشفى من كل حين يرى المو | ت وغربانه عليه نواعب
خاف من موته فمات من الخو | ف كثير فتى وطاوع ناصب

وكتب على احدى صوره:

لما تملكتم على قلبي ولم | اطمع له من عندكم بمعادِ
اهديتكم رسمي لكيما تجمعوا | ما بين جسمي عندكم وفؤادي

وكتب: لك مني أثر العين التي | لك فيها أثر في كل أين
فتقبله ولو كنت امرءاً | ليس يرضى أثراً من بعد عين

وكتب: رسم اليك بمثله وأنا | اهوى لو ان مكانه الجسم
ان كان ذلك ليس يمكنني | يا حبذا لو انني رسم

وكتب: بعثت لكم موهوم شخصي ممثلاً | وشخصكم في مقلتي ظل بالوهم
لعلي من الوهمين أجني حقيقةً | فرسماً ترى ذاتي وذاتاً يرى رسمي

وقال في ضارب عود:

وضارب عود قد أزاغ عيوننا | ببرقين من تلك البنان وذي الكف
تنازعه آذاننا وعيوننا | فهذي الى كحل وتلك الى شنف

فيكتور هوكو

وعلم الادب عند الافرنج والعرب

لكاتب فاضل

١٠

الفتوح الاسلامية في أوربا

لما جلس الوليد بن عبد الملك بن مروان (ولد ٤٨ — ٩٦ هـ) سادس الخلفاء الامويين والثالث من آل مروان كانت ولاية أفريقية ملحقة بولاية مصر والعامل عليها عبد العزيز بن مروان فلما أتاه الحسن بن النعمان بالغنائم التي غنمها من البربر طمع فيه فشكاه الحسن بن النعمان الى الوليد ففسخ عن مصر أفريقية وولاها موسى ابن نصير . وكانت مملكة القوط في اختلال من استبداد رودريك بالامر وتغلبه على طليطلة عاصمة الملك وظلمه في قبائل القوط وتسلطه على اعراض بناتهم فاستجار الاسبانيول بالعدالة الاسلامية واغتنم موسى الفرصة وكتب للخليفة يستأذنه في فتح بلاد أطيب هواء من الشام وأخصب أرضاً من اليمن وأعطر زهراً من الهند . وبعد استحصاله على اذن الخليفة سير طارق بن زياد بجيش من البربر فاجتاز بحر الزقاق على المراكب من أضيق محل فيه ونزل بساحل أوربا عند صخرة هائلة كأنها الجبل فسميت باسمه وقيل لها جبل الطارق وقيل لمجمع البحرين المكتنفين بها بوغاز جبل الطارق (جبرالتار) وكان ذلك سنة ٩٢ للهجرة وسنة ٧١٠ م . وألف عبد الحق حامد مستشار سفارة لوندره رواية تشخيصية باللسان العثماني سماها طارق وأبدع في نظمها ونثرها وبين فيها هذا الفتح المبين . فانتصر طارق في محاربة وادي لينة بالقرب من جزيرة قادس . ولحقه موسى بن نصير بجيوش من العرب وأشراف قريش وفتحوا مالقه واشبيلية وهي على شاطئ الوادي الكبير وقرطبة وطليطلة عاصمة ملوك القوط وهي على نهر باجه المسمى بنهر تاج . وظلوا سائرين حتى بلغوا أسفل

جبال البيرينه الفاصلة بين اسبانيا وفرانسا وفتحوا استورغة وهي في أسفل تلك الجبال . وهذه أول مرة رأى فيها القرشيون جبال البيرينه وهم تحت قيادة موسى ابن نصير وسموها (جبل البرنات) بكسر الراء — هذا من جهة الغرب

وأما من جهة الشرق فسير الحجاج والي العراق جيشاً عقد لواءه لابن عمه محمد بن القاسم الثقفي تجاوز به نهر السند وفتح الهند وسير جيشاً آخر تحت قيادة قتيبة بن مسلم تجاوز به نهر جيحون من خراسان وفتح ما وراء النهر وتقدم حتى بلغ كاشغر وأخذ الجزية من ملك الصين . وأصبح ما بين المشرق والمغرب تابعاً للوليد وهو منعم في قصره لم يخرج في غزوة . واستوثقت له الامور ولم تتغال عساكره المنصورة الا في بلاد الترك وهي في قيادة الحجاج وفي بلاد الروم وهي في قيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك وبلاد الترك هي تركستان وما بين بحر الخزر وبحر خوارزم (بحيرة ارال) وما في شمالها من أراضي سبيريا وكانت في حكم خاقان الترك كما هي اليوم في حكم قيصر الروس . وبلاد الروم هي بر الاناطول والروم ايلي وكانت تابعة لقيصر الروم أي لدولة الرومان الشرقية كما هي اليوم من أجزاء الممالك العثمانية . ومن حسن حظ الوليد توفقه لبناء المسجد الاقصى ومسجد المدينة وجامع دمشق وفي كل بنيان منها دليل شاهد على حضارة ذلك الزمان وترقي أهله في الصنائع والعمران

ثم جلس على كرسي الخلافة أخوه سليمان (٥٤ — ٩٩ هـ) بن عبد الملك بن مروان وجازى قتيبة بن مسلم فاتح الشرق بما جازى به أخوه الوليد فاتح الغرب وهو موسى بن نصير . وهكذا كانت الخلفاء تجازي فاتحي الممالك الاسلامية بأشنع مما جوزي به سنمار . فماتوا منكوبين قهراً لا يملكون شيئاً مما جنته أيديهم من أموال الغنائم . وزادت نكبة موسى بن نصير بقتل ولده عبد العزيز مكافأةً على حسن ادارته في ولاية اشبيلية . وكان موسى متأهباً للاغارة على الامم التي بين جبال البيرينه وخليج القسطنطينية وادخالها جميعاً في الاسلام كما دخلت أمم أسيا وأفريقية ولم يكن هذا الامر على موسى بعزيز لوجود الاختلاف والتفرقة بين أمراء الافرنج وعدم النجابة في ملوكهم الملقبين بالبطالين . ولكن سوء تدبير الامويين صده عن

هذا العمل العظيم ومكن الافرنج في فرانسا مما لم يتمكن منه القوط في اسبانيا من الائتلاف والاتحاد وصد هجمات العرب · وبسوء تدبيرهم أيضاً وعدم غرسهم المعروف في أهله وعدم مكافاتهم المخترعين والمكتشفين كما كانوا يكافئون الشعراء والمغنيين التحق البعلبكي مخترع النار اليونانية بقيصر الروم وأسرَّ اليه كيفية عمل هذه النار فأمر باصطناعها في معامل القسطنطينية برًّا وبحرًا · لان مسلمة بن عبد الملك أخا الخليفة اخترق بعسكر الاسلام بر الاناضول وعبر من مضيق الدردنيل المسمى (بوغاز چنا قلعه) وطلع لاوربا واتبع ساحل بحر مرمره حتى وصل أسوار القسطنطينية ووضع الحصار عليها كما حاصرها من قبل سفيان بن عوف الازدي في خلافة معاوية سنة ٤٨ هـ واستشهد اذ ذاك ٣٠ ألفاً من أهل الاسلام وفيهم خالد أبو أيوب الانصاري ولم يزل ضريحه يزار في الحي المنسوب اليه على ساحل الخليج المسمى بقرن الذهب · وبينا كانت عساكر مسلمة تحاصر من جهة البر كان اسطول الاسلام المجهز في سواحل سورية ومصر من خشب احراج لبنان راسياً في مياه القسطنطينية · فالذي منع العرب من فتح القسطنطينية هي النار اليونانية لانها أضرت بعسكر المسلمين وأحرقت مراكبهم وكانت عدتها الف وثمانماية مركب والكبار منها عشرون مركباً امام عاصمة الروم كأنها الغاب من الصواري والكماة فيها كالاسود · فاحترقت بأجمعها ولم يعد منها للاسكندرية سوى خمسة مراكب — فالمخترع لهذه النار السيالة على ما ذكره المؤرخ الانكليزي جيبون هو رجل من بعلبك يسمى كالينيقوس كان يصطنعها من النفط والكبريت وفحم الصنوبر بطريقة مخصوصة ومقدار معين فكانت تشتعل في الماء والهواء وتدمر ما تنصب عليه ولذا سميت أيضاً النار البحرية · وما زال العسكر في الحرب يعولون عليها ويتقون ضرها الى أن اكتشف العرب على ما يظن بارود المدافع باضافتهم الى مسحوق الفحم والكبريت ملح البارود · ونقله عنهم في القرن الثالث عشر للميلاد روجر باكون الانكليزي (١٢١٤ — ١٢٩٤ م) وغيره من كيماويي الافرنج واشتهر استعمال البارود في المدافع سنة ١٣٤٦ في المحاربة التي وقعت بين فرانسا وانكلتره في قريسي وهي في

شمال باريس على نهر صوم. فكان ملك الانكليز ادوارد الثالث يقود العساكر هو وابنه البرنس دوغال وكانوا مسلحين بالقوس والنشاب ومعهم بعض المدافع التي ظهر استعمالها في ذاك الوقت فغلب الانكليز مع قلة عددهم بسبب الانتظام والترتيب العسكري . فهذه أول محاربة في اوربا استعملت فيها المدافع ولكن المظنون ان العرب استعملوها قبل هذا التاريخ اي في اواخر القرن الثالث عشر للميلاد في محاصرتهم جزيرة صقلية سنة ٦٧٢ هـ — وعلى كل فلا ندري كيف ترك هذا الكيماوي البعلبكي خدمة الخلفاء الامويين والتحق بقيصر الروم وفي الدولة الاموية في ذاك العصر من يحرص على الكيمياء وعلى تفرعات مسائلها مثل خالد وجعفر وجابر ومن أخذ عنهم

توفي سليمان بن عبد الملك مرابطاً في مرج دابق من ارض قنسرين واخوه مسلمه منازل القسطنطينية . ثم جلس عمر (٦١ — ١٠١ هـ) بن عبد العزيز بن مروان وأبقى ابن عمه مسلمة على حصار القسطنطينية وتجاوزت عساكر الاندلس الى وراء جبال البيرنيه من أرض فرنسا ليحققوا آمال موسى بن نصير في الذهاب براً الى القسطنطينية . وكانت مدينة نربون تفوق مرسيليا في العمران وتتصل في في البحر الشامي بترعة طولها ثماني كيلومترات فتدخلها المراكب كما تدخل اليوم حاضرة تونس الخضرا . فحاصرها علقمة بجيوش المسلمين من البر والبحر وامتد الحصار سنتين لتحصنها بالمستنقعات وبالقلاع الرومانية

ثم جلس يزيد (٧٦ — ١٠٥) بن عبد الملك بن مروان تاسع الامويين وسادس المروانيين وفي ايامه دخل علقمة بالسيف الى نربونه فرممها وزاد في تحصينها واتخذها مركزاً لحركاته العسكرية في فرانسا وصار العرب يسمونها أربونة وافتتحوا ما حولها من القرى والقصبات التي في أرض سبتمانية وظلوا سائرين حتى دخلوا ايالة لانغيدوق والقوا الحصار على مدينة طولوز (طلوشه) وكانت اذ ذاك مقر دوق اكيتانيا المسمى اود . فخرج لهم الدوق بجيوشه من الويزى قوط والواسكون والفرانك واقتتلا قتالاً شديداً قتل فيه كثير من الجانبين وكان علقمة يستشيط غيرة وحمية ويكر

بنفسه ويشجع الابطال بكلامه فأصابه سهم قضى به نحبه وافترق الجمعان وكان ذلك في شهر مايس سنة ٧٢١ م وسنة ١٠٣ هـ . فاستلم قيادة الجيش عبد الرحمن وكان من ذوي الحمية والاقتدار ومن أصحاب عبد الله بن عمر وانقلب راجعاً الى ضواحي نربون والى مصب نهر الرون

وفي سنة ١٠٥ هـ اوسنة ٧٢٤ م توفي يزيد بن عبد الملك حزناً على حبابة فجلس على كرسي الخلافة أخوه هشام (٧٠ — ١٢٥ هـ) بن عبد الملك بن مروان وعين واليا على الاندلس عنبسه فأراد الاخذ بثار سلفه علقمه وتجاوز بالعساكر جبال البيرينة ونزل ايالة سبتمانية وهي اليوم ولاية البيرينة الشرقية وولاية أود وما جاورها وافتتح مدينة قرقسون وسموها (قرقشونه) وهي في غرب نربون وعلى سكة الحديد الواصلة بين مرسيليا وطولوز وبوردو . وتقدم عنبسة بالعسكر فجاءه أهل مدينة نيم وهي في الشمال الغربي من مرسيليا وطلبوا منه الامان فأمنهم ودخل مدينتهم بالصلح وسموها نيمة وأخذ أبناء أعيانها رهناً على طاعة أبائهم وحفظهم في برشلون (برشلونه) وهي على ساحل البحر الشامي في ايالة قطالونيا المشرفة عليها جبال البرينه . وتقدمت جيوش عنبسة على ضفاف الرون حتى دخلت مملكة برغونية وغزت مدينة أتون سنة ١٠٧ هـ وسنة ٧٢٥ م . وفي هذه السنة قتل عنبسة في احدى المعارك وبلغ ما غنمه المسلمون في زمن ولايته ضعف ما غنموه في السنين السابقة من بلاد فرانسا . واستلم قيادة الجيش بعده حديثة ورجع بالعسكر الى الحدود الاسبانية فلاقى بها المدد الذي بعث به المرابطون في الاندلس فكر بهم على بلاد الافرنج والقى الرعب في قلوب أهلها . وأوغل في الارض الشمالية وفي مملكة برغونية . ويزعم مؤرخو الافرنج ان العرب اكثروا في هذه الحروب من اراقة الدماء وهدم البناء واحراق الكنائس والاديرة وتخريبها واتلاف الاموال وغصبها . ومنهم من يعترف بان العرب اخف وطأة على بلادهم من قبائل الهون الاسيوية الذين اتوهم من الشمال الشرقي تحت قيادة أتيلا ودمروا بلادهم تدميراً . ولم يزل الفرنساويون ينسبون الى العرب تخريب كل خرابة يشاهد أثرها في الاراضي الجنوبية من فرنسا . ويظهر من تواريخ

الافرنج ان العرب بعد فتحهم هذه البلاد قسموها الى ايالات وجعلوا الارض التي على جانبي البرينة في فرنسا واسبانيا من جهة البحر الشامي المتوسط ولاية اسمها سيردانية وهي اليوم عبارة عن قطالونيا في اسبانيا وعن ولاية البيرينة الشرقية في فرنسا وكان الوالي عليها قائداً من البربر مثل طارق بن زياد يسميه الافرنج مونيزا فاتفق الدوق أود مع هذا القائد المسلم وزوجه بنته وعاهده على عدم الغزو في بلاده فأصبح في جبال البيرينة حاجزاً امام غزاة المسلمين فاغتاظوا من هذا الاتفاق وأظهروا ميلهم لعبد الرحمن الذي كان استلم قيادة الجيش بعد قتل علقمة.

وكان عبد الرحمن من أصحاب عبد الله بن عمر متخلقاً باخلاق الخلفاء الراشدين وأكابر الصحابة والتابعين حريصاً على اعلاء كلمة الله وعلى نشر الدين في جميع أقطار الارض فكان يجتهد في تحقيق أمال موسى بن نصير والاستيلاء على اوروبا والوصول منها الى القسطنطينية . فعينه الخليفة هشام والياً على الاندلس سنة ١١٢ ﻫ اوسنة ٧٢٠ م فدخل بالعسكر مدينة بو يسردا وهي عاصمة ولاية سيردانية وقتل القائد المتفق مع أود وبعث بزوجته وهي بنت الدوق الى دمشق وقيل بل انتحر هذا القائد المسمى مونيزا خزياً وحياء وكانت مدينتا نيم ومون بيليه تابعتين للمسلمين فتقدم عبد الرحمن بالعسكر الى ضفاف الرون وعبر الى شاطئه الايسر والقى الحصار على مدينة آرل فانجدها الفرنساويون بفرزة من العسكر وحميت نار الحرب وكثر فيها عدد القتلى حتى امتلأ النهر بأجسادهم ثم سار على ضفاف نهر الرون صاعداً في الشمال والقى الحصر على مدينة أفينون وافتتحها وهذه المدينة هي التي صارت في القرن الرابع عشر للميلاد مركزاً للبابوية بدلاً عن رومة واستمرت تابعة للباباوات الى ما بعد الانقلاب الكبير أي لسنة ١٧٩١ م .

تراجم مشاهير الشرق

في القرن التاسع عشر

تقضي بسيطرتها عليه مع بقاء الحكم في يديه — وفي كولابور ١,٦٠٠ جندي ومن المدارس ما يزيد على ١٥٠ مدرسة عدد تلامذتها نحو ٦,٠٠٠ تلميذ — واذا اعتبرنا عدد السكان بالنظر الى ذلك كان التعليم رائجاً فيها

والمهراجا شنراباتي زار انكلترا في اثناء تتويج الملك ادوارد وأعجب بما لاقاه فيها من العظمة والفخامة وما آنسه من ترحاب حكومتها به وبزملائه أمراء الهند المستقلين وكتب بذلك الى بعض الجرائد الانكليزية فنشرت أقواله وعلقت عليها الذيول الطوال

الاحسان

دَينٌ على الانسان

ليس من غرضنا البحث في الاحسان ووجوبه من حيث الدين فان الكلام في ذلك من قبيل تحصيل الحاصل . اذ ما من ديانة الا وهي تأمر بالاحسان وتفرض على الناس اعالة المساكين وتخفيف مصائب بني الانسان . والاحسان يشمل كل حسنة يأتيها المرء لابناء نوعه سواء كان ذلك بسدّ عوزهم او مداواة اسقامهم او تثقيف عقولهم او تخفيف احزانهم او انقاذهم من ظلامة او غير ذلك — فهذا كله تأمر به الاديان وتعد فاعليه ثواباً وهم يفعلونه التماساً للثواب او تكفيراً عن ذنب . وقد أنشأوا لذلك المستشفيات والمدارس ودور العجزة ودور الضيافة وغيرها في كل العصور — وما منهم من يفعل ذلك الا وهو يحسبه تفضلاً يلتمس عليه أجراً — وعندنا انه واجبٌ قد أُجر عليه سلفاً ودَينٌ لا مناص له من إدائه فاذا لم يفعل ذلك فقد قصر بوفائه

خلق الناس لا كما شاؤوا بل كما شاءت الاقدار او كما اقتضت نواميس الطبيعة وفيهم الضعيف والقويّ بدناً أو عقلاً ممن يحمل القناطير الى من لا يقوى على حمل نفسه وفيهم من يحل المعضلات بمضاء عزيمته ويكشف الغوامض بنور بصيرته ومن لا يميز خيره من شره . وما هم مخيرون في ذلك ولا ملومون لأن شأن قصير البصيرة

مثل شأن قيصر البصر – فهل اذا ولد الانسان كفيفاً يلام لقصر نظره او اذا ولد كسيحاً يؤاخذ على قعوده ؟ . فالمولود صغير العقل ضعيف الرأي لا يلام لتقصيره في ميدان الارتزاق . واذا فرض ان التربية تقويه وتعوض عن ذلك النقص فيه فهو غير مسأول عن تربية نفسه – وانما التبعة في ذلك على أهله وذويه . على ان الفقر كثيرًا ماتكون علته من مجاري الطبيعة التي لا سبيل الى دفعها – وكذلك الذين يولدون أقوياء العقول والابدان وفيهم النشاط والهمة مما يخولهم كسب الاموال او الارتقاء في المناصب او غير ذلك من مطامع بني الانسان . فهؤلاء لا فضل لهم في كسبهم وارتقائهم للاسباب التي ذكرناها

ألا يكفي الفقراء ما بلوا به من الضعف الطبيعي او معاكسة الطبيعة حتى نثقل كواهلهم بالتعنيف ونمسك عن الاخذ بيدهم في طريق هذه الحياة . فكما نعدّ قيادة العميان في طريقهم فرضاً واجباً لافضل لنافيه فقيادة ضعفاء القوى العقلية فرض أوجب لان كفيف البصر قد لا ينقصه الا رؤية الطريق الى منزله وأما كفيف البصيرة فكل طرقه مظلمة . اذا رأيت كفيفاً يتلمس الطريق ويتعثر بالحجارة او يلطم وجهه بالجدران فانك لا تتمالك عن ان تمد يدك لارشاده – وكم يكون غضبك لو سمعت أحدًا يعنفه على تعثره وقصر بصره . اما اذا رأيت فقيرًا يشكو ضيق ذات يده وهو صحيح البدن كامل الاعضاء فانك تنقم عليه وتكثر من تعنيفه ولا تقبل له عذرًا لانه كامل السن تام الاعضاء . وقد يكون عذره ادعى الى القبول من عذر ذلك الاعمى لانه لم يعجز عن التكسب الا لضعف في قواه او لمعاكسة الاحوال له او للسببين جميعاً – وعمى البصيرة شرٌ من عمى البصر

والناس أخوة وفيهم القويُّ الرابح والضعيف الخاسر وبين ذلك مراتب . فالضعيف يكفيه من نكبات الدهر عجزه عن التكسب وحسب القوي من النعم السابغة ان يكون عوناً لاخيه الضعيف . ومن الجهل ان يتيه الغنيُّ بغناه وهو اذا كان وارثاً فالفضل في جمع المال لابيه واذا كان قد اكتسبه بجده وسعيه وحسن نظره فالفضل لما خلق فيه من المواهب – وما هو موجدها ولا فضل له فيها . على ان الثروة كثيرًا ما تكون

علتها صدقة لا يقتضي اغتنامها بعد نظر ولا سداد رأي . فالفقير عالة على الغني ويكفي الفقير ذلاً ان يكون سائلاً والغنيُّ يكفيه فخرًا ان يكون مسئولاً . اذ ماذا عسى ان تكون حيلة ذلك الغني لو انه ولد ضعيفًا او تعيسًا وكان هو العالة على أخيه

ومن العار الفاضح ان يكون بين بني الانسان اغنياء ارزاقهم واسعة واموالهم طائلة حتى يعجزهم التصرف بها ولا يعرفون وسيلة لاستنفادها وبين ايديهم اناس اذا حصلوا على حكاكة تلك الاموال كانت فيها سعادتهم وبناء بيوتهم وتربية اولادهم — ما الذي يضرُّ صاحب الالوف اذا بذل العشرات وصاحب مئات الالوف اذا بذل المئات — وبين اظهرنا مئات يزيد دخل أحدهم على عشرة آلاف جنيه في العام وفيهم من يزيد دخله على ذلك كثيرًا فينفق معظمها في ما لا طائل تحته من اسباب البذخ والترف مما يسبب الامراض ويعجل الآجال — وهل من العدل ان يموت ذلك الغني من التخمة والفقير بجانبه يموت من الجوع ...

فالغنيُّ مطالب باعانة الفقير طبعًا بلا منة ولا فضل . ناهيك بالاوامر الدينية والشرائع الالهية والنظامات المدنية فانها مجمعة على ذلك ايضًا فضلاً عما يجده المحسن من اللذة في انتشال ابناء نوعه من وهدة الفقر او من هوة الجهل او انقاذهم من الامراض او تخفيف احزانهم ومصائبهم . فان في مثل هذا الشعور لذة عظمى — اذا كان المحسن من اهل الشعور الانساني والا فيكفيه ما يناله من الشهرة البعيدة وحسن الاحدوثة وما من طبيعة بشرية الا وتطلب المدح وترتاح اليه وما في ذلك عارٌ ولا نقيصة . واذا لم يكن المدح يهمه وكان من أهل الدين فيكفيه ما يرجوه من الثواب العظيم — واذا لم يكن يهمه هذا ولا ذاك فما هو من بني الانسان

اذا تقرر ذلك بقي علينا النظر في سبل الاحسان . وقد جرت عادة اهل البر في بلادنا اذا هموا باحسان ان يجعلوا وجهته غالبًا تخفيف الآلام ومعالجة الامراض او سد عوز الجائعين او تسهيل اسباب العبادة بانشاء المستشفيات ودور العجزة والتكيات والمعابد ونحوها — وهو برٌّ يشكرون عليه . ولكننا نرى البر من طريق التعليم اكبر فائدة وأغزر نتاجًا . لانك ترى في شوارع القاهرة والاسكندرية مثلاً وفي

غيرهما مدن مصر والشام غلمانًا صحاح الابدان يطوفون الشوارع يلتقطون اعقاب السجاير او فتات الموائد او يجمعون فضلات الناس والبهايم — تراهم تارة بين قوائم الخيل وطورًا بين عجلات المركبات او بابواب الملاهي يتوسد بعضهم الرصيف والبعض الآخر الحائط يتعرضون للحر والبرد والجوع والعطش وسائر مسببات الامراض ناهيك بما تقودهم اليه تلك البيئة من اسباب الرذائل والفحشاء . ولا يبصر بهم احد الاَّ توهمهم من اقذار المدنية وعافت نفسه النظر اليهم — ومع ذلك فان هؤلاء — حتى هؤلاء — اذا بذلت العناية في تعليمهم خرج من بينهم رجال يخدمون بلادهم وامتهم خدمة ذات بال . فضلا عما لا ريب فيه من تحسين احوالهم وتخفيف اثقالهم عن الهيأة الاجتماعية

فنوجه التفات المحسنين الى المدارس فاننا في حاجة اليها اكثر كثيرًا من حاجتنا الى المستشفيات او بيوت العبادة لان الانسان اذ مرض ولم يكن في بلده مستشفى لا يعدم وسيلة للمعالجة واذا اراد الصلاة وكان المعبد بعيدًا صلى في منزله او على الطريق وفي أي مكان كان . واما التربية والتعليم فلا تكونان الا في منازل تشاد لهذه الغاية يتردد اليها الاحداث اعواما عديدة يتلقون العلم والادب ويكتسبون الفضائل على أساتذة قضوا العمر في اتقان فني التعليم والتربية — وهي المدارس — على ان الفائده التي نرجوها من المستشفيات او نحوها انما هي قصيرة ووقتية قد لا تجاوز المحسن اليه اما المدارس فقد تخرج رجالاً ينهضون ببلادهم وأمتهم من الحضيض الى الاوج

قال ابن عبد ربه :

يا من تجلد للزما ن اما زمانك منك أجلد
سلط نهاك على هوا ك وعدّ يومك ليس من غد
والناس لا تبقى سوى آثارهم والعين تفقد
او ما سمعت بمن مضى هذا يذم وذاك يحمد
المال ان اصلحته يصلح وان أفسدت يفسد

تاريخ الآداب الاجتماعية

في الممالك الاوربية

٧ — الهولانديون

﴿ الهولنديون القدماء ﴾ الهولنديون اليوم نسل قبائل التيوتون باختلاطها مع اصناف الشعوب الاخرى كالجرمان والفرنساويين والانكليز والسكندنافيين واليهود . وكانت هولاندا قبل زمن التيوتون آهلة بقبائل من السلت . وهي تسمى البلاد المنخفضة لان اراضيها اكثر انخفاضاً من سطح البحر فيحجزون ماءه عنها بسدود كبيرة من التراب والقش والحجارة

ولما تغلب الرومان على فرنسا وجرمانيا خضعت هولاندا لهم ثم ثار أهلها على الرومان فلم يفلحوا . ولما انقرضت السلطة الرومانية توالت على هولندا حكومات الفرنجة والسكسون وغيرهم حتى قام شارلمان فضمها الى املاكه الواسعة وبعد موته تنازعتها ايدي الامم المحدقة بها . وبعد غزوات النورمان نفض الهولنديون عنهم غبار الذل واستقلوا عن امبراطرة الجرمان لكن استقلالهم كلفهم بذل مهج الرجال وانفاق المال الكثير . وفي سنة ١١٧٠ طغا البحر على البلاد فاغرق جانباً كبيراً منه وعقب ذلك ان المدن اخذت تتدرج في الارتقاء والثروة فعهدت بحكومتها الى مجالس بلدية تتولى امور كل مدينة . على ان تداخلهم في سياسة اوربا جرّ عليهم الويلات ففي القرن الخامس عشر ضمها فيليب امير برغنديا الى املاكه ثم دخلت في حوزة شارلكان الامبراطور فبعث اليها حاكماً امير اورانج . لكن الاسبانيول الذين ورثوا هولندا عن حكومتهم اساءوا معاملة سكانها واذاقوهم الأمرّين فقام الهولنديون كرجل واحد وأنقذوا البلاد من شرهم والقوا مقاليد الحكم الى اسرة اورانج فصاهرت الاسرة المالكة في انكلترا وكان من نتائج هذه المصاهرة ان اميرًا من اسرة اورانج (وليم) تولى عرش انكلترا سنة ١٦٨٥

وفي القرن السابع عشر عظم شان تجارة الهولنديين وكانوا يحملون بضائع الامم وتجاراتها من صقع الى صقع لكنهم لم يكونوا في شيء من الصناعة فلما تعاهدت انكلترا وهولندا سبقتها الاولى في مضمار التجارة فنالت قصب السبق وانزلت هولندا عن مقامها الاول بعد ان انتشرت مستعمراتها في الاقطار حتى بلغت الهند فاسسوا فيها شركة الهند الشرقية سنة ١٦٠٢

ولما انتصرت هولندا للولايات المتحدة في دفاعها عن استقلالها سلبتها انكلترا املاكها في الهند الغربية . ثم اكتسح الفرنساويون البلاد وولى نابوليون الاول اخاه لويس ملكاً عليها . ثم عاد الهولنديون فثاروا سنة ١٨١٣ وطرحوا عنهم نير العبودية وضموا اليهم بلاد البلجيك ثم استقلت هذه سنة ١٨٣٠

﴿ الهولنديون اليوم ﴾ الهولنديون والجرمان من اصل واحد وهما سبطا قبيلة واحدة على ان التباين بين الفريقين في الزمان الحاضر واضح . فقد كان لحروب الهولنديين المستديمة ولاهتمامهم بالاستعمار والاتجار في الافاق يد كبيرة في تمييزهم عن اخوتهم الجرمانيين . ويقال في الهولنديين انهم شجعان ذو براعة في التجارة والاستعمار يحبون الحرية وقد اهرقوا في سبيلها دماء ابطالهم ورجالهم ولهم خبرة ودربة في الزراعة جعلت بلادهم من أغنى الممالك في أوروبا وهم ميالون الى الرزانة والوقار والثبات مغرمون بالتدخين بعيدون عن التخيلات والاوهام يطلبون الحقائق ولا تزحزحهم المصاعب عن اتباع خطتهم ونيل غايتهم . ومدنهم عامرة غنية وفيها أغنياء التجار لاسيما اليهود . وهم يتجرون بالماس وسائر الحجارة الكريمة ويغلب في الهولنديين قصر القامة والسمن وهم على جانب عظيم من الرقة والدعة لاسيما النساء وبيوتهم نظيفة وحياتهم العائلية هنيئة وهم من أمهر الناس في تربية المواشي والانتفاع بألبانها ونساؤهم يكثرن من الحلى الذهبية والفضية . والهولنديون أجداد الترانسفاليين الذين استعمروا جنوبي افريقيا . ولقي منهم الانكليز ما لقوا وفيهم تبدو صفات أجدادهم من محبة الاستقلال والهمة والنشاط

وقد اشتهر في هولندا كثير من الكتاب والعلماء والمصورين ولهم مدارس

عظيمة فان جامعة ليدن كانت تحسب في مقدمة مدارس اوروبا .

وللهولانديين فضل كبير على آداب اللغة العربية لما نشروه من الكتب في مطابعهم بفضل افراد من علمائهم المستشرقين ولا يزلون عاملين في ذلك الى اليوم

٨ — البلجيكيون

هم اخلاط من الفلمنك والسلت والفرنساويين ولغتهم الفرنساوية . تعاقبت عليهم دول الجرمان والفرنج ثم تولاهم الاسبانيول وغنم الفرنساويون بعض ولاياتهم وكانت البلجيك في القرن الثامن عشر تحت سلطة النمسا ثم ضمت الى الجمهورية الفرنساوية في أواخر ذلك القرن . وفي أوائل القرن التاسع عشر انضمت الى هولندا ولبثت كذلك حتى استقلت سنة ١٨٣٠ واهلها يدينون بالمذهب الكاثوليكي

وجارى أهلها الهولنديين في خوض البحار لكنهم قصروا عنهم في الاستعمار واعتمادهم على الصناعة والزراعة وقد نجحوا في الثانية نجاحاً عظيماً فصارت بلادهم جنة اوربا . تكثر في بلادهم مناجم الفحم والحديد وهي اس نجاحهم الصناعي حتى انهم يبارون الانكليز في مصنوعاتهم الحديدية فضلاً عن براعتهم في نسج الكتان والقطن والصوف حتى أصبحت مدنهم مراكز للتجارة والصناعة

ويغلب في البلجيكيين الكد والاجتهاد والمهارة في الزراعة والاعتداد بالنفس وتطرقت الاشتراكية الى بلادهم ولها اتباع وانصار كثيرون في المدن

وقد مرَّ بالبلاد عصور شقيت فيها مدنها وسعدت كما تشقى البلاد وتسعد . فقد كانت بروج من أعظم مدن اوربا زارها فيليب ملك برغنديا وقرينته سنة ١٣٠٠ فلما طافا فيها قالت الملكة كنت اخالني وحدي الملكة فاذا في هذه المدينة مئات من السيدات يفضلنني حسن ملابس ووفرة غنى

ومن أشهر مدنها الآن ليج يصنع فيها الاسلحة والبنادق والآلات التجارية وبقربها مناجم الحديد والفحم ومنها انتورب او انفرس تقلبت بين الرخاء والعسر ادهاراً فكانت محط رحال التجار البلجيكيين والاجانب ثم انتابتها الملمات فغادرها

العز والغنى حتى عادت في أواخر القرن التاسع عشر فأزهرت ونمت وهي الآن في مصاف مواني اوروبا الاولى ومن أمنع حصونها

وللبلجيكيين مهارة في فن البناء وبلادهم مملوءة بالمباني الفخيمة والقصور الشاهقة ومنازل الحكومة فيها على غاية من البهاء . وقد نبغ فيها كثيرون من المصورين كروبنس وفانديك وغيرهما

وقد أخذ البلجيكيون مؤخرًا يهتمون بالاستعمار والاتجار في الاصقاع النائية فلهم مستعمرة الكونغو الحرة في غربي افريقيا وهي بلاد واسعة غنية بالسهول والغابات والمعادن .



فيكتور هوكو

وعلم الادب عند الافرنج والعرب

لكاتب فاضل

١١

رجوع العرب عن فرنسا ونجاة اوربا منهم

وكانت فرانسا اذ ذاك في حكم الملوك الذين هم أواخر سلالة ميروفينجيان ويلقبون لبطالتهم وعطالتهم (فينيان) اي الذين لا يعملون شيئاً بل كانوا كما وصفهم المؤرخون يملكون بلا حكم ولا قدرة ويموتون بلاعز ولا نصرة . وكانوا يقيمون في قصر بجوار مدينة قومبينيه وهي في شمال باريس وفيها حصلت ملاقاة قيصر الروس في زيارته الاخيرة لفرنسا . فكانوا كأنهم في حبس لا يأتون عاصمة الملك الا مرتين في السنة مرة في شهر مارس وأخرى في مايس لحضور المجلس المؤلف من أعيان الافرنج او لملاقاة السفراء فاذا انعقد المجلس أركب الملك في كارة يجرها ستة رؤوس من فحول البقر لا من عدم وجود الخيل والبغال وانما للراحة وعدم الانزعاج بكثرة الحركة والجري

وأتي به الى المجلس ليصدق على المقررات التي يتخذها ناظر السراي او أمير الامراء وهو في ذاك التاريخ دوق اوستراسيا المسمي شارل مارتيل وكانت بقية الامراء أشبه بالمستقلين في اماراتهم يبغضون بعضهم بعضاً وكلمتهم متفرقة . ولو دخل عليهم موسى ابن نصير سنة ٩٢ هـ حينما افتتح اسبانيا لامتلك أوروبا باجمعها ولأدخل جميع القبائل الجرمانية الوثنيين في الدين الاسلامي . غير ان الافرنج لما سمعوا بظهور العرب ومحاصرتهم القسطنطينية وكانوا يترقبون ورودهم من شرق أوروبا فلما رأوهم نازلين عليهم من جبال البيرينه أخذهم الرعب فانضموا بأجمعهم الى أمير الامراء شارل مارتيل وكان أشدهم بأساً وادهاهم سياسةً وأحسنهم رأياً وعقلاً . فلم يدر عبدالرحمن بان الوقت فات على فتح بلاد الافرنج وأخذ يتأهب لقتالهم وحشد العساكر من الشام ومصر وأفريقية والمغرب وسار بهم من جهة المحيط لا من جهة البحر الشامي المتوسط على سابق العادة في دخول غزاة المسلمين لفرانسا ومر بهم من رونسيفو وهو ممر ضيق في جبال البيرينة تمرُّ منه جيوش الفاتحين في قديم الزمان وحديثه . فمنه مرَّ هنيبال القائد القرطجني ومنه مرت جيوش شارلمان حينما قاتل العرب . ومنه مرت جيوش نابوليون حينما فتح اسبانيا ومنه مرَّ فيكتور هوكو في ذهابه لاسبانيا وايابه منها . فممر رونسيفو واقع بين مدينتي بامبلونه في اسبانيا وبايون في فرانسا وهي التي سماها العرب « بيونه » ويقطع المسافر منها بالقطار ستين كيلومتراً الى منتهى الحدود الفرنساوية ثم يسير على الخيل والعجل ١٥ كيلو متراً أخرى فيصل حلق الوادي المسمي رونسيفو . فسار عبد الرحمن في هذا الطريق وخرج لارض غسكونيا التي سموها غشكونية وهي سهول واسعة كثيرة المياه والاحراج والقسم الساحلي منها أشبه بتهامه من جزيرة العرب ولذا سماها بعض الجغرافيين تهامة الافرنج . غير ان الوديان التي تسيل في تهامة العرب تبتلعها الرمال المحرقة واما المياه التي تسيل في رمال تهامة الافرنج التي تدعى لاند فتروى أرضها وتكثر عشبها وأشجارها

فظل عبد الرحمن سائراً في هذه الاراضي المخصبة آمناً على عسكره ودوابه من العطش حتى بلغ نهر غارون المار لطولوز وبوردو وعرضه ربما يقرب في بعض

الاماكن من عرض النيل . وطول الجسر الذي عليه في مدينة بوردو ٤٨٧ مترًا فهو أطول من جسر القاهرة الذي على النيل نحو مايه متر . فلقي عبد الرحمن على ضفاف النهر الدوق أود بما جمعه في العسكر من قبائل الواسكون وبقيه أهالي اكيتانيا وانتشب القتال بين الفريقين وكانت معركة شديدة انجلت عن انهزام الدوق وعسكره وتحصنهم في قلعة بوردو فلحقهم عبد الرحمن وحصر المدينة وفتحها بالسيف وأباح الغزو فيها لعسكره فكانوا يسمونها مدينة برغشت واصبح مابين مصب نهر غارون في المحيط وما بين مصب نهر الرون في البحر الشامي دارًا للاسلام تلقن فيه الشهادة ويعلم القرآن . وهذا القسم العظيم من اوروبا قد أصبح اليوم جزيرة بسبب قناة الجنوب التي أنشأها الفرنساويون ويسمونها أيضًا قناة لانغيدوق باسم الايالة القديمة . والبضاعة الواردة من البحر المحيط تدخل نهر غارون وتمر ببوردو ثم تدخل هذه القناة عند طولوز على مراكب مخصوصة تسير موازية لنهر أود حتى تخرج في شمال نربون للبحر الشامي . وهم يتحدثون اليوم في توسيع هذه القناة وجعلها صالحة لسير السفن الكبيرة لتمر منها وهي آتية من قنال السويس وتستغني عن المرور في جبل طارق والطواف حول اسبانيا

فانتشر خبر فتح بوردو في بلاد الافرنج ودخل الرعب في قلوب الناس وفرح اكثرهم بفشل الدوق أود لمظالمه — لان المظلومين من الاهالي يفرحون دائمًا بنكبة الجبابرة المستبدين الذين يحكمون فيهم ولا يراعون حقوقهم ويسومونهم أنواع العذاب لمنافعهم واغراضهم . ولذا كان الكثير منهم يهرعون لعبد الرحمن ويشوقونه للدخول في بلادهم واجراء العدالة الاسلامية فيما بينهم . اما الدوق أود فلما رأى ذهاب ملكه هضم نفسه واستجار برقيبه شارل مارتيل وطلب نصرته رغم بغضه اياه لان الدوق أود وان لم يرق الى رتبة ملك الا انه كان مستبدًا في اكيتانيا كالملك يفعل فيها ما يشاء ويختار وهو ذو اصالة وينتسب الى قلوفيس مؤسس سلالة ميروفينجيان صاحبة السيادة والحق الشرعي في الملك على قبائل الافرنج وعموم فرنسا . فاصالته كانت فائقة على اصالة شارل مارتيل لان شارل

لم يولد من زوجة شرعية وانما زنى بأمه بيبن دوق اوستراسيا فولدته وكبر حتى خلف والده في مسنده وتغلب على ملوك واستراسيا ونوستريا وبورغونيا من آل قلوفيس حفيد ميروفه وكان في الظاهر أمير الامراء وناظر السراي الملوكية وفي الباطن صاحب الامر والنهي في عموم فرانسا سيا بعد استيلاء العرب على مملكة اكيتانيا . فلما استجار الدوق اود بشارل اجابه : دعهم الآن فانهم كالسيل الجارف لا يصطدمون بشيء الا أبادوه وفيهم حمية تغنيهم عن التدرع بالدروع وفيهم شجاعة تكفيهم عن التحصن في داخل القلاع ولا يزالون على ذلك الى ان تمتلئ أيديهم بأموال الغنائم فاذا تنعموا بنعيم الدنيا وذاقوا لذائذ الحياة وقع الطمع في رؤسائهم فانقسموا وتفرقوا فحينئذ نهاجمهم ونخرجهم من ديارنا » . وكان الامر كما قال . فان عبد الرحمن بعد فتحه بوردو رأى الاهالي مائلة اليه ووعدوه بالتسليم والانقياد وشوقه بعض رؤسائهم الى فتح تور وبواتيه لما فيها من الاموال والخيرات لان البلاد لم تكن في ذلك الوقت غنية ومعمورة كما هي اليوم وانما الاموال كانت مدخرة في الكنائس والاديرة وقصور الحكام الجبابرة . فتجاوز عبد الرحمن بالعسكر نهر غارون ووطئ بخيله ورجله تلك الاراضي المخصبة والكروم التي يعصر فيها أحسن خمر في الدنيا وعبر نهر دوردونيا وهو يجتمع في نهر غارون بقرب بوردو ويسميان حينئذ نهر جيروند كما يجتمع الفرات ودجلة ويقال لمجتمعها شط العرب . ويصب لاجيروند في المحيط الغربي عند مدينة رويايان الشهيرة بحماماتها البحرية والتي ينسب اليها سمك روايان المشابه للسردين . وتسمى ضفة لاجيروند اليسرى من بوردو الى البحر ارض ميدوق وفيها شاتو لافيت وشاتو لاتور وشاتو مارغو وجميع كروم العنب والقصور التي يعصر فيها أطيب الخمر وتلى اسماؤها المتنوعة على الزجاجات التي تباع في أوتيلات الازبكية وتفتح على على موائد أعاظم الرجال . وعلى شاطئ نهر غارون قبل دخوله بوردو أرض سوتيرن وفيها شاتو ابكيم وبقية القصور التي يعصر فيها الخمر الابيض الذي يشرب في أوائل الطعام عند اكل لحوم السمك

ولما وصل عبد الرحمن مدينة انكوليم وجد جيشاً من الافرنج ففرق جمعهم ودخل

المدينة منصورًا ظافرًا وفي غربيها مدينة كونياك المنسوب اليها خمر الكونياك المعروف . وظل عبد الرحمن سائرًا بعساكره المظفرة في تلك المروج والغابات الكثيرة المياه وكانت كجنات تجري من تحتها الانهار بالنسبة لصحاري افريقية والجزيرة العرب . والفرسان ترتع وتلعب على خيولها ومعهم نساؤهم واولادهم حتى وصلوا مدينة بوانيه ففتحت لهم ابوابها . ويزعم مؤرخو الافرنج ان العرب سلبوا ما في كنيستها من أواني الذهب والفضة والاقمشة المزركشة . والمنصفون من هؤلاء المورخين يعترفون للعرب بالعدل والحق والرفق بالمغلوبين . ثم عبر عبد الرحمن نهر فينا المار بايالة فينا وهي التي مركزها بوانيه بخلاف فينا عاصمة النمسا التي حاصرها الاتراك وأقاموا عساكرهم المظفرة على أبوابها . وفي جنوب ايالة فينا ايالة أخرى يقال لها فينا العليا ومركزها ليموج . وما زال عبد الرحمن يتقدم حتى وصل مدينة تور وهي على نهر لوار المنصب في المحيط . والحق ان اكثر من نصف فرانسا بممالك الدولة الاموية الحاكمة اذ ذاك على الهند وما وراء النهر الى كاشغر والصين وتركستان . وكان الفاتح لها سنة ١١٩ﻫ اسد بن عبد الله القسري فانه دخل بغزاة المسلمين بلاد الترك وقتل ملكهم خاقان وغنموا شيئًا كثيرًا

فمنتهى الحدود التي وصل اليها العرب في اوربا هي نهر لوار ومدينة تور . وفي شرقيها مدينة ديجون ثم مدينة بزانسون . فالخط المار بهذه النقط يقسم فرنسا الى قسمين شمالي وجنوبي . والجنوبي باجمعه دخل في ملك المسلمين وأقاموا في بعضه قليلاً وفي بعضه كثيرًا واستسلموا كثيرًا من أهله وتزوجوا ببناتهم وأعقبوا منهم ولم يزل لاهل الجنوب من الفرنساويين شبه بالعرب في سيماء الوجوه

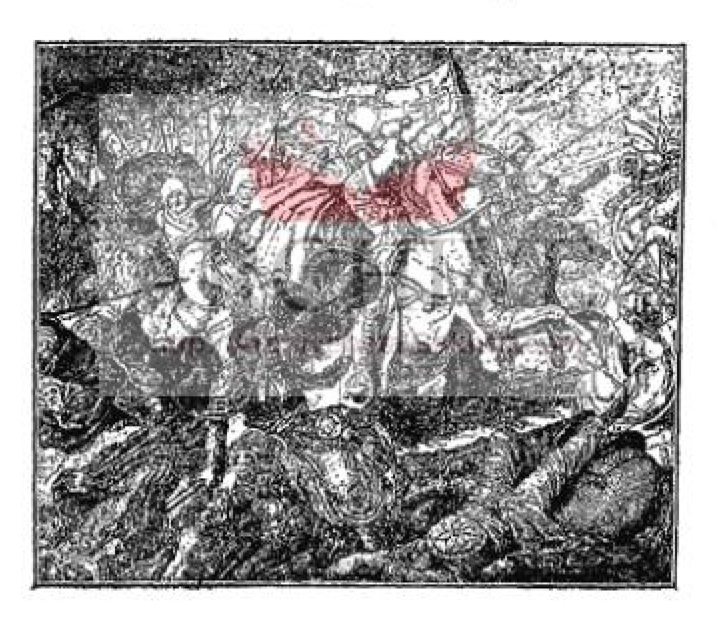
قال المؤرخ الانكليزي جيبون في ذكر حوادث سنة ٧٤٢م « تقدم العرب في اوربا اكثر من ثلاثمائة مرحلة (licues) من صخرة جبل الطارق الى مصب نهر لوار كلها مظفريات ولو تقدموا ثلاثماية مرحلة اخرى لوصلوا حدود بولونيا في شرق أوروبا أو جبال ايقوس من انكلتره ولسهل عليهم عبور نهر الرين المار بالمانيا كما سهل عليهم عبور الفرات والنيل ولكان الاسطول العربي من جهة أخرى دخل نهر

التميس بلا محاربة بحرية – لعدم وجود اسطول انكليزي في ذلك الوقت يضاهي أسطول مصر وسوريه او أسطول تونس – ولرأينا اليوم العلماء يفسرون القرآن في مدارس اوكسفورد ويفقهون افراد أمة الانكليز المختتنين ويشرحون لهم وهم مرتفعون على كراسي الوعظ معجزات النبي العربي. فالذي خلص العالم المسيحي من ذلك هو ابن الزانية شارل مارتيل ناظر سراي الملوك الفرنساويين من سلالة ميروفينجيان.» آه

وذلك ان شارل المذكور لما رأى المسلمين لم يبق بينهم وبين باريس الا ٢٣٤ كيلومترًا حشد اليه العساكر الجرارة من القبائل الشمالية الالمانية وهم يمتازون عن سكان الايالات الجنوبية في فرنسا بطول القامة وزرقة الاعين وشقرة اللون وبالصبر في الحرب والمهارة في الطعن والضرب ولم يزالوا متصفين بهذه الاوصاف الى يومنا هذا ولذا اختار مقام السرعسكرية منهم المعلمين للمكاتب الحربية في الاستانة مثل غولج باشا وقبله مولتكه باشا مرتب حركات الجيش في حرب السبعين الفرنسوية

وكان عبد الرحمن نازلاً بالعسكر امام مدينة تور في الوادي الذي يجري فيه نهر لوار ويحيط به سلسلتان من التلال تتقاربان كلما قربتا من المدينة. فبغت شارل مارتيل المسلمين وهم في هذا الموقف الحرج وحاربهم من اعالي التلال وانتشب القتال بين الفريقين وأظهر عبد الرحمن من المهارة في حركات الجيش وسوق الفرسان ما حير اخصامه وانجبر اخيرًا على الخروج من ذلك الموقع الضيق والرجوع الى سهول بواتيه وفيها التقى الجمعان واصطف الجيشان في محل لم يزل يقال له الى يومنا (موسه — لا — باتايل) ويراه المسافر من بوردو الى باريس في القطار الحديدي على بعد عشرين كيلومترًا عن بواتيه شمالا اي على الضفة اليمنى لنهر كاين المنصب في نهر فينا المنصب في نهر لوار. واستمر الفريقان بضعة ايام على اهبة الحرب والطعان وشارل لا يجسر على الهجوم خدعة منه وحذرًا. ففتح عبد الرحمن الحرب وانزل للميدان مفرزة من فرسانه ودام القتال ستة ايام والنصر فيها للمسلمين وفي اليوم السابع هجمت عساكر شارل هجمة اليأس والقنوط على مكان الحريم والغنائم فانشغلت افكار المسلمين على اموالهم وعيالهم وقتل عبد الرحمن على رواية مؤرخي الافرنج بعد مقاومة شديدة

وكان ذلك في شهر تشرين اول سنة ٧٣٢ م وسنة ١١٤ ﻫ ورجعت بقية السيوف من اهل الاسلام لا عن طريق رونسيفو بل عن طريق طولوز وقرقسون ونربون لرسوخ قدمهم في تلك الجهات . ولحقهم شارل مارتيل واسترجع مدينة افينيون ولم يقدر على استرجاع نربون فهدم ما في شمال نهر اود من الحصون والقلاع وصيره قفرًا لكيلا يطمع فيه العرب . وقد نظم احد شعراء الفرنساويين المسمى (قارل دوسنت غارد) في حدود سنة ١٦٨٤ ديوانًا عنوانه اخراج العرب من فرنسا وجعل فيه البطل المغوار في هذه الحروب شيلوبراند اخ شارل مارتيل فنكت عليه الشاعر بوالو وجهله على مدحه بطلاً لم يحقق التاريخ وجوده بين ابطال تلك الحروب



شارل مارتيل يحارب العرب في فرنسا

فاشتهر شارل في البلاد وصار الناس يتحدثون به في فرنسا وايطاليا وعموم اوروبا ويروون عن شجاعته احاديث ملفقة . ويزعمون ان بلطته او فأسه المسمى مارتو اومارتل قتل ما يربو على ثلاثمائة الف من العرب . غير ان واقعة بواتيه على التحقيق لم يكن فيها تغلغل كبير على عساكر الاسلام ولو بقي في شارل بعدها

قوة لاخرجهم من ناربون ورمى بهم الى ما وراء جبال البيرينة وحصن منافذ الجبال وجعلها مانعة لهجومهم ولكنه لم يستطع ذلك . واستمر العرب في جنوب فرانسا حقبة من الزمان سيما في اطراف مارسيليه ولم نزل نشاهد في متحف نربون كثيراً من آثارهم واوانيهم الخزفية . واليهم تنسب (جبال المور) وهي في شمال طولون ومارسيلية . كما نسبت اليهم قسطل سارازين وهي مدينة بين بوردو وطولوز والقسطل هو الحصن او القلعة ولم يزل في ضواحي القدس قرية يقال لها القسطل . فقسطل سارازين معناها حصن العرب وقيل غير ذلك والله أعلم



التنين

او الزحافات المجنحة

التنين حيوانٌ خرافيٌّ لاتخلو أمة من التحدث بفظاعته وعظم هامته وشدة بطشه . وأشهر اخباره بيننا ماينسبونه من قتله الى القديس جاورجيوس لابس الظفر في حديث يطول شرحه — وفي التاريخ القديم كثير من اشباه هذه القصة . كأن قتل التنين عندهم من ادلة الالوهية او من اعمال الابطال ولذلك صوروا كثيرين من ابطالهم وهم يقتلون التنين مثل افولون و برسيوس وهرقل عند اليونان وتور عند السكنديناڤيين وقس عليه معظم الامم القديمة حتى في الصين وأصبح التنين عندهم رمزاً عن قوة الشرّ التي تلتهم البشر وتسوقهم الى الهلاك

وقد اتفقت الروايات في وصفه انه ثعبان مجنح كبير الهامة عظيم الجثة . وترى رسمهُ على نحو ذلك في الصور التي يمثلون بها القديس جاورجيوس في الكنائس النصرانية . اما

العرب فقد وصفوه على نحو ذلك الوصف : قال الدميري « التنين ضرب من الحيات كاكبر ما يكون منها وكنيته ابو مرداس ٠٠٠ لونه مثل لون النمر مفلساً مثل فلوس السمك بجناحين عظيمين على هيئة جناحي السمك ورأسه كرأس الانسان » ووصفه غيره وصفاً آخر ومرجع ذلك كله الى انه حية مجنحة كبيرة الجثة تمشي على أرجلٍ

ومن الحكم المأثورة « الخرافة لا تخلو من الحقيقة » فلا بد من ان يكون لخرافة التنين اصلٌ حقيقي • وقد عني علماء الحيوان في البحث عن ذلك الاصل في طوائف الحيوان الباقية الى اليوم فلم يعثروا على ما يفسر تلك الخرافة فعمدوا الى الطوائف البائدة فكان في جملة ما عثروا عليه من بقاياها في بعض الكهوف عظامٌ غريبة ركبوها بعضها بازاء بعض فتألف منها هيكل حيوان غريب الخلقة لا يعرفون مثله في الحيوانات الحية • واغرب ما فيه فضلاً عن عظم هامته انه



ديتوسور — زحاف مجنح

زحاف ذو اربع ارجل واربعة اجنحة هائلة كاجنحة الخفاش الكبير وعنق دقيق ورأس مستطيل • فتبادر الى اذهانهم لاول وهلة انهم اخطأوا ترتيب تلك العظام وتنسيقها على اصلها • ثم ما لبثوا ان عثروا على بقايا أخرى تحققوا من مقابلتها بتلك ومن احوال اخرى انهم لم يخطئوا التنسيق ولكن الحيوان الذي اكتشفوا عظامهُ حيوان غريب • وعثروا بعد ذلك على كثير من أمثالهِ ورتبوا ذلك كله وجعلوا له مرتبة في اصناف الحيوان خاصة به في طائفة الزحافات لانه أقرب اليها من سائر طوائف الحيوانات الفقرية • على انه يشارك طائفة الطيور بالاجنحة وغيرها مما لا محل لتفصيله • ولذلك ترجح عند علماء الطبيعة وحدة أصل هاتين الطائفتين — لانهم كانوا قبل هذا الاكتشاف يرون مشابهة بين الطيور والزحافات وكانوا يتوهمون علاقة بينهما • فلما اكتشفوا بقايا تلك الزحافات المجنحة ترجح لديهم ان طائفة الطيور فرع من طائفة الزحافات تفرعت عنها

في عصر من العصور القديمة على مبدأ الارتقاء الطبيعي

وفي متحف بيبدي في يال هيكلٌ من هذه الزحافات المجنحة من نوع يسمى في اللسان العلمي دينوسور (Dinosaur) عثر عليه في ديومين في الولايات المتحدة الاميركية المستر هتشر من متحف بتسبورج وهو يبحث عن أمثال هذه الرفات بالنيابة عن الاستاذ مارش . فوجد عظام الهيكل المذكور مبعثرة وقد قضوا عاماً كاملاً في تركيبها وتأليفها حتى اتت على الكيفية الظاهرة في الرسم . طول هذا الحيوان ٢٩ قدماً اي نحو عشرة امتار وارتفاعه من قمة الرأس الى ابهام الرجل ١٣ قدماً

وخلاصة ماتقدم لايبعد ان يكون ما نعدهُ خرافة من احاديث التنين حقيقة طبيعية تنوعت بتناقلها على السنة البشر وتعاظمت كما يتعاظم كل خبر غريب اذا تنوقل على السنة الناس — والظاهر ان فرداً او بضعة افراد من هذا الحيوان ظلوا احياء بعد انقراض معظم النوع فأدركها الانسان في اول ادواره وتناقل اخبارها في اعقابه بالتلقين حتى وصلت الينا على هذه الصورة

مسيح الهند

اطلعنا على منشور مطبوع بالانكليزية مرسل من « انجمن اشاعة اسلام » في قاديان بنجاب الهند ومصدر بصورة القبر الذي يزعم بعض أهل قشمير انه قبر السيد المسيح و بصورة ميرزا غلام احمد رئيس قاديان الذي يزعم انه المسيح المنتظر وقد ذكرناه في الهلال غير مرة وسميناه « مسيح الهند » . وموضوع المنشور المشار اليه بيان الادلة على صحة نسبة ذلك القبر الى السيد المسيح وانه لم يمت على الصليب بل نزل عنه وفيه حياة فعولجت جراحه وهرب الى الهند حتى أقام في قشمير ودفن فيها . ومن أدلة ذلك عندهم وجود مرهم اسمه مرهم عيسى ومرهم باسم مرهم الحواريين وآخر باسم مرهم شليخا الى ان قال « تلك هي الادلة الارضية وهناك ادلة سماوية تؤيد موت المسيح وانه لم يقم من بين الاموات ولاصعد الى السماء — وهي مجيء المسيح الموعود به لاصلاح العالم في الوقت المعين لذلك في النبوات . والمسيح المذكور بدلٌ من يسوع المسيح بن مريم كما كان يوحنا المعمدان بدلاً من النبي ايليا . ومن

الاتفاقات الغريبة اكتشاف هذا القبر في الوقت المحدد تماماً لمجيء المسيح — الى ان قال — ونستلفت انتباه القارىء قبل ابداء حكمه ان يطالع أقوال هذا المسيح وهي ينبوع راحة للمتعبين وسلام وتعزية لقلوب المضطربين ٠٠٠ »



ميرزا غلام احمد قادياني — مسيح الهند

وقد كتب الينا حضرة اسكندر افندي سليمان فريوه بالخرطوم يسألنا عن رأينا في أدلة القادياني المشار اليه على ما يدعيه من اكتشاف قبر المسيح وانه هو المسيح وقد بينا فساد هذا القول في الهلال غير مرة وفي الاعادة تطويل ممل ، وانما عدنا الى ذكر هذا الرجل الآن لننشر رسمه ويرى القراء صورته بعد ان سمعوا دعواه ٠ ويظهر لنا من أسماء تلك العقاقير ان يوزاسف الذي يسمى ذلك القبر به طبيب مسيحي كان يعالج بعقاقير سماها بأسماء المسيح وحواريه ٠ وقد ذكرنا في غير هذا المقام ان اتباع هذا القادياني قد تجاوز عددهم بضعة عشر الفاً ٠

ولا يمكننا الحكم في حقيقة حاله ومصير أموره الا اذا توفقنا الى رؤيته ودرس أخلاقه واستطلاع السر الذي حمله على هذا الظهور على ان بعد الشقة يحول بيننا وبين ذلك . فنتقدم الى قراء الهلال في البنجاب وغيرها من بلاد الهند ممن اطلعوا على أحوال هذا الرجل ان يبعثوا الينا بترجمة حياته مفصلة لعلنا نبني عليها حكماً صحيحاً في حقيقته

على اننا نستدل مما عرفناه ان الرجل من أهل اليسار او ان بعض الموسرين يمده بالمال . فاذا طال امداده وواظب على نشر أقواله بالصبر والتؤدة وبذل المال فلا يعدم انصارًا من أهل الاوهام يشدون ازره . واذا جاء قيامه بهذه الدعوة موافقاً لاغراض بعض ذوي النفوذ او العلم ونصروه وأظهروا التصديق به تنفيذاً لمرامهم اغتر بذلك أناس آخرون فينضمون الى الرجل أو يأخذون بناصره فيكثر دعاته حتى يتوهم هو صدق دعوته . ولا خوف من ذلك ولا خطر من نجاحه على الامن العام لانه انما يدعو الناس الى السلام وليس الى الجهاد كما فعل المهدي السوداني اذ قام « ليملأ الارض عدلاً وقسطاً بعد ان ملئت ظلماً وجورًا » فاستخفت الحكومة المصرية به في بادىء الرأي ثم أرادت قطع دابره فلم تستطع ذلك الا بعد سفك الدماء الغزيرة وضياع الاموال الطائلة كما هو مشهور . اما مسيح الهند فانه يدعو الى نبذ الجهاد ويستحث رجال السلطة في الهند على استكتاب الائمة في ابطاله

على اننا لا نتوقع ثبوت دعوى هذا المسيح وان طال مكثها لانها نشأت في عصر لا يصلح لنموها وقامت على ادعاآت أصبحت في نظر أهل هذا العصر من قبيل الزحافات المجنحة أو غيرها من الاحياء التي بادت أنواعها لاختلاف البيئة التي كانت عائشة فيها ولم تعد تصلح لحياتها فانقرضت . وبيئة هذا التمدن لا تصلح لبقاء تلك الاقوال الا ان تتخذ على سبيل الفكاهة او من قبيل الاحتفاء بالغريب الشاذ

﴿ تراجم مشاهير الشرق ﴾

في القرن التاسع عشر

صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب وفيه تراجم رجال العلم والادب والشعراء الذين عاشوا في الشرق وتوفوا قبل انقضاء القرن الماضي — اقرأ اعلانه على غلاف الهلال

الاسكندر الاكبر والدول التي تخلفت عنه في مصر وسوريا وغيرهما ومن خلفهم ما لا يقع تحت الحصر ومنها نقود يهودية ونقود اسلامية ضربت في أزمنة مختلفة. ويقال بالاجمال ان كل دولة قامت منذ عهد اليونان بعد الليديين ضربت نقوداً خاصة بها من النحاس أو الفضة او الذهب او منها كلها او من مزيج منها وكانوا ينقشون عليها شارات خاصة بهم أو اسماء ملوكهم او رسومهم أو ما شاكل ذلك

﴿ تلغراف مركوني ﴾

(المنشاة) سعيد افندي الناودي

﴿ الهلال ﴾ تجدون كلاماً مفصلاً عن تلغراف مركوني وكيفية الاشتغال به في الهلال السادس عشر من السنة الثامنة

﴿ يوسيفوس والمسيح ﴾

(بني سويف) بخور افندي كوتشي

لدينا كتاب باللغة العبرانية تأليف يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلي الشهير طبع فينا استدللنا من حوادثه انه كان معاصراً لهيرودس الى ان سقطت اورشليم بيد طيطس وقد ورد في التاريخ المذكور أشهر حوادث العالم من آدم الى زمانه الا حكاية المسيح وظهوره وصلبه فانه لم يذكر عنها شيئاً ولو تلميحاً مع انها حدثت في أيام هيرودس المذكور كما لا يخفى . فما سبب اغفال تلك الحادثة مع أهميتها العظمى ويوسيفوس مشهور بصدق الرواية — نرجو الافادة

﴿ الهلال ﴾ من كتب يوسيفوس التي تتعلق باليهود وتمس هذا الموضوع كتابان أحدهما يسمى « حروب اليهود » والآخر اسمه « آثار اليهود » وقد ترجم هذان الكتابان الى معظم لغات العالم المتمدن. فالكتاب الاول لم يرد ذكر السيد المسيح

فيه بوجه من الوجوه . وأما الثاني فقد ورد في الفصل الثالث من الكتاب الثامن عشر منه ما ترجمته :

« وعاش نحو ذلك الزمن يسوع وهو رجل حكيم اذا جاز ان نسميه رجلاً لانه عمل أعمالاً عجيبة وكان يعلم كل من يرتاح الى معرفة الحق فالتف حوله جماعة كبيرة من اليهود والوثنيين . وكان هو المسيح فلما حكم بيلاطس عليه بالصلب عملاً باشارة رؤسائنا لم يتخل عنه أحد من الذين أحبوه قبلاً لانه ظهر لهم حياً في اليوم الثالث وقد تنبأ الانبياء عن ذلك وعن عشرة آلاف غريبة أخرى تتعلق به . وطائفة المسيحيين ويسمون كذلك نسبة اليه لم تزل منهم بقية حتى الآن »

وفي الفصل السادس من الترجمة العربية المطبوعة في بيروت سنة ١٨٧٢ مانصه :

« وكان أيضاً في هذا الوقت رجل حكيم اسمه يسوع ان كان جائزاً ان يدعى انساناً وكان صانعاً عجايب ومعلماً للذين أرادوا ان يتعلموا الحق وكان له تلاميذ كثيرون من اليهود والامم . هو المسيح الذي اشتكى عليه رؤساؤنا وأكابر ملتنا وسلمه بيلاطس البنطي للصلب ومع هذا كل الذين تبعوه من البداءة لم يتركوه وقد نظر اليه حياً ثلاثة أيام بعد صلبه كما كان قد تنبأ بعض الانبياء . وقد صنع معجزات أخرى كثيرة ولم يزل الى يومنا هذا بعض الناس يدعون مسيحيين وهم يعترفون به رئيساً لهم » اهـ

على ان علماء الكتاب المقدس في اختلاف من هذا القبيل فمنهم من يقول ان هذه الفقرة دخيلة في ذلك الكتاب — بدليل ان مؤرخي النصرانية لم يذكروها قبل أوسابيوس (في القرن الثالث للميلاد) أي بعد يوسيفوس بثلاثة قرون وان يوسيفوس لا يعتقد النصرانية فلو ذكر المسيح لاقتضى ان يذكره بغير هذه اللهجة . ومنهم من يتخذ ايراد أوسابيوس لها حجة على قدمها مع عدم ورود الاعتراض على صحتها في ذلك العهد وخصوصاً انه اورد ذكر يوحنا المعمدان ومقتله في الفصل الخامس من الكتاب الثامن عشر وذكر يعقوب أخي يسوع في الفصل التاسع من الكتاب العشرين وقال عن يسوع هنالك « الذي يسمى المسيح »

فعدم ورود تلك الفقرة في النسخة العبرانية يقتضي أحد امرين — اما ان هذه الفقرة كانت في الاصل ثم نزعت منه بعد ان نقل الى اللغات الاخرى أو انها لم تكن في الاصل وان المترجمين أدخلوها عمداً (اذ لا يعقل ان يحدث ذلك سهواً) . اما فقد فقرة او فقرات من كتاب في أصله مع بقائها في ترجماته فأمر يسهل تصوره ويمكن حدوثه . ومن أقرب الادلة على ذلك التوراة العبرانية وترجماتها . ففي الترجمتين اليونانية والسريانية فقرات لا أثر لها في الاصل العبراني وقد أشرنا الى ذلك في ما كتبناه عن ترجمات التوراة في السنة الثانية من الهلال . فوجود هذه الفقرات في الترجمات لا يدلُّ على ادخالها عمداً أو سهواً بل قد يدل على سقوط أسطر أو كلمات من النسخة العبرانية لتأكل الجلود أو الاقمشة التي كانت تكتب عليها التوراة أو لسهو النساخين أو لاسباب أخرى . وهكذا يقال في كتب يوسيفوس وترجماتها — والا فعلى المعترضين ان يبينوا لنا الزمن الذي أدخلت فيه تلك الفقرة وما الذي دعا الى ادخالها لان حصول مثل هذا العمل يعد تزويراً لا يعقل السكوت عنه أجيالاً بل لا بدَّ من الاعتراض عليه في أول ادخاله أو المجادلة فيه . ولا أقل من أن يبقى تاريخ حصول ذلك محفوظاً مع اسم الشخص أو الاشخاص الذين تجرأوا عليه أو الاحوال التي دعتهم اليه

﴿ روسي عاش جيلين ﴾

سبعون عاماً اذا مرت على حجرٍ لبان تأثيرها في ذلك الحجر

فكيف بالرجل الروسي الذى مرَّ عليه مئتا عام وهو لا يزال صحيح الجسم والعقل مقيماً في مأوى العجزة في تومسك من مدن سيبيريا (روسيا) وهو يتفاخر بترديد ما شاهده من بطرس الاكبر وكاترينا العظيمة ويقص ذلك على زائريه ويخبرهم بأخبار الامبراطرة من عهد بطرس الى الآن . وفي يده شهادة بولده سنة ١٧٠٢ وتذكرة مجاز تاريخها ١٧٦٢ وكان بالغاً الستين من عمره وقد ترمل منذ ١٢٣

حالتها وقوامها في خلاء مشغول بمادة لطيفة جداً سموها الاثير — الى آخر ما يقول أصحاب الرأي الجوهري . على انهم لم يستطيعوا رؤية هذه الجواهر لتناهيها في الصغر وانما قالوا بوجودها على هذه الصورة لتعليل الحقائق الكيماوية والطبيعية ولكنهم لم يعللوا بها الا بعض تلك الحقائق وظل البعض الآخر مبهماً يحتاج الى التعليل . وقد عني بعض العلماء في استنباط رأي آخر يرتاح الباحث الى التصديق به. وآخر من تصدى لذلك اللورد كلفن العالم الكهربائي الشهير . فقد قرأنا له رأياً في جواهر المادة غريباً لا يثبت الا اذا نقضنا حداً من حدود المادة الاساسية القاضي بعدم التداخل أي « عدم امكان اشغال جسمين معاً حيزاً واحداً في وقت واحد » واللورد كلفن يقول بأمكان ذلك وهو قول غريب لا ندري كيف يعلله . وخلاصة رأيه في المادة انها مؤلفة من جواهر فردة كل منها مؤلف من جواهر صغيرة عبر عنها بالجواهر الكهربائية وسماها اليكتريون Electrion — قال والجوهر الفرد مؤلف من الجواهر الكهربائية على شكل كرة مركزها اكثف من قشرتها عدد هذه الجواهر في الجوهر الفرد يختلف باختلاف العناصر فقد يكون واحداً او اثنين أو ثلاثة الى عشرة الى مئة او مئات ولكن تسعة منه تكفي لتعليل المطلوب من هذا الرأي الجديد . وللورد كلفن مقام في العلم الطبيعي يقضي علينا باحترام آرائه ولولا ذلك لعددنا قوله هذا من قبيل الاوهام الفارغة وخصوصاً لانه يقتضي نقض قضية طبيعية أساسية . فما علينا الا الصبر ريثما ينشر اللورد كلفن تفصيل ذلك الرأي

مطبوعات جديدة

﴿ الباكورة السورية لطلبة اللغة الالمانية ﴾ لا تزال اللغة الالمانية الى الآن قليلة الانتشار في مصر والشام وسائر المشرق مع اننا اصبحنا في غاية الافتقار اليها بالنظر لما حوته من العلوم الشرقية والآداب العربية والابحاث الاسلامية مما لا مثيل له في سائر اللغات الافرنجية لان الالمان اكثر من سائر الافرنج عناية في هذه المواضيع واقدرهم

على البحث والتنقيب . وربما اكتفى الشرقيون في القرن الماضي باللغتين الفرنساوية والانكليزية لافتقارهم اليهما في سبيل الارتزاق بنوع خاص . اما الآن فقد ارتقت هيئتنا الاجتماعية واصبح من مطالبنا المهمة التوسع في العلم والادب وخصوصاً ما يتعلق منهما بالشرق والعرب فلا غنى لنا في ذلك عن اللغة الالمانية لغة البحث والفلسفة . وقد كان من عوائق نشر هذه اللغة بين اظهرنا صعوبة قواعدها مع قلة المآخذ المساعدة على تناولها في لساننا كما علمنا ذلك بالاختبار — وقد ازال هاتين العقبتين حضرة اسبر افندي ضومط احد اساتذة مدرسة الايتام بالقدس الشريف بكتاب وضعه في العربية لتسهيل اللغة الالمانية على ابناء العرب سماه « الباكورة السورية لطلبة اللغة الالمانية » وفيه كل ما يحتاج اليه طالب هذه اللغة من التلفظ باحرف الهجاء الى المطالعة والمراسلة وغيرها

ففي صدر الكتاب تمهيد لاحرف الهجاء وفيه صورها المختلفة بالطبع والخط ونطقها على اختلاف مواقعها . ثم الكتاب وهو قسمان ذكر في الاول منهما ٣٤ درساً على النمط المعروف بنمط اوللندورف أورد فيها الضمائر وما يقابلها في العربية . فالاسم وبعض احواله والامثلة مفصلة بمواقعها واحوالها وما يتركب منها ثم الفعل وبعض ما يشتق منه وضروبه والصفات وغيرها وكل درس مؤلف من الفاظ المانية مع ترجمتها العربية ثم جمل مركبة من تلك الالفاظ في اللسانين . ثم جمل عربية يطلب ترجمتها الى الالمانية . او المانية تطلب ترجمتها الى العربية

واما القسم الثاني فهو اكبرهما وفيه قواعد اللغة من مقاطع الحروف الى اداة التعريف فالاسم وجنسه وعدده واعرابه والصفات واعرابها والتفضيل والعدد ثم الفعل واشتقاقاته وضروبه وتصاريفها . ثم الضمائر وأسماء الاشارة واسم الموصول والاستفهام وعوامل الاضافة والجر والنصب والظرف وانواعه . ثم تركيب الجمل البسيطة والمقيدة فالجمل المركبة وانواع الجمل المتداخلة والظرفية والثانوية والجمل المتعددة التراكيب الى الفقرة . ويلي ذلك معجم من العربية الى الالمانية فيه نحو خمسة آلاف كلمة مع ترجمتها ثم قائمة الافعال الشاذة واخيراً امثلة من مخاطبات تجارية ونحوها . وبالجملة فان

الكتاب المشار اليه عبارة عن عدة كتب في مجلد واحد لتعليم الهجاء والصرف والنحو والبيان والمخاطبات والقاموس والرسائل . وكل ذلك على اسلوب جعل اللغة الالمانية من اسهل اللغات تناولاً . فنشكر لمؤلفه الاستاذ جميل الثناء على هذه الخدمة الجليلة ونحث ابناء اللغة العربية على تعلم الالمانية ولا عذر لهم في تقاعدهم بعد ظهور هذا الكتاب وصفحاته ٤٠٠ صفحة كبيرة ويطلب من حضرة المؤلف في القدس الشريف

﴿ الرد على الدهريين ﴾ من الآثار الكتابية النادرة للسيد جمال الدين الافغاني كتابٌ في الرد على الدهريين او الماديين الفه رحمه الله بالفارسية فنقله فضيلتلو الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الى العربية بمساعدة عارف افندي أبو تراب الافغاني وقد نشرت هذه الترجمة في أواخر القرن الماضي مرتين ونفدت نسخها بالنظر الى شهرة المؤلف والمعرب وأهمية الموضوع . فعني حضرة عبد الحليم افندي صالح المحامي بمصر في نشرها ثالثة فاستأذن حضرة المفتي بذلك فأجابه . وقد صدرت هذه الطبعة بغاية الضبط وفي صدرها ترجمة السيد جمال الدين مطولة ثم الكتاب واسمه يدلُّ على موضوعه وصفحاته سبعون صفحة كبيرة وثمن النسخة خمسة قروش . فنثني على حضرة عبد الحليم افندي لنشر هذا الاثر الجليل وفي شهرة الافغاني ما يغني عن التشويق

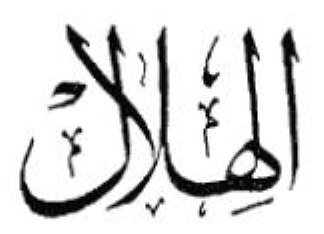
﴿ مختصر تاريخ الامم الشرقية القديمة ﴾ صدر الجزء الرابع من هذا الكتاب لمؤلفه حسين افندي زكي مدرس اللغة الفرنساوية في المدارس الاميرية وهو يشتمل على تاريخ مملكة صور من اول أزمانها الى زمن الاسكندر وما بعده الى زمن سقوطها مع ذكر تمدن الصوريين وما كان عندهم من العلم والصناعة والتجارة وغير ذلك من عوامل المدنية على أسلوب وجيز يصلح للتدريس في المدارس . والكتاب يطلب من مؤلفه بمصر ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش وأجرة البريد ٢٠ باره

﴿ المنتحل ﴾ هو ديوان شعريٌ جامع امثله من منظومات العرب في الجاهلية والاسلام في سائر ضروب الشعر تأليف الامام ابي منصور الثعالبي . وما زال في زوايا الخفاء حتى اظهره في عالم المطبوعات حضرة الشيخ احمد ابو علي امين مكتبة الاسكندرية البلدية اذ عثر على نسخة خطية نادرة المثال مشوهة فعني في ضبطها

وتصحيحها وتفسير غويصها والتنقيب عن ترجمات شعرائها فصدَّر الكتاب بمقدمة بين فيها ما عاناه من هذا القبيل وانتقد قول ابن خلكان وابن شاكر في نسبة هذا الكتاب الى ابي الفضل الميكالي . ثم اورد ترجمة الثعالبي . والكتاب عبارة عن ١٥ باباً للتهاني والتهادي والتعازي والمديح والاستماحة والشفاعة والشكر والاستعطاف والهجاء والشكوى والامثال والحكم والاخوانيات والسلطانيات والنكبة والعبادة والادعية وغير ذلك في ٢٩١ صفحة تليها بضع وسبعون صفحة في تراجم الشعراء الذين وردت اشعارهم في الكتاب المذكور كالبحترى وأبي تمام والمتنبي وابن هانىء وعددهم ١٦٢ شاعراً وسمى هذا الجزء « المنتخل في تراجم المنتحل » وذيله بفهرست . والكتاب بجملته ٣٦٤ صفحة كبيرة ويطلب من ناشره ومن مكتبة الهلال . وثمن النسخة عشرون قرشاً واجرة البريد قرشان وهو جدير باقبال الادباء عليه لانه من أحسن مجاميع الشعر فنشكر لناشره شكراً جزيلاً على هذه الخدمة النفيسة

﴿ جرائد ومجلات ﴾ (١) المودة : هي مجلة نسائية أدبية تهذيبية تصدر بالاسكندرية مرتين في الشهر لصاحبها سليم افندي خليل فرح وفي صدرها صورة آخر زي (مودة) بدل اشتراكها عشرون قرشاً صاغاً في السنة بمصر و ٦ فرنكات في الخارج . (٢) مسامرات النديم : هي مجلة روائية تصدر بمصر مرة في الشهر لمنشئها ابراهيم افندي رمزي وعزة افندي حلمي اشتراكها عشرون قرشاً في السنة . (٣) الاعتدال : مجلة حقوقية قضائية انتقادية تصدر بمصر مرة في الشهر لصاحبها عازر افندي حلمي المحامي بدل اشتراكها ١٥ قرشاً بمصر و ٢٠ في الخارج (٤) الصيحة : هي جريدة سياسية ادبية تصدر في طنطا مرة في الاسبوع لصاحبها محمود افندي الشاذلي بدل اشتراكها مئة قرش صاغ (٥) القاهرة : هي جريدة وطنية اجتماعية تصدر بمصر مرتين في الشهر لصاحبها بشير افندي يوسف بدل اشتراكها ٣٠ قرشاً صاغاً

﴿ المنظف ﴾ هو مركب جديد لتنظيف الثياب بسهولة وعجلة اصطنعه الخواجات فارس وشحاده في بروفيدانس بامريكا ويزيل البقع الدهنية وغيرها مما تعسر ازالته بالغسل الاعتيادي ويباع في زجاجات بادارة الرائد المصري وفي مكتبة الهلال بمصر وثمن الزجاجة خمسة قروش



الجزء السادس عشر من السنة الحادية عشرة

١٥ مايو (ايار) سنة ١٩٠٣ و١٨ صفر سنة ١٣٢١

اشهر الحوادث واعظم الرجال

السيد محمد مرتضى الزبيدي

صاحب معجم تاج العروس

توفي سنة ١٢٠٥ هـ

معجم تاج العروس أشهر من أن يذكر وصاحبه صاحب فضل كبير على لسان العرب . وكان رحمه الله عالماً كبيراً في اللغة وعلومها وعلوم الدين والمأخوذ من تلقبه بالزبيدي انه من زبيد ببلاد اليمن ولكننا اطلعنا في مجلة البيان الهندية على مقالة في ترجمة هذا الرجل يظهر منها انه هندي الاصل من بلد بلجرام الشهيرة بمن نشأ فيها من العلماء فآثرنا نشر كلام البيان في هذا الشأن — قالت :

في سفح أود على خمسة فراسخ من وراء ترعة غنج العتيقة بقرب قنوج بليدة بالية تسمى (بلجرام) نشأ فيها خلق كثير من أكابر العلماء الاعلام البررة الكرام كالجهبذ العارف عبد الجليل الواسطي والسيد غلام علي الاديب المعروف بحسان الهند والشيخ محمد يوسف البلجرامي المذكورين في مآثر الكرام بتاريخ بلجرام . وهي

مولد صاحبنا الفاضل السيد علي الملقب بشمس العلماء مؤلف كتاب تمدن العرب الضخيم الحجيم المنشور في الافاق ومعلم العلوم واللغات المشرقية بمدرسة أوكسفورد الجامعة الكلية ومحتد شقيقه البارع السيد حسين المخاطب بعماد الملك السياسي رئيس دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن

وكان صاحب الترجمة من هذه الديار الذائعة الشهرة التي ارتحل منها الى الحج الشريف في سنه أربع وستين ومائة والف الهجرية وذهب لزيارة بلاد اليمن الميمونة وأناخ المطي بمدينة زبيد وأكب على تلقي الدروس وتحصيل العلوم وتكميل منطوقها والمفهوم من السيد العفيف سليمان بن يحيى اليماني وما لبث فيها بضع سنين حتى قيل له الزبيدي واشتهر بذلك واختفى على كثير من الناس كونه من الهند ومن بلجرامها

ثم انه ورد الى مصر في تاسع صفر سنة سبع وستين ومائة والف، وسكن بخان الصاغه وعاشر العلماء وحضر دروس أشياخ الوقت كالجرى الملوي والشهاب الخالدي الجوهري وعبد الله الشبراوي والدمنهوري وابن علي المدابغي والعشماوي والزعبلي الشافعيين وسليمان المنصوري ومحمد بن سالم وعلي المقدسي الحنفيين والتليدي والطحلاوي والمرزوقي العفيفي والبهنسي المالكيين . واجازه خاتمة المحدثين بنابلس الشام محمد بن احمد السفاريني الحنبلي سنة تسع وسبعين ومائة والف وذهب الى بيت المقدس(يروشلم) فأجازه أربابها كما أجازه مشيخة الرملة ودمياط والمحلة والمنصورة وسمنود وأبو صير وأسيوط وجرجا وفرشوط وحلب الشهباء وفاس الاقصى وتونس الحاضرة وسولا وتلمسان الميسوطة اسانيدهم في معجمه الكبير

ثم انتقل رحمه الله في أوائل سنة تسع وثمانين ومائة والف الى منزل بسويقة اللالا تجاه جامع محرم افندى بالقرب من مسجد شمس الدين الحنفي بمصر وكانت تلك الخطة اذذاك عامرة بالاكابر والاعيان فأحدقوا به وتحبب اليهم واستأنسوا به وواسوه وأكرموه وهادوه وهو يظهر لهم الغنى والتعفف ويعظمهم ويفيدهم فرغبوا في معاشرته وأقبلوا عليه من كل جهة لكونه على غير هيأة العلماء المصريين وزيهم ثم شرع في املاء الحديث الشريف على طريق السلف في ذكر الاسانيد والرواة والمخرجين من

حفظه على طرق مختلفة

وفي ظروف ذلك العام اذن له في الدرس بمسجد شيخون الصلبية في يوم الاثنين والخميس فشرع في اقراء الجامع الصحيح للامام البخاري وصار يملي على جماعة الطلبة بعد قراءة شيء من الصحيح حديثاً من المسلسلات او فضائل الاعمال ويسرد رجال سنده ورواته من حفظه وتلمذ عليه علماء الازهر واستجازوا منه وقرأوا بعض الصحاح الست عليه والتمسوا منه تبيين المعاني فانتقل من الرواية الى الدراية وصار درساً عظيماً وانجذب اليه الامراء الكبار مثل مصطفى بك الاسكندراني وأيوب بك الدفتردار فسعوا الى منزله وترددوا للحضور في مجالس درسه وواصلوه الهدايا والغلال وجاء عبد الرازق افندي الرئيس من الاستانة العلية بمصر وسمع به فحضر اليه والتمس منه الاجازة وقراءة مقامات الحريري فكان يذهب اليه بعد فراغه من درس شيخون ويطالع له ما تيسر من المقامات ويفهمه معانيها اللغوية ورفع شأنه عند محمد باشا عزت الكبير الذي أصعده اليه وخلع عليه ورتب عدة رواتب له وانهى الى الدولة العلية العثمانية شأنه وجلالته فأتاه مرسوم بمرتب جزيل قدره مائة وخمسون نصفاً في كل يوم

وطلب الى الدولة سنة اربع وتسعين ومائة والف فأجاب ثم امتنع وترادفت عليه الرسائل والمكاتيب من اكابر الدولة وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والاقطار البعيدة

وكان اهل المغرب على ما قال الجبرتي يعتقدون فيه القطبانية العظمى حتى ان أحدهم اذا ورد مصر ولم يزره ولم يصله بشيء لا يكون حجه كاملاً فتراهم في أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح الى الغروب وكل من دخل منهم قدم بين يديه هدية على قدر فقره وغناه وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ويلتمسون منه الاجوبة فمن ظفر منهم بقطعة ورقة ولو بمقدار الانملة فكانما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتميمة ويرى انه قد قبل حجه والا فقد باء بالخيبة والندامة وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ودامت حسرته الى يوم معاده

وفي سنة ١١٩٣ من الهجرة استجاز منه الملك الاعظم السلطان المعظم عبد

الحميد خان الاول امبراطور الروم ايلي والاناطول لكتب الاحاديث الشريفة النبوية فكتب له الاجازة وسند الحديث المسلسل المشهور « الراحمون يرحم الرحمن تبارك وتعالى » مع غيره من الاجازات اولها الحمد لله الذي رفع مقام أهل الحديث الخ

وفي العام الذي تمت فيه عقود القرن الثاني عشر استجاز منه كبير الوزراء أبو المظفر محمد باشا الافخم الصدر الاعظم العثماني فأجازه بثبت عزيز اوله الحمد لله الذي دل على الخيرات الخ والبر ناتج المشار اليه مؤرخ لسنة ١٢٠٠ الهجرية

وأصيب رحمه الله بالطاعون في شهر شعبان سنة ١٢٠٥ وذلك انه صلى الجمعة في مسجد الكردي المواجه لداره فطعن من بعد فراغه من الصلاة ودخل الى البيت واعتقل لسانه في تلك الليلة وتوفي يوم الاحد فاخفت زوجته وأقاربها موته حتى نقلوا الاشياء النفيسة والمال والذخائر والامتعة والكتب المكلفة ثم أشاعوا موته يوم الاثنين وصلوا عليه ودفنوه بقبر كان قد أعده لنفسه في حياته بالمشهد المعروف بالسيدة رقية ولم يعلم أهل الازهر ذلك اليوم لاشتغال الناس بأمر الطاعون وبعد الخطة ومن علم منهم وذهب لم يدرك الجنازة

﴿ مصنفاته ومؤلفاته ﴾

١ شرح احياء علوم الدين للامام الغزالي أتم فيه شرح كتاب العلم وحده في نحو سبعين كراساً
٢ تكلمة القاموس مما فاته من اللغة
٣ شرح حديث ام زرع احد عشر مجلساً وقد سلك فيه طريق الصوفية
٤ رفع الكلل عن العلل
٥ بذل المجهود في تخريج حديث شيبتني هود
٦ رسالة في تخريج حديث نعم الادام الخل
٧ المواهب الجلية فيما يتعلق بحديث الاولية
٨ المرقاة العلية في شرح الحديث المسلسل بالاولية
٩ العروس الجلية في طرق حديث الاولية
١٠ شرح الحزب الكبير للشاذلي
١١ انالة المنى في سر الكنى
١٢ القول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت
١٣ حسن المحاضرة في أداب البحث والمناظرة
١٤ رسالة في أصول الحديث

١٥ رسالة في أصول المعمى
١٦ كشف الغطا عن الصلاة الوسطى
١٧ الاحتفال بصوم الست من شوال
١٨ ايضاح المدارك عن نسب العواتك
١٩ اقرار العين بذكر من نسب الى الحسن والحسين
٢٠ الابتهاج بذكر أمر الحاج
٢١ الفيوضات العلية بما في سورة الرحمن من اسرار الصفة الالهية
٢٢ التعريف بضروري علم التصريف
٢٣ العقد الثمين في طرق الالباس والتلقين
٢٤ اتحاف الاصفيا بسلاسل الاوليا
٢٥ اتحاف بني الزمن في حكم قهوة اليمن
٢٦ هدية الاخوان في شجرة الدخان
٢٧ المقاعد العندية في المشاهد النقشبندية مائة وخمسون بيتاً
٢٨ الدرة المضية في الوصية المرضية مائتان وعشرون بيتاً
٢٩ ارشاد الاخوان الى الاخلاق الحسان مائة وعشرون بيتاً
٣٠ ألفية السند في الف وخمسمائة بيت
٣١ شرحها في عشرة كراريس
٣٢ شرح صيغة ابن مشيش
٣٣ شرح صيغة السيد البدوي
٣٤ شرح ثلاث صيغ لابي الحسن البكري
٣٥ شرح سبع صيغ المسمى بدلائل القرب للسيد مصطفى البكري
٣٦ الازهار المتناثرة في الاحاديث المتواترة
٣٧ تحفة العيد في كراس
٣٨ تفسير سورة يونس على لسان القوم
٣٩ لقطة العجلان في ليس في الامكان ابدع مما كان
٤٠ القول الصحيح في مراتب التعديل والتجريح
٤١ التحبير في حديث المسلسل بالتكبير
٤٢ النفحة القدوسية بواسطة البضعة العيدروسية جمع فيه أسانيد العيدروس وهي في نحو عشرة كراريس
٤٣ حكمة الاشارة الى كتاب الآفاق
٤٤ شرح الصدر في شرح أسماء أهل البدر في عشرين كراسة ألفها لعلي افندي درويش وألف ايضاً باسمه
٤٥ التفتيش في معنى لفظ درويش
٤٦ بلغة الاديب في مصالح آثار الحبيب
٤٧ اعلام الاعلام بمناسك حج بيت الله الحرام
٤٨ ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب وهو من أحسن الكتب في تراجم أعيان الدولة الايوبية

ومن أشهر مصنفاته الطائرة الذكر كتاب الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الامام أبي حنيفة مما وافق فيها الائمة الستة وهو كتاب نفيس حافل رتبه ترتيب كتب الحديث من تقديم ماروي عنه في الاعتقاديات ثم العمليات على ترتيب كتب الفقه. وكتب على القاموس شرحاً غريباً في عشرة مجلدات كوامل جملتها خمسمائة كراس سماه تاج العروس مكث مشتغلاً فيه أربعة عشر عاماً وشهرين واشتهر أمره جداً حتى انه لما انشأ أمير اللوا محمد بيك أبو الذهب الجامع المعروف بالقرب من الازهر وعمل فيه خزانة للكتب اشترى جملة من الكتب ووضعها فيه فأنهوا اليه شرح القاموس هذا وعرفوه انه اذا وضع بالخزانة كمل نظامها وانفردت بذلك دون غيرها . فطلبه وعوضه عنه مائة الف درهم فضةووضعه فيها وشرحه هذا يغني عن جمل جملة الدفاتر المؤلفة في فن اللغة ويتضح من النظر فيه علو كعبه فيها . وقد شاع ذكره في الامصار وبلغ الى الاقطار فاستكتبه سلطان الروم نسخة وصاحب دارفور نسخة وملك الغرب نسخة والسيد عبد القادر الكوكباني استاذ الامام الشوكاني نسخة

ولما اكمله في حدود سنة احدى وثمانين ومائة والف اولم له وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت وأطلعهم عليه فاغتبطوا به وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه وامامته في اللغة وكتبوا عليه تقاريظهم نظماً ونثراً

﴿ صفاته وأخلاقه ﴾ كان ربعة نحيف البدن ذهبي اللون متناسب الاعضاء معتدل اللحية قد وخطه الشيب في اكثرها مترفهاً في ملبسه يعتم عمامة مثل أهل مكة المباركة وكان لطيف الذات حسن الصفات بشوشاً بسوماً وقوراً محتشماً مستحضراً للنوادر والمناسبات . أفنى عمره في خدمة العلم وخصوصاً في جمع الفنون التي اغفلها المتأخرون كعلم الانساب والاسانيد وتخاريج الاحاديث وايصال طرق المحدثين المتأخرين بالمتقدمين واحياء سنة النبي (صلعم) وهو أول من خرج من الهند فرزق الحظ الاوفر الاوفى في العلم والمال وحصلت له السعادة الحميدة والشهرة الطائرة في الفضل والكمال وكان يضاهي الامام مالك بن أنس في كثرة الوفود واقبال الدنيا عليه مع بعد صيت وعظم قدر لم يحصل للمتأخرين مثله واحتجب

أواخر عمره عن الناس ولزم داره واعتكف في داخل الحريم ورد الهدايا حتى انه أرسل اليه أيوب بك الدفتردار مع نجله خمسمائة ريال وخمسين اردباً من طرائف التحف فردها وكذا مصطفى بك لاسكندراني وغيرهما وحضرا اليه فلم يخرج اليهما ورجعا من غير ان يواجهاه رحمة الله عليه . » اه

﴿ الهلال ﴾ وتاج العروس عبارة عن شرح قاموس الفيروزابادي ولكنه يعتبر من جهة أخرى كانه تأليف أصلي لان الشارح لم يقتصر على الشرح بل زاد في الكتاب من نتائج ابحاثه في اللغة فصدَّر المعجم بمقدمة مفصلة بحث فيها في المواضيع الآتية (١) اللغة والحقيقة والمجاز والمشترك والاضداد والمترادف والمعرب والمولد (٢) في مراتب اللغويين وأئمة اللغة من البصريين والكوفيين (٣) في أول من صنف في اللغة (٤) ترجمة الفيروزابادي (٥) شرح مقدمة الفيروزابادي وقد طبع تاج العروس في عشرة أجزاء في القاهرة سنة ١٣٠٦ هـ

ومما طبع من مؤلفاته واشتهر كتاب « عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الامام أبي حنيفة » طبع في جزئين في الاسكندرية سنة ١٢٩٢ هـ عني بطبعه رمضان حلاوة . وشرح احياء العلوم المسمى « اتحاف السادة المتقين » طبع في مدينة فاس في ١٣ جزءاً سنة ١٣٠٢ هـ وطبع في مصر أيضاً وغيرهما

تاريخ علم الادب

عند الافرنج والعرب

لكاتب فاضل (تابع)

وكان هشام بن عبد الملك عاشر الخلفاء الامويين قد عين على افريقية عبيدة بن عبد الرحمن بعد استشهاد واليها بشر بن صفوان الكلبي في فتح صقلية وهي جزيرة سيسيليا التابعة اليوم لايطاليا . غير ان ولاية عبيدة لم تطل بل عزل ونصب مكانه

عبيد الله بن الحبحاب وهو الذي ز بن تونس بالمباني الفاخرة وأنشأ في ساحلها دار صناعة للسفن أي (ترسانة) كما يسميها الاتراك او (شانية) كما يقول الافرنج . فلما بلغ عبيد الله وفاة عبد الرحمن في واقعة بواتيه بعث واليا على جزيرة الاندلس عبد الملك بن قطن فاصلح حال الجيش وزوده وساقه على فرانسا سنة ١١٧ ﻫ سنة ٧٣٥ م فاستردوا الايالات الجنوبية التي في اطراف نربون وقرقسون وعلى ضفاف اود وعبروا نهر الرين وضبطوا ايالة بروفانس باجمعها سنة ١٢٠ ﻫ اوسنة ٧٣٧ م من حاكمها مورونت ومركزه اكس في شمال مرسيليه . وظلوا سائرين على سواحل البحر الشامي حتى دخلوا ايطاليا واغاروا فيها على مملكة لومبارديا التي عاصمتها ميلان فاتفق ملكها لوي بران مع المتغلب على ملك الافرنج وهو شارل مارتيل دوق اوستراسيا وناظر السراي الملوكية وارجعا العرب الى قرب جبال البيرينة سنة ١٢٢ ﻫ اوسنة ٧٣٩ م ولم يقدرا على اخراجهم من نربون ولا من قرقسون . ثم ان عبيد الله بن الحبحاب والي افريقية عين عقبة بن الحجاج على الاندلس فحضر اليها واستلم زمام الامر فيها فحصلت فتنه وتغلب عليه عبد الملك بن قطن الفهري فذهب عقبة بن الحجاج الى قرقسون في فرنسا وكانت عامرة بالمسلمين وبقي هنك الى ان مات ودفن في تربة قرقسون . فغضب هشام وعزل عبيدالله وولى مكانه كلثوم بن عياض واليا على افريقية وبعث معه اثني عشر الف فارس من فرسان الشام يقودهم بلج بن بشر . فقتل كلثوم في المغرب الاقصى في واقعة جرت له مع البربر ودخل بلج بن بشر بعسكره جزيرة الاندلس وقاتل عبد الملك بن قطن وتولى مكانه . فبعث هشام لافريقية حنظلة بن صفوان الكلبي والي مصر فجاء القيروان سنة ١٢٤ ﻫ اوسنة ٧٤١ م واصلح ما فسد في

يسمي الافرنج عرب اسبانيا مور (Maurs) نسبة الى موريتانيا القديمة وهي عبارة عن تونس والجزائر ومراكش ويسمونهم ايضاً (Sarrasins) سارازين واختلفوا في اصل هذه الكلمة فقال بعضهم من سارقين العربية وقال آخرون بل نسبة الى ساره زوجة ابراهيم الخليل عليه السلام لانهم أولاد جاريتها هاجر ام اسماعيل جد العرب وقال غيرهم انها تحريف شرقيين

قبائل افريقية والغرب الاقصى و بعث ابا الخطار الكلبي والياً على الاندلس فورد اليها ونزل قرطبة وفرق عساكر الاسلام في البلاد فانزل الدمشقيين في البيرة (الويره) وهي الولايه التى عاصمتها غرناطة وتكثر فيها المياه والغوطات والرياض ومدينة غرناطة مبنية على ثلاث تلال يمر من وسطها نهر حداره (دارو) المنصب في نهر شنيل وهو ينصب في الوادي الكبير (غواد الكفير) المار باشبيليه ولذا دعاه العرب نهر اشبيليه وفي غرناطة قصر الحمرآء الشهير وغرناطه في جنوب مادريد وعلى خط الطول المار منها وأما خط الحديد بينهما فمسافته ٦٩٦ كيلو متراً ولذا أطلق على البيرة وغرناطة دمشق . وانزل الحصبين في أشبيليه (سفيلة) ويمر منها الوادي الكبير وفيها القصر المشهور عند الافرنج باسم (القازار) وكان دار الملك بني عباد . ولذا أطلق على أشبيليه حمص . وانزل أهل قنسرين على ضفاف الوادي الابيض (غواد لفياد) المنصب في البحر الشامي قرب بلنسية فأطلق على تلك النواحي قنسرين . وانزل اهل الاردن في ما لقه (ما لاغه) وهي على ساحل البحر الشامي شرقي جبل طارق ويمر منها (وادي المدينة) واليها تنسب الخمر المعروفة باسم (مالاغه) . وانزل أهل فلسطين في سيدونيا أي مدينة شريش (اكسيرس) وما جاورها وهذه المدينة بالقرب من قادس على مسافة ٢٢ كيلو متراً عن البحر المحيط واليها نسب كثير من الادباء فقيل لهم الشريشي ومنهم شارح المقامات وكتابه مطبوع في مصر و تنسب اليها اليوم الخمر المشهورة باسم (شري) و (اكسيرس) فيها فاز طارق بن زياد على رودريك ملك القوط وشتت عساكره واخذ ملكه . وانزل ابو الخطار الكلبي المصريين في

نقلنا هذه الخلاصة التاريخية عن كتاب بلاد العرب (Arabie) الفرنساوي تأليف نوئيل ديفرجه (Noel Desvergers) المطبوع في باريس سنة ١٨٤٧ ونقل هو عن المستشرق (Reinaud) مؤلف كتاب هجوم العرب على فرانسا المطبوع سنة ١٨٣٦ في باريس واعتمد في ما كتبه على تواريخ العرب المحفوظة في المكتبة الاهلية وكانت تسمى قبلاً المكتبة الملوكية ولاسيما على تاريخ المقري وعلى تاريخ النويري وغيرها

تدمير وهي الايالة المشتملة على مرسية وهي على نهر سفوره تبعد عن ساحل البحر الشامي المتوسط بين البحور ٣٥ كيلو متراً و بجانبها سهول هو ثروته المشابهه لوادي النيل في بركة المحصول وقوة الانبات ولذا أطلق عليها مصر ولم يزل فيه بقايا الترع العربية والقنوات وبينما كان المسلمون في الاندلس ينظمون شؤونهم و يستعدون لفتح بلاد الافرنج ونشر الدين الاسلامي فيها واذ ظهر الفساد في دمشق عاصمة الممالك الاسلامية ودار خلافتها واختلت أمور الدولة بعد وفاة هشام وجلوس الوليد (٨٤ — ١٢٦ ﻫ) ابن يزيد بن عبد الملك بن مروان حادي عشر خلفاء بني أمية . وجلس بعده في تلك السنة يزيد (٨٠ — ١٢٦ ﻫ) بن الوليد بن عبد الملك ثم أخوه ابراهيم . ثم رابع عشر خلفاء بني أمية وآخرهم وهو مروان الحمار (٧٠ — ١٣٢ ﻫ) ابن محمد بن مروان بن الحكم ولم ينتظم الامر ولا لواحد منهم بعد موت هشام ولا سكنت الفتن في أيامهم ولذا لم تتقدم الفتوحات في بلاد الافرنج

١٣ — داخلية أوروبا بعد رجوع العرب عنها

اما فرانسا فاستيقظت بسبب هذه الحروب من غفلتها واجتمعت كلمتها على شارل مارتيل ناظر سراي الملوك من آل قلوفيس حفيد ميروفه فاستبد بالامر وصار الآمر الناهي في المملكة وزال نفوذ الملوك من سلالة ميروفنجيان وأصبحوا كالخلفاء العباسيين في آخر أمرهم . ولم يستطع شارل مارتيل ان يملك على الفرنساويين لشدة ظلمه وسوء سيرته وتعديه على املاك الاديرة والرهابين ولكنه هيأ الملك لولده ولحفيده من بعده . واما هو فلم يرض بعمله المسلمين ولا النصارى لانه ضبط أوقاف الاديرة والكنائس ليجهز العساكر ويقوم بنفقات هذه الحروب العظيمة فأغضب بذلك الاساقفة والرهابين المتمتعين بهذه الاموال فلم يغفروا له هذه السيئة وأغمضوا العين عن جميع حسناته عليهم وحكموا في مجتمعهم الرهباني (قونصل) في فرانسا بكفره وخلوده في نار جهنم ورآه أحد أوليائهم بعين الكشف وهو يعذب في النار والافاعي تنهش في جثته المنتنه . فشارل مارتيل واضع أساس الدولة الثانية في ملك الافرنج لم يرض عنه المسلمون ولا النصارى . ولما مات قام

بالامر بعده ابنه بيبن القيصر وحارب قبائل الجرمان في المانيا وقبائل اللومبارد في ايطاليا وكانوا معادين للباباوات في رومة فاكتسب بذلك نفوذاً وقوة وانتخبته قبائل الافرنج ملكاً عليها وأمر البابا بدهنه بالزيت المقدس وتتويجه فدهنه وتوجه القديس بونيفاس أسقف مايانس سنة ٧٥٢ وانقرضت دولة ميروفينجيان بعد ان ملكت (٤٤٨ — ٧٥٢م) ثلاثة قرون وسميت الدولة الثانية قارلوفينجيان نسبة الى شارلمان بن بيبن القيصر وحفيد شارل مارتيل وملكت الدولة الثانية (٧٥٢ — ٩٨٧م) قرنين ونصف قرن تقريباً . وفي سنة ٧٦٠ م أو سنة ١٤٣ هـ اغار بيبن القيصر على بلاد المسلمين واسترجع منهم نربون وجميع ايالة سبتمانيا فلم يستطيعوا الدفاع عنها لاشتغالهم بما حدث عندهم من الانقلاب العظيم بسبب انقراض الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية مقامها . فقتلوا بني أمية واستخفى من سلم منهم فهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ودخل الاندلس سنة ١٣٩ هـ او ٢٥ ايلول (سبتمبر) سنة ٧٥٩ م فأطاعه بعض المسلمين فيها واستولى على أشبيليه وجعل قرطبة دار المملكة وأخضع لحكمه جميع جزيرة الاندلس ونكل بالمتشيعين منهم للخلفاء العباسيين — فيفهم السبب الذي مكن الافرنج من استرجاع نربون وقرقسون

ولما مات بيبن سنة ٧٦٨ م وسنة ١٥١ هـ جلس مكانه على كرسي ملك الافرنج ابنه شارلمان (سنة ٧٤٢ — ٨١٤ م) ومعناه شارل الكبير فنسبت اليه السلالة الثانية من سلالات ملوك الافرنج وقيل لها (قارلو فينجيان) أي آل قارلو لان اسم شارل يلفظ بصور مختلفة حسب اللغات واللهجات فالالمان يلفظونه قارل وعند الاسبانيول قارلوس وعند الانكليز چارلس بالجيم الفارسية . ففتح شارلمان ممالك لومبارديه وعاصمتها ميلان وهي القسم الشمالي من ايطاليا وكان بين ملوكها وبين باباوات رومه ضغائن وعداوة فامتن البابا من ذلك وبارك شارلمان ورضي عنه ثم فتح بافاريه وصاقسونيا وهما من ممالك المانيا واخضع ايالة اكيتانيا التي كانت ميداناً ترمح فيه غزاة المسلمين . فجمع شارلمان في حكمه بين فرانسا والمانيا وايطاليا ومزج الاقوام الجرمانية بالاقوام الرومانية وهم الذين كانوا في حكم دولة الرومان

ولما تولى شارلمان كان مشتركاً في الملك مع أخيه اتباعاً للقواعد المرعية في ذاك الزمان وهي تقسيم الملك بين الاولاد ففي سنة ٧٧١م استقل بالملك وجعل عاصمته اكس لاشابل وهي على نهر الرين في المانيا و زينها بالمباني والقصور ولذا يعتبره الالمانيون في عداد ملوكهم كما يعتبره الفرنساويون . وفي سنة ٧٧٨ م وسنة ١٦٢ هـ تجاوز شارلمان بعساكره جبال البيرينه من ممر رونسيفو الذي مر منه عبد الرحمن حينما فتح بوردو و بواتيه وتور ومر منه قبلاً هنيبال القائد القرطاجني حينما قهر الرومانيين وهو ممر صعب في جبال البيرينه قريب من البحر المحيط ولذا لم يرجع العرب منه بل كانوا يتجاوزون على فرانسا من جهة البحر الشامي عن طريق (بو يسيردا) و (نربون) فضبط شارلمان ولاية نافار وولاية قطولونيا وتقدم على ضفاف ايبر حتى بلغ مدينة سرقسطه مركز ولاية اراغون والقى الحصار عليها وكانت بيد المسلمين . فبعث اليه عبد الرحمن الاول سنة ١١٣ — ١٧١ هـ (٧٣١ — ٧٨٧ م) الملقب بالعادل . بجيش منظم طرد عساكر شارلمان من اسبانيا وارجعها الى ما وراء البيرينه . وكان المسيحيون من النفاريين والباسكون أي الباسك متفقين مع المسلمين حباً في العدل الاسلامي وكرهاً في ظلم شارلمان لوطئه بالعسكر بلادهم وقتله رجالهم وأولادهم ولذا رجحوا الاتفاق مع المسلمين مع انهم على غير دينهم وانتقموا من شارلمان وجنوده وهو يدين بما هم يدينون به

والدين انصافك الاقوام كلهم ... وأي دين لآبي الحق ان وجبا

والمرء يعييه قود النفس مصحبة ... للخير وهو يقود العسكر اللجبا

فلما ارتدت جنود شارلمان على عقبها خاسرة اغتنم أهالي نافارا وغسكونيا المسيحيون هذه الفرصة وانقضوا عليهم وهم في ممر رونسيفيو وابادوهم عن آخرهم وقتل في هذه المعركة رولان قائد الجنود البريطانية نسبة الى ايالة بريطانيا في غرب فرانسا ورفيقه اوليفيه ونظمت في هذه الواقعة أغاني رولان الآتي ذكرها وهي عند الفرنساويين كقصة عنتر عندنا لابل كقصة بني هلال او الزير واسترد عبد الرحمن العادل وهو المعروف بالداخل ولاية أراغون وقطالونية واسترد ابنه هشام (١٤٠ —

١٨٠ هـ) مدينة جيرونيه ونربون وجميع ايالة سبتمانيا سنة ٧٩٢ م (سنة ١٧٦ هـ) واستخدم الاسرى في بناء جامع قرطبة وكان أبوه قد باشر عمارته . فنصب شارلمان ابنه لويس ملكاً على اكيتانيا وأمره بمحاربة العرب فكانت بينهما حروب على سفح جبال البيرينه من سنة ١٨٠ هـ (٧٩٦ م) وهي السنة التي توفي بها هشام وجلس فيها ابنه الحكم خلفاً له وخرج عليه عماه سليمان وعبد الله ابنا عبد الرحمن وتحاربوا مدة وكان النصر للحكم على عميه ودامت الحروب مع الافرنج الى سنة ١٩٧ هـ (٨١٢ م) وأخذ الافرنج في هذه الحروب ولاية نافارا وسبتمانيا وجزءاً من قطالونيا وهو المشتمل على مدينة برشلونه التي على ساحل البحر الشامي . فشارلمان لم يتمكن من اسبانيا ولكن حكمه كان نافذاً في عموم أوربا الغربية وكان البابا وعموم الكهنة يميلون اليه ويرغبون في اعادة نفوذ امبراطورية الرومان الغربية ليضاهوا بذلك الامبراطورية الشرقية القائم بها قياصرة الروم ويحصلوا على العز الذي حصل عليه بطاركة القسطنطينية وكهنتها المنشقون ولذا دهن البابا شارلمان بالزيت المقدس والبسه تاج الامبراطورية في آخر القرن الثامن اي سنة ٨٠٠ م (سنة ١٨٤ هـ)

وكانت الخلافة العباسية في بغداد بلغت منتهى العز وأوج الرفعة على عهد الرشيد فأخذ شارلمان يتقرب منه وبعث اليه بسفارة مؤلفة من سفيرين فرنساويين يصحبهما يهودي اسمه اسحق وكان الخليفة يحارب قيصر الروم فرأى من السياسة التمايل الى الافرنج اعداء الامويين فأحسن ضيافة الوفد الافرنجي وأكرم مثواه وأجاب طلبه بالرخصة لحجاجهم في زيارة بيت المقدس وبعث الى شارلمان بهدية فاخرة منها سرادق كبير من الحرير وساعة دقاقة وشطرنج لم يزل بعض أحجاره محفوظة في المكتبة الاهلية بباريس وهي من العاج دقيقة الصنعة والقطعة منها كبيرة الحجم . وكان ذلك قبل موت الرشيد بسنة اي في سنة ١٩٢ هـ (٨٠٧ م) وتوفي شارلمان بعد ذلك بسبع سنين اي سنة ٨١٤ م وجلس في مقامه ابنه لويس الى سنة ٨٤٠ م ثم انقسمت المملكة الى ثلاثة أقسام المانيا وفرانسا وايطاليا وضعف حال ملوك فرانسا وهجم عليهم الاقوام الشمالية الذين يسمونهم نورمان من بلاد اسوج ونوروج والدانيمارك

وأسسوا في شمال فرانسا دوقية نورماندية وانقسمت المملكة الى دوقيات وكونتيات وكان حكامها أشد نفوذًا من الملك . وصارت السلالة الثانية من سلالات ملوك الافرنج الى ما صارت اليه السلالة الاولى فاستبد بالامر دوق فرانسا كما استبد قبله دوق اوستراسيا وفعل هوغ قابت ما فعله ابن شارل مارتيل واحدث السلالة الثالثة في مملكة الافرنج وهي سلالة قابتيان . وملكت هذه السلالة الثالثة من سنة ٩٨٧م الى سنة ١٤٢٨ م وفي زمنها ظهرت فرانسا للوجود وسميت مملكة فرانسا نسبة الى هوغ قابت دوق فرانسا وانتقل الملك بعد ذلك الى فرع ثان من تلك السلالة وهوالمسمى فالوا ثم الى فرع ثالث وهو آل بوربون

١٣ — فتوح المسلمين في جنوب أوربا والحروب الصليبية

ثم ان المسلمين عدلوا عن فتح فرانسا ولعلهم فعلوا ذلك لشدة البرد في الاقاليم الشمالية وعدم توسع العمران فيها اذذاك ولصعوبة المرور من جبال البيرينة وهي أشد بردًا من جبال لبنان التي يقول فيها المتنبي

وجبال لبنان وكيف بقطعها وهي الشتاء وصيفهن شتاء

ومالوا الى فتح جزر البحر الشامي فاستولوا على جزائر باليار وهي مايورقه ومينورقه وأفيس وما يتبعها سنة ٨٢٠م (سنة ٢٠٥ هـ) وكانوا يسمونها (مايرقه) و (منرقه) ويابسة واستمروا فيها الى سنة ١٢٣٢ م . واستولوا سنة ٢٢٦ هـ على جزيرة قورسيقة فبقيت مستقلة عن غيرها بالحكم الى سنة ٢٣٦ (٨٥٠ م) . وأغاروا على سواحل مرسيليا مرارًا وأسسوا سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م) مستعمرة فراقسينه فيما بين نيس وطولون وكان الفينيقيون اسسوا قبلهم مستعمرة في جوار موناقو . ومكث المسلمون في فراقسينه طول القرن العاشر وتزوج بعضهم بنساء تلك الايالة الفرنساوية واشتغلوا بفلاحة ارضها حتى اصبحت زاهية بحضارتهم . ثم جالوا سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٥م) في اقليمي تارنتيز ووالس ثم في بلاد السويس (سويسرا) التي نهبها المجر قبل ذلك ومدوا نفوذهم سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) على فريجوي وطولون وجميع سواحل البحر الشامي في فرانسا ولم يزل بقال الجبال التي في شمال مرسيليا وطولون (جبال المور) ومدوا نفوذهم على

ايطاليا أيضاً . فان بني الاغاب استولوا على جزر سيسيليا (صقلية) ومالطة وسردانية وجميع القسم الجنوبي من ايطاليا في حدود سنة ٢١٣ ﻫ (٨٢٨ م) الى سنة ٢٦٥ ﻫ (٨٧٨ م) ورسخت لهم قدم في جميع هذه البلاد واستبحر فيها عمرانهم وحسنت بهم الزراعة والصناعة وكانت مدينة امالفي ومدينة ساليرم وهما في جنوب نابولي (وكتبوها نابل) زاهيتين بحضارتهم وهما اليوم قريتان خربتان لم يزل يشاهد فيهما آثار العرب وبقايا الطواحين التي عمروها ولسان الحال يقول: ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار . واستولوا على أوستيه وكانت ميناء رومية العظمى وهي بقرب مصب نهر التيبر وعلى بيزا ذات البرج المائل وكانوا يسمونها (بيش) وعلى جنوه التي في شمالها وبقي المسلمون في جزيرة (سردانيه) سردينيه الى سنة ٤٠٨ ﻫ (١٠١٧ م) وفي طارانت التي في جنوب ايطاليا الى سنة ٤٣٥ ﻫ (١٠٤٣ م) وفي سيسيليا الى سنة ١٠٧١ م وفي بيزا الى سنة ٣٩٦ ﻫ (١٠٠٥ م) وفي جبن (جنوه) الى سنة ٣٢٥ ﻫ (٩٣٦ م) . (انظر خريطة مملكة العرب في اطلس شرادر الفرنساوي المطبوع أخيراً في باريس)

واختلف المؤرخون في التاريخ الذي اغار فيه العرب على ليون وما في شمالها من الايالات الفرنساوية — لا ليون التي في شمال اسبانيا الغربي وتكتب (Léon) ويكثر ذكرها في تواريخ العرب — هل كان في عهد شارل مارتيل فقط أم في عهده وبعد ذلك أيضاً حينما دخلوا من سواحل طولون وتقدموا في الشمال حتى بلغوا بلاد السويس . ولكن المؤرخين متفقون على ان المسلمين ضبطوا ايالة دوفينة وهي في شمال بروفانس على ضفة الرون اليسرى وضبطوا في شمالها أيضاً ايالة بورغونية وسموها (ارض بورغونة) وايالة فرانش كونتة وايالتي فينا — وفينا هذه ايالة في وسط فرانسا الغربي بخلاف سميتها عاصمة اوستريا والمجر وكان حاصرها الاتراك — وضبطوا في فرانسا جميع ضفاف الرون وغزوا القرى والمدن التي في تلك الايالات . وامهات هذه المدن هي : ليون وهي على نهر الرون وأول مدينة في فرانسا بعد باريس ثم ماقون واليها ينسب الخمر المسمى باسمها من خمور بورغونيه

، وشالون التي على نهر السون ، وبون وسماها العرب (بونة) ،واوتون واحترقت فيها كنيستان عظيمتان حينما هاجمها العرب كنيسة سان ناظير وكنيسة سان جان وكذا ديرسان مارتن ، وديجون وهي منتهى ما أخذوه في الشمال من المدن العظيمة.

وفي شرقي ديجون وبالقرب منها مدينة بيزانسون التي ولد فيها فيكتور هوكو

وجميع هذه المدن هي في ممر السكة الحديدية من باريس — ليون — البحر المتوسط أي مرسيليا وما جاورها من الموانى البحرية . ولم يجد العرب اموالاً كثيرة في غزواتهم لان البلاد لم تكن في الثروة والعمران التي هي عليها اليوم ولكن مقصدهم الاصلي كان اعلاء كلمة التوحيد ودعوة الامم بقولهم « تعالوْا إِلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبدَ إِلاَّ اللهَ ولاَ نُشرِكَ بهِ شيئاً ولاَ يَتخذَ بعضنا بعضاً أرباباً مِنْ دُونِ اللهِ . »

الحروب الصليبية

لجميع الحروب التي وقعت بين المسلمين والنصارى من ابتداء ظهور الاسلام بمكة وفتح المسلمين للقدس على عهد ثاني الخلفاء الراشدين هي من نوع الحروب الصليبية . الا ان المؤرخين اصطلحوا على اطلاق هذا الاسم على الحروب التي وقعت بين المسيحيين من الامم الاوروبية وبين المسلمين من الامم الشرقية وامتدت من القرن الحادي عشر الى القرن الثالث عشر للميلاد وكان الباعث عليها التعصب الديني والغاية منها تخليص قبر السيد المسيح عليه السلام . واتخذ المحاربون من الامم الاوروبية الصليب شعاراً لهم ونقشوه على أثوابهم وجلودهم ولذا قيل لهم الصليبيون . وعدة الحروب الصليبية ثمانية وهي :

الاولى (١٠٩٦ — ١٠٩٩ م) — الحرب التي دعا اليها بطرس الناسك وقرر اجراها البابا اوربين الثاني في المجمع الروحاني المنعقد سنة ١٠٩٥ م في مدينة كليرمون فيران وهي بالقرب من مدينة ليون في فرانسا . وكانت النتيجة ارسال جيشين للشرق احدهما تحت قيادة بطرس الناسك والقائد غوتيه وكان مؤلفاً من اناس لا خبرة لهم في الحرب ومعهم نساؤهم وأولادهم بغير تأهب للسفر فمات اكثرهم

في الطريق وقتل آخرهم السلجوقيون في بر الاناطول . والثاني جيش متأهب للسفر ومتسلح للحرب تحت قيادة غود فروا دوبوليون دوق ايالة الاورين . عبروا بوغاز الدردنيل واستولوا في بر الاناطول على ازنيق وطرسوس وهي مينا اطنة وعلى انطاكية وكانت هذه المدن تابعة للدولة السلجوقية ومركزها قونية . ثم استولوا على القدس وكانت تابعة لخليفة مصر العلوي وقتلوا فيها كثيراً والبسوا غودفروا تاج الملك . وذهب المستنفرون الى بغداد فلم يستطع أهلها غير البكاء وقال المظفر الابيوردي أبياتاً منها :

وكيف تنام العين ملء جفونها على هفوات ايقظت كل نائم
واخوانكم بالشام يضحي مقيلهم ظهور المذاكي أو بطون القشاعم

الثانية (١١٤٧ — ١١٤٩) الحرب التي دعى اليها القديس برنار وقادها قونراد الثالث امبراطور المانيا ولويس السابع ملك فرانسا فوصلوا دمشق الشام وحاصروها ورجعوا عنها

الثالثة (١١٨٩ — ١١٩٣ م) الحرب التي دعى اليها غليوم أسقف صور بسبب استرداد صلاح الدين الايوبي للقدس . وقادها فريدريك بارباروس امبراطور المانيا من جهة وفيليب اوغوست ملك فرانسا وريشار قلب الاسد ملك انكلترة من جهة اخرى . فالاول غرق في النهر بعد أخذه قونية . والآخران اخذا قلعة عكا وعقدا الصلح مع صلاح الدين

الرابعة (١٢٠٢ — ١٢٠٤ م) الحرب التي دعى اليها فولك وقادها بودوين وهو بودوين التاسع كونت ايالة فلاندر وكانت ايالة مستقلة بين فرانسا وبلجيكا . فلما وصلت هذه البعثة الى فينيسية (البندقية) استدعاها قيصر الروم في القسطنطينية لنصرته على أخيه وكان قد اراد التغلب عليه فأجابت دعوته وأيدته على كرسي مملكته وبعد وفاته انتخب الصليبيون مكانه بودوين المذكور بعد أن خربوا المدينة وأتلفوا مافيها من الآثار النفيسة والمباني الظريفة واستمرت دولة اللاتين في القسطنطينية ٥٧ سنة (١٢٠٤ — ١٢٦١)

الخامسة (١٢١٧ — ١٢٢١) الحرب التي أشهرها جان دو بريين ملك القدس واندره الثاني ملك هونغارية وذهبوا فيها الى مصر وعادوا منها خائبين

السادسة (١٢٢٨ — ١٢٢٩ م) الحرب التي قادها فريدريك الثاني امبراطور المانيا لادعائه بميراث مملكة القدس عن جان دو بريين . فعقد مع الملك الكامل معاهدة الصلح واستلم بموجبها القدس

السابعة (١٢٤٨ — ١٢٥٤ م) الحرب التي قادها لويس التاسع ملك فرانسا ايفاء بنذر نذره . فخرج لمصر وغلبه الملك الكامل خامس الملوك الايوبية في محاربة المنصورة واسره فأخلى دمياط وسلمها للمسلمين فكاكاً لاسره

الثامنة (١٢٧٠ م) الحرب التي قادها لويس التاسع ملك فرانسا الملقب بالقديس لويس ومات فيها امام اسوار تونس الخضرا . فاسترجع المسلمون حينئذ مدن فلسطين وسوريا من الافرنج واحدة بعد الاخرى . وكان آخرهن فتح عكا سنة ١٢٩١ م وانتهت بذلك الحروب الصليبية

وكان لهذه الحروب نتيجتان احداهما مادية عسكرية والاخرى معنوية أدبية فالنتيجة المادية رجوع الافرنج عن الغنيمة بعد الكد بالقفل وتخليتهم القدس وجميع ما ملكوه في الشرق . والنتيجة المعنوية انتباههم من الغفلة التي كانوا فيها بمخالطتهم المسلمين وأهل الشرق وسلوكهم منذ ذلك التاريخ سبيلي «الانتظام» و«الترقي» . ويسميهما الافرنج (اوردر وبروغره) . قال رينان «حدث بعد الحرب الصليبية الثامنة التي قام بها لويس التاسع ومات على أبواب تونس حركتان واضحتان من جهتين مختلفتين الاولى انحطاط العالم الاسلامي والاخرى نهوض العالم المسيحي لان العلوم الاسلامية لما امحت جراثيم الحياة في جسم البلاد الاوربية انطفأت جراثيم حياتها . وأخذ العالمان يسيران في وجهتين متعاكستين علوًّا وهبوطاً»

سارت مشرقة وسار مغرباً شتان بين مشرق ومغرب

هذبوا ابناءكم وهم اطفال

علموهم الصدق والترتيب والمحافظة على الوقت

و بغضوا اليهم الكبرياء

الناس من حيث تأثير التربية في الانسان فريقان فريق لا يرون للتربية فائدة على الاطلاق وعندهم ان الانسان انما يشب على ما فطر عليه ان خيراً او ان شراً . فالصادق عندهم مفطور على الصدق منذ ولادته والكاذب مفطور على الكذب وكذلك الكريم والبخيل والمقدام والكسول وغيرهم . وحجتهم في ذلك ان عشرة اخوة قد يربون في بيت واحد وأحوال واحدة يربيهم أب واحد وأم واحدة ثم يتعلمون في مدرسة واحدة ومع ذلك فان كلاً منهم يشب على خلق خاص به وقد يكون بينهم الصادق المبالغ في الصدق والكاذب المبالغ في الكذب او الفاضل العفيف والسافل الدنيء -- فأين ذهب تأثير التربية في هؤلاء . وعندهم ان التربية عبارة عن مصقلة تصقل بها المواهب كما يصقل النحاس والفضة والذهب والالماس وغيرها فانها تنظف الظواهر ولا تتطرق الى البواطن ولا يلبث كل من هذه المعادن ان يعود الى طبعه بعد قليل لان النحاس لا يزال نحاساً والذهب لا يزال ذهباً والفضة فضة

وفريق يزعم ان الانسان صنيعة التربية يكون كما يشاء مربيه فيشب على ما يتعوده من خير او شر وقلما يكون للفطرة تأثير على أخلاقه وأطواره بل هو كالعجينة او الطينة مهما أردت طبعه فيها انطبع واذا جفت ظل ذلك الطبع فيها . وحجتهم في ذلك ان الطفل يولد وهو لا يدري شيئاً ولا علم له بشيء فيكتسب العلم مما يقع عليه بصره أو يطرق سمعه من الحوادث الجارية حوله . فاذا كلموه بالعربية شب وهي لسانه او بالانكليزية فكذلك او بكلتيهما فيشب وهو يتكلمها . واذا ربوه على اعتبار الخير شراً أو الشر خيراً شب على ذلك

والواقع ان التربية ليست من قبيل صقل النحاس أو الفضة أو الذهب او غيرها

من المادن لان هذه أجسام جامدة والانسان حيٌّ نام . ولا هي من قبيل العجين أو الطين فان هذين لا حياة فيهما ولا مرونة تدفعهما الى طريق يستدعيها النمو . والانسان فيه منذ طفوليته قوة كامنة تدفعه الى النمو والتغيير شأن الاجسام الحية

وانما الانسان من حيث التربية وسط بين ذينك القولين فهو كالشجرة تنمو مستقيمة او معوجة بحسب ما يطرأ عليها من المؤثرات . فلو ألقيت بعض بذور البرتقال في بستان ولم تتعهدها بالسقي او الاصلاح ولا تعمدت أذيتها بوجه من الوجوه فانها تنمو وتصير أشجارًا وفيها المعتدل والمعوج والقصير والطويل والمثمر وغير المثمر وفيها مالا يكاد ينبت حتى ييبس وفيها مالا ينبت بالكلية . ولو تتبعنا أسباب ذلك لرأينا بعضه يرجع الى أصل تركيب البذور والبعض الآخر يتعلق بالظواهر الجوية والبعض الآخر بالحوادث الارضية — ذلك شأن الانسان اذا ترك للطبيعة ولم يعتن بتربيته . فقد يكون فيه استعداد للاعمال العظمى وفطرة غريزية للاخلاق الحسنة او يكون مفطورًا على الرذائل والخمول فيشب بمقتضى ذلك مع ما قد يطرأ عليه في طفوليته من الطوارئ الخارجية وهي مختلفة وتأثيرها على الناس مختلف

أما اذا غرست تلك البذور بيدك في امكنة ابعادها متناسبة ثم تعهدتها بالسقاية والاصلاح فاذا تبينت في بعضها ميلاً الى الاعوجاج تلافيته واسندتها وقومتها وغصنها لا يزال لدنًا ثم تعهدتها بالمقراض فقطعت ما ينبت فيها من الاغصان الفاسدة او المعوجة — فاذا فعلت ذلك بعناية وتعقل لا تكاد ترى في بستانك شجرة عوجاء او مشوهة . على انك لا تزال ترى بين تلك الاشجار تباينًا في الحجم والشكل وقوة النمو . واذا كان بين تلك البذور بذرة من برتقان بري لا تطمع في ان تجعلها حلوة من الغرس الاول ولو سقيتها مذوب السكر و بذلت كل جهدك في تحليتها

والانسان يولد وفيه غرائز فطرية تذهب به الى الخير أو الى الشر وفيه أيضًا قابلية للاكتساب فاذا عومل بالعناية اللازمة اكتسبت غرائزه شكلاً جديدًا فاذا كان ميلها الى الخير زادتها تلك العناية رونقًا واذا كان ميلها الى الشر لطف شرها تلطيفًا حسنًا . فاذا ولد أحدهم وفيه ميل فطري الى الكذب مثلاً وعني مربوه منذ

طفوليته في تقبيح الكذب في عينيه ومراقبة ذلك فيه المراقبة الدقيقة وتتبع كل خطوة من خطواته فانه يتعود ان يخاف من الكذب . فاذا شب لا يبعد ان يعود اليه ولكنه يبقى بحكم العادة يخافه فيقل وقوعه فيه . وقس على ذلك سائر الرذائل

وقد يولد الطفل وفيه جراثيم بعض الفضائل فاذا أهملت التربية ماتت تلك الجراثيم كما يزداد ضعيف البدن ضعفاً اذا لم يسع في تقوية أعضائه بالرياضة البدنية ونحوها . ومن الامور المشهورة ان بعضهم قد اكتسب بدنه قوة عظيمة بمجرد الرياضة البدنية ولم يكن أحد يتوقع منه ذلك

على اننا اذا اعتبرنا التربية بالنظر الى الامة على وجه الاجمال رأينا تأثيرها أعظم كثيراً ويزداد ذلك التأثير بتوالي الاجيال . كما تتحول الاشجار البرية الى أشجار بستانية بتوالي غرسها وتعهدها بالاصلاح والعناية ويظهر ذلك جلياً في تأثير الاديان بالامم . فترى لكل أمة آداباً وأخلاقاً عامة تختلف عن آداب واخلاق الامم الاخرى قد اكتسبتها بتوالي الاجيال من تعاليم ذلك الدين . واذا انتقلت الامة من دين الى آخر لا تلبث ان تتغير آدابها وأخلاقها حتى توافق تعاليم ذلك الدين — اعتبر ذلك في قبائل الجرمان كيف كانت أطوارهم وأخلاقهم قبل اعتناق الديانة المسيحية وكيف اصبحت بعدها . وفي قبائل العرب في الجاهلية وفي الاسلام وقس عليه . أما في الافراد فالتربية أقل تأثيراً وقلما يظهر أثرها الا اذا بوشرت في الصغر والعود رطب فانها تأتي بفوائد حسنة

ولا بد في تربية الاولاد من النظر في قواهم (غير البدنية) نظراً تشريحياً فهي تقسم بالاجمال الى قسمين القوى العاقلة والاخلاق (القوى الادبية) وقلما تجد علاقة متبادلة بينهما . اذ قد يكون المرء قويّ العقل فيحل المعضلات ويحرز علوم الاولين والآخرين ويذهب في الفلسفة مذاهب سامية ويرتكب مع ذلك أدنى الرذائل . فكم من عالم منافق او بخيل أو فاسد الاداب وكم من ضعيف العقل صادق اللهجة حر الضمير كريم الخلق . لكن بعض كبار العقول اذا كان فيهم ميل فطري الى شيء من الرذائل اصلحوه بقوة ارادتهم وصبرهم . على ان الغالب في أقوياء العقول ان يكونوا

حسان الاخلاق

ويهمنا مما تقدم ان الطفل يخلق وفيه شيئان يجب الانتباه اليهما في تربيته وهما عقله وأخلاقه . فالعقل اذا قصر الوالدان في تربيته فالمدرسة تعوضها عليه . اما الاخلاق فلا بد من مداركتها في الطفولية والا فان المدرسة قلما يكون لها تأثير في تربيتها . والاخلاق هي عماد الفضائل وعليها يتوقف مستقبل الانسان في هذه الحياة من خير أوشر — بالاخلاق يكون الانسان سعيداً أو تعيساً وبالاخلاق يكون نافعاً او ضاراً . فلا يفرح الآباء اذا رأوا أبناءهم يسبقون أقرانهم في العلم والمعرفة وغيرهما من ثمار الذكاء لان ذلك لا يغنيهم شيئاً اذا لم يكونوا على خلق حسن . ماذا يفيد الرجل كثرة ما يحسنه من اللغات أو يفهمه من العلوم اذا كان كاذباً أو متكبراً اوماذا يفيده علمه اذا ساء أدبه وتلطخت سيرته فانه ساقط لا محالة — فتهذيب الاخلاق أول ما يجب الاعتناء به وهو من واجبات الآباء والامهات . بل هو من واجبات الامهات على الاكثر لان الام تصاحب الطفل في ذلك السن اكثر مما يصاحبه أبوه . ولذلك قالوا ان التي تهز السرير بيمينها تهز الارض بيسارها . لانها اذا أحسنت تربية أخلاق ابنها جعلته سعيداً لنفسه ومفيداً لابناء نوعه

فالوالدون مطالبون بتربية أولادهم على حب الفضائل ونبذ الرذائل . ولكن هذا التعريف مبهمٌ لاتساع حدوده وكثرة مايعد دونه من صنوف الفضائل والرذائل . وفي اعتقادنا ان تربية الاخلاق المراد بها سعادة الانسان ومنفعة أبناء نوعه تنحصر بهذه العبارة « علم ابنك الصدق والترتيب والمحافظة على الوقت وبغض اليه الكبرياء » لان الصدق أساس كل الفضائل — كما بينا ذلك في الهلال الرابع من السنة التاسعة — فالصادق لا يكون خائناً ولا مختلساً ولا سارقاً ولا زانياً ولا مزوراً ولا نماماً . فاذا عاملت صادقاً فأنت في مأمن على مالك وعرضك وهو على يقين من رغبة الناس في معاملته

والترتيب اساس انتظام الاعمال فمن يتدرب من طفوليته ان يضع كل شيء في مكانه يشب مرتباً في أعماله في هذه الحياة . فمن تعلمه امه اذا خلع قميصه ان لا يلقيه على الارض كيفما اتفق بل يضعه في المكان المعد لتعليق الثياب . او اذا عاد من

المدرسة ان لا يضع كتبه في مكان لا يهتدي اليه في الصباح الا بعد البحث فانه يتعود الترتيب ويشب مرتباً في حساباته وتجارته ومعاملته فلا يضيع شيئاً من اوراقه اودفاتره ولا يخشى ضياع ثروته . ومن كان محافظاً على وقته لا تفوته فرصة لا يعمل بها عملاً فانه لا يخاف فقراً

وأما الكبرياء فهي عقبة من عقبات الرزق في سبيل هذه الحياة . فلو عرفت صانعاً مهما بلغ من مهارته في صناعته وكان مع ذلك متعجرفاً كبير الدعوى فانك تنفر منه وقد تعاف نفسك الانتفاع بصناعته فراراً من معاملته — واذا بحثت بحثاً تحليلياً في منزلة معارفك عند نفسك من حيث رغبتك في مجالستهم أو نفورك من قربهم لرأيت للكبرياء والتواضع دخلاً عظيماً في ذلك . لان المتكبر مكروه حيثما كان والمتواضع مقبول في أي حال — وكبير الدعوى لا تجد من يحبه أو يصبر على عشرته اومعاملته لانه جاهل ولو أحرز علوم الارض . وأحمق ولو أحاط بفلسفة المتقدمين والمتأخرين — اذ لا يدل على مقدار جهل الانسان اكثر من جهله مقدار نفسه . ولو بحثت في مايعبر عنه الناس بقولهم «فلان خفيف الروح » أو «فلان ثقيل الروح » لوجدت علة ذلك بالاكثر التواضع والكبرياء . فالمتكبر المدعي يستثقل الناس دمه وبعكس ذلك الوديع المتواضع فانه مقبول حيثما أقام وهو خفيف الروح او الدم — ولا يخفى ما يترتب على ذلك من المنافع او المضار في حياة الانسان

علموا أبناءكم الصدق بكل معانيه أي علموهم ان لا يقولوا غير ما يعتقدون واغرسوا فيهم حب الترتيب والمحافظة على الوقت اي ان لا يضيعوا وقتاً لا يعملون فيها عملاً و بغضوا اليهم الكبرياء فانها أشد ما يبغضهم الى الناس . فاذا فعلتم ذلك فقد أقمتم بأهم واجب عليكم في تربية ابنائكم ولله ما وراء ذلك

﴿ تراجم مشاهير الشرق ﴾

في القرن التاسع عشر

اقرأ اعلان هذا الكتاب على غلاف هذا الهلال

باب السؤال والاقتراح

﴿ الحشيش ﴾

(ابو كبير) محمود افندي زهدي

ما هو الحشيش وما هي مضاره وتاريخ دخوله هذه البلاد

﴿ الهلال ﴾ الحشيش يستحضر من أوراق القنب المعروف بالقنب الهندي ومن راتنج ينضح من سوقه بشكل خلاصة جامدة يتعاطاها بعضهم للتخدير اوالسكر أو للهذيان وهو مشهور في بلاد الشرق وخصوصاً في مصر

واستعماله قديم في الهند وقد استخدمه السكثيون القدماء قبل الميلاد بقرون كثيرة . وكان الغرض من تعاطيه احداث هذيان ترافقه أحلام مفرحة ويزعمون ان الانسان اذا تعاطاه ونام حلم بما يشتهيه من المناظر أو الوقائع . واتصل استخدامه بالعرب في القرن الحادي عشر للميلاد على يد حسن بن صباح الذي يسميه الافرنج شيخ الجبل زعيم طائفة الحشاشين واستخدمه في ايهام أصحابه اقتداره على المعجزات فكان يسكرهم به وينقلهم وهم سكارى الى مكان أجمل من الذي كانوا فيه في صحوهم فاذا أفاقوا سألهم اين انتم فيجيبونه انهم في منزل حسن وعيشة هنيئة فيسكرهم ثانية وينقلهم الى محل آخر فيه الحدائق الغناء والقصور الشامخة والجواري الحسان مما يسبي العقول فيفيقون من سكرتهم وهم في ذلك الفردوس فيسألهم اين أنتم فيعترفون انهم في الفردوس ويقتنعون ان الرجل مرسل من الله لسعادتهم وان السعادة والشقاء طوع ارادته (راجع مقالة الدكتور أبو جمرة عن طائفة الحشاشين في الهلال الثالث من السنة العاشرة)

والعرب يسمون هذا العقار « حشيشة الفقراء » ويقول المقريزي ان مكتشفها رجل يسمى شيخ الشيوخ حيدر. نقل المقريزي ذلك في حديث أحد تلامذة الشيخ حيدر واسمه الشيخ جعفر الحيدري قال الشيخ المذكور: « وكان (الشيخ حيدر) كثير الرياضة والمجاهدة قليل الاستعمال للغذاء قد فاق في الزهادة وبرز في العبادة وكان مولده بنشاور ببلاد خراسان ومقامه بجبل بين نشاور وما رماه وكان قد اتخذ بهذا الجبل زاوية وفي صحبته جماعة من الفقراء وانقطع في موضع منها ومكث بها اكثر من عشر سنين لا يخرج منها ولا يدخل عليه احد غيري للقيام بخدمته ثم ان الشيخ طلع ذات يوم وقد اشتدّ الحر وقت القائلة منفرداً بنفسه الى الصحراء ثم عاد وقد علا وجهه نشاط وسرور بخلاف ما كنا نعهدهُ من حاله قبل واذن لاصحابه في الدخول عليه وأخذ يحادثهم فلما رأينا الشيخ على هذه الحالة من المؤانسة بعد اقامته تلك المدة الطويلة في الخلوة والعزلة سألناه عن ذلك فقال بينما أنا في خلوتي اذ خطر ببالي الخروج الى الصحراء منفرداً فخرجت فوجدت كل شيء من النبات ساكناً لا يتحرك لعدم الريح وشدة القيظ ومررت بنبات له ورق فرأيته في تلك الحال يميس بلطف ويتحرك من غير عنف كالثمل النشوان فجعلت اقطف منه أوراقاً وآكلها فحدث عندي من الارتياح ما شاهدتموه فقوموا بنا حتى اوقفكم عليه لتعرفوا شكله. فخرجنا الى الصحراء فأوقفنا على النبات فلما رأيناهُ قلنا هذا نبات يعرف بالقنب فأمرنا أن نأخذ من ورقه ونأكله ففعلنا ثم عدنا الى الزاوية فوجدنا في قلوبنا من السرور والفرح ما عجزنا عن كتمانه. فلما رآنا الشيخ على الحالة التي وصفنا امرنا بصيانة هذا العقار وأخذ علينا الايمان أن لا نعلم به أحداً من عوام الناس وأوصانا أن لا نخفيه عن الفقراء وقال ان الله تعالى قد خصكم بسرّ هذا الورق ليذهب بأكله همومكم الكثيفة ويجلو بفعله أفكاركم الشريفة فراقبوه فيما أودعكم وراعوه فيما استرعاكم — قال الشيخ جعفر فزرعتها بزاوية الشيخ حيدر بعد أن وقفنا على هذ السر في حياته وأمرنا بزرعها حول ضريحه بعد وفاته وعاش الشيخ حيدر بعد ذلك عشر سنين وأنا في خدمته لم أره يقطع اكلها في كل يوم. وكان

يأمرنا بتقليل الغذاء واكل هذه الحشيشة . وتوفي الشيخ حيدر سنة ثمان عشرة بزاويته في الجبل وعمل على ضريحه قبة عظيمة وأتته النذور الوافرة من أهل خراسان وعظموا قدره وزاروا قبره واحترموا أصحابه . وكان قد أوصى اصحابه عند وفاته أن يوقفوا ظرفاء أهل خرسان وكبراءهم على هذا العقار وسرّه فاستعملوه ولم تزل الحشيشة شائعة ذائعة في بلاد خراسان ومعاملات فارس ولم يكن يعرف اكلها أهل العراق حتى ورد اليها صاحب هرمز ومحمد بن محمد صاحب البحرين وهما من ملوك سيف البحر المجاور لبلاد فارس في أيام الملك الامام المنتصر بالله سنة ثمان وعشرين وستمائة فحملها اصحابهما معهم وأظهروا للناس اكلها فاشتهرت بالعراق ووصل خبرها الى اهل الشام ومصر والروم فاستعملوها . . »

وللحشيشة تأثير مخدر على الاعصاب فتذهب الهموم وتشرح الصدور ولذلك كثر استعمالها بين الفقراء حتى نسبت اليهم . وتغزل بها الشعراء ونظموا في مدحها القصائد الطويلة — من ذلك قوله محمد بن علي بن الاعمى الدمشقي من قصيدة :

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر　　معنبرة خضراء مثل الزبرجد
يعاطيكها ظبي من الترك أغيد　　يميس على غصن من البان املد
فتحسبها في كفه اذ يديرها　　كرقم عذار فوق خد مورد
يرنحها أدنى نسيم تنسمت　　فتهفو الى برد النسيم المردد
وتشدو على أغصانها الورق في الضحى　　فيطربها سجع الحمام المغرد
وفيها معان ليس في الخمر مثلها　　فلا تستمع فيها مقال مفند

على ان أهل التعقل والدراية قبحوا تعاطيها وبالغوا في ذمها — ولله در الشاب الظريف فقد جمع عواقبها الوخيمة في بيتين وهما :

ما للحشيشة فضل عند آكلها　　لكنه غير مصروف الى رشده
صفراء في وجهه خضراء في فمه　　حمراء في عينه سوداء في كبده

وقال الرئيس علاء الدين بن نفيس « اعتبرت الحشيشة فوجدتها تورث السفالة والرذالة وقد جربنا في طول عمرنا من عاناها فاذا هو ينحط في سائر أخلاقه الى ما لا

يكاد يبقى له من الانسانية شيء البتة »

وقال ابن البيطار النباتي العربي الشهير « ومن القنب نوع ثالث يقال له القنب الهندي لم أره بغير مصر ويزرع في البساتين ويقال له الحشيشة عندهم أيضاً وهو يسكر جداً اذا تناول منه الانسان قدر درهم او درهمين حتى ان من اكثر منه يخرجه الى حد الرعونة . وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال الى الجنون وربما قتلت . ورأيت الفقراء يستعملونها على انحاء شتى فمنهم من يطبخ الورق طبخاً بليغاً ويدعكه باليد دعكاً جيداً حتى يتعجن و يعمل منه اقراصاً ومنهم من يجففه قليلاً ثم يحمصه و يفركه باليد ويخلط به قليل سمسم مقشور وسكر و يستفه ويطيل مضغه فانهم يطربون عليه و يفرحون كثيراً وربما اسكرهم فيخرجون به الى الجنون او قريب منه»

وقد اشتهرت اضرارهذه الحشيشة حتى أمرت الحكومات بمنع غرسها . وأول من فعل ذلك بمصر الامير سودون الشيخوني في أيام سلاطين المماليك فانه أمر باقتلاع شجرها واتلافه وقبض على كل من يتعاطاها من أطراف الناس وردلائهم وعاقب عليها بقلع الاضراس فقلع أضراس كثير من العامة سنة ٧٨٠هـ . وما زالت الحشيشة تعد من القاذورات النجسة في مصر حتى قدم السلطان احمد بن أو يس سلطان بغداد فاراً من تيمورلنك الى القاهرة سنة ٧٩٥ فتظاهر أصحابه باكلها وشنع الناس عليهم واستقبحوا ذلك منهم وعابوه عليهم . وهو الذي نشر تعاطي هذه الحشيشة في دمشق أيضاً . وتفنن الناس من ذلك الحين في اصطناع المعاجين منها من العسل ونحوه — قال المقريزي — وقد أجاد في وصفها ووصف اصحابها — « فلما كان في سنه خمس عشرة وثمانمائة شنع التجاهر بالشجرة الملعونة فظهر أمرها واشتهر اكلها وارتفع الاحتشام من الكلام بها حتى لقد كادت ان تكون من تحف المترفين . وبهذا السبب غلبت السفالة على الاخلاق وارتفع ستر الحياء والحشمة من بين الناس وجهروا بالسوء من القول وتفاخروا بالمعايب وانحطوا عن كل شرف وفضيلة وتحلوا بكل ذميمة من الاخلاق ورذيلة فلولا الشكل لم تقض عليهم بالانسانية ولولا الحس لما حكمت بالحيوانية وقد بدا المسخ في الشمائل والاخلاق المنذر بظهوره على الصور والذوات عافانا الله تبارك وتعالى »

فالحشيش او حشيشة الفقراء عقار كثير الضرر في الاخلاق والآداب والعقول وما من امة فشا هذا المسكر فيها الا تولاها الذل وتغلب عليها الفاتحون لانها تذهب بهمة الرجال وتصرفهم الى الملاذ والملاهي وتضعف عقولهم وابدانهم وتضعضع قلوبهم فيتولاهم الجبن . ومن كان هذا شأنهم فما هم من بني الانسان

وقد تنبهت الحكومة الخديوية الى اضرار الحشيش وشددت في منعه ووضعت الارصاد والعيون على تجاره . ولكن يظهر ان مساعيها ذاهب اكثرها ادراج الرياح فالحشيش يباع الآن سرًّا في شوارع القاهرة والاسكندرية وغيرها من مدن القطر وطلابه يعرفون السبيل اليه وليس من يشعر بهم او يبحث عنهم . وفي اعتقادنا ان شيوع الحشيش في الامة من اكبر اسباب سقوطها — هذه امة الانكليز وقد اشتهر رجالها بالثبات والنشاط والصبر على الاعمال اذا استطعت نشر الحشيش بين اهلها فانك ذاهب بها الى الحضيض لا محالة

فعلى من اللوم في بقاء هذه العادة في مصر . أعلى الحكومة وقد بذلت الجهد في منعها وعاقبت بائعيها وشاربيها ؟ ام على بائعيها وهم انما يلتمسون الرزق تحت خطر الخسارة والقتل . . ؟ — لا مشاحة ان الحكومة هي المطالبة اولاً بهذا التقصير لان التجار لو لم يجدوا سبيلاً لبيعها لم يتجرأوا على حملها ونقلها . على اننا لا نبرئ الاهالي من هذا الذنب الفادح وقد آن لهم ان يفهموا ما يترتب على معاطاة هذا المسكر من الاضرار البدنية والادبية والاجتماعية ونحن في عصر العلم والحرية واذا ساغ لنا ان نلتمس لهم عذرًا على ارتكاب هذه الرذيلة فانما عذرهم « الجهل » آفة الآفات وشيخ المنكرات والجاهل عدوُّ نفسه — فما من سبيل الى دفع هذا المنكر وغيره من أسباب الرذائل الاَّ بالتعليم فاذا تعممت المعرفة واستنار الناس علموا اضرار هذه المنكرات ونبذوها

الفوسفور

(المطبعة) عزيز افندي عبد الملك

هل للفوسفور دخل في تركيب البطارية الكهربائية وهل الجسم الحيواني

تاريخ علم الادب

عند الافرنج والعرب

لكاتب فاضل

١٤ – ما اقتبسه الافرنج من قواعد الشعر العربي

فيتضح لك من هذه النبذة التاريخية المعترضة في هذه الرسالة ان الاختلاط بين العرب والافرنج لم ينقطع لا في الحروب الصليبية ولا قبلها حينما دخل العرب أرض فرنسا وتوطنوا في جنوبها وحرثوا أرضها وتزوجوا بناتها وتاجروا مع أهلها وعمروا مدن نربون (نربونه) وقرقسون (قرقشونه) وفراقسينه واخذوا الاسرى من الافرنج وشغلوهم في عمارة جامع قرطبة القائم ليومنا هذا على الف وثلاثة وتسعين عموداً وفي غيره من المباني الفاخرة كالقصر والزهراء والحمراء والقنطرة . فكانت الافكار تتبادل بين الفريقين ضرورة ولو كانا على طرفي نقيض . وحيث كان المسلمون في ذاك العصر أرق حضارة وأدباً من جيرانهم المسيحيين كانت الافرنج تقتبس من معارف المسلمين وتحصل العلم في مدارسهم وجوامعهم كما فعل البابا سيلفستر الثاني . واسمه الذي سماه به أبوهُ جربر (٩٣٠ – ١٠٠٤ م) فانه بعد ان حصل مبادئ العلوم اللاهوتية باللغة اللاتينية في مدينة أوريلاق التي ولد فيها وهي بالقرب من طولوز وفي شمالها الشرقي ارتحل في طلب العلم الى الاندلس فقطع عقاب البيرينه والوادي الكبير المار بجوار قرطبة ومن اشبيلية والمنصب في خليج قادس من المحيط غير بعيد عن شريش وجاور في مدرسة اشبيلية ثلاث سنين وعاد لاوروبا متبحراً في العلوم والمعارف حتى حسبه الناس ساحراً واتخذه الملوك مؤدباً لاولادهم وتقلب في المناصب حتى احرز رتبة البابوية . وقيل انه أول من ادخل لبلاد الافرنج ما يسمونه الارقام العربية ونسميه الارقام الهندية وهي التي تدل بذاتها على عدد

وبمنزلتها على عدد آخر . وكانوا لذالك العهد يستعملون الاحرف اللاتينية التي هي بمثابة الحروف الابجدية

واقتفى طلاب العلم اثر هذا البابا الحكيم وكذا المتحلون منهم للشعر والادب كانوا يقلدون شعراء العرب وأدباءهم . وكان المجاورون للعرب من أهالي فرنسا وشمال اسبانيا يحيدون عن تعلم اشعار اللاتين ويكبون على تعلم اشعار العرب وأزجالهم . وكان فقراؤهم في القرن الحادي عشر للميلاد ينشدون الاناشيد والمدائح العربية وهم يستعطون على الابواب وفي الطرقات فيستمع الناس لهم ويتصدقون عليهم لا لفهمهم ما يقولون وانما شوقاً منهم وحناناً للالحان والانغام والقوافي الرنانة كما كانت العربية هي اللسان الرسمي في صقلية على عهد رجار ومن خلفه من الملوك بعد انقراض الحكومة الاسلامية منها وكانوا يحررون بالعربية على المباني العمومية في تلك الجزيرة

وذكرنا فيما تقدم ان لغة « رومان » وهي لاتينية سوقية محرفة بكلام الغولوا والفرنك انقسمت الى شعبتين (١) لسان اوق تكلم به أهل الجنوب لا سيما سكان بروفانس (٢) لسان اويل تكلم به أهل الشمال لا سيما سكان جزيرة فرانسا وهي الايالة التي عاصمتها باريس وكان في الشمال شعراء يقال لهم (تروفير) وفي الجنوب شعراء يقال لهم (تروبادور) . فالتروبادور الذين كانوا في ايالة بروفانس هم صنف من المداحين يطوفون من قصر لقصر ومن قلعة لاخرى يغنون قصائدهم ويمدحون الامراء وذوي الوجاهة ويسمون أدبهم بالعلم المطرب . ولم تكن أشعارهم ذات قواف كاشعار العرب وانما لها بدل القافية مراكز ومواقف كالاشعار التي يتغنى بها رعاة الغنم . وكان لهم فن من الشعر يسمونه تنسون (Tenson) على شكل المخاطبات يشابه ما أوجده الاندلسيون من الفنون الشعرية . وأجمع العارفون على ان القوافي اول ما ظهرت في الشعر البروفانسال وانها مأخوذة من العرب . فالقافية عند الفرنساويين هي اتحاد الاحرف الصوتية الاخيرة وما يتبعها من الاحرف الساكنة في نهاية كل بيتين أو قطعتين من الشعر مثل ساج وباج (Sage, Page) فالذي أخذوه عن العرب بالسماع والتقليد هو علم القوافي وكانوا يستعملون قبل ذلك عوضاً

عن القافية مايسمونه (اسونانس) وهو اتحاد الاحرف الصوتية الاخيرة بقطع النظر عما بعدها من الاحرف الساكنة في نهاية كل بيتين مثل ساج (Sâge) وآرم (ârme) وكان استعمالهم للقوافي في القرن الثالث عشر وأخذوا عن العرب في المنظوم أنواع المدح والغزل والنسيب والهجو والهزل أي مايسمونه ليريك ومايسمونه ساتيريك . كما أخذوا عنهم في المنثور القصص والملح وضروب الامثال ومنها مانقلوه نثرًا ثم نظموه في لغتهم . وجاروا العرب في الفكاهات أيضًا فألفوا حكايات ونظريفات على أقسة القرى وخدمة الكنائس ليضحكوا منهم الامراء والفرسان الذين يسمونهم « شيفاليه » . وفي هذه الحكايات والنوادر المأخوذة عن العرب ما أصله الاول من حكايات الفرس والهنود وترجمت الى العربية ثم نقلت للافرنجية . فلو كان الحكم والغلبة لاهل الجنوب المجاورين للعرب ولغتهم المسماة « أوق » لوجدنا في اللغة الفرنساوية الحالية شيئًا كثيرًا من فنون الادب العربية . ولكن الحكم والغلبة كانتا لاهل الشمال ولغتهم المسماة « اويل » وكان شعراؤهم التروفير لا يعرفون غير اشعار الحماسة وقصائدهم قصيرة والبيت مؤلف من عشرة مجاآت ليس له قافية وانما له (اسونانس) كما في أغاني رولان الآتي ذكرها واستمروا على هذا النظم الى آخر القرن الثاني عشر . وفي القرن الثالث عشر أخذ شعراء الشمال وهم التروفير ينسجون على منوال (التروبادور) وتعلموا منهم القوافي ورقة الغزل واللحن الموسيقي وصار فرسان الافرنج يقلدون فرسان العرب في انتحال الشعر فكانت فضائل الفارس المهارة في الفروسية وحفظ الشعر والتمثل به وفي لعب الشطرنج . فحسن الشعر الافرنجي بادخال القوافي العربية فيه و باقتباس أدب الاندلسيين ورقة غزلهم

١٥ — اقتباس الافرنج اقاصيصهم عن العرب

والحاصل ان الرومانيين لما فتحوا أرض الغول ادخلوا اليها مدنيتهم ولغة عوامهم وهي اللاتينية الدارجة فلما استولى قبائل الافرنج على أرض الغول أخذوا ما وجدوه فيها من اللسان والمدنية فنتج من هذا الاختلاط لغة جديدة قيل لها « رومان » .

وأقدم المدونات في هذه اللغة هريمين ستراسبورغ وهو صورة القسم الذي اقسم به العسكر لاحفاد شارلمان حينما عقدوا معاهدة فيردون وقسموا مملكة شارلمان الى ثلاثة أقسام فرانسا وجرمانيا وايطاليا وأخذ كل منهم قسماً وذلك في سنة ٨٤٣ م وسنة ٢٢٩ ه أي في خلافة الواثق بالله هارون بن المعتصم بن هارون الرشيد في بغداد وعبد الرحمن بن الحكم في قرطبة . فهذه أول مرة دونت فيها لغة رومان وقامت مقام اللغة اللاتينية . ثم انقسمت لغة رومان الى لسان اويل والى لسان أوق . وانقسم لسان أويل وهو لسان الشمال الى لهجات غلب على الجميع لهجة جزيرة فرانسا — وهي الجزيرة المحاطة بالانهار المشتملة على باريس وما في جوارها — فصارت اللغة الفرنساوية . ثم عم استعمال هذه اللغة في الآيالات الجنوبية وغلبت على لسان أوق سنة ٩٨٧ م حينما تأسست الدولة الثالثة من دول الافرنج وهي الدولة التي دامت الى حدوث الانقلاب الكبير وظهور الحكومة الجمهورية . وكان مؤسس الدولة الثالثة هوغ قابت دوق جزيرة فرانسا فأطلق هذا الاسم على عموم المملكة وعلى اللغة

ولما كان اتساع دائرة النظم في تاريخ الادب سابقاً لاتساع دائرة النثر كان الكلام المنظوم أساساً للادب الفرنساوي . وأقدم نظم فيه هو « اغاني رولان » وتاريخ نظمها في النصف الاخير من القرن الحادي عشر وناظمها أو ناظموها مجهولون ولا دليل على انه تيرولد المذكور اسمه في آخر بيت منها . ورولان هو قائد جنود شارلمان الذين حاربوا الاندلسيين . وذلك ان شارلمان لما فتح الفتوحات العظيمة وتتوج بتاج الامبراطورية واستحصل من الخليفة العباسي على الاذن لحجاج النصارى في زيارة بيت المقدس طار له ذكر في الافاق وتحدث الناس به ونظموا فيه القصائد وقصوا عنه القصص والحكايات وانشدوا الاناشيد وفعل الافرنج له ما فعله العرب لهارون الرشيد . غير ان فنون الادب الافرنجية لم تكن زاهرة كفنون الادب العربية بل كانت حديثة النشأة لم تهذب بعد وكانوا يكتبون باللغة اللاتينية ما يحتاجون الى كتابته وتدوينه ولم يكن الملوك والامراء ولا الرعية يفهمون اللاتينية الفصحى وانما كان يفهمها بعض الاساقفة والرهابين فنظمت (أغاني رولان) و (حج شارلمان)

باللسان الفرنساوي الذي كان يتكلمه أهل ذلك العصر أي بعد شارلمان باكثر من قرن . وفي أغاني رولان من المبالغات ما في قصة عنتر وجمعت فيها الحرب التي حصلت بين الافرنج وعرب الاندلس وجعلت رولان عنتر زمانه والحقته بنسب شارلمان وادعت بانه ابن أخيه وذراعه اليمنى . وذكر في هذه الاغاني ان سبب هزيمة رولان هو خيانة غانيلون . وذلك ان رولان بعث بنايبه غانيلون الى والي سرقسطة مركز ولاية أراغون بمهمة حربية وكان في ذهابه اليها خطر على حياته فاغتاظ هذا المأمور من آمره وانضم الى المسلمين ودبر في قتل رولان وانهزامه . فلما رجع رولان ببقية الجنود الى فرنسا ووصل مضيق رونسيفو في جبال البيرينه هجم عليهم أهالي نافارا وغاسكونيه المتفقون مع المسلمين في جيوش جرارة عدتها اربعماية الف فارس . وكان لرولان مستشار ورفيق اسمه اوليفيه فنصحه بالاستمداد من شارلمان واستدعائه لنجدته فلم يصغ في بادىء الامر لنداه . ولما أراد ان يعمل برأي اوليفيه العاقل ويتبع مشورته فات الوقت وذهب الاوان وغلبهم العدو بكثرة عدده وامسوا مختبطين في ظلام النقع وقتل بعضهم بعضاً وضرب اوليفيه صاحبه رولان بالسيف ضربة خطاء لا عمد فجرحته وسببت موته . فصورت تلك الاغاني موت رولان ثم موت اوليفيه وطلب كل منهما السماح من الآخر ومباركة الاسقف توربين عليهما وغفران ذنوبهما . واراد رولان قبل موته ان يكسر سيفه المسمى (دوراندال) لئلا يقع في ايدي اعدائه او يصل الى مارسيل Marcile والي المسلمين في سرقطة فلم يستطع كسر هذا السيف لانه من السيوف التي لا تكسر ولا تفل ولعله من المعدن المسبوك منه صمصامة عنترة وذو الفقار علي رضي الله عنه وهو الذي قيل فيه لاسيف الا ذو الفقار . وقد تهور الافرنج في وصف (دوراندال) كما تهورت الشيعة في وصف ذي الفقار وجعلوا القوة والشجاعة بأجمعها في السيف حتى لم يبق منها شيء لصاحب السيف ولم يزل اثر الضربة التي ضرب بها رولان الصخرة بسيفه باقياً الى يومنا هذا يشاهده السائحون والمارون بمضيق رونسيفو كما يشاهدون تل العلائف في جوار قرية اريحا من فلسطين وهو التل الذي احدثه على زعمهم جيش ابي زيد الهلالي حينما مروا

بقرية اريحا وارادوا الصعود الى جبل القدس فنفضوا مخالي الشعير في اسفل العقبة فتكوم من الغبار الذي فيها هذا التل العظيم لانهم كانوا لا يحصون عدًا لكثرتهم . هذا ما تتناقله الالسنة ويرويه الاباء عن الاجداد ولعل الباحثين في الآثار القديمة لو حفروا في تل العلائف لوجدوا فيه اثرًا من الآثار كما لو بحث العارفون بطبقات الارض وبشكل الجبال لذكروا سببًا (لضربة رولان) في صخرة رونسيفو . ولرولان حصان كانه هو وابجر عنترة بن شداد فرسا رهان . ولم يفت ناظم اغاني رولان ذكر الملائكة وكيفية نزولهم واصطفافهم حوله لقبض روحه . فصور في منظومته الجهاد المسيحي وجعل فضائل المجاهدين الشجاعة العسكرية والطاعة لاولى الامر وهم (السوزيرين) والتصلب في الدين المسيحي وبغض من لم يعتقدوا بما امر به وينتهوا عما نهى عنه بغضًا لوجه الله لا لعداوة دنيوية ولا لمال ودولة . وهذه الاغاني مطبوعة ومترجمة للفرنساوية العصرية ومنها يظهر اعتقاد الافرنج اذ ذاك في الاسلام والمسلمين فانهم كانوا يحسبون المسلمين دعاة الى عبادة الاصنام ويعدون من اصنامهم ابولون ولم يزل الكثير من اهل القرى الفرنساوية يعتقدون هذا الاعتقاد الى يومنا هذا كما تبين لي من محادثة الكثيرين منهم . وكان لاغاني رولان شأن في عموم اوربا وفي انكلترة وترجمت في القرن الثاني عشر للميلاد للغة الالمانية ولغة السويد والنوروج

ومما نظم على نسق اغاني رولان حج شارلمان الى بيت المقدس وقصائد وحكايات كثيرة في الحروب الصليبية ربما يعتني في المستقبل بترجمتها ومطالعتها المشتغلون بالتاريخ العربي كما يعتني الافرنج في زماننا في استخراج الكتب العربية وطبعها وترجمتها ليقفوا منها على حقيقة تاريخية يوضحون فيها ما غمض من تاريخهم . وفي اواخر القرن الثاني عشر واوائل القرن الثالث عشر اقبل شعراء الشمال ينسجون على منوال شعراء الجنوب ويقتبسون منهم المحسنات الشعرية ورقة الغزل والقوافي العربية ووضعوا الالحان الموسيقية وتغزلوا بها وطبع من ذلك دواوين ورسائل كثيرة لا حاجة لذكرها . ثم ظهرت الاشعار الهجوية والهزلية والملح والفكاهات مما هو على نسق كليلة ودمنة

وضروب امثال لقمان وبقية الحكايات المؤلفة على السنة الحيوانات . فمن ذلك (رومان الثعلب) و (امثال ايزوب) و (رومان روز) وغير ذلك . وقيل للمنظوم من ذلك (الاغاني) او (اغاني القصص)

١٦ — اقتباس الافرنج العلوم عن العرب

ولما اختلط ملوك اوروبا وأُمراؤها بملوك الشرق وامراء المسلمين في اثناء الحروب الصليبية رأوا بأعينهم ادباء العرب وشعراءهم ومؤرخيهم واطباءهم وحكماءهم سيما من كان منهم بمعية صلاح الدين الايوبي مثل القاضي الفاضل والعماد الكاتب وعمارة اليمني الشاعر والطبيب الحاذق الذي طبب ريشار قلب الاسد فقدروا الادب حق قدره واعترفوا بلزوم وضع تاريخ لدولتهم . فألف بعض الرهبان السالكين طريقة القديس ديني (St. Denis) تاريخاً لدولة الافرنج . وكان ذلك على عهد لويس التاسع الملقب بالقديس وهو المتوفى سنة ١٢٧٠ م في تونس اثناء الحرب الصليبية الثامنة . فكان هذا التاريخ أول سجل لضبط وقائع ملوك الافرنج وتاريخ جلوسهم ووفاتهم وذكر شيء من أخبارهم وحروبهم . وداموا على هذا السجل الى ان ملك لويس الحادي عشر المتوفى سنة ١٤٨٣ . وانشأوا في مدينة مون بيليه مدرسة للطب وذلك في القرن الثالث عشر وهي أقدم مدرسة طبية في أوربا بعد مدرسة سالرن التي بجوار نابولي . وكانت الاندلس في منتهى عزها وحضارتها فجلبوا منها لمدرسة مون بيليه المعلمين والمدرسين من العرب واليهود المستعربين . وفي سنة ١٣٢٣ م انشأوا في مدينة طولوز جمعية أدبية دعوها مدرسة العلم المفرح (Collége du gai sçavoir) وجعلوا جوائز الشعر ازهاراً مصوغة من الذهب والفضة تفرق على نوابغ الشعراء بعد تقدير الجمعية وحكمها . وفي أواخر القرن الخامس عشر الميلاد أوقفت احدى المحسنات من نساء طولوز أموالها على هذه الجمعية فاتسعت ثروتها وزادت رغبة الشعراء فيها واقبلوا على اتقان فنون الادب وحسنوا المنطق والكلام باللسان الفرنساوي . ولم تزل هذه الجمعية الادبية زاهرة الى يومنا هذا وتسمى جمعية او

(اكاديمية لعب الازهار) وتتألف من أربعين محافظاً ومن معلمين كثيرين · وسمي أعضاء هذه الجمعية بالمحافظين اشارة الى مايجب عليهم بحسب قانونهم من المحافظة على قواعد اللسان وفنون أدبه · ويحتفلون في اليوم الثالث من الشهر مايو في كل سنة ويوزعون الجوائز والنقود على مستحقيها · ولهم تسع جوائز من الذهب والفضة كل جائزة على شكل زهرة مخصوصة مثل الاقحوان والياسمين والسوسن ومنها ماهو للشعر ومنها ماهو للنثر والخطب — ورأينا فيما سبق كيف نال فيكتور هوكو جائزة هذه الجمعية

وفي القرن الرابع عشر للميلاد ترجم الافرنج الكتب اللاتينية للفرنساوية ونقلوا علوم اليونان وفلسفتهم عن العرب ولم يكن لهم معرفة باللغة اليونانية ولا بما دون فيها فترجموا كتب ارسطو عن اللاتينية المترجمة عن العربية والعربية مترجمة من اليونانية أو السريانية · ثم ظهر فن التشخيص وكان منشأه من الكنيسة ومن تشخيص آلام المسيح عليه السلام وما شبه لهم فيه من القتل والصلب · فهذا أساس فن التشخيص ثم وسعوا دائرة هذا الفن ووضعوا فيه المؤلفات الكثيرة واستحدثوا فيه أنواعاً مختلفة وطرقاً متنوعة واقبلوا على درس أدب اللغة اللاتينية وأدب اللغة اليونانية وتبحروا فيهما فانتقشت أساليب هاتين اللغتين في نفوسهم وحذوا حذو شعراء الرومان واليونان واتخذوا أشعارهم ورواياتهم منوالاً نسجوا عليه أمثالها من كلمات أخرى فرنساوية ولم يزالوا كذلك حتى بلغوا شأواً كبيراً على عهد لويس الرابع عشر (١٦٣٨ — ١٧١٥ م) الملقب بالكبير وأصلحوا فنون الادب وهذبوها وفتحت الماركيزة رامبويه دارها للادباء من سنة ١٦٣٥ الى سنة ١٦٦٥ م وكانت تستقبلهم هي وبناتها ويعقدون في حضرتها منتدى أدبياً يحضره الشعراء والادباء والظرفاء ويتسامرون فيه وينشدون الاشعار ويقصون القصص والنوادر الادبية والعلمية · فكان هذا اول ناد في باريس خدم انتشار الادب والمعارف وساعد على ترقي اللغة وعلى اجتماع الرجال بالنساء في جلسة أدبية محترمة وتقرب الادباء من الامراء وأرباب الوجاهة بعد ان كانوا مختصرين لايحترفون بالادب الا لاستجداء المعروف وطلب الاحسان ·

وصارت السيدات الفرنساويات يقلدن الماركيزة في الاقبال على تحصيل الادب والمعارف وفتح أبوابهن للشعراء والكتبة . وأرادت بعض سيدات الاستانة في عصرنا تقليد الماركيزه في حماية الادب والمعارف فنجح عملهن مدة ثم أقفلت دورهن . وفي سنة ١٦٣٥ أسس الكاردينال ريشليو الاكاديمية الفرنساوية من أربعين عضواً وفوض اليهم جمع قاموس اللغة الفرنساوية ثم أسست أكاديمية الفنون والآداب واشتغلت بالتاريخ والآثار القديمة ثم اكاديمية العلوم الاخلاقية والسياسية واشتغلت في الفلسفة وعلوم الاقتصاد ثم أكاديمية العلوم الرياضية والطبيعية واكاديمية الصنائع النفيسة وغير ذلك من المؤسسات العلمية النافعة . وظهر من الادباء بالزاق وفواتير وديكارت (١٥٩٦ — ١٦٥٠ م) وهو الذي احيا الفلسفة وأوجد التعبيرات الفلسفية في اللغة الفرنساوية . وكان إماماً في الادب فسلك فيه مسلكاً جديداً واتخذ لنفسه طريقة مخصوصة تنسب اليه وتسمى باسمه . ثم أنشأ الكساندر هاردي مرسحاً في باريس شخص فيه روايات كثيرة أخذ موضوعها من اسبانيا لتقدم فنون الادب فيها بسبب مجاورتهم للعرب . وظهر من فحول الادباء بيرقورنيل (١٦٠٦ — ١٦٨٤ م) صاحب رواية هوراس التي صور فيها فضائل الرومان ومحبتهم لاوطانهم ويذلهم دونها المال والبنين . وأبدع ما في هذه الرواية حديث المرأة التي أتت شيخاً من قبيلة هوراس تخبره بموت ابنيه في حرب لهم مع قبيلة كورياس وبنجاة ولده الثالث بالفرار من ميدان الحرب فتجلد الشيخ على موت ابنيه وغضب من فرار ولده الثالث . فقالت له المرأة « ماذا تريد ان يفعل وهو وحده مع ثلاثة من أعدائه » فأجابها الشيخ « أريد ان يموت » . ومن أئمة الادب المؤسسين لطريقة (كلاسيك) راسين (١٦٤٩ — ١٦٩٩) وكان معاصراً لقورنيل ورقيباً له . نظم رواية اندروماخه ونسجها على منوال رواية بهذا الاسم لاحد شعراء اليونان الاقدمين ثم درس تاريخ العبرانيين ونظم رواية « استير » ورواية « أتالي » التي قال فيها فولتير بأنها أحسن ما ألفه العقل البشري وسموا هذا النوع من الروايات الفاجعة التاريخية « تراجيدي » . ومن مشاهير أدبائهم المتقدمين بوالو الشاعر الهجاء مؤلف الهزليات وصاحب المذهب في

فن الادب . وموليير مؤلف المضحكات المسماة كوميدي وفنلون مؤلف تيلماك المترجم للعربية والمطبوع في بيروت وترجمه للتركية يوسف كامل باشا بألفاظ لغوية وعبارة عويصة وترجمه احمد وفيق باشا بألفاظ سهلة . ولافونتين مؤلف الحكايات المنظومة على السنة الحيوانات وكانت المدارس الابتدائية تعول عليها في تدريس اللغة الفرنساوية وتحفظها للاطفال وأما اليوم فقلت الرغبة فيها . ثم ظهر مونتسكيو مؤلف (اسباب اعتلاء الرومانيين وسقوطهم) و (روح القوانين) و (الرسائل العجمية) . وبوفون مؤلف التاريخ الطبيعي وفولتير الشهير الذي لم يدع بابا من أبواب الكتابة وفنون الشعر والانشاء الا طرقهُ . وديدرو صاحب الانسكلوبيديا وجان‌جاك روسو الذي هيج الافكار بمؤلفاته وهيأ حدوث الانقلاب الكبير وبرناردن دوسن بير مؤلف بول وفيرجيني وغيرها من القصص والسياحات

١٧ الطريقة المدرسية والطريقة الرومانية في أدب الافرنج

وما أخذوه من ذلك عن العرب

أدب كل لسان — كما لا يخفى — هو مجموع ماحصلت الاجادة في تأليفه بذلك اللسان من فني المنظوم والمنثور . فمن أمعن النظر في أدب اللسان العربي وجد فيه طرقاً كثيرة ومذاهب شتى للكلام ورأى فريقاً من الذين احرزوا قصب السبق في أدب العرب يتوخى حفظ الالفاظ وتصنيعها وفريقاً آخر يختار ضبط المعاني وترتيبها . وعلم ان لكل واحد من أئمة البلاغة وأمراء الفصاحة منهاجاً معروفاً وطريقة مألوفة . فلو راجعنا البصر في رسائلهم المنثورة وتأملنا طرز انشائها لتبين لنا ان منهم من سلك طريقة الاصل او طريقة السجع أو طريقة الجاحظ امام الادب ومنهم من جمع بين طرق المتقدمين وطريقة المتأخرين حتى خلص لنفسه طريقة . ثم لو أعدنا النظر ثانية في نظم أشعارهم لظهر لنا ان منهم من نسج على منوال شعر الجاهلية ولم يخرج عن الاساليب التي راعوها ومنهم من لم يجر على أساليب العرب المتقدمين كالمتنبي والمعري بل اتخذ كل منهما منوالاً خاصاً لنسج كلامه وأوجد قالباً جديداً

لبناء شعره فأصبح في الادب اماماً يقتدى به . ثم اذا بحثنا في مؤلفات اولئك الائمة باعتبار آخر رأينا منهم من أطلق العنان للمخيلة الشعرية فأتى بالمعجز من آيات البيان ومنهم من استغرق في الحب استغراق ابن الفارض وتجليه. واذا وصفوا الأمكنة والاشخاص أو المواد والمعاني منهم من يصور لك الموصوف على حقيقته بلا خلاف فيه ومنهم من يجمل وصفه يربو على الموصوف ويتعداه أو يقصر عنه . ثم اذا استقصينا البحث نجد طائفة من أمراء البلاغة قد تركوا لغة مضر وما فيها من الاعراب ونظموا أشعارهم بلسان الحضر وهي اللغة الدارجة في أمصارهم لان البلاغة لا تختص بلسان مضر بل توجد فيه وفي لسان الحضر وفي غيرها من الالسن الاعجمية . ونجد منهم ايضاً طائفة اخرى في الاندلس وغيرها خرجوا عن اوزان العروض المعروف عند العرب الى اعاريض مختلفة ومقاطيع متفاوتة . الى غير ذلك مما هو مفصل في مواضعه ومعلوم عند اربابه سيا بعد طبع كتب الباقلاني والجرجاني وغيرهما من الائمة الواضعين لفن الانتقاد الادبي

فالامم الاوروبية على اختلاف قومياتهم وتفرق لغاتهم ظلوا لاواخر القرن الحادي عشر للميلاد محرومين من الادب وفنونه ولم يكن فيهم الا أفراد من القسوس والاساقفة يحفظون في الاديرة شعر فرجيل اللاتيني ولا يفهمون مغزاه كما يحفظ مشايخ الاعاجم في زماننا شعر المتنبي والمعلقات . في أوائل القرن الثاني للهجرة والثامن للميلاد أخذت الافكار تتبادل بين المسلمين و بين أمم أوروبا من الاسبانيين والطليان والافرنج ودامت الصلات لا تنقطع بين الفريقين المتحاربين لا في الحرب — بواسطة الاسرى والسفراء — ولا في السلم بسبب الاخذ والعطاء . وكان الارسخ قدماً في الحضارة يكسب جاره أدباً وعرفاناً . وفي القرن العاشر الميلاد تغلب البابا سيلفستر الثاني على التعصب الديني وخرج من مدينة أورياق مسقط رأسه وقطع عقاب البيرينه ومياه الوادي الكبير وجاور في اشبيليه ثلاث سنوات وفتح لقومه باب العلم والمعارف فدخلوه طوعاً أو كرهاً وارتحل الافرنج في طلب العلم الى مدارس الاندلس وحضروا على مشايخها وعادوا لاوطانهم متنورين يلقون الدروس في ساحات المدن

الكبيرة وتجتمع حولهم الطلبة والعوام على مألوف العادة الجارية ليومنا في المدارس والجوامع الاسلامية . فأدرك الناس فوائد العلم وقرب الملوك والامراء منهم علماء المسلمين وأغدقوا عليهم . فكان الشريف الادريسي صاحب الجغرافية عند رجار المعروف عندهم بروجر الثاني ملك صقلية ونابولي وهو من سلالة الملوك النورمانديين . وكان احفاد ابن رشد المتضلعون في علم الحيوان والنبات عند خلفاء رجار في مملكة صقلية ونابولي المعبر عنهما بالصقليتين . فكان مثل هؤلاء كمثل الاوروبيين المستخدمين اليوم في الممالك الشرقية . وظل الافرنج بعد استرداد صقلية يكتبون بالعربية على المباني العمومية والعمارات الملوكية واستعمل علماؤهم اصطلاحات العرب العلمية في جميع أوروبا . وفي القرن الثالث عشر الميلاد فتحوا مدرسة للطب والعلوم في مدينة مون بيليه القريبة لمرسيليا وجاؤا لها بالمعلمين من عرب الاندلس ويهودها المستعربين فكانت تلك المدرسة أقدم المدارس في أوروبا بعد مدرسة سالرن القريبة لنابولي . ولم تزل مدرسة مون بيليه عامرة يقصدها طلبة العلم من الاستانة ومصر وغيرهما من بلاد الشرق . ثم في سنة ١٣٢٣ أنشأ أدباء الافرنج في مدينة طولوز التي فتحها العرب سابقاً جمعية أدبية لم تزل زاهرة الى يومنا هذا وتسمى جمعية لعب الازهار وتفرق في كل سنة على نوابغ الشعراء عشر جوائز مصوغة من الذهب والفضة على هيئة الازهار وكان لفيكتور هوكو منها اوفر نصيب كما تقدم . ومعلوم ان العرب اقاموا مدة بتلك الاصقاع وحرثوا أرضها وتزوجوا بناتها وعمرت بهم مدينة أربونة (ناربون) وقرقشونه (قرقسون) وفراقسنه وكانت مستعمرة للعرب في شرق مرسيليا . وقسطل ساراز ين ومعناها قلعة العرب وهي في الشمال الغربي من طولوز

فتعلم الافرنج من العرب القوافي ورقة الغزل وأداب النظم والنثر وتلحين الاغاني والشعر ونقلوا عنهم القصص والحكايات والنوادر وضروب الامثال والحكم المنقولة عن الفرس والهنود كما هو مفصل في تواريخ الادب الفرنساوي . والى ذلك أشار الموسيو رينه دوميك في كتابه المتداول بأيدي طلبة العلم في عموم المدارس الفرنساوية . وبعد ان اطلع الافرنج من كتب الاسلام على ما عند اليونان من

الفلسفة والحكمة اقبلوا على درس اللغة اليونانية ولم يهملوا كتب أدبها كما أهملها العرب من قبلهم . بل تهافتوا على درس أدب اليونان واللاتين وعلى حفظ أشعارهم والتمثل بها . وهاموا في قص قصصهم وفي تشخيص رواياتهم لان فن التشخيص او التمثيل كان شائعاً عند اليونان والرومان والف أدباؤهم كثيراً من الروايات واشتهر منها مؤلفات اوريبيد وسيما رواية اندروماق التي نسج راسين على منوالها . ولا يزال السياح يشاهدون في أثينة على سفح الجبل تحت قلعة الاقروبول اثار المرسحين العظيمين اللذين هما من بقايا التمدن القديم

وكان اسبق امم اوربا الى تحصيل فنون الادب الاسبانيول والطليان المجاورون للعرب . فظهر في الاولين من فحول الشعراء لوب دوفيكه ونظم نحو الف وثمانماية رواية تمثيلية وظهر فيهم أيضاً الشاعر قالديرون ولوقين وغيرهم . وفي الطليان ظهر الشاعر دانتي (١٢٦٥ — ١٣٢١ م) وطار له ذكر في العالم وهو يعد في مصاف اكبر شعراء الامم القديمة والحديثة وسبب شهرته كتابه الموسوم بالكوميدية الالهية — ديفين كوميدي — الفه في غضون سنة ١٣٠٠ م وجعله على ثلاثة أبواب باب في جهنم وباب في الاعراف وباب في الجنة . وسمى الباب منها بالنشيد وقسمه الى مائة غناء كل غناء يشتمل على ١٣٠ او ١٤٠ بيتاً . وافتتح كتابه بباب جهنم وصور نفسه مشرفاً على غابة مظلمة تقشعر الجلود من سماع وصفها . وهم بدخولها لو لم يعترضه ثلاثة سباع كاسرة . وبينما هو بين أظفار المنية واذ ظهر له فرجيل الشاعر اللاتيني وعرض عليه ان يكون قائداً له في الاعراف والسعير فقط لانه لا يستطيع دخول الجنة ولا وطء عتباتها لكونه من عبدة الاوثان . فقبل دانتي بقيادة فرجيل له وسارا معاً في عالم أهل النار . وأطنب الشاعر في وصف أصحاب السعير وصور عذاب الذين مر بهم من الظلمة والجبارين وأتى على قصة ايكولين وكان جباراً عنيداً في مدينة بيزا فوقع بأيدي أعدائه فوضعوه مع أولاده في برج وسدوا عليهم جميعاً فاشتد به الجوع وأكل أولاده ثم هلك . فوصف دانتي جميع ذلك بصورة هائلة على الاسلوب المعروف بالدراماتيقي . ولما أدته خاتمة المطاف الى الجنة وجدبابها بياتريس

وكانت من ربات الجمال المشهورات بمدينة فلورانسا وقيل كانت معشوقته فتلقته واخترقت به طبقات الجنة المسيحية او طباق السموات فلقي فيها كثيرًا من الابرار والقديسين والملائكة المقربين وباحثهم بالمسائل اللاهوتية والعلوم الالهية والكلامية وجمع دانتي في مؤلفه علوم العصر وآدابه ومعارفه ووضع به أساس اللغة الطليانية فكان كتابه كدائرة المعارف والاداب . ولم يزل يستوقف انظار الادباء بحسن ترتيبه وجودة سبكه وبما فيه من المهارة العجيبة في التنقل من مبحث الى آخر . فالكوميدية او المضحكة الالهية اشبه برسالة الغفران التي حررها المعري قبل تأليف الكوميدية باكثر من قرنين وقدمها جوابًا لرسالة وردت عليه من أحد اصحابه الافاضل في حلب وانتقل فيها لذكر الجنة ونعيمها ولذكر من دخلها من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون وفي كل واد يهيمون . وما كانوا يدخلونها الا بعمل صغير كان له عند الله اجر كبير فغفر لهم ما تقدم من الذنب وما تأخر وقالت لهم الملائكة طبتم فادخلوها خالدين



تاريخ الآداب الاجتماعية

٩ سويسرا

سويسرا مصيف اهل أوربا والبلاد التي خلعت عليها الطبيعة حلة من البهاء والجمال لاتخلق ولا تبلى سكنها البشر قبل التاريخ كما يستدل من بقاياهم فيها فقد وجد في بحيراتها بقايا مساكن من الخشب رفعت على اوتاد مغروزة في الارض . وكانوا على مايظن من الآريين الذين جاؤا اوربا من الشرق فاستصحبوا معهم كثيراً من الصناعات المعروفة لذلك العهد فكانوا يربون الحيوانات الداجنة ويحيكون الثياب ويصيدون الاسماك بالصنارة ويزرعون البساتين ويصنعون أواني الخزف وكانت ادواتهم من الحجر والعظم والقرن

ولما سفر صبح التاريخ كان سكان سويسرا من السلت قد نازلوا الغاليين سكان فرنسا ثم اخضعهم الرومان ودعوا بلادهم هلفتيا وهو اسمها القديم وعقب ذلك نزول

قبائل التيوتون من الشمال فطردوا الرومان واقتسموا سويسرا بينهم فكان للالمان الولايات الشرقية وللقوط الجنوبية واستقل البرغنديون بالجزء الغربي ثم غزا الفرنج البلاد واحتلوها ، وبعد موت شارلمان انقسمت الى مقاطعات صغيرة وتعاقبت عليها الدول فعاملوا اهلها بالقسوة والخشونة فنهضوا في القرن الرابع عشر يطلبون الاستقلال وحاربوا النمساويين حكامهم فغلبوهم واجلوهم عن كثير من المقاطعات ثم اشتروا منهم ما بقي . واتقن السويسرانيون فنون الحرب لطول عهدهم بممارستها فصار الملوك يستأجرون المسترزقة منهم وينظمون الجيوش منها ولم يزل بين حرس البابا فصيلة منهم

ولما اطمأن القوم للسلام فاجأهم الاصلاح فلقي منهم انصاراً ومقاومين فكان من ذلك منازعات وحروب اهلية بينهم حتى انتهى الخصام حين دعتهم الضرورة لمقاومة فرنسا التي انشأت الجمهورية في بلادهم . ويزيد عدد البروتستانت فيهم على النصف والباقون كاثوليك واكثر اللغات شيوعاً بينهم الالمانية ثم الفرنساوية ثم الايطالية وقد ضمن استقلالهم بما يحيط بهم من الممالك المختلفة التي اتفقت على المحافظة على استقلال بلادهم

وفي الشتاء يخف السكان الى الاودية والسهول ويصعدون في الصيف الى الجبال ومعهم مواشيهم فيشتغلون في عمل الزبدة والجبن وهم اصحاب كد واجتهاد لهم معامل كثيرة يديرونها بقوة الماء المنحدر من الجبال

وقد اشتهرت سويسرا بعمل الساعات والفلاحون ينفقون فصل الشتاء في عمل النظارات والاواني الخشبية والدمى وغيرها لاستحالة اشتغالهم في حقولهم . والى هذا يعزى كثير من نجاحهم ونجاح البلاد وهم يحترمون العلم . وللمدارس عندهم شأن عظيم والتعليم فيها مجاني وكلياتهم مشهورة في اوربا وقلّ ان يوجد في البلاد معدم ولما كانت سويسرا مصيفاً لذوي الثروة من سائر الاقطار زاد ذلك في غناها ودخل اهلها

١٠ السكندنافيون سكان اسوج ونروج وما جاورها

يتألف من اسوج ونروج شبه جزيرة واقعة في شمالي اوربا سكانها الاقدمون من الآريين التيوتون وبعضهم من اصل منغولي احتلوا اسوج أولاً ثم انتشروا منها حتى نزلوا في نروج غرباً وقد وُجد بين آثار البلاد نقود رومانية قديمة مع ان الرومان لم يأتوا البلاد ولكن السكندنافيين كانوا يتجرون مع اهل رومية فيأتون بالكهرباء والفرو ويبيعونها في اسواقها وفي اسواق القسطنطينية

وقد وجد في بلادهم اقدم النقوش والكتابات التيوتونية منقوشة على الحلى والاسلحة وادوات المنزل والكتابة أشبه شيء بالكتابة القوطية • وفي القرن الثامن بعد المسيح غزا السكندنافيون شواطىء أوربا فبلغوا بلاد اليونان وكانوا يعودون بالغنائم الى بلادهم ثم أخذوا يستقرون في البلدان التي اجتاحوها كانكلترا وفرنسا وروسيا ونازلوا القسطنطينية مرتين ثم اغراهم امبراطرتها على الانتظام في خدمتهم فتألف منهم الحرس الامبراطوري وكان السكندنافيون يعبدون القوات الطبيعية والابطال الذين رفعوهم الى مصاف الآلهة ومنهم أودين إله الحرب عندهم وكانوا ينقسمون الى صنفين الاشراف والعامة وكانوا في الحرب ينتخبون ملكاً • على انه كان لكل مملكة مجلس لسن الشرائع وفض المشاكل فيها ثم انضمت الممالك الصغيرة بعضها الى بعض فتألف منها ثلاث ممالك اسوج ونروج والدانيمارك ودخلت النصرانية بلادهم في القرن العاشر والقرن الحادي عشر وبعد منازعات طويلة انضمت اسوج ونروج فتألف منهما مملكة واحدة سنة ١٣١٩ ثم انفصلت نروج في آخر القرن ولحقت بالدانيمرك لكنها عادت سنة ١٨١٤ فاتحدت مع اسوج



(اوسكار الثاني ملك اسوج)

وثارت الحروب بين اسوج والدانيمرك وكان ملوك الثانية قد تقلدوا صولجان ملك الاولى وظلتا بين آخذٍ وردٍ حتى استقلت اسوج سنة ١٥٢٣ واعتقد اهلها المذهب الانجيلي

ومن اعظم ملوكهم في القرن السابع عشر جستافوس ادولفوس فانه قهر الروسية ونازل جيوش بولاندا وجرمانيا فهزمها وشتت شملها لكنه قتل في موقعة انتصر فيها الاسوجيون سنة ١٦٣٢

وتلا ذلك انحطاط في عظمة اسوج الى ان قام شارل الثاني عشر فابدى همة وبسالةً شديدتين وقهر الروس في مواقع عديدة لكنهم عادوا فغلبوه في واقعة بلتو وقتل شارل وهو ينازل حصناً في نروج

وارادت اسوج ان تلتزم الحيادة في حروب الثورة الفرنساوية لكن انكلترا ارغمتها على منازلة الفرنساويين فلحق بها خسائر جمة وعين المارشال برنادوت ملكاً عليها

ومع ان نروج تحسب جزءًا من المملكة لكن اهلها لا يعترفون بانها ملحقة باسوج وهم ميالون الى الجمهورية وقد حظروا على الاسوجيين تعيين من لم يكن نروجياً في وظائف الحكومة في نروج وزادوا على ذلك انهم ابطلوا القاب الشرف بينهم وقيدوا الملك بالدستور وقد توفقت المملكة في القرنين الاخيرين لملوك احسنوا السيادة ورعاية الاهالي فلم يحدث ما كان يخشى وقوعه بينهما

وقد فعلت المهاجرة في البلاد فعلاً ذريعاً فانها اخرجت منها خيرة رجالها وقد استقروا في فرنسا وانكلترا وعلى شواطىء البحر المتوسط ولا يزال الانتزاح عاملاً فيها وهو السبب في عدم ازدياد سكانها زيادة تذكر

وسكان هذه المملكة في الغالب طوال القامات بيض الالوان صهب الشعور وبينهم افراد يضرب لونهم الى السمرة وهؤلاء خلاسيون من اهل لابلاندا وسكان البلاد

وهم مشهورون بمحبة بلادهم وتفضيلها على سائر بلدان الله ويظن اهل نروج ان عاصمتهم كريستيانا تماثل سائر عواصم الارض ويصدق القول عينه على اهل اسوج لكن ستوكهولم اجمل من تلك

وسكان نروج مشهورون بحب الضيافة ورقة الاخلاق حتى ان فلاحيهم مهذبو الطباع كرام النفوس في تعاملهم مع جيرانهم ومع الاجانب وهم بسطاء اتقياء يقل بينهم ارتكاب

الجرائم والفواحش وللفلاحين منهم مهارة في الصنائع حتى لقد يكون واحدهم فلاحاً وبناء ونجاراً ودباغاً وحداداً

اما سكان اسوج فيختلفون عن جيرانهم فهم يحافظون على القاب الشرف بينهم • وعدد النبلاء فيهم كثير لكنهم في الغالب فقراء والعامة تحترم الشرفاء وتجلهم وفقراء العامة في غاية الانحطاط ونساؤهم يعملن الاعمال الشاقة كجر المركبات وحمل الاثقال وكنس الشوارع وتجذيف القوارب مع ان الاسوجيين شديدو الاعجاب بنفوسهم ويلقبون بفرنساوي الشمال دلالة على رقتهم وكرم طباعهم ولطفهم

والسكر فاش في البلادين ويعدُّ اعظم مصائبهما اما في نروج فقد قاومه الاهلون مقاومة شديدة فسنوا قوانين حظروا فيها على غير المجالس البلدية بيع المسكرات وعدلوا الكميات التي تباع • اما في اسوج فالاهلون منغمسون في السكر انغماساً فاحشاً وهم نهمون في الاكل ولذا تراهم في الغالب يميلون الى السمن في مقتبل العمر

والتعدين وسكب المعادن من عماد الثروة في البلاد والحديد السويدي مشهور في انحاء الارض فهم يذيبونه على نار الفحم وعندهم غابات كبيرة لايخشى نفادها في الزمن الحاضر وعندهم مناجم النحاس ايضاً ويصنعون كميات وافرة من عيدان الكبريت ولهم مصائد كثيرة في نروج

اما بضاعة العلم فرائجة بينهم ولهم مدارس كثيرة من عالية وكلية وجامعة وجميعهم يقبلون على الدرس والتعليم فلا يناظرهم في هذا الامر سوى جرمانيا • وقد نبغ فيهم فريق من العلماء كلينيوس النباتي اول من وضع طريقة تصفيف النباتات وسويدنبرج وجماعة من الكتبة والشعراء

وملكهم أوسكار الثاني الآن مشهور بحب العلم وقد عكف هو بنفسه على درس التاريخ القديم والحديث هل صار من الثقات فيه واشتهر بالميل الى اللغات الشرقية وآدابها فرأس مجمع المستشرقين وجمع علماء اللغات الشرقية في عاصمته غير مرة وهو يجود بالصلاة والوسامات على خدمة العلم وفوق ذلك فانه رقيق الجانب لطيف المعاشرة

لسان حال اللغة العربية

نظمت لجلسة من جلسات جمعية الكتاب

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي * وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني * عقمت فلم أجزع لقوم عداتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي * رجالاً وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية * وما ضقت عن آيٍ به وعظاتِ
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة * وتنسيق أسماء لمخترعاتِ
أنا البحر في احشائه الدرّ كامنٌ * فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم ابلى وتبلى محاسني * ومنكم وان عز الدواء اساتي
فلا تكلوني للزمان فانني * أخاف عليكم ان تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة * وكم عزّ اقوامٌ بعز لغاتِ
أتوا أهلهم بالمعجزات تفنناً * فياليتكم تأتون بالكلمات
ايطربكم من جانب الغرب ناعبٌ * ينادي بوأدي في ربيع حياتي
ولو تزجرون الطير يوماً علمتم * بما تحته من عثرة وشتاتِ
سقى الله من بطن الجزيرة أعظماً * يعزّ عليها ان تلين قناتي
حفظن ودادي في البلى وحفظته * لهن بقلب دائم الحسراتِ
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق * حياء بتلك الاعظم النخراتِ
أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً * من القبر يدنيني بغير أناة
وأسمع للكتاب في مصر ضجة * فأعلم ان الصائحين نعاتي
أيهجرني قومي عفى الله عنهم * الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى * لعاب الافاعي في مسيل فراتِ
فجاءت كثوب ضمّ سبعين رقعة * مشكلة الالوان مختلفات
الى معشر الكتاب والجمع حافل * بسطت رجائي بعد بسط شكاتي

فأما حياة تبعث الميت في البلى * وتنبت في تلك الرموس رفاتي
وأما ممات لا قيامة بعده * ممات لعمر لم يقس بممات

(مصر) « حافظ ابراهيم »

تربية الاولاد الذهنية والادبية [1]

يزعم اكثر الناس ان التربية العقلية قائمة بتعليم الولد في الكتب ولذلك يسرعون الى وضعه في المدرسة حالما ينطق ببعض الالفاظ فيكرهونه على تعليم قواعد العلوم أو بالاحرى على تحفظها غيباً كالببغاء من غير فهم ولا لذة ترغبه فيها لانه لم يترشح لادراك معانيها بالوسائط العملية أي بتقوية ذهنه وتنويره بالخطاب قبل الكتاب . ولهذا السبب ينفر الولد من المعلم والعلوم وتصير المدرسة سجناً مظلماً في عينيه

ويبدأ بالتربية من الشهر الخامس وصاعداً وفي هذا الزمن يسر الولد بالاعيب الاطفال وأفضلها ما كان من الجلد أو الكوتشوك وغيرهما من المواد اللينة لانها اذا كانت من المواد السهلة الانكسار كالجبص والفخار فلا تلبث ان تنكسر فتضطر الام الى ابدالها بلعبة أخرى جديدة . ولا يخفى ان الرزق الكثير يؤدي الى الاسراف والتبذير وهكذا حال الطفل من هذه الالاعيب فانه اذا رأى انها تتوارد عليه من غير حساب قل حرصه عليها وفاتته الفائدة منها . وبناء عليه يجب ان يكون للولد لعبة واحدة من المواد الغير السهلة الانكسار حتى تبقى عنده مدة طويلة ويتعلم ان يحرص عليها ويعتني بتنظيفها وتدبيرها لان الولد قابل للتعليم والتهذيب مهما كان صغيراً

ومن جملة الملاهي العقلية التي تنور عقل الولد ان يكون في البيت كتب موضحة

(١) مقتطفة من كتاب « تدبير الاطفال في الصحة والمرض » للدكتور اسكندر بك الجريديني . وهو تحت الطبع في مطبعة الهلال

بصور مشاهير الرجال وبعض أنواع الانسان والحيوان والنبات فتشرح له أمه أو حاضنته شيئاً عنها على مقدار سنه وفهمه حتى يتهيأ عقله تدريجاً لقبول المعارف التي تلقى عليه في المدرسة

ومما يسر الولد كومة من الرمل الجاف يلعب بها في أيام البرد في بيته فتارة يبسطها فيجعل منها سهلاً وطوراً يكومها فيمثل جبلاً أو اكمة وبهذه الواسطة يدفع عنه الملل والضجر ويتهيأ عقله لقبول العلوم الجغرافية وقس على ذلك سائر العلوم

ولا تخاطب الولد بالفاظ لا معنى لها وهي اللغة التي تستعملها الام في مخاطبة أولادها ومعظمها كلام غير مفهوم يتلقنه الولد كانه لغة أعجمية ولكن لا معنى لها ولا وجود سوى في مخيلة الامهات . والافضل ان تخاطبه من بدء الامر بكلام واضح وعبارة جلية حتى يتعود من صغره على طلاقة الحديث وفصاحة اللسان

ومن عادة الاولاد ان يسألوا عن كل غريب يشاهدونه وهذا طبيعي فيهم يدفعهم اليه حب الاستطلاع والوقوف على كل شيء يجهلونه . يدلنا على ذلك انك اذا ذهبت بالولد الى الجنائن والتقط زهرة أو شاهد طيراً الى غير ذلك مما يقع تحت يده او يستلفت نظره أتى اليك يسأل عن هذا وذاك وينتظر الجواب بشوق زائد . على انه كثيراً ما تعد الام هذه الاسئلة ضرباً من التطاول والفضول فتزجره عنها أو تجعل جوابها قليل الفائدة . ومن الواجب على المربي كائناً من كان ان يجاوب عن كل سؤال يطرحه عليه الولد ويشرح له كل غوامضه حتى يتشربه ويرسخ في ذهنه . ولا يخفى ان ما يتعلمه الولد من الاسئلة أو يسعى في تحصيله من عند نفسه اختياراً لا قسراً واضطراراً يكون أحب اليه وابقى في حافظته مما لو اخذه عن الكتب في المدرسة

على انه اذا سأل الولد سؤالاً في غير محله او لا يليق بمن كان في سنه فيجب ان يمنع عنه ولكن باللطف والملاينة لا بالقسوة والمخاشنة

والقدوة من اكثر ذرائع التعليم والتعلم فائدة للاولاد بل هي أفضل معلم لهم وذلك لبراعتهم في التقليد والاقتباس وبناء عليه يجب ان يكون الوالدون

قدوة حسنة لاولادهم في القول والفعل ولا يسمحوا لهم بمعاشرة الاولاد الناقصي التربية لئلا تسوء تربيتهم وآدابهم

ولا بد من تدريب الولد على الطاعة حتى يمتثل لأوامر والديه حباً بهما لا طمعاً في جائزة او فراراً من عقاب . ولا يخفى ان الطاعة من أكثر ذرائع التربية فائدة ولاسيما في وقت المرض لان الولد الذي لم يتعلم ليطيع والديه ويذعن لاوامرهما يرفض الدواء ولا يأخذه الا قهراً بعد عراك طويل وربما ينجلي عن اضطراب العليل واشتداد العلة لما يصيبه على أثر ذلك من الانفعالات النفسانية

واحذر من معاقبة الولد اذا تكلم بالصدق لئلا يعتصم بالكذب في المرة الثانية ولا تعاقبه مالم يرتكب ذنباً . ويجب ان يكون العقاب مجانساً للذنب . وفي أثناء ذلك يحسن ان تخاطبه بنغمة محزنة وتبين له السبب الذي من أجله استحق القصاص لكي يعرف غلطه ولا يعود اليه

ومن أشد أنواع العقاب تأثيراً في نفوس الاولاد منعهم من اللعب أو ايقافهم في زاوية البيت أو حرمانهم من النزهة أو بعض الهدايا والجوائز وما شاكل ذلك وإياك ان تعاقبه في ساعة الغضب أو تلطمه على خده او تجذب أذنه او تحبسه في غرفة مظلمة لان هذا النوع من العقاب يضر بالصحة ضرراً شديداً . ولا يجوز ان تعاقب الولد بالقساوة عند اقل ذنب يرتكبه او زلة تفرط منه لئلا يفقد الشعور ولا يؤثر فيه القصاص او تتربى بسبب ذلك جراثيم الحقد والبغضاء في قلبه فينسب اليك القساوة والخشونة وتصير في عينيه عدواً ظالماً ومنتقماً لا معلماً ومهذباً

ومن الصفات المكروهة حب الذات وهي غريزية في الانسان وأشدها قوة في الاولاد ولذلك لا يسهل على المربي ان يحمل الولد على الاقلاع عنها ويجعله يفتكر ويعمل لغيره لاننا مفطورون على محبة انفسنا وقلما يعمل الانسان عملاً لغيره صغيراً كان او كبيراً ما لم يكن له منه نفع ولو شيء من اللذة او المسرة

على انه لا يصعب على المربي العارف بأصول التربية الحقة أن يقوّم ويعدل هذه الصفة في الولد وذلك بانماء الصفات المضادة لها كحب الخير والشفقة والحنان

وأمثالها . كل هذه اذا نمت فيه ثابت على صفة محبة الذات وتعلم الولد أن يعمل ويفتكر لغيره ولو حياء . ويجب ان يمنع الاولاد من حضور الافراح والاجتماعات في الكنائس والمراسح لئلاً تتهيج أعصابهم فيصابون بالارَق في نومهم . ولا بأس اذا كانوا يترددون اليها في أواخر سني الحداثة وذلك قبل وقت النوم بساعات قليلة منعاً للارَق

وثمَّ عادة ذميمة وهي ان الام تخوّف ولدها بحكايات الجن والعفاريت ومن ايسر مضار هذه العادة ان الولد ينمو وفي قلبه اثر من الخوف لا يزول طول الحياة بل كثيراً ما تفضي به الحال الى الاضطرابات العقلية بسبب ما يعلق على ذهنه من اثار تلك الحكايات الخرافية التي تمثل له الوهم حقيقة . وكذلك يجب الاحتراس من تخويفه بالمناظر الغريبة الشكل والالعاب التي تحدث فرقعة واصواتاً عالية فجائية لما ينجم عنها من الضرر بالصحة وقد تقتل الطفل . ومن الوسائل التي يحسن اثرها في الولد ان يتعلم لكي يألف الحيوانات الغير الضارة كالفيران وبعض الديدان والزيزان وان يألف الظلمة ايضاً كما يألف نور النهار حتى يتساوى الاثنان في عينيه ولا يكون ظلام الليل سبباً لخوفه

وأخيراً يبلغ الولد السن الذي يخرج به من ايالة أمه ويدخل في ايالة المعلم . ويوجد طريقة جديدة لتعليم الاولاد قبل وضعهم في المدرسة وهي الطريقة المعروفة في لغات الافرنج (بالكندرجارتن) والمصطلح عليها في هذه الايام لتنوير ذهن الولد وتهذيب اخلاقه وعوائده وذلك باللعب والخطاب قبل الدرس في الكتب

فمن جملة أساليبها انهم يقرنون اللعب بالاغاني والحركات الجسدية التي لاتخلو من معنى يفيد الولد ويلذه . فبالاغاني مثلاً يقلد تغريد الطيور وبالحركات الجسدية يقلد طيرانها

ويتعلم حروف الهجاء على قطع خشب مزينة بالصور بحيث يتحفظها وتنطبع صورتها في ذهنه من غير خوف من المعلم وعقابه . وقس على ذلك تعلم الاعداد وتمييز الالوان بعضها من بعض . كل هذه يتمرن عليها الولد وهو يلعب وبهذه الواسطة

تترقى معارفه شيئاً فشيئاً ويتهيأ ذهنه لقبول العلوم التي تلقى عليه في المدرسة عند ما يبلغ السن الذي يؤهله لذلك . وقد الفوا لها الكتب العديدة في أغلب اللغات وساروا على هذا الاسلوب الجديد في تعليم أولادهم فصادفوا نجاحاً عظيماً . وبايت في اللغة العربية كتباً ترشد الوالدين الى كيفية التعليم على هذا الاسلوب الحديث فتكون لهم خير معين على تربية أولادهم وتهذيبهم قبل وضعهم في المدرسة

وبعد ما يتمرن عقل الولد على الطرق التي تقدم شرحها يوضع في المدرسة ويحترس من وضعه فيها قبل السنة السابعة من العمر لئلا تفضي به الحال وهو لم يزل رخص العقل غض العود الى أمراض عصبية تضطره الى الاعتزال عن المدرسة وتكون سبباً لاطفاء نور حياته العلمية

ويكفي ان يتعلم الولد أربع ساعات كل يوم حتى يبلغ السنة العاشرة من عمره . ولا يجوز ان يرغم على الدرس في البيت لان ساعات المدرسة كافية ولان يضغط المعلم عليه ويشغل عقله بمواضيع مختلفة لا قبل له على تحملها لئلا تنحط قواه العقلية والبدنية وتتسلط عليه أمراض عصبية على نحو ما سبق بيانه في موضعه

ولما كانت البنت قليلة الحركة كان الخوف على صحتها من الامراض المذكورة اكثر منه على الذكور ولذلك يجب ان يروض بدنها ويعنى بصحتها كما يعنى بصحة الذكور ويمنع الاولاد عن القراءة على نور ضعيف لئلا يكون سبباً لقصر البصر . أما وضع المصباح فالاصلح ان يكون مرتفعاً عن موازاة العين أو مائلاً الى جهة الوراء ما أمكن حتى لا تقع أشعته على الحدقة مباشرة

ويجب ان يتخلل الدرس فترات من اللعب لترويض أبدان التلامذة وشرح صدورهم وراحة عقولهم من عناء القراءة والحصر في المدرسة

وسواء كان الاولاد في مدرسة صغيرة أو في مدرسة عالية داخلية فهم في خطر من الامراض المعدية كالخناق والجدري والحمى القرمزية والحصبة وغيرها من العلل الخبيثة التي تتفشى في المدارس من ازدحام التلامذة وملامستهم بعضهم البعض ففي مثل هذه الاحوال يجب ان تقفل المدرسة منعاً لانتشار المرض

مسيح الهند

حقيقته ومصيره

تقدمنا في الهلال الخامس عشر من هذه السنة الى المطلعين على أحوال غلام أحمد القادياني (مسيح الهند) ان يبعثوا الينا بما يعلمونهُ من ترجمة حاله لعلنا نستدل بها على حقيقته . فجاءنا رجل هندي اسمه غلام النبي أصله من قاديان ويقيم الآن في القاهرة يطلب العلم بالازهر . وهو من مريدي ذلك الرجل وقد عاشره وحضر مجالسه وسمع خطبه وابحاثه عدة أعوام قبل مجيئه الى هذا القطر . فسألناه عما يعلمه عنه وعن دعوته وسائر احواله فاطلعنا على تفاصيل يهمُّ أهل البحث الاطلاع عليها وهاك زبدتها :

ولد غلام احمد سنة ١٨٣٣ في قاديان من بلاد البنجاب وهي قرية لا يزيد سكانها على الف نفس اكثرهم مسلمون . وكان أبوه من أصحاب الاملاك الذين أعانوا الهنود في ثورتهم على الانكليز سنة ١٨٥٧ . ولما ترعرع الغلام قرأ القرآن على بعض الشيعة وهو سنيّ فأطلع على أقوال الفئتين . ثم توظف في بعض مصالح الحكومة الكتابية مدة ولكنه كان ميالاً من حداثته الى التعبد فلم تطب له خدمة الحكومة فاستقال وانقطع للعبادة والبحث في الدين وهو يتعيش من عقار له في قرية أحمد اباد في قاديان ومن قرية لاحد اولاده . وقد تزوج امرأتين ولدت له الأولى ذكرين وولدت الثانية أربعة ذكور وانثى . واكبر أبنائه من الاولى اسمه سلطان احمد موظف في بعض أعمال الجباية وأكبر أولاده من الثانية اسمه محمود وسنه ١٣ سنة . والثاني بشير احمد عمره عشر سنين والثالث ولي الله والرابع مبارك احمد . وابنته في الحادية عشرة من عمرها . ومن معجزاته عندهم انه كان يتنبأ عن مجيء كل ولد قبل ولادته ويسميه باسمه

ظهر غلام احمد بدعوته هذه وهو في الاربعين من عمره فقضى ثلاثين سنة وهو يدعو الناس الى تعاليمه . وكان قد اشتهر بالتقوى والورع منذ صبوته فلقي اصغاء الى قوله . ولم يجد من ولاة الامر مقاومة لانه انما يدعو الى

السلام وأساس تعاليمه القرآن وما يوافقه من الاحاديث . وحجته في دعوته ان في القرآن آيات تشير الى وجوب ظهور مسيح في الاسلام بعد النبي كما ظهر عيسى بعد موسى . وان المدة بين هذين مثل المدة من أيام النبي الى الآن اي نحو ١٤ قرناً . وانه كما قام عيسى من اليهود لهداية اليهود فيقوم المسيح الجديد من المسلمين لهداية المسلمين . ويعتقد ان المسيح مات وقبره في قشمير وان عصمته وعصمة أمه مريم مثل عصمة سائر الانبياء

ومما ساعد على نشر دعوته انه منقطع للبحث في الدين يسعى جهده في نشر الاسلام بين المجوس ونشر تعاليمه بين المسلمين بأساليب شتى . فيقضي نهاره في التأليف والجدل فلا يخرج من منزله الا للصلاة في الجامع . وقد يكتب وهو ماش وربما القوا عليه الاسئلة في الجامع أو في الطريق . وقد أنشأ لبث تعاليمه ثلاث جرائد دورية : احداها اسمها « بدر » تصدر مرة في الاسبوع باللغة الهندية ينشر فيها حوادثه اليومية من قدوم وسفر ومبايعة ونحو ذلك . والثانية سماها « الحكم » وهي أسبوعية أيضاً وموضوعها البحث في الاسلام والجواب على ما يرد عليه من الاسئلة ونحوها . والثالثة « مجلة الاديان » تصدر بالانكليزية مرة في الشهر وقد اطلعنا على عددين من أعدادها وفيهما ابحاث دينية جديدة ولكن مرجعها الى تأييد دعواه . وأعلن من مدة عن اصدار جريدة باللغتين الفارسية والعربية سماها « البشرى » لنشر دعوته بين العرب والفرس

ناهيك بما الفه من الكتب في هذا الشأن وقد ذكرنا في الهلال بضعة منها واطلعنا بالامس على قائمة مؤلفات هذا الرجل فاذا هي نيف وستون كتاباً أكثرها باللغة الاوردية (الهندستانية) وبعضها بالفارسية او بالعربية أو بالانكليزية

وله دار ضيافة في قاديان ينزل فيها المارة على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ومن أراد مباحثته في دينه باحثه بلطف وقوة

فانتشر مذهب هذا المسيح في قاديان وسائر بلاد البنجاب وفي بمباي وغيرها من بلاد الهند وفي بلاد العرب وزنجبار . وكثر اتباعه حتى قالوا انهم ١٥٠٠٠٠ نفس ويسمون انفسهم « أحمدية » ويسمون قاديان مدينة الشيخ نسبة اليه . وانضم اليه

جماعة من علية القوم وعلمائهم منهم طبيب اسمه الشيخ نور الدين كان موظفاً في قشمير براتب مقداره ٩٠٠ روبية فلما سمع بالشيخ غلام احمد المذكور استقال من منصبه وجاء الى قاديان و بايعه وأنشأ هناك نحو سنة ١٨٩٣ مدرسة لتعليم الفلسفة والحكمة وسائر العلوم وأنشأ فيها مستشفى لمعالجة الفقراء مجاناً وهو من كبار العلماء وسنه ٦٠ سنة . ومنهم اسماعيل آدم أحد تجار بباي والشيخ رحمه الله تاجر كبير في لاهور الهند والسيد عبد الرحمن تاجر في مدراس . والمولوي السيد احمد أحسن امروهي والمولوي عبد الكريم سيالكوتي وكلاهما من العلماء

وقد تألف من هذه الطائفة لجنة او عمدة يرأسها الشيخ غلام احمد نفسه وكبار اعضائها الشيخ نور الدين الحكيم والمولوي عبد الكريم سيالكوتي والشيخ محمد علي وهو صاحب رتبة M. A. في العلم وقد أنشأ هؤلاء مدرسة في قاديان سموها « تعليم الاسلام » يديرونها ويتولون التعليم فيها مجاناً وبلغ عدد تلامذتها نحو المئة وفي جملتهم أولاد صاحب الدعوة ويسمونها المدرسة الكلية College وهي غير مدرسة نور الدين . ونفقات التعليم والتأليف والضيافة تدفع مما يرد عليهم من الاطراف على سبيل الهدية أو الاعانة رواتب معينة على قدر الاستطاعة

والشيخ غلام احمد الآن في السبعين من عمره وهو صحيح الجسم واسع الصدر كريم النفس يعرف اللغات الاوردية والعربية والفارسية . وأما الانكليزية فيكتب له فيها الشيخ محمد علي المتقدم ذكره . ا ه

هذا ما رواه الراوي فاذا صح كله هان علينا تعليل بقاء هذه الدعوة ثلاثين سنة وهو يطابق ما قلناهُ به في الهلال الخامس عشر اذ استدللنا ان الرجل من أهل اليسار او ان بعض الموسرين أمده بالمال وان هذه الدعوة لا تثبت الا اذا قام بنصرتها بعض ذوي النفوذ . وقد ظهر مما تقدم انها قامت بنحو ذلك . والظاهر ان الرجل حسن القصد رقيق الجانب ولذلك فان اتباعه يحبونه ويحترمونه فضلاً عن اجتهاده وسعيه في نشر تعاليمه بالتأليف والتعليم والجدال والابحاث . وعليه فان دعوته تبقى ببقائه وبقاء مشروعاته فاذا لم يخلفه من يقوم مقامه و يعمل مثل أعماله ذهبت دعوته سريعاً

كما ذهبت عشرات من امثالها . وأقربها عهداً منا دعوة المهدي السوداني فانه قام باقتداره الشخصي وحسن أسلوبه ورقة جانبه وكرم خلقه فلما مات خلفهُ رجل ظالم سيء السيرة شديد الوطأة فانقضت دولة الدراويش على يده . وزد على ذلك ان المهدي قام والسودانيون في انتظاره والبلاد تنادي بصوت واحد « اين المهدي اين المهدي » فالاحوال كانت مستعدة لنشر دعوته استعداداً لا نظن غلام احمد توفق الى مثله ولذلك فلا نتوقع لدعوته عمراً أطول من عمره

سلطان ملديف او محلديب

نشرنا في الهلال العاشر من هذه السنة باب « ملوك الشرق وأمرائه » وصف جزائر محلديب وسلطانها وقلنا هناك ان السلطان محمد عماد الدين هو صاحب السلطنة وذكرنا وزراءه ومناقبه وسائر أحواله . ثم جاءنا رسالة من ملديف على يد احمد عرابي باشا وفيها ما يخالف قولنا هناك فواجبات الصحافة تقضي علينا بنشرها كما جاءتنا بامضاء صاحبها وهي :

« لما توفي المرحوم حضرة السلطان ابراهيم نور الدين اسكندر سلطان جزائر محلديب سنة ١٣١٠ كان عمر اكبر انجاله حضرة محمد شمس الدين اسكندر ثلاث عشرة سنة أي لم يكن بالغاً سن الرشد مع كونه وارثاً صحيحاً لسلطنة محلديب فاتفق جميع الوزراء وأركان الدولة وجعلوا السلطان المعزول حضرة الحاج محمد عماد الدين اسكندر ناظر أمور المملكة والسلطنة حتى يبلغ حضرة محمد شمس الدين رشده ثم ان المعزول المشار اليه لما تمكن في السلطنة عزل أكابر الوزراء الذين ولوه السلطنة وقرر اصهاره وأحباءهُ وأعطاهم رتبة الصدارة والوزارة مخافة ان الوزراء السابقين يعزلونه حتى اذا بلغ محمد شمس الدين رشده استقل عماد الدين في السلطنة وأخذ ما في بيوت المال من الاموال واصطحب بعض أصحابه الى السويس . وفي أثناء غيابه اتفق أرباب الدولة على تنصيب السلطان محمد شمس الدين اسكندر المتقدم ذكرهُ فتولى السلطنة في

١١ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ واسترجع الوزراء الذين كانوا في أيام والده وعادت البلاد الى الامن والسكينة . اه عبد المجيد ديدي ابن الحاج
جزيرة محلديب في ٩ صفر سنة ١٣٢١ ابراهيم ديدي بمحلديب

السرب وملكها وملكتها

نقلت الانباء البرقية بالامس ان السربيين هجموا على القصر الملوكي في بلغراد فقتلوا ملكهم اسكندر وزوجته واخوتها وأحد قواد الملك وحجابه وثلاثة من وزرائه وبعض حراسه . ومثل هذه الفظاعة يندر حدوثها وخصوصاً في هذا العصر وان كانت في الواقع تدلُّ على حياة الامة — وهي محمودة على ذلك اذا فعلته في سبيل حريتها الشخصية وانتصاراً للحق كما هو شأن السربيين مع ملكهم وكما فعلت الامة الاسلامية في صدر الاسلام بقتل الخليفة عثمان وان كانت الاسباب ليست واحدة في الحالين . اما السربيون فقد فعلوه انتقاماً من ملكهم وملكتهم وانصارهما كما يتضح من تاريخ تلك الحوادث — وهاك خلاصتها

(السرب) هي مملكة صغيرة في بلاد الروملي مساحتها نحو ٢٠٠٠٠ ميل مربع يحدها النمسا من الشمال والفلاخ والبلغار من الشرق ورومانيا من الجنوب والبوسنة من الغرب عدد سكانها ٢٣٠٠٠٠٠ نفس وهم سلافيو الاصل تنصروا سنة ٦٤٠م . وكانت بلاد السرب في اوائل ادوارها جزءاً من المملكة اليونانية يحكمها امراء من أهلها . وفي سنة ١٠٤٠م استقلت بقيادة امير منهم اسمه استيفان بويسطام وتولى حكومتها ابنه ميخائيل وهو أول ملوكها . ومازالت مستقلة حتى فتحها السلطان مراد الثاني سنة ١٣٨٩م فقضت في حوزة العثمانيين أربعة قرون وبضعة عشر عاماً حاولت في أثنائها التملص من تلك السلطة فلم تفلح حتى ظهر فيها بأواخر القرن الثامن عشر رجل من زعماء اللصوص يسمى جورج الاسود (قاراجورجفيتش) وكان ذا بطش شديد دعا السربيين للثورة فنهضوا تحت لوائه وفازوا بالاستقلال سنة ١٨٠٥ وسموه حامي ذمار السرب والآخذ بثارها . ولكن سلطانه لم يدم لان العثمانيين حاربوه واعادوا البلاد الى حوزتهم سنة ١٨١٤ بعد مذبحة هائلة وفر جورج الى روسيا . ثم عاد السربيون الى الثورة سنة ١٨١٥ بقيادة رجل من رعاة الخنازير اسمه ميلوش اوبرينوفيتش ارتقى بعزمه واقتداره حتى رأس حزب الاستقلال

وحارب العثمانيين ١٤ سنة فمنحه الباب العالي سنة ١٨٢٩ نوعاً من الاستقلال واقره اميراً على السرب . وفي السنة التالية جعل الحكومة ارثاً في نسله . وفي سنة ١٨٥٦ دخلت السرب في حماية الدول بمقتضى معاهدة باريس مع التوسع في استقلالها . وفي سنة ١٨٧٨ استقلت تمام الاستقلال وصارت مملكة على عهد الملك ميلان والد اسكندر قتيل الامس وكانت احزاب جورجفتش مع ذلك تنظر الى السرب نظر الطامع فيها ولا يغفلون عن السعي ودس الدسائس في سبيل الحصول عليها



(الملك ميلان وامرأته نتالي)

(الملك ميلان) ولما انضت الامارة الى ميلان سنة ١٨٦٨ كان لا يزال غلاماً في المدرسة لا يزيد سنه على ١٤ سنة فاستقدمه السربيون وولوه امرهم وهو لم يتم علمه ولا عرف شيئاً من امور العالم . ولم يكن له ام ولا ابٌ ولا مشيرٌ ولا نصيرٌ الا رجلاً مخلصاً من اهل بلاطه أقاموه وصياً عليه فشبَّ ميلان بين الدسائس والمفاسد وحكومته في ايدي فئة من اهل الطمع وحب الذات وكلهم غرباء عنه لاهمَّ لهم الاَّ ارهابه واقناعه ان السرب بجملتها ضده وان الحبائل والمكايد تهدده . فقضى اعواماً لا يعرفه أحد من أبناء امارته ولا صديق له من حكومته الا وصيه المشار اليه — حتى كثيراً ما كان يشير الى كلبه ويقول « هذا الذي يحبني ويخلص لي اما الآخرون فانما يستخدمونني

لاغراضهم الشخصية »

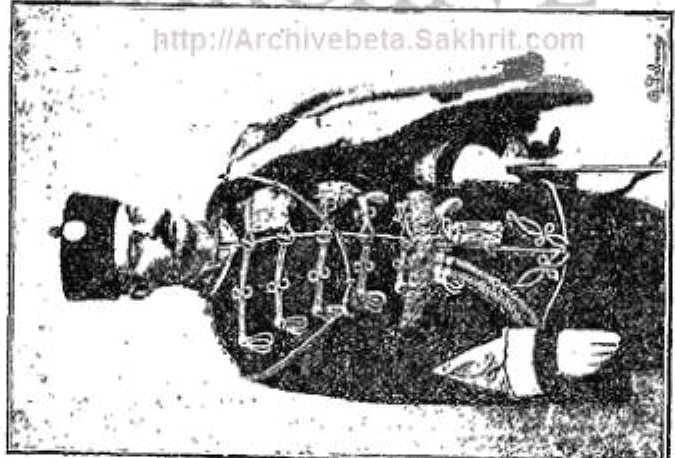
فمن كانت هذه تربيته وهذه احوال معيشته فكيف يرجى نفعه — الا اذا كان من اهل المواهب السامية والارادة القوية • وميلان لسوء الحظ لم يكن من هؤلاء بل كان ضعيف الارادة ضعيف الرأي أُهملت تربيته منذ صبوته فانقطع لما يشتهيه من ملاذ الجسد • ثم نمت تلك الاميال فيه في أثناء الوصاية عليه وهو منفرد في قصره بلا زاجر ولا واعظ • لايرى حوله الا ما يزيده اسرافاً ونهماً وانغماساً • ولم يترب تربية العلم ولا تربية الدين فلم تزدد اخلاقه الا اعوجاجاً • فلو توفق الى تربية تليق بالامراء وتدرب على حب الفضيلة او الدين لما ارتكب ما ارتكبه من المفاسد والمنكرات — وان كنا مع ذلك لانرجو ان يكون مصلحاً كبيراً لان التربية لا تغير الخلق ولكنها تلطفه وتهذبه

وفي ايام ميلان تم استقلال السرب وصارت مملكة سنة ١٨٧٨ وهو اول ملوكها كما فصلنا ذلك في الهلال الحادي عشر من السنة التاسعة • وكان قد تزوج سنة ١٨٧٥ بفتاة ملداوية الاصل بارعة الجمال كان والدها اميرالاي في الجيش الروسي اسمها نتالي فتوسم الناس في زواجهما خيراً لانهم ظنوا نتالي المرأة التي تستطيع اصلاح ما فسد من تربية ميلان لما عرفوا من حكمتها وتدبيرها وقد فاتهم ان تسلط المرأة لا يتم على زوجها الا اذا كان هو يحبها حباً صادقاً • ولكن حب ميلان لزوجته لم يكن كذلك فأخذ يذبل ويضمحل بمرور الايام حتى تحولت امياله الى غيرها فهاجت فيها الغيرة واشتد الخصام بينهما • ويزعم بعض السربيين ان زيجته بها كانت شؤماً عليه لانه لم يرَ توفيقاً بعدها • والحقيقة ان نتالي كانت ترضى بأن يكون لها ٧٥ بالمئة فقط من زوجها • ولكنه نبذها وأحب ابنة احد باعة الاخشاب واسمها ارطميس لا جمال فيها ولا فضيلة ولا امانة فولدت منه ولداً فأراد الاقتران بها شرعاً ولم يرَ سبيلاً الى ذلك الا بطلاق نتالي فطلقها سنة ١٨٨٨ طلاقاً طنطنت به جرائد العالم اشهراً متوالية والناس يقبحون فعلته التي لم يكن لها موجب غير الجهل الاعمى

ولم يكد يفرغ ميلان من طلاق زوجته حتى خطر له ان يتنازل عن الملك لابنه اسكندر • وقبل المجاهرة بالاعتزال أشار عليه بعض العقلاء ان يؤلف وزارة شوروية لادارة شؤون المملكة ففعل ثم تنازل عن الملك سنة ١٨٨٩ لابنه المشار اليه وعمره ١٥ سنة والف مجلساً للوصاية عليه • ثم انصرف الملك ميلان من جهة والملكة نتالي



دراغا — ملكة الصرب



اسكندر ملك الصرب

من جهة أخرى الى دس الدسائس والمسابقة الى التأثير على الحكومة وهي تقاومها حتى اضطر الملك ميلان للقبول بالسكنى خارج بلاد السرب الى ان يبلغ ابنه سن الرشد فيعود . وحكم على الملكة نتالي ان لا تقيم في بلاد السرب على الاطلاق فخرجا منها وأقام ميلان في باريس وانغمس في الملاهي والملذات والمسكر حتى احتقره الناس واصبح مضغة في الافواه . فلما بلغ ابنه سن الرشد عاد الى بلغراد وهو طامع في أزمة الاحكام فأعادوه القهقري . وقضى اخريات أيامه في نصب الحبائل ودس الدسائس لعله يعود الى منصة الحكم فلم يفلح حتى فاجأته المنية في فينا سنة ١٩٠١

﴿ الملك اسكندر ﴾ هو ابن الملك ميلان ولد سنة ١٨٧٦ وقد رأيت انه تولى الملك ولم يبلغ رشده . والظاهر انه لم يكن أحسن خلقاً من أبيه فلم يستتب له الامر الا ظاهراً وتباعدت القلوب منه بسعي حزب جورجفتش المتقدم ذكره وزاده تباعداً اقترانه بامرأة كانت من حاشية والدته اسمها دراغا اكبر منه بتسع سنين ولم تكن الحكومة راضية عن ذلك الزواج ولكنه أبى الا الاقتران رغم ارادتهم . وكان لذلك دوي في العالم المتمدن وتحدثت فيه الجرائد وتباحثت فيه المجالس مدة طويلة فلم يجد ذلك نفعاً فتزوج بها في ٥ أوغسطس سنة ١٩٠٠ فزاد الناس كرهاً له وسعياً في أذيته وفي مقدمتهم رجال دولته وكانوا يمسكونه بما لهم من السلطة بمقتضى الدستور الذي منحهم اياه فرأى ان ينتقم منهم فألغى الدستور في ٨ ابريل سنة ١٩٠٢ هنيهة ريثما غير أصحاب المناصب فأبدلهم بمن هم من حزبه ثم أعاد الدستور فزاد قومه كرهاً له وتعاظم التنافر بينهم وبينه والظاهر انهم لم يجدوا سبيلا الى الانتقام منه الا بالقوة فهجموا على قصره بالامس وقتلوه وقتلوا امرأته وبعض وزرائه كما قدمنا

لا ريب ان اسكندر كان يحب امرأته حباً شديداً فلو كانت هي كبيرة النفس متعقلة لاصلحت ما فسد من النيات بسببها بالملاطفة وحسن الاسلوب . ولكنها كانت صغيرة النفس قصيرة البصيرة وكان همها الانتقام من الذين سعوا في منع زواجها بالملك فكانت تحرض زوجها على ذلك وهو ضعيف الرأي لم يحسن النظر في العواقب فوافقها حتى آل الامر الى قتلها كما علمت وكان لمقتلها رنة سرور بين السربيين تظاهروا بها على رؤوس الاشهاد ثم انتخبوا بطرس جورجفتش ملكاً عليهم

باب التقريظ والانتقاد

كتاب البؤساء وتعريبه

ظلَّ كتاب أوربا في الاجيال الوسطى ينسجون على منوال قدماء اليونان والرومان مع ما اقتضاه الدين المسيحي من تلطيف العواطف وذكر السعادة والشقاء والخلود والفناء . وهي الكتابة التي كانوا يعبرون عنها بالطريقة المدرسية وكاتبها مقيدٌ في عباراته وافكاره بما وضعه علماء الادب قبله من القواعد والروابط . ولذلك كانت مؤلفات اهل القرنين العاشر والحادي عشر مثلاً شبيهة بمؤلفات العصرين اليوناني والروماني وفيها من المبالغات والخرافات ما لا يطابق روح العلم — اذ كانت عمدتهم على تميق العبارة وحسن سبكها وتزويقها بالاستعارة والمجاز ونحوهما . فلما افاقت اوربا من غفلتها كان في مقدمة ما بنوا عليه تمدنهم الحديث حرية الفكر اي حلُّ الفكر من قيود التقاليد والقواعد القديمة — وللعرب فضل كبير في حل تلك القيود كما سنأتي عليه في مكانه . فترتب على ذلك حل قيود القلم فأخذ الكتاب يكتبون كما يفكرون لا كما كتب القدماء قبلهم . فنشأ من ذلك الطريقة التي يعبرون عنها بالرومانية . واول من فعل ذلك منهم شكسبير شاعر الانكليز وعنه أخذ شعراء الالمان وكتابهم ثم الفرنساويون وإمامهم في ذلك فيكتور هوكو صاحب كتاب البؤساء

ومن مقتضيات اطلاق حرية القلم في عالم الانشاء رسم الصور الذهنية على الورق كما ترتسم في المخيلة بدون استعارة ولا مجاز الا ما يأتي عفواً بلا تكلف . والصور المذكورة اما ان تمثل اشياء محسوسة ترتسم في المخيلة عن طريق الحواس الظاهرة كالمرئيات والملموسات من اعراض المادة . او ان تدل على اعراض قائمة بالنفس لا وجود لها في الخارج وهي ما يعبر عنه بالعواطف كالحب والبغض والرجاء واليأس والفرح والحزن وغير ذلك . واكثر ما كتبه فيكتور هوكو من القسم الاخير اي تصوير العواطف تصويراً يمثلها للقارىء مجسمة كأنه يشرحها الى ادق دقائقها . واما النوع الاول اي وصف المحسوسات فامام الكتاب فيه اميل زولا ويعرف ذلك عندهم بالطريقة الطبيعية

وقد استخدم هوكو طريقته خصوصاً في كتاب البؤساء (Les Misérables) فمثل فيه عواطف البائسين وشرح احساسهم وصوّر افكارهم ووصف احوالهم مما لم يترك سبيلاً لمزيد · ومدار تلك القصة على اناس لازمتهم التعاسة واحدق بهم الشقاء ومغزاها ان العدل وحده لا يكفي لانصاف الناس ولا يتم الا بالرحمة · والرواية على اجمالها فلسفية اخلاقية وقد ساعد على اذاعة شهرتها شهرة مؤلفها عند ظهورها فتهافتت الامم المتمدنة على نقلها الى ألسنتهم الا العربية فانها ما زالت عطلاً منها الى الامس مع رغبة ادباء لساننا في تعريبها ومباشرة بعضهم الترجمة غير مرة · واقربهم عهداً في ذلك نجيب افندي غرغور بالاسكندرية فانه اصدر من معرب هذه الرواية بضع كراريس وسماها التعساء على ان يتم نشرها تباعاً بالاشتراك ثم اوقف العمل لكساد هذه الطريقة بيننا

وما زال الناس يأسفون لخلو لساننا من هذه الرواية حتى تصدى لنقلها اليه محمد افندي حافظ ابراهيم الشاعر العصري الشهير وفي ذلك من المشقة ما لم يشعر مترجموها الى الالسنة الاورية بشيء منه لما بين هذه اللغات من صلة النسب وتشابه الالفاظ والتراكيب بخلاف اللغة العربية فانها من طائفة اخرى وبلاد اخرى · فضلاً عما يقتضيه الانشاء الفلسفي الاخلاقي من دقة التعبير وحسن اختيار الالفاظ · وزد على ذلك ان عبارة البؤساء ومعانيها شعرية وان لم تنظم ولذلك اقتضى ان يكون معربها من اهل الفنين النظم والنثر ويندر ان يتوفق ذلك لاحد كما توفق لشاعرنا معرب البؤساء

اشتهر حافظ افندي ابراهيم ببلاغة شعره وسلامته من الحشو والتعقيد فقد تقرأ له القصيدة برمتها فلا تجد فيها بيتاً ركيكاً او قافية ضعيفة · وقد رأينا نثره في ترجمة البؤساء على نحو ذلك من بلاغة العبارة وتقاوتها ومتانتها مع استرسالها وسهولتها — لولا ما ادخله فيها من الالفاظ المهملة مع امكان استبدالها بالفاظ مألوفة شائعة · الا اذا كان غرضه احياء ما مات من تلك الالفاظ وليس احياؤها من رأينا الا اذا لم يكن في الالفاظ الحية ما يقوم مقامها

وفي ما خلا ذلك فالعبارة كثيرة الشبه بعبارة ابن المقفع بل هي منسوجة على منوالها ولا نعرف كتاباً نقل الى العربية في هذه النهضة وتوخى ناقله ما توخاه معرب البؤساء من انتقاء الالفاظ وبلاغة التركيب · فلا غرو اذا قال لنا انه قضى اثني عشر شهراً في تعريب الجزء الاول من هذا الكتاب وصفحاته ١٥٤ صفحة · على ان العناية والتنقيب ظاهران في كل فقرة من فقراته · فيحسن بمعربي القصص او غيرها من كتب الادب ان ينسجوا

على منواله من الدقة والعناية ـ وان كانت شروط التعريب تستلزم مراعاة الموضوع وسبكه في القالب الذي يليق به ليسهل تناوله على قارئيه • فالعبارة التي تكتب بها رواية فلسفية لاتليق بالقصص الاعتيادية المكتوبة للعامة • ولذلك فلا عجب اذا امتنع على العامي فهم بعض عبارات البؤساء فانها لم تكتب له وانما كتبت على الاكثر للخاصة • ولولا ضيق المقام لاتينا بامثلة منها

على اننا رأينا حضرة المعرب بالغ في اختصار الرواية فلم يبق منها اكثر من النصف وقد اشار الى ذلك في عرض الكلام • فالاختصار المذكور وان لم يؤثر شيئاً في سياق القصة فانه يضيع بعض غرض المؤلف من تأليفه ويخالف شروط التعريب • وياحبذا لو عني حضرته في تصليح مسودات الكتاب مثل عنايته في انشائه فقد رأينا فيه من الغلط المطبعي ما يوهم انه لم يطلع على مسوداته • نعم ان ذلك الخطأ لايقلل شيئاً من قيمة الكتاب ولكن نقاوة العبارة تتطلب نقاوة الطبع ولا نظنه الا مستدركاً ذلك في الاجزاء التالية

وجملة القول اننا نعد تعريب البؤساء على هذه الصورة خطوة مهمة في عالم التعريب وخدمة جليلة لهذا اللسان • ولا يليق بنا ان ننسى فضل صاحب السعادة احمد حشمت باشا لانه انفق على اصدار الكتاب من ماله • فنحث الادباء على مطالعته ونتقدم الى حضرة المعرب ان يوافينا بما بقي من اجزائه • وثمن هذا الجزء عشرة قروش واجرة البريد قرش ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

مطبوعات جديدة

(ديوان الرافعي) هو ديوان شعري من نظم مصطفى افندي صادق الرافعي وقد طبع الجزء الاول منه وشرحه حضرة محمد افندي كامل الرافعي وفيه ضروب النظم من المدح والغزل والنسيب والفخر والوصف . والشاعرية ظاهرة في كل قصيدة بل في كل بيت من أبياته وقد أعجبنا منه بنوع خاص أقواله في الوصف وهو قليل في العربية الا ما تحداه بعض شعراء العصر . من ذلك قوله في وصف الساعة :

تضرب كالقلب شفه السقم　　كأن فيها الهموم تصطدم
ذات محيا أظل أقرأ من　　خطوطه ما يخطه القلم

تذكرني ما يمرُّ من عمري ... فكل يوم يجدُّ لي ندم
وليس اما سمت عقاربها ... يدبُّ في غير مهجتي الالم
ولا اذا عجلت فجاءتها ... في غير ضيق القلوب تزدحم
ما ان تراعي لاهلها ذمما ... ان رعيت عند أهلها الذمم
وما أراها سوى الزمان أما ... يدور فيها النعيم والنقم
يا أخت ذات البروج هل حجبت ... طوالع السعد هذه الظلم
وهل تعود الجدود ثانية ... من بعد هذا العبوس تبتسم
ما أثبت الهم في الصدور اذا ... أمست ليالي الحياة تنهزم

ومن أقواله وصف الصحافة في الشرق :

كم ملؤا الجو بصيحاتهم ... وطاولوا النجم بلا طائل
وسيروها صحفاً بعضها ... عن بعضها في شغل شاغل
تحتشد الاقلام فيها كما ... يختلط الحابل بالنابل
وتجمع الحق الى خصمه ... وليتها تقضي على الباطل
رأيتها كالعضب اما نبا ... فالذنب في ذاك على الحامل

ومن قوله في فلسفة الحب :

يا أخا الحب ما أرى الحب الا ... نظرًا جارحاً وقلباً جريحا
ثم من عاش بعد ذاك فقد عا ... ش ليبكي مما به أو ينوحا
وترى الطير ربما قام يسعى ... لحظة بعد ان تراه ذبيحا
ليس هذا الهوى سوى سكرة المو ... ت فهيَ للعاشقين الضريحا
يطمع النفس في الجمال فاما ... طمعت الفت الجمال شحيحا
وهو بين العيون والقلب وحي ... كلما جالت اللواحظ يوحى
آه ما أوجع الغرام وما أع ... جب جسماً على الغرام صحيحا

والديوان كله منتخبات و بين ايدينا الجزء الاول منه وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة قروش صاغ وأجرة البريد قرش واحد

﴿ هناك وهنا ﴾ هي مقالات سياسية اجتماعية لحضرة احمد افندي حافظ عوض المحرر بجريدة المؤيد تشرح تاريخ استيلاء انكلترا على الهند وسياستها فيها وعلائق مسلمي الهند ونهضتهم الاخيرة بالطوائف الاخرى وقد نشرت هذه المقالات في جريدة المؤيد ثم جمعت على حدة . ونظراً لطول اشتغال حضرة المؤلف في عالم الصحافة مع سعة اطلاعه في السياسة والتاريخ وخصوصاً مما يتعلق بالعصر الحاضر ولا سيما سياسة انكلترا في مستعمراتها الاسلامية فان لكتاباته في الهند وسياستها قيمة كبرى لما تحويه من الانتقادات السياسية والملاحظات الاجتماعية فنحث الادباء على مطالعة هذا الكتاب وهو يطلب من حضرة مؤلفه

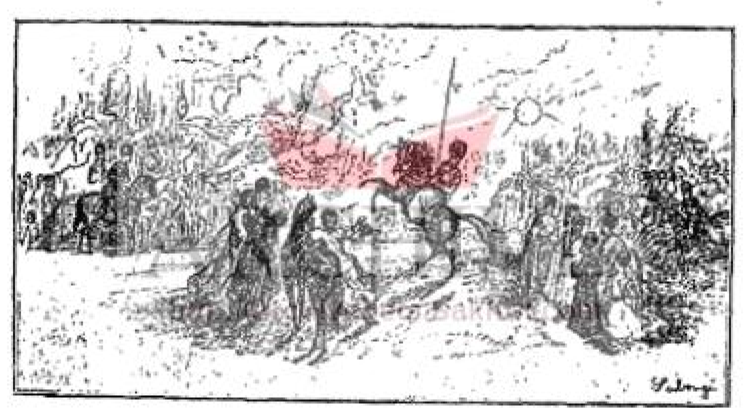
﴿ منتخبات الحداد ﴾ للمرحوم الشيخ نجيب الحداد باع طولى في عالم الانشاء مثل باعه في عالم الشعر وقد عرف الناس قدر تلك الانفاس فمنوا بجمعها ونشرها فجمع بعضهم قصائده في ديوان نشر من عهد قريب . وبين ايدينا الآن منتخبات من نفثات قلمه مما كان ينشر في لسان العرب وغيره من الصحف عني بجمعها حضرة حنا افندي نقاش وطبعها بنفقته في ٢٤٠ صفحة كبيرة طبعاً متقناً على ورق جميل . وثمن النسخة عشرون قرشاً وأجرة البريد قرش ونصف وتطلب من ناشرها بالاسكندرية ومن مكتبة الهلال بمصر

﴿ الخطوة الاولية في اللغة البورتغالية ﴾ هو أول كتاب نشر في اللغة العربية لتعليم اللغة البورتغالية . الفه شكري افندي خوري نزيل سانباولو لتسهيل هذه اللغة على الجالية السورية في البرازيل لانها لغة تلك البلاد . وقد وضعه على الاسلوب الشائع في تعليم اللغات على أسهل الطرق وقد طبعه ووقف على تصحيحه حضرة فارس افندي نجم محررة جريدة المنارة — واللغة البورتغالية من بنات اللغة اللاتينية مثل الايطالية والاسبانية والفرنساوية فيسهل تناولها على عارفي احدى هذه اللغات وخصوصاً على الطريقة المتبعة في هذا الكتاب . فنثني على حضرة المؤلف ونحث اخواننا السوريين المقيمين في البرازيل على الاستفادة من هذه الخدمة

❊ فرسان الليل ❊ هي رواية غرامية تأليف بونسون دي ترايل الكاتب

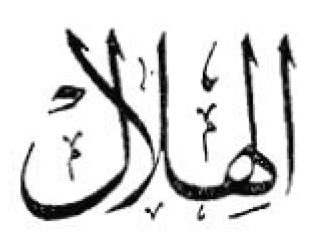
الفرنساوي وقد نقلها الى العربية المرحوم الشيخ نجيب الحداد فقيد النظم والنثر وقد طبعت طبعتها الاولى منذ بضع سنين فاقبل الناس عليها حتى نفدت فاعيد طبعها في الاسكندرية وفي شهرة موالفها ومعربها ما يغني عن اطرائها وهي تطلب من المكتبة الخديوية بالاسكندرية ومن مكتبة الهلال بمصر وثمن النسخة ستة قروش والبريد قرش ونصف

❊ الآيات البينات في تفسير النبوات ❊ هو كتاب ديني اسمه يدل على موضوعه تأليف اسحق افندي خليل خوجه بالمدرسة الاكليريكية القبطية الارثوذكسية وقد صدر الجزء الاول منه ويشتمل على تفسير نبوة عاموس وعوبديا ويونان ويهم طلاب الكتاب المقدس الاطلاع عليه وسيصدر الجزء الثاني بعد قليل وفيه تفسير نبوة دانيال والكتاب يطلب من حضرة المؤلف



صورة الفرس المسحور — نقلاً عن الجزء الثالث من كتاب الف ليلة وليلة

❊ الف ليلة وليلة ❊ صدر الجزء الثالث من هذه الرواية الشرقية الشهيرة مزيناً بالرسوم ومطبوعاً في مطبعة الهلال وعلى نفقتها طبعاً متقناً على ورق صقيل من ورق هذا الهلال وفيه اربعون شكلاً تمثل اشهر ما ورد فيه من الحوادث . ولا يخفى ان هذه الرواية تشرح احوال العصور الاسلامية الوسطى وتمثل عادات اهلها على اختلاف طبقاتهم مع بيان اخلاقهم وآدابهم في مجالسهم واحاديثهم واعراسهم ومآتمهم ومعاملتهم التجارية والقضائية والعائلية وغير ذلك وقد عنيت ادارة الهلال بتنقيح هذه الرواية مما يخالطها من الوقائع التي يخجل الاديب من مطالعتها واصدرت منها ثلاثة اجزاء. هذا ثالثها وثمن كل جزء عشرة قروش صاغ واجرة البريد قرش ونصف ويطلب من مكتبة الهلال بمصر



الجزءان التاسع عشر والعشرون من السنة الحادية عشرة

١٥ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢ و ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٢١

ملوك الشرق وامراؤه

١١ - ماسنة وأميرها (١)

محمد العاقب ثال

(ماسنة) هي مملكة سودانية في نجد مرتفع على الشاطئ الايمن لنهر النيجر بين الدرجة ١٢° والدرجة ١٥° من العرض الشمالي . حرها أقل من بقية بلاد السودان المجاورة لها وأراضيها مخصبة ومزروعاتها بالنسبة كثيرة وخيلها مشهورة في جميع بلاد السودان وهي من جنس عربي الاصل ولكنها اكبر جسماً من الخيل العربية وأقوى بنية . وفي ماسنة بعض الصنائع فتنسج فيها الاقمشة اللطيفة والاغطية والبسط والسجادات وتصنع الاواني البيتية والمصوغات الذهبية والفضية والسروج والرماح والسيوف ولعل سيف الامير الذي بيده من مصنوعات تلك البلاد . وتدبغ فيها أيضاً الجلود ويصنع منها شيء كثير وهي من جنس الجلود المراكشية المعروفة في أوربا باسم (ماروكين) . وسكان ماسنة من قبائل مختلفة فلان وبامبارة وفولية

(١) بقلم الكاتب الفاضل صاحب مقالة فيكتور هوكو وعلم الادب عند الافرنج والعرب

وسراقوله . ويقدرون مساحتها ٨٠،٠٠٠ كيلو متر وعدد سكانها ٥٠٠،٠٠٠ نفس

وكانت بلاد ماسنة معمورة على عهد دولة الصنهاجيين ثم خربت بسبب الحروب الاهلية . وفي سنة ١٨٦٣ م استولى عليها الحاج عمر وهو من عظام الرجال وقد نشر الدين الاسلامي بين وثنيي السودان بالدعوة والارشاد وأسس دولة اسلامية على ضفاف السنيغال والنيجر . وبعد وفاته تولى امارتها ابن أخيه تديانى ثم ضمها احمد شيخ الآتي ذكره لمملكته وفي سنة ١٨٩٣ تولى عليها محمد العاقب اميرها الحالي

وورد ذكر ماسنة في تاريخ السودان للشيخ عبد الرحمن السعدي من أهل القرن الحادي عشر للهجرة وولد في تنبكت ونشأ في جنى وتكلم في تاريخه على ملوك سعى وملى وعلى من سكن هذه الديار من القضاة والائمة والعلماء وعلى الطوارق وحكمهم في تنبكت واستيلاء الدولة المراكشية عليها وارسالهم الباشاوات للحكم فيها

ولما استولى الفرنساويون على تنبكت جاؤا بمكتبتها الى باريس فاستخرج الفرنساوي المستشرق الموسيو هوداس هذا التاريخ وصححه وقابله على عدة نسخ وطبعه في مطبعة انجي سنة ١٨٩٨ وهو يشتمل على ذكر الحوادث والوقائع والتراجم لسنة ١٠٦٥ هجرية . والباب السادس والعشرون منه في ذكر ماسنة وأمرائها والباب والثلاثون في سياحة مؤلف الكتاب في بلاد ماسنة قال :

« وفي اواسط ذي القعدة الحرام من هذا العام (١٠٣٩ هـ) سافرت الى سيدي الاخ المحب الفاضل الفقيه محمد سنب قاضي ماسنه لزيارة طلبها مني منذ اعوام ولم يقررها الله سبحانه الا في هذا الوقت وهو اول رؤيتي تلك الجهة . فلما وصلنا حلة السيد المذكور الفيناه غائباً الى حلة السلطان حمد آمنه . . . الخ » واطال الكلام في توصله الى السلطان ودخوله عليه الى ان قال : « واعطاني عشر بقرات والعطاء ليس من شأنهم لان مال الدنيا عزيز في قلوبهم . ثم عزمت على الرجوع الى داري في جنى فاعطاني القاضي من البقر عشر بن ومن الاضحية عشر شياه وركب معي مشيعاً . . . الخ » .

ونرى في تراجم الرجال المدروجة في هذا التاريخ اسم عبد المالك البرتقالي واحمد الصقلي والاندلسي والغرناطي والغداسي والفاسي والنواتي . . الخ مما يدل على مهاجرة اهل الاندلس

وصقلية الى هذه الديار السودانية . وفي هذا التاريخ نقل عن كتاب الذيل لاحمد بابا من اهل تنبكت — واسم الذيل يشعر بوجود اصل له — وفي تنبكت جامع سنكري وجامع محمد نض والجامع الكبير وفي جنى جوامع ومدارس أيضاً تقرأ فيها اكثر الدروس المعتاد قراءتها في الجامع الازهر . وارتحل علماؤهم في طلب العلم الى مصر واخذوا عن الامام السيوطي ومن عاصره ومن جاء بعده . ومنهم من طلب العلم في جامع الزيتونة بتونس او في جوامع فاس ومراكش . ومن ذلك يفهم عناية القوم باللغة العربية والتأليف فيها فعسى ان يكون للمطبوعات العربية الجديدة رواج في امارة ماسنة بهمة اميرها الفاضل

﴿ محمد العاقب تال امير ماسنة ﴾ هو من أولاد الحاج عمر المتقدم ذكره . وقد حارب الحاج عمر الفرنساويين مدة تقرب من عشر سنين . وكانوا احتلوا « مدينة » وهي على نهر السنغال وتحصنوا في قلعتها فحاصرهم بعشرين الف من جنوده محاصرة يضرب بها المثل في تاريخ حروب السودان . وقد نشرت جريدة طرابلس الشام في سنتيها الثامنة والتاسعة أخبار الحاج عمر وساموري وبقية رجال افريقيا الغربية بالتفصيل

وبعد وفاة الحاج عمر في سنة ١٨٦٥ م انقسمت المملكة بين أولاده فكان ابنه الاكبر احمد شيخ على سيغي . وابن أخيه تديانى على ماسنه . وابنه الثاني محمد والعاقب صاحب الترجمة على دينكيرى وهي ولاية صغيرة على الضفة اليسرى لاعالي النيجر . وفي جنوبها الشرقي على الضفة اليمنى كانت مملكة ساموري . فلما طمع الفرنساويون في استعمار السودان الغربي والاستيلاء عليه وجدوا في طريقهم هؤلاء الامراء وغيرهم أيضاً مثل محمد الامين ومشايخ ريب . . . . . وغيرهم . وكان أشدهم بأساً وأمهرهم في فنون الحرب وفي سوق الجيش ساموري الملقب بنابوليون السودان لانه ظهر من بيت لم تمهد فيه الامارة وتوصل الى تأسيس دولة كبيرة والى محاربة فرانسا ١٨ سنة والى عقد المعاهدات معها وارسال ابنه سفيراً الى باريس . ثم أسر ونفي الى الكونغو وتوفي فيها سنة ١٩٠٠ بعد ١٨ شهراً من اسره . اما محمد العاقب فكان مع صغر ولايته وقلة أهميتها أشد الامراء فراسة وادهاهم سياسة وأبصرهم بعواقب الامور ولذا سالم الفرنساويين ولم يدخل معهم في حرب

وفي سنة ١٨٨٢ قطع ساموري بجيوشه نهر النيجر ودخل شاطئه الايسر وحارب الفرنساويين وأراد التغلب على ولاية العاقب والاستيلاء على دينكيري فدافع محمد العاقب عن ولايته مدافعة حسنة وفرح الفرنساويون بذلك لصده عنهم هجمات ساموري

ثم استولى الجنرال الفرنساوي ارشنار على مملكة أحمد شيخ وفتح عاصمتها سيغى « سيغو » وهي على ساحل النيجر وكذا مدينة جنى . وتتبع احمد الى بلاد ماسنه ودخل عاصمتها وهي قرية بنجقره في نيسان سنة ١٨٩٣ . ففر احمد نحو الشرق وتشتت شمل عساكره وتمزق ملكه وأصبحت تلك البلاد الواسعة في قبضة الفرنساويين وأراضيها من أخصب الاراضي وأقبلها للعمران ويمر فيها النيجر الذي سماه ابن خلدون وبقية مؤرخي العرب « نيل السودان » ويزيد على نيل مصر بكثرة الفروع والجداول المنصبة فيه وبكونه صالحاً لسير السفن الكبرى وخلوه من الشلالات . ولم يتكلف الفرنساويون لفتح هذه البلاد الا نفقات زهيدة بالنسبة لثروتها ولاهمية الموقع لان الجيوش التي استخدموها في هذه الفتوحات هي من عساكر الاستعمار المستأجرة من أهل البلاد وليس فيهم من البيضان الفرنساويين الا ضباط يدربونهم على الاعمال الحربية ويديرونهم كآلات الآلة الحربية وهم أطوع لهم من البنان

فخاف الجنرال ارشنار من اتحاد كلمة أمراء السودان وانضمام العساكر الاستعمارية اليهم لوجود الجامعة الدينية والجنسية بينهم وعلم بوجود منافسة على الامارة بين احمد شيخ وأخيه وبانقياد الاهالي وخضوعهم لامراء العائلة العمرية وعرض على محمد العاقب ان يتولى امارة ماسنة التي كانت جزءاً من أجزاء مملكة ابيه الحاج عمر . فقبل محمد العاقب بذلك لان امارة ماسنة اكثر ثروة وأهمية من ولاية دينكيرى . وارتحل بعائلته ورجاله الى قرية بنجقره وانشاء فيها داراً للامارة على قالب البناء الاندلسي واسكن فيها نساءه وجواريه وعياله . وله أربع نساء شرعيات من بنات الامراء . وثماني جوار مستفرشات . وأربعون جارية للخدمة وللتمتع بهن أيضاً اذا أراد ومائة امرأة من ذوي رحمه وأقاربه وانشأ بجوار هذا القصر دوراً للخدمة والعبيد والاتباع والحاشية والعساكر وجميع الذين هم عالة عليه ويرتعون في خيره من الندماء والمشايخ والظرفاء

المضحكين والعيون المتجسسين وجميع المداهنين · وبلس مستريحاً من الرقباء والمزاحين

وبعد ان رجع ابن ساموري واسمه كراموكو من سفارته وسياحته في باريس سنة ١٨٨٦ قص القصص عما شاهده فتناقلتها الرواة وهم جرائد تلك البلاد المتوحشة وتحدث بها المحدثون في المجالس ونشوق محمد العاقب لرؤية فرانسا والبلاد الاوروبية لاندهاشه بما كان يشاهده كل يوم من بديع صنائعهم وعجيب اختراعاتهم كالاسلحة والالعاب النارية والبواخر التي تمخر في نهر النيجر والانواع الكثيرة من الاواني البيتية والآلات النافعة وأغربها الفونوغراف الذي لا يصدق العقل السوداني الا بوجود شياطين تختفي في داخله وتنطق عن الهوى · فطلب من حاكم السنغال ان يستأذن له في الذهاب الى باريس · فلم ترد الحكومة الفرنساوية طلبه ودعته لمعرض سنة ١٩٠٠ فاصطحب زوجته الاميرة فاطمة بنت ابي بكر سعدا أحد أمراء السودان وابنه الامير مختار تال ووزيره احمد سالف وخرج من بنجقره في أوائل شهر مايس ومر في طريقه على القرى والمدن الآتي ذكرها :

كورى — كورى ، دوندو ، موبتي ، توكرمه ، غاليه ، ديينينه ، غوميتورو ، سوكاي ، نيغه ، يولو ، فاراكو ، سيغو وهي التي كانت عاصمة احمد وسماها المؤرخون بالعربية من أهل السودان سغي وذكروا أخبار ملوكها وتراجم من ظهر فيها من العلماء والقضاة والمدرسين وهي بلدة قديمة واليها ينسب ملوك سغي ودولتهم · وجميع هذه المدن والقرى في وادي النيجر · ثم توجه العاقب بمن معه نحو الغرب وسار على الخيل الى كينا ثم الى توكوتو وفيها كانت تنتهي سكة الحديد السودانية في ذاك التاريخ وهي السكة التي شرع الفرنساويون في انشائها للوصل بين مجرى السنغال ومجرى النيجر تسهيلاً للسفر في داخل السودان · فركب العاقب القطار الحديدي من توكوتو وأتى الى كايس وهي مدينة عامرة وفيها دار للحكومة ومركز للبوستة والتلغراف وبنك مالي ومدرسة لابناء الامراء ومدارس ابتدائية · وبعد وصول هذا الامير لكايس ركب الباخرة الصغيرة التي تمخر في نهر السنغال وجاء الى سن لويس وهي على مصب النهر في المحيط الغربي وفيها مركز الحاكم على هذه المستعمرة · وانتظر مرور

الباخرة المعتاد مرورها بتلك السواحل واسمها (فيل — دي — ما سيو) وهي من بواخر شركه (شارجير ر ينو) التي تدور سواحل افريقيا الغربية من الكونغو حتى بودور

فركب الامير ومن معه هذه الباخرة وكان عدد ركابها ٢٩٩ را كباً ما بين مأمورين وضباط وأنفار من عساكر الاستعمار ورهبان وراهبات ومتعهدين ومسافرين لحساب الشركات وربما كان فيهم بعض السوريين أيضاً لان منهم جماعات في سن لويس وفي دكر وفي كونا كرى والمدينة الاخيرة اسكلة فوتاجالون . وبين دكر وسن لويس سكة حديدية — ويشتغل السوريون في هذه البلاد بالتجارة ومنهم من يشتغل بصناعة البناء ونحوها ويمتزجون مع اهل السودان بسبب معرفتهم اللغة العربية التي يتكلم بها علماء السودان واكابرهم . ولا غرو ان صار لهم مستقبل حسن فان السوريين ورثة الفينيقيين .

ولما وصلت الباخرة الى بوردو التي عليها الحجر الصحي بسبب وجود الحمى الصفراء في السنغال وبعد اتمام مدة الحجر خرج الركاب المدينة ونزل محمد العاقب ومن معه في اوتيل فرانسا وهو أول نزل في المدينة وزاروا ما فيها من المباني والمتاحف والمراسح وفي الليل دخل الامير وابنه المرسح وصادف جلوسه بجانب اللوج الذي كنت به فسلمت عليه وكلمته بالعربية وهو يحسن التكلم والكتابة بها ويلفظ على القواعد المذكورة في أحكام تجويد القرآن فيمد الممدود ويقلقل القاف ويهمز المهموز ويحرك اواخر الكلم ولا يقف على الاسماء بالسكون بل يبنيها على الضم فيقول محمدُ العاقبُ . وابنه الامير مختار في الثانية عشرة من عمره تعلم الفرنساوية في مدرسة كايس المخصوصة بابناء الامراء . ومن المتعلمين فيها او في مدرسة سن لويس من يذهب لاكمال تحصيله في المدرسة الصادقية بتونس كما فعل صومبة يومبة من ابناء امراء السنغال . ومنهم من يذهب لمدرسة المستعمرات في باريس وكان توفي فيها ابن لاحمد شيخ فصلى عليه امام السفارة العثمانية ودفن في تربة المسلمين في بيرلاشيز التي هي اعظم المقابر في باريس . وعلى نمط مدرسة المستعمرات مكتب العشيرة في الاستانة وفيه ابناء عشائر العرب والاكراد . وفي اثناء الحديث مع الامير محمد

العاقب سألته عن صحة الاميرة فاطمة فتبسم وقال بان سفر البحر اتعبها جداً! ثم اظهر اعجابه واستغرابه مما في المرسح بل وممن في المرسح فقلت سوف ترى في باريس ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من اهل بنجقره . اللهم لا عيش الا عيش الاخرة . فقال انه سيحرر رحلته ويدون جميع مشاهداته وقد ابتدأ بتحريرها بالعربية منذ خرج من قصره وعلق على اوراق متفرقة كثيراً من التقييدات والهوامش فلم استغرب ذلك من ابن الحاج عمر لانه من بيت علم ومجد سيما بعد اطلاعي على مؤلفات علماء تلك الديار مثل تاريخ السودان المتقدم ذكره

والامير محمد العاقب طويل القامة نحيف الجسم متوقد العينين يلوح منهما اثر الفطنة والذكاء والتنبه والنشاط وقد وخط الشيب لحيته وهو في نحو الخامسة والخمسين من عمره وانفه منبسط وشفتاه كبيرتان بخلاف ابنه فانه متناسب الاعضاء ويضع العمامة على رأسه وبرنسه موشى بالذهب . ولبس في تلك الليلة جزمة من الجلد الاصفر متقنة الصنع كانها من معمولات اوربا . وعلى ابنه دراعه وطربوش تونسي . وبعد ان اقاموا في بوردو يومين ارتحلوا عنها الى باريس وكان وصولهم اليها في اواخر اغسطوس اي بعد اربعة اشهر من خروجهم من بنجقره واطنبت الجرائد بذكر اخبارهم ورسم صورهم وصورت الاميرة فاطمة وقالت بان في يديها اساور وخواتم كثيرة من الفضة وفي عنقها عقد من حلقات فضية أيضاً وعليها قميص من الحرير الازرق وسراويل من الاطلس الاحمر وازار غامق اللون حسب (مودة) زي البلاد المنسوبة لها واصابعها محناة بالحناء الاحمر وعيناها مكحولتان بالاثمد . وروت الجرائد أيضاً بانها حضرت التمثيل في المراسح وانسرت جداً بما في (السرك) من لعب الخيل والمساخر والمضحكين وكان حضورها المراسح بغاية التأدب والتستر المطلوب شرعاً لان زوجها الامير متمسك باحكام الشريعة الاسلامية ومتعفف عن المحرمات لاسيما عن شرب المسكرات ومحافظ على الصلوات ولم نشاهد فيه الا كل كمال وهيبة ووقار يليق بالامارة . ولعله يميل الى اجابة صاحب كتاب (تحرير المرأة) في بعض مطالبه ولكن بشرط عدم التجاوز عن القدر المباح شرعاً

ان اعقل الناس اعذرهم للناس

لا يعمل الانسان عملاً الا وهو مدفوع اليه بعقله أو بعواطفه ولا يذهب مذهباً أو يرى رأياً الا وهو يرى له في نفسه مسوغاً اما بالاقناع او بالبرهان. فاذا سمعت بأمر فظيع ارتكبه بعض الناس فلا تحكم عليه بالخطإ قبل ان تستطلع عذره فيه ويغلب ان تعود بعد سماعه عاذراً — اذا قيل لك ان محمد علي باشا الكبير قتل اربعمئة من المماليك غدراً وكانوا مستكنين لايناوئون ولا يقاومون فدعاهم لحضور الاحتفال بخروج حملة ابنه طوسون من القلعة فجاؤا مطمئنين وهو ينوي الايقاع بهم غيلة فلما شربوا المرطبات ومشوا بالموكب أمر رجاله فاحاطوا بهم وقتلوهم عن آخرهم. او قيل لك ان بونابرت العظيم حاصر يافا حتى كاد يعجزه فتحها فطلبت حاميتها التسليم على ان يحفظ ارواحهم فاجابهم ناشبه الى ذلك وساقهم الى معسكر بونابرت فامر باعدامهم رمياً بالرصاص. وعددهم أربعة آلاف رجل — اذا قيل لك ذلك وامثاله من فظائع التاريخ فلا تنسب محمد علي أو بونابرت الى الظلم او القسوة قبل ان تعرف السبب الذي حملهما على ركوب ذلك المركب الخشن. وفي التاريخ كثير من امثال هذه الفظائع يندر ان لايكون لمرتكبها عذر في ارتكابها مع اعتبار روح العصر ومطامع بني الانسان

على اننا لانخوض في ذلك لانه من قبيل التاريخ وانما نريد بعنوان هذه المقالة التماس العذر في ما يسيء به الناس بعضهم الى بعض في معاملاتهم الادبية الاجتماعية. اما المعاملات المادية فالشرع يضمن الانصاف فيها وله الحكم أو العذر

والمعاملة الادبية تتناول قسماً كبيراً من علاقات الناس بعضهم ببعض وهي على كونها اعتبارية وهمية قد اصبحت محور تعامل الناس في معظم أحوالهم الشخصية او العائلية حتى السياسية — كم من حرب انتشبت نارها غضباً لكلمة ساءت أحد الملوك او القواد وربما بلغته خطأ. وكم من خصام بين القبائل أو العائلات او بين افراد العائلة الواحدة بلغ دويه عنان السماء ولو بحثت عن سببه ما رأيت له أساساً غير التسرع وسوء التفاهم

اذا اختلف اثنان في امر فاما ان يكون منشأ ذلك الاختلاف اختلافهما في الاحكام العقلية واكثر مايكون ذلك في المباحث الفلسفية كأن يقول احدهما النفس مادة ويقول الآخر النفس جوهر والغالب ان يكون الصواب في جانب اسماهما عقلاً .. او ان يكون

منشأه التفاوت في المعرفة والاختبار واكثر مايكون ذلك في الابحاث الطبيعية كأن يقول احدهما الحرارة تمدد الاجسام ويقول الآخر انها تقلصها والصواب غالباً في جانب اكثرهما اختباراً . وقد يتفق ان يكون الاثنان مصيبين كما اتفق لاثنين اختلفا في لون السرطان فقال احدهما انه اسود وقال الآخر انه احمر واصرّ كل منهما على زعمه وكان كلاهما مصيباً لان الاول شاهد السرطان حياً ولونه اسود والآخر شاهده مشوياً وقد احمر لونه

وليس فيما تقدم شيء من الخصام وانما هو مجرد اختلاف في الرأي لا يمسّ كرامة الاشخاص وقد يطول الجدال والاخذ والرد فيه ولا يؤثر شيئاً في صداقة المتناظرين لان الحكم بينهما انما هو العقل الذي اذا تجرد عن العواطف والاغراض كان معصوماً عن الخطأ

واما الخصام فهو الاختلاف الناجم عن حكم العواطف الذي قلما يكون في جانب الاصابة . والعواطف من اول مظاهر الصبوة والشباب وفي حكمها من المسارعة والطيش مافي حكم الشباب - فيالتعاسة الذين يعملون باحكامها . وابلغ من ذلك ان حكمها نافذ في الاكثر بين الاصدقاء وذوي القربى

وفي امثال هذه الحوادث يتبين العاقل من الجاهل . فمن تبصر وملك عواطفه واستخدم عقله في الحكم على صاحبه كان كثير العذر وهو كبير العقل ولذلك قالوا « ان اعقل الناس اعذرهم للناس »

واساس هذه الفضيلة والمحور الذي تدور عليه « أن يعرف الانسان قدر نفسه » ولا يستطيع ذلك غير العاقل المتبصر . لان الناس فطروا ان لايروا عيوب انفسهم واذا كان بعضها ظاهراً ظهوراً واضحاً لاسبيل الى انكاره التمسوا لانفسهم عذراً عليه او كابروا في انكاره ولذلك قالوا « ان غاية العلم ان يعلم الانسان مقدار نفسه »

فاذا عرف الانسان مقدار نفسه (ولو بالتقريب) عرف ضعف الطبيعة البشرية وادرك نقائصها واتضحت له اللوم التي يجري الخصام منها اليه رغم ارادته . فاذا وقع صاحبه في مثلها هان عليه ان يعذره . ويزيد العذر سهولة عليه كما زاد تعقلاً وادراكاً

اذا كنت لاتقدر ان تحمل قنطاراً فلماذا يسؤك عجز الآخرين عن حمله . واذا استطعت انت حمله لانك اقوى عضلاً منهم فلماذا لاتعذر ضعفهم

تحتقر صاحبك او قريبك او تشتمه ثم تستغرب غضبه عليك او اساءته اليك فهل اذا احتقرك هو او شتمك تباركه انت وتثني عليه — فالعاقل لايبدر منه مايسيء الاخرين

لئلا ينال جزاءه • واعقل منه من يعذر المسيء اليه لضعفه او اضطراره او جهله على حد قول القائل :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني او كنت اجهل ماتقول عزلتكا
لكن جهلت مقالتي فعزلتني وعلمت انك جاهل فعذرتكا

واذا تدبرت ما يقع بين الناس من الخصام او النزاع رايت معظمه ناتجاً عن سوء التفاهم لقلة صبر الانسان على التفحص فيتسرع في الحكم على صاحبه ويبالغ في تعنيفه على زلة لم يكن هو لينجو منها لو كان في مثل حاله وربما كان وقوعه فيها اشدّ خطراً عليه من ذلك — فاذا الف احدهم كتاباً او نظم قصيدة او انفذ خطاباً و بدرت منه هفوة او هفوات فالعاقل يعذره على بعض عمله بالنظر الى ما افاده في مجمله • واما الجاهل فهمّه بعد قراءة تلك المقالة ان يبين ما فيها من الخطأ واذا لم يجد خطأ انتقد عبارتها او موضوعها او شيئاً آخر • وهو لو كلف كتابة سطر منها ما استطاع اليه سبيلاً • ويقال نحو ذلك في انتقاد الناس على الشعراء والخطباء وغيرهم • و يغلب في اولئك المنتقدين ان يكونوا قليلي المعرفة كبار الدعوى • ويندر ان يجتمع كبر الدعوى وسعة العلم في واحد • لان الانسان كلما زاد علمه زاد اتضاعه لتحققه بعد طول البحث وكثرة الاطلاع ان ما يتيسر للانسان معرفته من احوال الطبيعة ونواميسها وحوادثها لايقاس بما يبقى غامضاً عنه منها • ويشعر بتوالي البحث بزيادة جهله فهو لا يبدي رأياً او يكتب كتاباً او ينظم قصيدة الا وهو يتوقع ان يكون فيها نقص ولذلك فلا يستغرب ما قد يراه من النقص في اعمال الآخرين فيعذرهم • واذا انتقده منتقد تبصر في ما لاحظه عليه واستفاد من انتقاده بلا مكابرة او جدال وان لم يكن في ذلك الانتقاد مايعتقد هو صحته • لان مجرد عناية القارىء في الانتقاد تستدعي شكره على ذلك الا اذا تخلل الانتقاد طعن شخصي فالسكوت عند ذلك أجدر بالعقلاء

فاساس اغتفار الزلات شعور الانسان بضعف طبيعته وتعرضه للخطأ • واذا نظرت في هذه القاعدة من حيث معاشرة الناس ومعاملاتهم الاجتماعية رأيت اكبرهم عقلاً واوسعهم صدراً اكثرهم عذراً للناس • وهو اقلهم اعداء لانه لا يصدق كل مايبلغه عن اصدقائه او اصحابه او خدامه مما يسوءه او يمس كرامته • واذا صدقه فلا يؤاخذهم عليه الا على قدر عقولهم وسائر احوالهم • فلا ينقم على خادمه اذا قصر في فهم عبارة او قال قولاً لايليق ولايطالبه بالاعتذار او يضر به او يشكو سوء حاله معه لعلمه انه لو كان كما

رجو هو ما استطاع استخدامه في منزله بدريهمات قليلة

ويقال نحو ذلك في تعامل الاقران فان بين اصحابك من تخاف وانت تخاطبه ان تفرط منك عبارة يحملها هو محمل الاهانة له وانت لاتقصد اهانته او يؤولها الى التعريض به او ببعض اخلاقه او بشيء من اعماله فتجتمعان على صداقة وتفترقان على عداء • ومنهم من تخاطبه وانت لاتحاذران يسوء فهمك او يحاسبك على سهوك • واذا تدبرت الفرق بين منزلتي الاثنين عندك لرأيتك تعدُّ الاول صغير العقل قصير البصر وتعد الثاني كبير العقل واسع الصدر — فكن الثاني ولا تكن الاول — لان من العار على الرجل ان يعاشره اصدقاؤه على حذر — فاذا خاطبوه حللوا الفاظهم وعباراتهم واذا صاحبوه عدوا خطواتهم • فيقضون ساعات اللقاء باطراء خصاله والتصديق على اقواله فاذا افترقوا اشكوا قلة عقله وضيق صدره

﴿ علي باشا رفاعة ﴾ اصيبت مصر في اثناء الشهر الغابر بوفاة المرحوم علي باشا رفاعة نجل المرحوم رفاعة بك الشهير • ولعلي باشا رحمه الله آثار ادبية ومناقب حميدة يحسن بنا نشرها واذاعتها في الهلال • وقد بلغنا ان حضرة نجله محمد بك رفاعة عامل على جمع ترجمة المرحوم واثاره في كتاب على حدة مع ما قيل فيه من الرثاء فمتى صدر الكتاب ننقل للقراء خلاصة ما هنالك مع ما عرفناه بنفسنا من مناقب هذا الفقيد وسعة علمه



تاريخ التمدن الاسلامي

الجزء الثاني

هو تتمة هذه السنة من الهلال وفيه بحث تاريخي فلسفي عن ثروة المملكة الاسلامية في العصر العباسي الزاهر مع تاريخ تلك الثروة وسبب تكونها وتكاثرها وسبب انحطاطها وضياعها بعد ذلك العصر — سيصدر الجزء المذكور في اول اوغسطس القادم ويرسل الى حضرات المشتركين الذين سددوا ما عليهم لادارة الهلال الى آخر هذه السنة

مطبوعات جديدة

تراكمت المطبوعات الواردة علينا للتقريظ ولا بدَّ من تقريظها في هذا الهلال مع ضيق المقام لئلاَّ يطول على اصحابها الانتظار الى السنة القادمة فنرجو منهم عذرًا لما يجدونهُ من الاختصار في وصفها

✻ تدبير الاطفال في الصحة والمرض ✻ من الكتب ما يراد بهِ الفكاهة ومنها ما يراد بهِ الفائدة . واكثر المؤلفات فائدة الكتب الصحية لعلاقتها بحياة الانسان في الصحة والمرض . واكثر هذه الكتب فائدة ما كان منها متعلقًا بالاولاد لانهم زبنة الحياة الدنيا ومحط آمال الآباء وغايتهم من اعمالهم في هذه الحياة . والكتاب الذي نحن في صدده يدلُّ اسمهُ على موضوعهِ تأليف الدكتور اسكندر بك جريديني . بسط فيهِ تدبير الاولاد من طفوليتهم الى حداثتهم وهم في حال الصحة من الرضاعة فالتغذية ثم التربية البدنية والذهنية . ومعالجتهم وهم في حال المرض او تدارك ما قد يطرأ عليهم من العوارض او الانحرافات . وقد فصل ذلك على اسلوب سهل يقربهُ من الاذهان وزينهُ بالرسوم والاشكال لزيادة الايضاح . فجاء كتابًا كبير الحجم جزيل الفائدة لا تستغني عنهُ العائلات وخصوصًا في بلادنا لقلة الكتب المنشورة في هذا الموضوع . فنشكر لحضرة المؤلف على هذا التأليف المفيد ونحث ارباب العائلات على اقتنائهِ وهو يطلب من ادارة الهلال او مكتبتهِ وثمن النسخة اثنا عشر قرشًا واجرة البريد قرشان

✻ دروس الاشياء ✻ صدر الجزء الاول من هذا الكتاب تأليف شقيقنا ابراهيم افندي زيدان وهو من دروس السنة الاولى طبقًا لما قررتهُ نظارة المعارف العمومية مزين بالرسوم . دروسهُ في المواضيع اللازمة للاحداث وقد كتبت بعبارة مختصرة منتقاة مع السهولة والوضوح . وفي آخر كل درس مسائل لا يستطيع التلميذ الجواب عنها الاَّ اذا كان قد فهم الدرس جيدًا . وثمن النسخة قرشان ويخصم للمدارس بالجملة عشرون في المئة

✻ الخدمة المدرسية في تسهيل قواعد العربية ✻ تأليف جرجس افندي الخوري مقدسي مدرس اللغة العربية في المدرسة الاميركية في طرابلس الشام . الغرض منهُ تسهيل اكتساب قواعد هذه اللغة وقد جعلهُ بشكل دروس في ذيل كل منها تمرين لترسخ القواعد في الذهن

✻ القول السديد في حرب الدولة العلية مع اليونان ✻ هو كتاب في تاريخ هذه

الحرب تأليف حضرة علي شاكر بك نجل المرحوم محمد شاكر باشا الفريق الطبجي وقد زينه برسوم كثيرة . وصفحات الكتاب نحو مئتي صفحة كبيرة بقياس الهلال والصور مطبوعة على ورق صقيل . وثمن النسخة من هذا الكتاب ثلاثون قرشاً غير اجرة البريد ويطلب من مؤلفه ومن المكاتب الشهيرة وسيفرق نصف ثمنه على منكوبي حرب اليونان والنصف الآخر اعانة لسكة حديد الحجاز جزى الله مؤلفه خيرًا

※ قنال السويس ※ هي رواية ادبية غرامية تاريخية تأليف يوسف افندي هندي بادارة بوسطة بورسعيد المصرية تشتمل على حوادث انشاء قنال السويس وقد طبعت بنفقة الشيخ علي عبد الحميد الكتبي وتطلب من حضرته

※ اسرار الارتقاء ※ هو كتاب جزيل الفائدة لا يستغني عنه شاب من شبان هذا الزمان وخصوصاً في مصر لانه يبحث في مطالعه الاجتهاد والثبات والمحافظة على الوقت على نحو ما يؤثره كتاب سر النجاح — والكتابان يرميان الى غرض واحد — وهو تأليف وليم كوربت وقد نقله الى العربية حضرة توفيق افندي دوس وسماه ايضاً «عظات الشيخوخة للشبيبة» وصدره بمقدمة ذكر فيها الغرض من الكتاب وبين حاجة المصريين بنوع خاص الى معرفة قيمة الوقت واتقان التربية البيتية . فنحث كل شاب او شابة على مطالعته فانه يبحث في ما يحتاج اليه الانسان من وسائل الارتقاء في كل ادوار الحياة . ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة قروش واجرة البوسطة قرشان

※ غرائب روبرتس ※ هي رواية ادبية ترجمة وتأليف شهاد افندي ابراهيم ناظر المدرسة الاميركية في السنطة وتطلب من حضرة المؤلف وثمنها اربعة قروش

※ غذاء الرضيع ※ هو كتاب صحي يبحث عن تدبير غذاء الطفل الرضيع الى الشهر السادس من عمره تأليف الدكتور علي افندي حلمي الطبيب الاختصاصي لمعالجة الاطفال . وهو موضوع ضروري لربات العائلات اذ كثيرًا ما يذهب الاطفال في اشهرهم الاولى ضحية جهل الامهات او المراضع تدبير غذائهم فنثني على حضرة الدكتور على هذه الخدمة الجليلة ونستحث ربات العائلات على اقتنائه وثمن النسخة اربعة قروش

※ مسيح الهند ※ — استدراك — جاء في ما نقلناه من ترجمة المسيح المذكور صفحة ٥٣٨ في الهلال الماضي ان اباه اعان الهنود في ثورتهم على الانكليز سنة ١٨٥٧ والصواب انه اعان الانكليز في تلك الثورة فقدم لهم خمسين فارساً كان ينفق عليهم من ماله

ضاق هذا الهلال عن معظم ابواب المجلة وعن كثير من الاسئلة والاجوبة وغيرها رغبة منا في الفراغ من رواية «فتح الاندلس» في آخر هذه السنة على جاري عادتنا في كل سنة من سني الهلال فاقتضى ذلك تخصيص نحو ثلثي هذا العدد لتلك التتمة فنرجو المعذرة

خاتمة السنة الحادية عشرة

هذا آخر عدد يصدر من السنة الحادية عشرة والهلال بحمد الله لا يزال آخذاً في النمو كما يتضح ذلك مما أضفنا اليه من الابواب الجديدة ومنها في هذه السنة باب «ملوك الشرق وامراؤه» ولا يعرف المشقة في سبيل الحصول على صور اولئك الامراء وتراجمهم الا الذي قضي عليه ان يبحث عن ترجمة احد رجال مصر وهم بين ظهرانينا — فانك قد تكاتب احدهم مراراً وتصبر على انتظار جوابه اشهراً ثم لا تحصل على نتيجة — فكيف في تراجم اناس بين بعضهم وبيننا الوف من الاميال. وقد ختمنا رواية فتح الاندلس في هذا الهلال ورأينا من قرائه اعجاباً بها لم نر مثله باخواتها السابقات. ناهيك بملحق هذه السنة وهو الجزء الثاني من تاريخ التمدن الاسلامي فانه مما لم يكتب على منواله في اللغة العربية ولا في غيرها. وبمجرد النظر اليه قبل تصفحه يتضح للقارىء ما قاسيناه من المشقة في تاليفه — لا نقول ذلك على سبيل المنة وانما اردنا ان يتحقق حضرات المشتركين صدق ما قلناه في فاتحة السنة الثانية من الهلال «كلما زادونا اقبالاً زدناهم تحسيناً» وما زلنا عاملين به الى الآن ولن نزال عليه الى ما شاء الله. وسنختار للسنة القادمة رواية من سلسلة تاريخ الاسلام هي الحلقة الثامنة منها. وسنجعل ملحق السنة المذكورة الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي ومداره البحث في تاريخ العلم والادب والشعر في اثناء ذلك التمدن. وحسبنا الله ونعم الوكيل